

كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
بني ملال  
شعبة الدراسات الإسلامية  
مسلك: القرآن والحديث



جامعة السلطان مولاي سليمان  
كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
بني ملال

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في موضوع:

## الحوار مع أهل الكتاب ودوره في نهضة المسلمين بالأندلس

إشراف:

الدكتور سعيد شبار

إعداد:

الطالب: عبد الكريم العساتي

الرقم الوطني: 2826849743

رقم التسجيل: 06/2016

السنة الجامعية:

2021-2020

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الشكر والعرفان

قال رسول الله ﷺ: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله".

فالحمد لله رب العالمين الذي يسر لي كل الأسباب وأعانني وأرشدني إلى هذا العمل المتواضع،  
فنحمده حمدا كثيرا ونشكره على نعمه الكثيرة، ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا، ونصلي على

حبيبنا وقدوتنا وخاتم الأنبياء محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان الكبير لأستاذي الدكتور سعيد شبار، الذي أشرف على هذه  
الأطروحة، ونورني بإرشادته وتوجيهاته، وكان لي فعلا نبراصا ومشكاة، وقدوة. فجزاه الله تعالى عنا

خير الجزاء.

وأقدم بالشكر والتقدير والامتنان إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين شرفوني بمناقشة هذه

الأطروحة.

كما أتقدم بالشكر والتقدير لكامل أساتذة جامعة السلطان مولاي سليمان، وكذا عميدها الذي

عرف عنه بحب العلم وأهله.

ولا أنسى الدكتور محمد ناصحي الذي لم يبخل علينا بنصائحه، والدكتور عبد الحق معزوز والدكتورة

حنان فاطمة.

## الإهداء

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا بِسِيرَةِ اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.  
إلهي، يا من أكرمنا بنعمه الكثيرة، وخيره الوافرة، نتوجه إليك ربنا بشكرك، على ما وفقتنا إليه،  
ونحمدك حمدا كثيرا أن جعلت محمدا ﷺ معلما ومرشدا إلى الصراط المستقيم.  
ثم لا ننسى فيمن قلت فيهم: "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك  
الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح  
الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا"  
إلى من علمتني وعانت الصعاب...  
إلى من دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي...  
إلى أمي الغالية.  
إلى من علمني ورسم طريق دربي... إلى من كلله الله بالهبة والوقار... إلى من أحمل اسمه بكل افتخار إلى  
والدي العزيز.  
إلى كل من شاركني أفراحي وأحزاني، وقدم لي يد العون.  
إلى من أكن لها الاحترام والوقار إلى عمتي فظمة.  
إلى من يتربص خطواتي ويريد لي كل خير إلى أخي محمد  
إلى من كانت تدعوا الله أن يوفقي وأن يسدد خطواتي  
إلى روح أختي الطاهرة  
إلى أستاذي ومشرفي الدكتور سعيد شبار.  
إلى كل هؤلاء أهدي مجهودي هذا.  
ونسأل الله العظيم رب العرش العظيم، أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

عبد الكريم العسائي

## قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
ج	الجزء
ط	الطبعة
دت	دون تاريخ
تح	تحقيق
مج	مج
م	ميلادي
ص	صفحة
هـ	هجري

## المقدمة:

إن العلاقة بين الإسلام وأهل الكتاب ليست وليدة البيئة الأندلسية، وإنما ترجع هذه العلاقة إلى بعثة النبي ﷺ في شبه جزيرة العرب، وما تلات هذه البعثة من أحداث متنوعة ومتعددة الأوجه..؛ كالهجرة الأولى إلى الحبشة وما سجل من محاورات في مجلس ملكها النجاشي، ومكاتبات الرسول ﷺ إلى الملوك ورؤساء النصارى في الشام ونواحي الجزيرة، ثم انتقلت العلاقة إلى الحرب بين جند الإسلام وجنود هرقل على حدود الشام..

وتوالت حركة التاريخ بين الجانبين بين مد وجزر تارة يغلب جانب البيان الذي له وقع على النفوس؛ كما قال الرسول ﷺ: "إن من البيان لسحرا" وأخرى يضطر فيها إلى السنان، تارة تكون الغلبة لجند الرحمان، وتارة يكون دون ذلك، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَحَاوَلَهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ. وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(1)</sup>. وفي أثناء ذلك تحولت فئام كثيرة منهم إلى الإسلام، كما تحول كثير من أبناء الأمم الأخرى كاليهود؛ إلى هذا الدين، وسيطر الإسلام على كثير من بلادهم فإذا الإسلام يمسك بتلابيب النصرانية ويحاصرها؛ ويحصرها في مضايق ودهاليز أروبا كما قال جاير دنر في مؤتمر أدنبره للتنصير: "إن مشكلة الإسلام هذه مسألة لا يمكن أن نتغافلها ببساطة\_ ليست حتى في مواجهة الأوضاع العاجلة بطريقة لا يمكن وصفها، والتي تواجهنا في الشرق الأقصى، وهذه أولا، لأن الإسلام على أبوابنا، فمن أقصى الساحل الشمالي لأفريقيا يواجه أوروبا إنه فعلا يلمسها، ويمكن القول إنه يمسكها عمليا من طرف البحر المتوسط عند أعمدة هرقل وعند القسطنطينية... فكروا في تلك الكتلة المركزية لعالم الإسلام الصلب من شمال افريقيا إلى غرب ووسط آسيا إنه كإسفين ثابت يحجب الغرب المسيحي عن الشرق الوثني"<sup>(2)</sup>.

(1) \_سورة آل عمران، الآيتان: 140\_141.

(2) \_الوثيقة الإسلام الخطر، نص الخطاب الذي ألقاه جاير دنر في مؤتمر أدنبره للتنصير في القاهرة عام 1910م

فالإسلام يواجه هذا التكتل النصراني الذي تحدث عنه جاير دنر بالحوار البناء الذي يعتمد الدليل نهجا ومنهجاً وهذا ما كان جلياً في الأندلس في القرون الثلاثة: الرابع والخامس والسادس الهجري.

"لقد كانت أرض الأندلس أحسن مثال على إنجاز تاريخي يصعب وجوده في الوقت الحاضر؛ فكانت أرض التعايش والتسامح وأرض الحريات، وكانت نموذجاً لإقرار الاختلاف. فقد اتبع المسلمون مبدأ حرية المعتقد الذي دعا إليه الإسلام، فاتسمت البيئة الأندلسية بالتنوع والتعدد؛ حيث تشكلت من أجناس وأعراق صهرها الإسلام في بوتقته غير مفرق بين سكانها الأصليين المسيحيين من أصل قوطي أو روماني والوافدين عليها من عرب وبربر"<sup>(1)</sup> واليهود.

"لقد لبث النصارى واليهود الإسبان الذين يعيشون في القواعد والثغور الإسلامية عصوراً، يتمتعون في ظل الحكم الإسلامي بضروب الرعاية والتسامح، وكانت الحكومات الأندلسية، حتى في أزهى عصورها، تحافظ على مبدأ الحرية التي أتت إزاءهم منذ الفتح وتعاملهم برفق، وتحترم شعائرهم الدينية وتقاليدهم القومية، وتجنب أية محاولة لإرغامهم اعتناق الإسلام، وهكذا حافظ الذميون في الأندلس على عاداتهم وتقاليدهم، وابتعدوا عن المناصب العالية ووظائف سامية في الدولة"<sup>(2)</sup>. في حين أنهم كانوا يعانون من اضطهاد سلطة الكنيسة لهم قبيل الفتح الإسلامي.

شكلت النقاشات الحامية التي جرت بين علماء الأديان الثلاثة مقدمة ضرورية. ورصعت صفحات ناصعة في ميدان الحوار الديني، وكانت الروح المتسامحة السائدة بين المتحاورين هي ما شجع عدداً من العلماء من مختلف الطوائف للدخول في دائرة الجدل الديني، طالما أنهم لن يتعرضوا للمساءلة أو العقاب من قبل المسؤولين الحكوميين، لدرجة أن بعض القضاة الذين

(1) \_ التّسامح الدّيني وأثره في حضارة الأندلس. عباس الجراري ص 41. ورقة قدمت في ندوة، "الحضارة الإسلامية في الأندلس ومظاهر التسامح"، التي نظمها بالرباط مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات، أيام 27-28-29 ذي الحجة 1422 هـ، الموافق 12-13-14 مارس 2002 م.

(2) \_ التّسامح الدّيني وأثره في حضارة الأندلس. لعباس الجراري ص: 48

يشهدون المحاورات الدينية يصمون آذانهم عندما يتلفظ أحد المتحاورين من أهل الكتاب بما يعد قذفا في جنب الإسلام أو نبيه، وذلك خشية أن يوقع عليه العقوبة المشروعة<sup>(1)</sup>.

وهذه الحرية التي أثمرت حوارات في مختلف العلوم والفنون، بزغ عنها حضارة عريقة مترامية الأطراف، وقوة اقتصادية ضاربة في عمق أوروبا.

ومن هذا كله كان لابد من تسليط الضوء على البيئة الأندلسية وسر نهضتها، ومدى تأثيرها على جغرافية العالم المسيحي واليهودي.

وعليه اخترت، أن يكون الموضوع المدروس: الحوار مع أهل الكتاب ودوره في نهضة المسلمين بالأندلس.

وقد زوجت أثناء دراستي لهذا الموضوع بين المقارنة بين النصوص التراثية والتاريخية وبين التحليل النقدي للأحداث، بغية الخروج بملاحظات عن تأثير الحوار على المجتمع الأندلسي وكذا المجتمع الأوروبي.

من هذا كله نطرح الأسئلة التالية التي سنحاول الإجابة عنها في هذه الدراسة:

- هل دعا الإسلام إلى التحاور مع أهل الكتاب؟
- ما مدى تجسيد إسلامية الإسلام في الفعل الحوارى مع أهل الكتاب؟
- هل احترمت البيئة الأندلسية الحوار وجعلته منطلقا نحو اندماج أفراده رغم تنوع الديانات؟
- ما السرّ في تفريخ المجتمع الأندلسي بعلماء تفرّدوا بفكرهم المتنوع؟
- ما السرّ في نهضة المسلمين بالأندلس وأوروبا؟

وقد دفعتني أسباب عدة لاختيار هذا الموضوع منها:

\_ إرواء الغليل في معرفة مكان القوة في المجتمع الأندلسي وسر نهضة المسلمين فيها.

\_ إنكار الغرب دور الإسلام في نشر القيم الحضارية

(1) تاريخ الجدل، محمد أبو زهرة، ص: 148، دار الفكر العربي، القاهرة، 1980م، بتصرف.

\_ خلو المكتبة العربية من دراسة أكاديمية تغطي هذا الموضوع من كل الزوايا التي شكلت تماسك المجتمع الإسلامي في الأندلس.

\_ تسليط الضوء على سماحة الإسلام ونظرتة للمخالفين في الدين.

\_ إظهار دور الإسلام في الحوار مع المخالفين ودعوتهم والتي هي أحسن، دون اللجوء للعنف أو وسائل أخرى.

\_ إبراز مساهمة النصارى واليهود في رقي الحضارة الإسلامية بالأندلس.

\_ إبراز مدى نجاعة الحرية الحوارية في ميلاد فكر جديد وبالتالي حضارة قوية.

أما عن الصعوبات التي صادفتني أثناء بحثي:

\_ تأزم نفسيتي بسبب وفاة أختي؛ كان سببا في شل أركاني، وأدخلني في حزن شديد، رغم إيماننا بالقدر.

\_ صعوبة التنقل إلى المكتبات وخصوصا في الآونة الأخير؛ بسبب الجائحة التي ضربت العالم، وجمدت نشاطه.

حظي موضوع الحوار مع أهل الكتاب بعناية واهتمام الباحثين والدارسين، بأسهماتهم وكتاباتهم، وقد حاولوا إثارة بعض الإشكالات وطرح التساؤلات مما يثري الساحة العلمية في موضوع الحوار. ومن أهم الدراسات التي أنجزت في الموضوع:

\_ الكتاب القيم المعنون بـ"الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس (ابن حزم - الخزرجي)" لمؤلفه خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي.

\_ الكتاب الهام الموسوم بـ"حوار الأديان في الأندلس" لأبي العباس القرطبي.

\_ الدراسة المعنونة بـ"المناظرة في أصول التشريع الإسلامي (دراسة في التناظر ابن حزم والباجي)"، للأستاذ المصطفى الوظيفي

\_ كتاب "الحوار النافع بين أصحاب الشرائع بين أصحاب الشرائع" لعبد الرحمان الحوراني.

\_ كتاب "الحوار بين الأديان أسراره وخفاياه" عبد الودود شلبي.

\_ كتاب "الحوار مع أهل الكتاب"، خالد بن عبد الله القاسم

\_ الدراسة القيمة "الحوار الديني بين أهل الذمة والمسلمين في الأندلس: قراءة في الخلفيات والدلالات والنتائج" محمد الأمين ولد أن.

\_ كتاب "أدب الحوار"، محمد حسن بخيت.

\_ كتاب "الحوار مع الآخر وأهميته في الفكر الإسلامي"، محمد محمد عيسى.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة تضمنت لمحة موجزة عن الموضوع وأهم التساؤلات التي ستجيب عنها الدراسة، وأسباب اختيار الموضوع، ثم العراقيل التي صادفتني في البحث، وإبراز المنهجية المتبعة، وقد احتوت الدراسة على بابين وكل باب يحتوي على فصول، ثم خاتمة وهي على هذه الشاكلة:

## الباب الأول: الحوار مع أهل الكتاب

### الفصل الأول: الحوار والمحاورة والتعريف والشروط:

المبحث الأول: الحوار تعريفه وشروطه:

المطلب الأول: تعريف الحوار

المطلب الثاني: شروط الحوار

المبحث الثاني: المحاور: تعريفه وشروطه:

❖ المطلب الأول: تعريف المحاور

❖ المطلب الثاني: شروط المحاور

### الفصل الثاني: الحوار مع أهل الكتاب من خلال الكتاب والسنة:

المبحث الأول: الحوار وأهميته في الدعوة

● المطلب الأول: تعريف مفهوم الدعوة

● المطلب الثاني: أهمية الحوار في الدعوة

المبحث الثاني: أهمية الحوار في القرآن الكريم

المبحث الثالث: أهمية الحوار في السنة النبوية

المبحث الرابع: أساليب الحوار في القرآن الكريم وموضوعاته

▪ المطلب الأول: أساليب الحوار في القرآن الكريم

▪ المطلب الثاني: موضوعات الحوار في القرآن الكريم

المبحث الخامس: أساليب الحوار في السنة النبوية وموضوعاته

▪ المطلب الأول: أساليب الحوار في السنة النبوية

▪ المطلب الثاني: موضوعات الحوار في السنة النبوية

## الباب الثاني: الحوار مع أهل الكتاب في الأندلس

الفصل الأول: حوار العلماء مع أهل الكتاب في الأندلس: الأهداف والغايات

المبحث الأول: أهداف الحوار مع أهل الكتاب في الأندلس

المبحث الثاني: غايات الحوار مع أهل الكتاب في الأندلس ومقاصده

المبحث الثالث: دور الحوار مع غيرهم في الرقي والازدهار

الفصل الثاني: موضوعات الحوار مع غيرهم في الأندلس

❖ المبحث الأول: في الإيمان بالله

❖ المبحث الثاني: في الحرية الدينية

▪ المطلب الأول: الحرية الدينية عند المسلمين وغيرهم وأنواعها

• الفرع الأول: مفهوم الحرية

• الفرع الثاني: الحرية الدينية عند المسلمين وغيرهم وأنواعها

▪ المطلب الثاني: الحرية الدينية أبعادها وضوابطها

- **المطلب الثالث:** نطاق الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية
- **المطلب الرابع:** حقيقة الدعوة إلى الحرية الدينية عند المسلمين
- **المطلب الخامس:** الرد على شبهات وادعاءات حول الإسلام

#### ❖ **المبحث الثالث: في الحرية السياسية**

- **المطلب الأول:** الإسلام وحرية الرأي السياسي
  - **الفرع الأول:** مفهوم السياسة
  - **الفرع الثاني:** موقف الإسلام من حرية الرأي السياسي
- **المطلب الثاني:** الحرية السياسية في الفكر الأندلسي
- **المطلب الثالث:** نطاق الحرية السياسية عند المسلمين في الأندلس
- **المطلب الرابع:** معالم الحرية السياسية وأبعادها

#### ❖ **المبحث الرابع: في حرية الرأي والفلسفة**

- **المطلب الأول:** ابن حزم وحوارته
- **المطلب الثاني:** أبو الوليد الباجي وحواراته
- **المطلب الثالث:** ابن باجه وحوارته
- **المطلب الرابع:** ابن رشد وحواراته

#### **الفصل الرابع: التجربة الحوارية في الأندلس ودورها في النهضة الأوروبية**

##### **المبحث الأول: أوروبا القرون الوسطى**

- **المطلب الأول:** أزمة الفكر الأوروبي في العصور الوسطى
- **المطلب الثاني:** وسائل قمع الكنيسة للفكر في القرون الوسطى
- **المطلب الثالث:** العلماء المضطهدون من الكنيسة

##### **المبحث الثالث: الحرية الحوارية في الأندلس ودورها في الإصلاح الديني بأوروبا.**

- **المطلب الأول:** حرية الحوار في الأندلس وتأثيرها في أوروبا
- **المطلب الثاني:** الحركة الإصلاحية في أوروبا
  - **الفرع الأول:** عوامل قيام الحركة الإصلاحية في أوروبا

■ الفرع الثاني: أعلام الحركة الإصلاحية في أوروبا

أ\_ يان هوس Gen hus (1373\_1415م)

ب\_ مارتن لوثر Martin luther (1483\_1546م)

ج\_ أولريخ زوينجلي Zwingli ulrich (1484\_1531م)

الخاتمة:



## □ الفصل الأول: الحوار والمحاو التعريف والشروط، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الحوار تعريفه وشروطه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الحوار

المطلب الثاني: شروط الحوار

المبحث الأول: الحوار تعريفه وشروطه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الحوار

المطلب الثاني: شروط الحوار

## المطلب الأول: تعريف الحوار

يرد لفظ الحوار (le dialogue) في اللغة العربية بمعنى: الرجوع والمراجعة تقول: حاورته، أي راجعته الكلام، وهم يتحاورون، أي: يتراجعون الكلام.

وأصل لفظ الحوار من الحور، وهو الرجوع عن الشيء، وإلى الشيء، يقال: حار إلى الشيء وعنه، حورا، و محارا، ومحارة، وحوّورا، إذا رجع<sup>(1)</sup> ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّهُ نَضَرْنَا أَنْ لَزِيْمُونَ﴾<sup>(2)</sup> وقال ابن عباس: "ما كنت أدري ما معنى يحور حتى سمعت أعرابية تقول لبنية لها حوري فإن السماء تمطر"<sup>(3)</sup>

وقال ليبيد:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد إذ هو ساطع<sup>(4)</sup>

ومنه حديث: "نعوذ بالله من الحور إلى الكور"<sup>(5)</sup> وهو النقصان بعد الزيادة.

والعرب تقول: الباطل في حور، أي: رجوع ونقص، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة.

وحاور يحاور محاورة و حوار الرجل صاحبه: جاوبه، وراجعه في الكلام، أي: رد أحدهما على الآخر وتراجعا في الكلام. وتقول: كلمته فما أحرار، قال الشاعر:

هلا ربعت فتسأل الأطلالاً ولقد سألت فما أحرن سؤالا

فالمحاورة: تعني إذن المجاوبة، والمراجعة، والتحاوير: التجاوب.

(1) \_ ينظر: لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم " مادة (ح و ر) (264/4)، دار صادر، بيروت، ب ط، 2003.

(2) \_ سورة الانشقاق: الآية: 14

(3) \_ رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي، رقم الحديث 1343، تحقيق مصطفى البغا، دار العلوم الإنسانية، دمشق، ط: الأولى، 1418هـ-1997.

(4) \_ ديوان ليبيد ص: 129، شرح الطوسي دار الكتاب العربي

(5) \_ رواه النسائي في سننه، شرح السيوطي، رقم الحديث 5498، دار البشائر الإسلامية 1406هـ/1986م

"ويرد لفظ الحور بالتحريك، بمعنى شدة البياض، وحورت العين حوراً، أي: اشتد بياض بياضها وسواد سوادها، وقيل لأصحاب عيسى عليه السلام حواريون، لأنهم كانوا يحورون الثياب، أي يبيضونها"<sup>(1)</sup>، وقيل في معنى الحوار غير ذلك.

وفي الاصطلاح الدارسين فالحوار هو: "مراجعة الكلام والحديث بين طرفين أو أكثر، دون أن يكون بينهما ما يدل بالضرورة على الخصومة، بهدف الانتقال من تصور إلى تصور،

ومن قول إلى قول، وصولاً إلى التصورات الشاملة والمبادئ العليا"<sup>(2)</sup>

قلت: الحوار هو: مراجعة الكلام بين طرفين أو أكثر في موضوع حدد سلفاً لتصحيح المغالطات وتذليل الخلافات بالاستدلال البرهاني والمنطقي، دون ممارسة التأثير العاطفي أو اللجوء إلى حجج التغليف والتزييف.. لإهداء لتصور يسلم له الأطراف في شموليته أو في جزئياته وكلياته.

وإذا كانت الغاية الأسمى من إجراء الحوار هو الوصول إلى الكشف عن وجه الحقيقة، فليس بالضرورة إقناع الطرف الآخر لقبول ما تم التوصل إليه من الصواب والحقيقة عن طريق الحوار؛ وإلا كنا سفسطائيين<sup>(3)</sup> المنهج؛ وهو أمر غير مقبول في أدبيات الحوار.

فحرية إعتناق أي فكر والخضوع لمسلماته، أمر موكول لإرادة صاحبه وقناعته ومرجعياته الفكرية، والاجتماعية، والسياسية، والدينية، والإثنية أحياناً، فهذا رسول الله ﷺ أجهد نفسه في تلقين لوازم لا إله إلا الله لعمه أبي طالب الذي قابله بالرفض رغم تعاطفه الشديد مع الرسالة أو بالأحرى صاحب الرسالة محمد ﷺ؛ وعليه أنزل سبحانه قوله ﴿إِنلر تهندي من أحببت ولكن الله يهندي من يشاء﴾<sup>(4)</sup> يوجهه ويبصره في ماهية الإنسان وظروفه؛ فهو موكول إليه أمر تسليمه وإيمانه...

(1) \_أساس البلاغة\_ لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري ص: 96، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى 1419هـ\_ 1998م

(2) \_مستقبل حوار الحضارات في ظل العولمة\_ عبد المجيد عمراني ص: 31، نشر ندوة الثقافة والعلوم 2004م، \_دبي\_

(3) \_الكلام السفسطائي\_ هو: الكلام الذي فيه تمويه للحقائق مع فساد في المنطق و صرف الذهن أيضا عن الحقائق والأحوال الصحيحة أو المقبولة عقلاً، وتضليل الخصم عن الوجهة الصحيحة في التفكير وعن الحقيقة، ومن أشهر السفسطائيين بروتاغوراس.

(4) \_سورة القصص الآية: 56\_

من خلال تدليلنا لمفهوم الحوار في اللغة والاصطلاح تبين لنا أن العلاقة الدلالية واضحة بين مدلول لفظ الحوار وبين لفظ الحَوْر من جانب ما يؤديه هذا الأخير من معنى يدل على شدة البياض، فكأن الحَوْر من نصوعه يبيض صفحة الأشياء ويجليها<sup>(1)</sup>.

---

(1) ينظر: أدب الحوار الفكري، عبد اللطيف الأرنؤوط، ص: 10 ط: 1425هـ/2004م.

## المطلب الثاني: شروط الحوار

### ❖ الحرية الفكرية

يقصد بحرية التفكير.. أن يكون للإنسان الحق في أن يفكر تفكيراً مستقلاً في جميع ما يكتنفه من شؤون وما يقع تحت إدراكه من ظواهر، وأن يأخذ بما يهديه إليه فهمه، ويعبر عنه بمختلف وسائل التعبير.

وقد أقر الإسلام هذا الحق في أوسع نطاق. فمنح كل فرد الحق في النظر والتفكير وإبداء رأيه عن أي طريق شاء<sup>(1)</sup>.

إن أول نص في الحضارة الإسلامية يؤصل للحرية الفكرية والاعتقادية ما جاء في القرآن الكريم في موضوع حوار الله مع إبليس: ﴿قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين\* قال لم أكر لأبسى لبشر خلقتة من صلصال من حمإ مسنون... قال رب فأئضرنى إلى يوم يبعثون..﴾<sup>(2)</sup> فالله تعالى في قبضته كل شيء، كان بالإمكان أن لا يعطي لإبليس حق الرد والحوار، إلا أنه سبحانه ترك له حرية الاختيار والتعبير..

وعليه نقول إن الحرية الفكرية (حرية الرأي والتعبير..) تكاد تكون أول إجراء يختبر به الخالق سبحانه المخلوق العاقل المكلف في تنفيذ التزاماته، فهذا الاستنتاج مبدأ أصيل في الفكر الإسلامي؛ إذ منحه هذا الأخير بعداً قيمياً في فعل الحوار.

"والحرية بهذا المعنى حق للبشر على الجملة، لأن الله لما خلق للإنسان العقل والإرادة وأودع فيه القدرة على العمل فقد أكنّ فيه حقيقة الحرية وخوله استخدامها بالإذن التكويني المستقر في الخلقة"<sup>(3)</sup>.

(1) الحرية في الإسلام للدكتور عبد الواحد وافي ص: 77، دار المعارف بمصر، ط: سنة 1968، \_القاهر

(2) سورة الحجر: الآيات: 32\_39

(3) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص 169- الطبعة الثانية - 1985 الشركة التونسية للتوزيع- تونس.

إذا أردنا للحوار أن ينتهي إلى نتيجة منطقية يسلم بها الطرفان، فلا بد أن يملك كل منهما حرية الحركة الفكرية التي تحقق له الثقة بشخصيته المستقلة، بحيث لا يكون واقعاً تحت هيمنة الإرهاب الفكري والنفسي الذي يشعر معه بالانسحاق أمام شخصية الطرف الآخر، لما يحس به في أعماقه من العظمة المطلقة التي يملكها الطرف الآخر.

إن عدم توفر الحرية الفكرية تجعل ثقة المحاور بنفسه تتضاءل شيئاً فشيئاً حتى يفقد بعد ذلك ثقته بفكره وقابليته لأن يكون طرفاً في الحوار والمناقشة<sup>(1)</sup>، كما أن ذلك يعمل على إرباك المحاور وتشتيت أفكاره، فبدلاً من أن يستحضر حججه وبراهينه لمعالجة القضية التي يحاور من أجلها، يجد نفسه مضطراً للدفاع عن شخصيته الفكرية وفك قيدها من أسر وهيمنة الإرهاب الفكري المصاحب لذلك الحوار.

فكما أن قمع الحرية الفكرية قمع للشخص، فهي قمع أيضاً للفكرة في حد ذاتها؛ التي تعد كائنات حيا؛ فالكلمة لا تولد إلا حرة.. ولا تنمو إلا في مناخ الحرية.. وهي تموت حالما تفقد حريتها.. ومعلوم أن شرارة الحق والحقيقة والصواب إنما تنقح باحتكاك الآراء والأفكار، بل وتصادمها أحياناً..

"فالكلمة تعبير عن الفكرة؛ والفكرة تتكاثر وتتعدد وتنوع وتتلاقح، أما "الفكر الأحادي" فعقيم لا ينجب.. والفكرة إبداع، والإبداع تجديد، والتجديد تجاوز للمألوف، وتجاوز المألوف تحدي، والتحدي يستنفر الآخر والآخر متعدد، وبالتعدد المتحدي المستنفر: ينبعث النور الذي يضيء ليل الطريق، وينبج الفجر الذي يبين عن الحق والصواب، مما يبعث على الحركة التي هي علامة الحياة"<sup>(2)</sup>

إن أي علم كتب له النجاح كانت بدايته مجرد نظر يأخذ بها الآخذ ينتقده ويضيف فيه أشياء وينقص منه حتى يستوي علما مستقلا؛ فالمؤرخ لميلاد الفكر الفلسفي على سبيل المثال يرجع

(1) الحوار مع الذات والآخر، عبد الستار ابراهيم الهبتي - سلسلة كتاب الأمة (99)، موقع الوحدة الإسلامية

(2) الحرية الفكرية والدينية رؤية إسلامية جديدة، دكتور يحيى رضا جاد، ص: الدار المصرية اللبنانية القاهرة، ط: الأولى يناير 2013.

سبب بزوغ هذا الفكر للحرية الفكرية في الحوار بأثينا واسبارتا؛ وفي أغورا على وجه التحديد، لو هذه الحرية قوبلت بالقمع والرفض من قبل المجتمع اليوناني وسياسته لحكم على هذا الفكر بالإجهاض قبل أن يولد...

ولنا أيضا في المجتمع الأندلسي إبان حكم المسلمين نموذجا يحتذى به في الحرية الفكرية وتقارع الآراء التي أفضت الى نهضة علمية كبرى، فحورات ابن رشد وابن حزم وابن النغريلة، مهدت طريقا لطرح مجموعة من الأسئلة من طرف المجتمعات المنغلقة التي تحكم قبضتها الكنيسة، ومن جملة ما طرحوه: لماذا تقدم المسلمون وتأخرنا نحن؟

يأتي الجواب من ابن رشد: "إنّ الحكمة هي النظر في الأشياء بحسب ما تقتضيه طبيعة البرهان"<sup>(1)</sup> المؤسسة على حرية فكرية تامة دون قيد من مؤسسة دينية أو سياسة... وهذا الذي فقدته إبانها الدول التي بسطت الكنيسة سيطرتها عليها...

### ❖ المعرفة الباتوسية

الباتوس حسب ميشيل مير<sup>(2)</sup>: "هو ما ينزع إليه الإنسان نزوعا طبيعيا"<sup>(3)</sup> استنادا لأعراف مجتمعه وتقاليد ودياناته... هذا المصطلح (الباتوس) وظف بتعابير مختلفة في العلوم التي تجعل الإنسان والمجتمع نواة دراسة، فيعبر عنها في العلوم الإسلامية وخاصة صناعة الفتوى "بمراعاة الظروف" ويسمى في علم الاجتماع بـ "الطبيعة الإجتماعية" كما سماها أوجست كونت<sup>(4)</sup> ويسمى في بلاغة الحجج "بالباتوس"...

إن الأمر الذي جعلني أوظف هذا المصطلح وجعله شرطا أساسا في الحوار هو دلالاته؛ إذ لا يتصور أن ينجح أي حوار دون مراعاة نوازع أطراف الحوار ( عقيدتهم، وأعرافهم وتقاليدهم،

(1) تهافت التهافت، ابن رشد الحفيد ص: 101، تحقيق: سليمان دنيا. ط: الأولى سنة 1964 دار المعارف

(2) ميشيل مير: هو مترجم وكاتب انجليزي ولد سنة 1921م وتوفي سنة 2000

(3) michel mayer, introduction, in aristote, ghétorique, p: 33

(4) أوغست كونت (Auguste Comte): يناير 5 - 1798 سبتمبر 1857) عالم اجتماع وفيلسوف اجتماعي فرنسي، أعطى لعلم الاجتماع الاسم الذي يعرف به الآن، أكد ضرورة بناء النظريات العلمية المبنية على الملاحظة، إلا أن كتاباته كانت على جانب عظيم من التأمل الفلسفي، ويعد هو نفسه الأب الشرعي والمؤسس للفلسفة الوضعية، وهو " يعتبر تلميذا لسان سايمون وهو فيلسوف فرنسي

وسياساتهم...) فالفعل الحواري ينبغي أن يستحضر فيه هذه الأثافي وصياغتها في قالب برهاني لإنصياح الأطراف لفعل التوافقي..

إن المطلوب هو الوضوح في طرح الأفكار والتدليل عليها سواء كانت القضية سياسية أم اقتصادية أم دينية .. أو غير ذلك، ولن يتحقق هذا الوضوح إلا بالإحاطة بموضوع القضية والوقوف على أدلتها من النصوص وقرائن الواقع، دون تغييب خصوصية المجتمع؛ وإلا فإن الكلام يبقى ادعاء وخداج لادليل عليه ولا قيمة له . وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(1)</sup>

فالمطلوب في الحوار التزام طرق الإقناع السليمة؛ والباتوس شرط فيه واستحضاره يترتب عليه:

(1) تقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة للأمر المدعاة.

(2) إثبات صحة النقل للأمر المنقولة المروية.

وهذان الأمران هما المقصودان بالقاعدة المعروفة عند علماء الحوار والمناظرة إذ يقولون: "إذا كنت ناقلًا فالصحة أو مدعيًا فالدليل".<sup>(2)</sup>

ويراعى في الباتوس جانبه الإجرائي الذي يسمى في الجدل بالترديد والتقسيم؛ والمقصود منه: حصر جميع الأوصاف الصالح منها وغير الصالح؛ والغرض منها إثارة ما له وقع، ونتيجة مرضية.

إن هذا الشرط يعد قاعدة أساسية في فعل الحوار، ونجد له نظيرًا وأصلاً في التراث الإسلامي، فتكاد تكون كل حوارات النبي عليه السلام مؤسسة على هذه القاعدة مثاله قوله لعبد الله بن عمر: "نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل"<sup>(3)</sup> وقوله لما دخل مكة فاتحاً "من دخل

(1) سورة البقرة الآية: 111

(2) أدب الحوار، محمد حسن بخيت، ص: 68، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر 16\_17 أبريل 2005 م - (9\_8 ربيع الأول 1426 هـ) الجامعة الإسلامية بغزة - كلية أصول الدين.

(3) صحيح البخاري، باب فضل قيام الليل رقم الحديث: 1070

دار ابي سفيان فهو آمن"<sup>(1)</sup>، لأن أبا سفيان رجل يحب الفخر فعلم النبي بذلك وجعل خطابه فيه حمولة تأثيرية تمس جوهر ما يحبه أبو سفيان، فنزل هذا الكلام بردا وسلاما على قلبه...

## ❖ الحوار العقلاني

يقصد بالحوار العقلاني؛ ذلك الحوار الذي يسترشد بالعقل والمنطق والحجاج النقدي الهادف والبناء، دون ميل الى عنف، أو شطط، أو تطرف، أو إرهاب.<sup>(2)</sup>

فهذا الشرط يهدف إلى تحقيق التواصل التفاعلي الكوني المفيد بين جميع الذوات، أو تحقيق نوع من التفاهم المشترك المسدد والمؤيد بالعقل وفق أخلاقيات التحاور والمناقشة التي تشدد على التسامح والعفو، والإيمان بمنطق الاختلاف من جهة، والاعتراف بتكوير الحقائق وتعدد السبل من جهة أخرى.

ومنه فإن الحوار العقلاني مبني على العقل الأداتي المنفعي من جهة أولى، والعقل التواصلي من جهة ثانية، والعقل الأخلاقي من جهة ثالثة.

وهذا كله يتأسس على قاعدتين أساسيتين:

■ القاعدة الديمقراطية: وتعني هذه القاعدة التوافق والتفاوض والتشارك على مستوى الحوار. أي " إن أي قاعدة أو معيار لا يملك الصلاحية إلا إذا كان المعنيون به على اتفاق فيما بينهم، أو يمكن لهم الاتفاق عليه بوصفهم شركاء في المحادثة العلمية بشأن تلك القاعدة أو المعيار"<sup>(3)</sup>.

(1) رواه أبو داود في سننه رقم الحديث: 275

(2) ينظر: الحوارية العقلانية بين يورغن هابرماس و طه عبد الرحمان، ص: 9، جميل الحمداوي، ط: الأولى 2019

(3) الفلسفة واللغة، بغوره الزواوي بغوره ص: 211، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط: الأولى سنة 2005م

■ القاعدة الكونية: ويعني هذا أن تكون القاعدة عالمية وكونية، ويتفق عليها الجميع. أي " إن كل قاعدة لكي تكون صالحة يجب أن تستوفي الشروط، سواء من حيث نتائجها أو آثارها الجانبية، وتلقى القبول من كل الأشخاص الذين لهم علاقة به."<sup>(1)</sup>

فالاتفاق الذي نتحدث عنه هو اتفاق الآليات ووسائل فعل الحوار لا اتفاق في كل حثيات الحوار؛ لأن لو سلمنا بضرورة التوافق في الآليات والوسائل والغايات لما كان للحوار معنى.

إن بنية الحوار كما هو معلوم هو بنية اختلاف، و الاختلاف يولد الحوار، وهذا الأمر يظهر جليا في الخطاب الفلسفي، وفي هذا الصدد يقول طه عبد الرحمان: " هذه هي \_ حسب مذهبنا \_ حقيقة الاختلاف، فهو يجلب الحوار، ويصون الجماعة؛ فنحن حينما ندعو إلى الاختلاف الفلسفي، فإننا ندعو في ذات الوقت، إلى الحوار الفلسفي ( العقلاني) وذلك من جهتين اثنتين:

إحدهما، أن الفلسفة بموجب طبيعتها الاجتهادية، تسترط الاختلاف، والاختلاف يشترط الحوار؛ والثانية، أن الاختلاف الفلسفي بين الأقسام المختلفة أشد منه بين الأفراد المختلفين داخل القوم الواحد، فيكون أدعى إلى التفلسف بموجب العقل."<sup>(2)</sup>

### ❖ وجود قضية يجري الحوار بشأنها

ذلك أن الحوار لا يتحقق من فراغ، وإنما يدور حول فكرة أو موضوع يستحق البحث والمناقشة وتبادل الآراء مع الغير، لأن عدم وجود الفكرة أو القضية التي يجري الحوار بشأنها يجعل عملية التحوار ليست ذي بال ولا طائل منها، بل إنها تتحول من محاوره علمية إلى سفسة كلامية توصل أطرافها إلى اللجاج الذي يقتصر الأمر فيه على النقاش لذاته، ويكون همّ المتنازسين إحراز غلبة على الخصم ونيل الشهرة دون هدف علمي منشود، "وكم من شخص يحركه هواه طلبا للشهرة والجاه والمباهاة والظفر بالخصم"<sup>(3)</sup> دون مراعات ظروف القضية التي من أجلها يتحاورون.

(1) \_ المصدر نفسه، ص: 211.

(2) \_ الحق العربي في الاختلاف والتفلسف ص: 46 طه عبد الرحمان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط الأولى سنة 2000م

(3) \_ مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد السادس عشر، العدد الأول، ص: 103 يناير: 2008

إن من حقوق البشر: حق الاتفاق، وحق الاختلاف، فإذا جاء من يلغي الحق الأخير فهذا هو الاستبداد المقيت؛ الذي يترتب عليه ويلات وصدامات فكرية ثم اجتماعية...

إن اختلاف في الرأي ظاهرة صحية تعرفها المجتمعات التي قطعت أشواطاً في النهضة الفكرية... إلا أنها تنقلب إلى مآسي في المجتمعات التي تعيش في براثن الجهل ويتحول هذا الاختلاف إلى عدااء وتحزبات والخروج عن المصالح العليا التي يتوخى من الحوار..

فالاختلاف من طبائع البشر، وهم يختلفون لأسباب أبرزها اختلاف المصالح واختلاف المكوّنات الحضارية والثقافية مما يؤدي إلى اختلاف النظرة العقلية للأمور.

وبهذا يتضح أن من الطبيعي جداً في حياة الأفراد والمجتمعات أن تكون هناك قضايا يجري الحوار بشأنها، وأفكار ومفاهيم متباينة يتم تزواجها وتبادل الآراء فيها للوصول إلى الحقيقة.. هذه القضايا وتلك المفاهيم هي الأرض الخصبة التي تمد المتحاورين بالقضايا العلمية، وبدونها لا يكون هناك حوار، ولا يتحقق التزاوج في الأفكار بين بني البشر.

وأهم ما يتم التركيز عليه في هذا الجانب هو معرفة الطرفين المتحاورين للموضوع المطروح للتحاور، والوقوف على الفكرة التي يريدان إثباتها أو نفيها لأن الجهل بها وعدم الإطلاع على تفاصيلها يحوّل الحوار إلى أسلوب من أساليب الشتائم والمهاترات بدلاً من طرح الفكرة المعنية والدفاع عنها، ذلك أن المعرفة التامة بالقضية التي يجري الحوار بشأنها تجعل المحاور يعلم كيف يبدأ الحوار، وكيف يعالج مفرداته، وكيف ينتهي منه، في وضوح الرؤية وهدوء الفكر وقوة الحجّة ووداعة الكلمة.

وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض النماذج الذين يخوضون في الحوار دون معرفة حيثياته قال سبحانه معاتباً لهؤلاء ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَهْتَمُّ فِي الدِّينِ بغيرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾<sup>(1)</sup>

وقوله تعالى: ﴿هَاتِمْتُمْ قَوْلًا مَّا لَمْ يَكُن لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(1)</sup> وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْكُفْرَ يَكْفُلُونَ فِرَاقَ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ

(1) - سورة لقمان الآية: 8

إِنْ فِرَاقُكُمْ إِلَّا كَبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ<sup>(2)</sup> فهذه الآيات تثبت أن القرآن الكريم يأخذ على كل هؤلاء الذين يخاصمون الأنبياء، أنهم يدخلون معركة الحوار دون سلاح، لأنهم لا يملكون علماً أو حجة، وليس لديهم إحاطة بالموضوع الذي يتحاورون فيه، مما يجعل حوارهم ورفضهم لنتائجه قضية مزاج، وعقدة نفسية تتحكم بهم فتدفعهم إلى اللف والدوران وإلى التكذيب بلا مبرر، الأمر الذي لا يؤدي إلى أية نتيجة لحساب المعرفة أو لمصلحة الحق .

ومن هنا فإن الواجب على من يتصدى للحوار أن يكون على بينة من الموضوع الذي يحاور فيه، والقضية التي يجري النقاش فيها، حتى لا يكون بعيداً عن منطق المعرفة والموضوعية في عملية التحاور، كما أنه ينبغي عليه أن يتزود بالثقافة العامة التي تجعله قوياً في حجته أمام خصومه من خلال إحاطته بعناصر القضية التي يتحاور فيها، كما أن عليه أن يكون ملماً بالثقافة المضادة التي يملكها الطرف الآخر ليسهل عليه الوقوف على نقاط الضعف والقوة عند خصمه، وليستطيع الموازنة والمفاضلة بين الفكرتين بمنطق العقل والعلم والدليل .

#### ❖ تحرير محل النزاع وتحديد المفاهيم والمصطلحات:

إن تحرير محل النزاع، يؤدي إلى حسن الاقتناع ويمنع من تشعب الحديث وسوء فهمه وإطالته، فالألفاظ متى حددت معانيها ووضحت معالمها وسيجت في قالب علمي متوافق عليه؛ سهل الوصول إلى اتفاق بين المختلفين وظهور الرأي الذي تؤيده الحجة وتطمئن إلى صحته العقول السليمة.

(1) - سورة آل عمران الآية 60

(2) - سورة غافر الآية: 56

لم يكن اختلاف الناس في الرأي، واختلافهم في تطبيقه، إلا وليد الاختلاف في تحديد مفاهيم الأشياء ومدلول الكلمات والمصطلحات ولم يكن قيام المذاهب الفلسفية والدينية والسياسية ولم تكن التبعية لها والجحود عليها إلا نتيجة الاختلاف في الرأي وفي تطبيقه<sup>(1)</sup>

وكثيرا ما يحدث النزاع حول معنى أو مفهوم معين، لو حدد بجلاء لمكن للطرفين أن يلتقيا عند حد وسط. وكثيرا ما يشتد الخلاف بين فريقين، ويثور العجاج بينهما، ثم يتبين أن الخلاف كان لفظيا ليس إلا..

إن أزمة الأمة الراهنة في تحديد المصطلح كما قال الشاهد البوشيخي<sup>(2)</sup> فتحديدها وتوضيحها يزيل الغبش واللبس ويقرب المسافة بين المختلفين وقد يزيل الخلاف من أساسه إذا وضعت النقاط على الحروف وسميت الأشياء بأسمائها..

#### ❖ التجرد من الأحكام المسبقة:

وهذا هو الأسلوب العلمي الذي يقوم على تفريغ الحوار من الأفكار المسبقة بين المتحاورين والتي تحول دون الوصول الى الصواب وتشكل عائقا نفسيا يصعب اختراقه.

وقد أرشد القرآن إلى الأخذ بهذه القاعدة حينما وجه النبي عليه السلام الى السير على منوالها في محاورته ومناظرته أهل الكتاب: ﴿وَأَنَا وَإِبْرَاهِيمُ الْكَلِمَةُ الْوَالِدُ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(3)</sup>، وفي هذا نشدان الحقيقة وعدم التعصب للرأي<sup>(4)</sup>

فبالثروي والتجلد قد تنجلي الحقائق، أما العصبية والعنف فيزداد حينها كل طرف تمسكا بمنطلقاته الفكرية والسلوكية، ورفضها لما عند الآخر من أفكار وسلوك، وهذا بدوره يؤدي إلى مزيد

(1) \_ أدب الحوار في الإسلام ص:54 د. محمد سيد طنطاوي، ط دار النهضة، مصر للطباعة والنشر والتوزيع 1997م

(2) \_ كلام من محاضرة ألقاها الدكتور الشاهد البوشيخي في مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بوجدة سنة: 2012م، وكلام سبق إليه محمد عمارة في كتابه: "معركة المصطلحات بين غرب وإسلام".

(3) \_ سورة سبأ، الآية: 24.

(4) \_ الحوار مع الآخر وأهميته في الفكر الإسلامي، ص: 14، محمد محمد عيسى، بحث مقدم الى ندوة بكلية الشريعة والقانون \_ جامعة الشارقة \_

من العزلة والتفوق، والخوف ثم ينتج عنه الصراع والتراشق والنزاع، دون الوصول الى الهدف المنشود

### ❖ التعايش السلمي:

إن مبدأ التعايش مبدأ أصيل في الدين الإسلامي فهو الدين الوحيد الذي حمل لواء فكرة التعايش السلمي بين الأديان، وذلك حينما لا يجدي الحوار في الأمور المتحاور فيها، وهذا المبدأ واضح في تطبيقات النبي عليه السلام مع وفد نصارى نجران، حين وصل الحوار إلى نفق مسدود، عند ذلك تحول النبي عليه عليه السلام الى هذا المبدأ الأصيل. ووضع مبادئ العيش المشترك من خلال معاهدته مع وفد نصارى نجران.

إن الإسلام قد استوعب الخلاف بين المتحاورين، لا بالتهوين من أمره أو المهانة العقدية، ولكن بما رسمه في باب المعاملات من تعاليم تسمح بالتواصل والتراحم رغم خلاف المعتقد<sup>(1)</sup>.

### ❖ الموضوعية:

الموضوعية من أصعب المهارات في الحوار، فهي مهارة تحتاج إلى إرادة، وتدريب، وصدق مع الذات. فهو مطلب حضاري، وعلمي، وعملي. فاختلاف الآراء ليس ظاهرة صحية فقط، بل هو ظاهرة إنسانية وحتمية، لأن إدراكنا للأشياء من حولنا يختلف وفقاً لخلفية الإنسان التربوية والاجتماعية وحتى الفسيولوجية.

إن التزام الموضوعية يقود الحوار إلى طريق مستقيم لا عوج فيه، ويحاول دون الانسياق الى الهوى فعلى المتحاورين ان يتجنبوا التعصب، ويعلمنا الاستعداد التام للبحث عن الحقيقة، والأخذ بها عند ظهورها، سواء كانت هي وجهة نظر المحاور، او وجهة نظر من يحاوره، أو وجهة نظر اخرى.

وقد اشار القرآن الكريم إلى الأخذ بهذه القاعدة، إذ علم الرسول ﷺ والمسلمين ان يقولوا في حوارهم ﴿وإننا أو أباكم لعلم هدى أو في ضلال مبين﴾<sup>(1)</sup>.

(1) \_ ينظر: رسالة إلى العقل العربي المسلم، ص:155، حسان تحتوت، ط1 1998، دار الحياة \_ القاهرة

وفي هذا غاية التخلي عن التعصب لأمر سابق، وفيه كمال إعلان الرغبة بنشيدان الحقيقة أنى كانت.

ومن المظاهر الدالة على التزام الموضوعية في الحوار: عدم الخروج عن الموضوع الذي هو محل النزاع أو الخلاف، فإن آفة كثيرة من الناس أنهم إذا ناقشوا غيرهم في موضوع ما، تعمدوا إلى خلط الأوراق، أو إلى ما يسمى الآن ظاهرة التمرد<sup>(2)</sup>، بحيث لا يدري لا المستمعون في أي شيء هم مختلفون، وتتوه الحقيقة في سراديب الفروع التي لا تكاد تعرف أصلا.

فالمحاور الناجح لا يدخل في هذه المتاهات، ولا يتعصب ولا يتعالى على محاوره<sup>(3)</sup>.

(1) \_سورة سبأ الآية: 24

(2) \_ظاهرة التنمر في الحوار يقصد به: أن يجر أحد طرفي الحوار الآخر إلى موضوع قد تبجر فيه وقتله بحثا قصد أن يستقوي على الذي يحاوره. وهذا فيه نشيدان الباطل

(3) \_الحوار "ادابه وأهدافه" ص: 30، عبید منصور الرفاعي، ط الأولى 1424هـ 2004م، مركز الكتاب للنشر مصر \_بتصرف\_

## المبحث الثاني: المحاور: تعريفه وشروطه وفيه مطلبان

❖ المطلب الأول: تعريف المحاور

❖ المطلب الثاني: شروط المحاور

## المطلب الأول: تعريف المحاور

لقد تطرقنا لمادة (ح و ر) في تعريف الحوار، وقلنا أنها تتفرع عنها المعاني التالية:

حاوره حوارًا ومحاورة:جاوبه، وحاوره: جادله، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾<sup>(1)</sup>، ويقال: تحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم وتجادلوا؛ قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ التِّيْمِ ثَجَمًا لَمَّا فَرِي زَوْجَهَا وَتَشَتَّتَ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمْ﴾<sup>(2)</sup>، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، والمحاورة: المجاوبة، والتحاور: التجاوب<sup>(3)</sup>، وفي مفردات الراغب: "الحوار: التردد إما بالذات وإما بالفكرة... والقوم في حَوَارٍ: في تردد إلى نقصان... والمحاورة والحوار: المرادة في الكلام، ومنه التحاور؛ قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمْ﴾<sup>(4)</sup>، وكلمته فما رجع إلي حوارًا"<sup>(5)</sup>

"فالحوار هو المراجعة في الكلام، أو الأخذ والرد بين شخصين أو طرفين، لكل منهما مفاهيمه أو أفكاره أو آراؤه أو مقترحاته، وتجادب أطراف الحديث بين شخصين أو أكثر يُهدف منه الوصول إلى لغة مشتركة ومفاهيم متقاربة وتشخيص موحد، إن أمكن، للأشياء كلها، وللمشكلات كافة"<sup>(6)</sup>

والمحاور اسم فاعل من حاور، وهو الذي يتصدى للحوار.

وفي الاصطلاح، لا نجد بونا مع التعريف اللغوي، فالمحاور: هو الذي يتصدى للفعل الحواري

وينبغي، يكون أهلا لما تصدر له، ويشترط فيه شروط. ( سنتناولها في المطلب الثاني).

(1) \_ سورة الكهف، الآية: 37

(2) \_سورة المجادلة، الآية: 1

(3) \_ينظر: لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم" مادة (ح و ر) (264/4).

(4) \_سورة المجادلة، الآية: 1

(5) \_ المفردات في غريب القرآن، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ص: 134\_135 تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة،

دت، بيروت

(6) \_الإسلام والآخر، أسعد السحمراني، ص: 17\_18، دط، دار النفائس، 2005م.

## المطلب الثاني: شروط المحاور

إن المحاور الناجح هو الذي يمتلك فنيات الحوار ويقصد بفنيات الحوار: مجموعة المهارات المتكاملة التي يتطلبها أداء المحاور للأنشطة التي يتضمنها الحوار بكفاءة، وتنقسم هذه الأنشطة إلى أنشطة في مرحلة الإعداد للحوار وأنشطة في مرحلة تنفيذ الحوار.<sup>(1)</sup>

للمحاور اذن شروطا ينبغي أن تتوافر فيه ويسعى لاكتمالها في نفسه لينبهي للحوار، وهذه الشروط ترجع في أساسها إلى شرطين جوهريين هما:

### الأول: الأمانة.

والثاني: اتقان العمل، إن كان العمل محتاجا إلى قوة (البيان) عبر عنه بالقوة وإن كان محتاجا إلى العلم عبر بالعلم.

وقد تفرع على هذين الشرطين شروطا تنضوي تحتهما؛ منها:

### ❖ العلم:

يعد العلم بموضوع الحوار ومسائله من الأسس الأساسية للحوار، إذ لا يتصور أن يدخل الإنسان في حوار أو سجال ولا علم له بموضوع المزمع طرحه للحوار، ف "صفة العلم هي أول الشروط إذ لا حوار بدون علم، فمن تصدى للحوار دون علم فقد أدخل نفسه في غياهب إذلال النفس"<sup>(2)</sup>. وقد ذم الله تعالى من ينبري لفعل الحوار أو الجدل دون علم وقال: ﴿فمن أضل ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن اللذلا يهتدي القوم الضالين﴾<sup>(3)</sup> وقال الله تعالى لقوم إبراهيم: ﴿فلم تهاجروا فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾<sup>(4)</sup>.

(1) ينظر: الحوار "فنياته واستراتيجياته وأساليبه تعلمه" ص: 49، منى إبراهيم اللبودي، مكتبة وهبة القاهرة، ط1، 1413هـ\_2003م  
(2) ينظر: علم الجدل في علم الجدل ص: 14، نجم الدين الطوفي، تحقيق فولفهارت هايتريشس، دار النشر فرانز شتايتز، فيسبادن، ألمانيا، 1408م  
(3) سورة الأنعام الآية 144.  
(4) سورة آل عمران الآية 66.

والعلم يشمل العلم من منابيعه الصافية ومضانها الصحيحة؛ إذ كان الحوار في موضوع اللاهوت مع غير المسلمين الكتابيين كان لزاماً على المحاور أن يكون ملماً بالكتاب والسنة وما يتابع ذلك من كتب أهل العلم والتفسير، ويشمل العلم بشبهات أهل الكتاب والرد عليها، كما يشمل العلم بمن يحاوره، والاطلاع على عقيدته وفكره وموروثه الثقافي.

ولو تأملنا كيف كان علم المحاورين المسلمين إبان وجود المسلمين في الأندلس لأنهرنا من موسوعيتهم فهذا أبو الوليد الباجي في رسالته على أحد الرهبان يقول: "وقد اختلفت فرقكم في الاتحاد الذي سميتوه التحاماً اختلافاً لعله لم يبلغك، ولو كنت لدينا لأريناك في هذا من كلام متقدمي أهل ملتك، ثم من تقرير المسلمين على ذلك وتتبع الحجج بما لم يبلغه قط أحد منهم، ولأسمعناك من غرائبه وعجائبه وتلفيقاته وتناقضته وفضائحه واضطراب رواة الأناجيل ما يملأ به سمعك ويطيش به لبك، لكن الكتاب لا يحتمل التطويل"<sup>(1)</sup>

رغم ذكرنا لمصطلح الموسوعية في سياق الحديث عن علم الإمام الباجي إلا أنها ليست شرطاً في الفعل الحوارية، وإنما الشرط أن يكون المحاور ملماً وعالماً بحديثات موضوع المزمع إثارته والتحاور فيه.

ومن أنواع العلم المطلوب توفره فيمن يحاور في أي قضية، ما يلي:

• العلم بما ينقض الرأي المخالف للصواب، ومعرفة الردود والأجوبة القوية التي يمكن أن تواجه بها الشبهات والاعتراضات التي يثيرها الخصم، ولا يكفي في الحوار \_ الذي يقصد به اقناع الطرف الآخر برأي معين أو قطع حجته والقضاء على شبهاته، وارجاعه إلى الحق \_ لا يكفي فيه مجرد معرفة أدلة الرأي الراجح دون معرفة الجواب على أدلة الرأي المرجوح أو المعارض وبدون العلم بالرد الواضح والجواب البين على الرأي المخالف، فقد يتعرض المحاور إلى الشك فيما عنده أو التردد عن شيء من الحق، أو قد تتعرض أدلته إلى الاحتمال وتطراً عليها الشبه فيسقط الاستدلال بها أو يضعف، ولا ينتهي الحوار إلى غايته المطلوبة ونتيجته المرجوة.

(1) \_ رسالة راهب فرنسا إلى ملك المسلمين وجواب القاضي أبي الوليد عليهما علماً ص: 80. دراسة وتحقيق محمد عبد الله الشرقاوي، دار الصحوة للنشر والتوزيع القاهرة، 1406هـ/1986

• العلم بالطرف الآخر من حيث منزلته ومقدار علمه ومعرفة ظروفه وأحواله فلا بد من المتحاور أن يكونا متكافئين، ومتقاربين ما أمكن في العلم والجاه؛ لأن التفاوت في العلم والمنزلة قد يؤثر عموماً على قوة الحجّة وقوة التأثير... فالأجدر والأأنفع في حفظ ماء الوجه أن لا يقحم المحاور نفسه في حوار حسمت نتيجتها مسبقاً، فلا بد له أن يتجنب في هذه الحالة من استعظمه في علمه وجاهه؛ هذا من جهة ومن جهة أخرى لا ينبغي على المحاور أن يحقر الآخر ويستسغره؛ وفي هذا السياق يقول المختار الشنقيطي: "...ومنها أن يتجنب من هو أهل المهابة العظيمة والاحترام العظيم، كيلا تدهشه وتذهله جلاله خصمه عن القيام بحجته كما ينبغي. ومنها ألا يحتسب خصمه حقيراً قليلاً الشأن لأن ذلك يؤديه إلى عدم الجد والإجتهاد في القيام بحجته فيكون ذلك سبباً لغلبة الخصم الضعيف له وغلبة القرن الحقيير أشنع من غلبة القرن العظيم كما قال الشاعر:

ولو أني بليت بهاشمي      خئولته عبد المـدان  
لهان على ما ألقى ولكن      تعالوا فانظروا بمن ابتلاني<sup>(1)</sup>

وعليه فلا بد للمحاور من العلم التام والمعرفة الصحيحة بالخصم المقابل وقدره ومدى قوته أو ضعفه، ولا يكفي مجرد الظن في ذلك، إذ قد يظن خصمه حقيراً ضعيفاً قليلاً الشأن فهذا يقلل من اهتمامه، فيمكن خصمه الضعيف منه، وربما مع ذلك يتسلل إلى النفس شيء من الغرور والتفاخر الذي يتنافى مع أدب الحوار، بل مع أخلاق الإسلام وتعاليمه، إذ لم نقل أيضاً أن أي استصغار لطرف الآخر في البداية قد يجعل المحاور صغيراً أمام علم من استسغره في البداية لأنه لم يضعه في المكانة التي ينبغي أن يضعه في ومن ثمت ينقلب السحر على الساحر كما يقال...؛ ولعل من هذا الباب نجد النبي ﷺ ينبه معاذاً ويشجذ نفسيته عندما أراد أن يبعثه إلى اليمن قاضياً: "إنك

(1) \_ ادب البحث والمناظرة، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، ص: 274 / 275، تحقيق سعود بن عبد العزيز العريفي، ط

ستأتي قوما أهل الكتاب...<sup>(1)</sup> يبصره في كون من يحل عليهم أهل كتاب وعلم، إذ عليه أن يأخذ بالحسبان نباهتم وعلمهم..

• العلم بآداب الحوار إذ هي وسيلة من وسائل نجاح الحوار، وطريق إلى استمراره بصورة متزنة صحيحة، دون أن يعصف به شيء مما يعكر جو الحوار أو يقطعه أو ينتهي به إلى غير فائدة ولا نتيجة، لذا كان من الضروري على المحاور أن يتعلم هذه الآداب ويحيط بها قبل الدخول في أي سجال أو حوار.

ولما كان العلم هو الوسيلة الأساسية للوصول إلى الحق، وللتفكير السليم وإقامة الحجج والبراهين على الحق؛ جاءت نصوص كثيرة في الأمر به والحث عليه وبيان منزلة أهله وفضلهم، والإنكار على من لا يعلم، فقد وردت مادة (علم) في القرآن الكريم ما يقارب "سبعمئة وسبع وعشرين" مرة<sup>(2)</sup> فهذا العدد لا ينبئ إلا بأهمية العلم في الحقل الشرعي والإنساني عموماً.

ومن هذه النصوص؛ قوله تعالى: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾<sup>(3)</sup> والمعنى: لا يستوون.

وقال تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا والذين أتوا العلم درجات﴾<sup>(4)</sup>

وقال سبحانه أيضاً: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾<sup>(5)</sup> أي وما يفهمها إلا الرسخون في العلم...

فمن خلال هذا يتبين أهمية العلم بالنسبة للمحاور وغيره، وأنه يجب على المحاور خاصة ألا يجادل أو يحاور في موضوع لا دراية له فيها، ولا يدافع عن فكرة لم يقتنع بها تماماً، فإنه بذلك يسيء

(1) رواه البخاري في الصحيح في كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا 544/2

(2) المعجم المفهرس للقرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي، ص: 469\_486، دار الكتب المصرية ت: 25 أبريل 1945

(3) سورة الزمر الآية: 9

(4) سورة آل عمران الآية: 18

(5) سورة العنكبوت الآية: 43

إلى الفكرة والقضية التي يدافع عنها، ويعرض نفسه للإحراج وعدم التقدير والإحترام،<sup>(1)</sup> بل إذا علم من نفسه عدم الأهلية للحوار وقلّة العلم بموضوعه فعليه أن يحدد عن فعل الحوار.

## ❖ البيان

"إن من البيان لسحرا.." <sup>(2)</sup> حديث قاله النبي ﷺ ليبين وقع البيان في الإقناع.

"إن قوة التعبير وفصاحة اللسان وحسن البيان من أركان المناقشة الجيدة والحوار الناجح. فكم من حق ضاع لسوء التعبير عنه، وكم من باطل ظهر، لأن الذي يدعو إليه فصيح بليغ بل الحقيقة الواحدة قد يختلف فهمنا لها بحسب الطريقة التي قدمت بها إلينا"<sup>(3)</sup>. عن أم سلمة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: "إنما أنا بشر وإنكم تختصون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي على نحو مما أسمع منه، فمن قطعت له من حق أخيه شيئاً، فلا يأخذه، فإنما أقطع له به قطعة من النار"<sup>(4)</sup> "ففي هذا الحديث الشريف أن التعمق في البلاغة بحيث يحصل اقتدار على تزيين الباطل في صورة الحق وعكسه مذموم، وإنما يذم من ذلك ما يتوصل به إلى الباطل في صورة الحق"<sup>(5)</sup>. "لذلك ينبغي للمحاور البارع أن يضبط كلامه، ويتقن لغته لأن الكلام المحكم الجميل الذي يخلو من الخطأ، والذي تتضح فيه مخارج الحروف، والذي يتوالى بانتظام وترتيب، يترك أحسن الأثر في السامع الذي يفهمه ويجعله يحترم قائله، لأنه يراه رجلاً محيطة بما يقول، قادراً على الإفصاح والإيضاح"<sup>(6)</sup>.

(1) \_ ينظر: أصول الحوار وأدابه في الإسلام، صالح بن عبد الله بن حميد ص: 24، ط: الأولى 1415 هـ \_ 1994م دار المنارة\_جدة\_

(2) \_ صحيح البخاري، كتاب الطب، باب إن من البيان سحرا رقم: (5767)

(3) \_ فن الحوار: أصوله، أدابه، صفات المحاور، أبو عبد الله فيصل بن عبده الحاشدي، دار الإيمان، الإسكندرية، (د، ط)، (د، ت)، ص: 105

(4) \_ صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب: الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، رقم: (1713)، ج 3 ص (1337)

(5) \_ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، كتاب الأحكام، رقم الحديث (7181)، ج 13، ص: 177 تحقيق فؤاد عبد

الباقي، دار الفكر، بيروت، (1379هـ)

(6) \_ فنون الحوار والإقناع، محمد راشد ديماس، ص: 177، ط 1، دار ابن حزم، 1420 هـ \_ 1999م

## ❖ البدء بالنقاط المشتركة وتحديد مواضع الاتفاق

إن من البديهي أن يكون بين أطراف الحوار مسلمات يقرون بها ونقاط يشتركون فيها، إذ لا يعقل أن يختلفوا في كل الحثيات جملة وتفصيلاً... فالمحاور الأملعي هو الذي يقتنص نقاطا تكون سببا في تقليص الهوة بينه وبين محاوره، وتوثيق الصلة به. وهذا يشعر الطرفين بالراحة التي ستنعكس ايجابا على نتيجة الحوار.

وعلى الخلاف منه فيما لو كان البدء بنقاط الخلاف، أو بمواضع النزاع فإن فجوة الخلاف تتسع، وتقل فرص التلاقي، كما أنه يغير القلوب ويكدر الخواطر، ويثير النفوس للتنافس في الغلبة ورد أقوال المحاور بدون النظر إلى صحة الفكرة، ونسيان الهدف الذي من أجله وجد الحوار.

ومن الشواهد على هذا المبدأ ما جاء في القرآن الكريم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا بِرِّكُمْ الذِّكْرَ خَلَقَكُمْ وَالذِّكْرَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون<sup>(1)</sup>

فقد بدأ سبحانه بصفة الربوبية من حيث خلقه للكون والتصريف فيه وهذا الجانب يقره المشركون، وقد قال الطبري في هذه الآية: "...يعني بذلك أنه أنزل من السماء مطرا، فأخرج بذلك المطر مما أنبتوه في الأرض من زرعهم وغرسهم ثمرات رزقا لهم غذاء وأقواتا، فنيهم بذلك على قدرته وسلطانه وذكرهم به آلاءه لديهم، وأنه هو الذي خلقهم وهو الذي يرزقهم ويكلفهم دون من جعلوه له ندا وعدلا من الأوثان والآلهة، ثم زجرهم عن أن يجعلوا له ندا مع علمهم بأن ذلك كما أخبرهم، وأنه لا ند له ولا عدل، ولا لهم نافع ولا ضار ولا خالق ولا رازق سواه"<sup>(2)</sup>.

ففي الحديث أيضا فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: "نهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية فقال يا محمد: أتانا رسولك فزعم لنا أن الله أرسلك؟ قال صدق، قال: فمن خلق السماء؟ قال: الله،

(1) \_ سورة البقرة الآيات: 21\_22

(2) \_ جامع البيان في تفسير أي القرآن للإمام الطبري ج: 1 ص: 198، ط: الأولى 1415 هـ/1994 م، مؤسسة الرسالة بيروت

قال: فمن خلق الأرض؟ قال: الله، قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: الله قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض، ونصب هذه الجبال، الله أرسلك؟ قال: نعم..<sup>(1)</sup>

### ❖ التدرج والبدء بالأهم

إن مبدأ التدرج والبدء بالأهم مبدأ أصيل في التراث الإسلامي؛ صار عليه الأنبياء والرسل مع أقوامهم ومخالفهم، فهذا هود عليه السلام قال لقومه: ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيرة﴾<sup>(2)</sup> وبمثله بدأ النبي ﷺ دعوته بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، خاصة في الحوار المذكور في سورة فصلت حيث قال المشركون كما ذكر الله عنهم: ﴿وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي أمنا وقرونا بيننا وبيننا حماتٌ ما نعلم إنما علمون﴾<sup>(3)</sup> فكان الرد عليهم بتوضيح القضية وتبسيط المطلوب وإجلاء الأمر ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليكم من أمر ربكم فاستقيموا إليه واستغفروا وويل للمشركين﴾<sup>(4)</sup>

ومع التأكيد على الشرط -البدء بالأهم- فقد يحتاج المحاور إلى أن يتدرج ويتنازل مع خصمه، ويسلم تسليماً مؤقتاً حتى يصل إلى القضية الأهم؛ أو يصل إلى تقريب وجهات النظر بينهما، أو لزعة موقف الخصم المعاند، خاصة إذا كان الأمر المتنازل عنه أو المسلم به -جدلياً-، مسألة شكلية أو جزئية، لا تمس أصل قضية الحوار، أو لا تؤثر فيها بشكل واضح، أو كان في التسليم بها تدرجاً إلى دليل قوي وحجة بينة، وكثيراً ما يكون هذا الأسلوب هو بديعة النجاح للمحاور المحق؛ ومن نماذج هذا الأسلوب بالتحديد؛ ما اتبعه إبراهيم مع قومه ليصل بهم إلى التوحيد وإبطال الشرك، كما قال تعالى: ﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي﴾ وهذا على وجه التنزل مع الخصم.

(1) - أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: في بيان الإيمان بالله وشرائع الدين، حديث رقم: 39

(2) - سورة هود الآية: 84

(3) - سورة فصلت الآية: 5

(4) - سورة الكهف الآية: 110

﴿فلما أفل قال لا أحب الآفلين﴾ فبطلت عبادة الكواكب، ثم فعل مثل ذلك لما رأى القمر ولما رأى الشمس حتى وصل بهم إلى حد إبطال ما هم عليه من الشرك<sup>(1)</sup>

وهذا الذي استعمله إبراهيم عليه السلام هو التسليم الجدلي، فإبراهيم كان مناظرا لقومه، فمقالته هذه يمهّد فيها لإنكار علمهم صنيعهم بعدما استدرجهم بالحجة والدليل تدحض معتقداتهم وتبطلها من أساسها.

فالتنازل الجزئي المؤقت، والتسليم الجدلي في أمر، لا يقدر في أصل الموضوع فهو يخدم الهدف الذي من أجله قام الفعل الحواري، فعدم مراعاة هذا الشرط يبعثر الجهد ويفقد التركيز" فالعلوم مرتبة ترتيبا ضروريا، وبعضها طريق إلى بعض، والموفق من رعى ذلك الترتيب والتدرج<sup>(2)</sup> وتعليم العلم بطريق الحوار وغيره يجب أن يكون بالتدرج، لأن الشيء إذا كان ابتداءه سهلا حبب إلى من يدخل فيه.

### ❖ الدليل

إن أي حوار يدار في موضوع ما إلا ينبغي على المحاور استحضار البرهان الناصح والدليل الراجح، وإلا يبقى كلامه أجوف وخداج، ولا يستحسن بالمحاور أن يستدل بأدلة ضعيفة أو حجج واهية، لأن غياب الحجة قد يكون سبب نسفه من طرف الآخر؛ وهذا هو منهج القرآن الكريم: ﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا﴾<sup>(3)</sup>.

ومتى وجد الدليل وثبتت صحته، فلا بد من صحة دلالته على المطلوب، وإلا لما كان له فائدة أو أثر في إيراده، فلا بد أيضا من ترتيب الأدلة حسب قوتها وصراحتها في الدلالة على المقصود.

إن مما ينبغي أن يتميز به المحاور ألا يقرر مسألة أو يذكر فكرة، إلا وله عليها برهان واضح ودليل قوي، حتى يكون للحوار فائدة، ومنعا من إطالة الكلام في جدال عقيم أو أقوال لا تنتهي،

(1) ينظر "درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية 7/173-174 تحقيق: محمد رشاد سالم، نضر جامعة الإمام بن سعود الإسلامية - الرياض ط الأولى 1973م

(2) إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد الغزالي 1/52 ط الأولى: 2005 دار ابن حزم بيروت - لبنان

(3) سورة الأنعام الآية: 148

مالم تجد حجة فاصلة يقدمها المحاور مثبتا بها كل كلمة يقولها، وكل قضية يطرحها، ولذلك فأمثلة هذا كثيرة في سير الأنبياء والعلماء، إذ إنهم يدعون إلى أمور بينة وعلى بصيرة وعلم ﴿قل هذا سبيلي أمعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾<sup>(1)</sup>

فهذا صالح عليه السلام يبدأ دعوة قومه إلى توحيد الله مقدا معه البينة والبرهان، قال تعالى: ﴿والرثموا أخلهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرة قد جاءكم بينة من ربكم هذاه ناقة الله لكم آية﴾<sup>(2)</sup>

ومن هنا كان لزاما أن يتحرى المحاور الصحة في النقل، والبرهان في الادعاء، وإيراد الأدلة الضعيفة ولو كشواهد مع أدلة قوية قد تؤدي بالحوار إلى متاهات وجدال لا ينتهي، وأن الإكتفاء ولو بدليل واحد صحيح قاطع خير من سوق عشرات الأدلة الواهية معه، ظنا أنها تزيد في الحجة أو تدعم موقف المحاور، بل ربما كانت سببا في إضعاف الدليل القوي واهتزاز موقف المحاور، لا سيما إن كان في جمع من الناس قد تعلق بأذهانهم تلك الأدلة الضعيفة والردود التي تسقطها، وقد ينسون الدليل الواضح الصريح.

هذا من جهة، ومن جهة طلب الدليل، وقبوله لا ينبغي على المحاور أن يتساهل فيه، فلا يقبل فكرة إلا بدليلها، ولا رأيا إلا بحجته، بل هذا هو أخصر طريق لإسكات الخصم وهزيمته، وأيسر أسلوب لإنهاء الجدال العقيم، وأقرب وسيلة للوصول إلى حوار هادف أصيل، لا يبني على الأوهام والظنون، أو الأحداش والتخمين.

ولذلك فقد تكرر هذا الأمر كثيرا في الحوارات المذكورة في الكتاب والسنة خاصة فيما يتعلق بالمعاندين والمغالطين للحقائق ومن ذلك مثلا: ما ذكر في قوله تعالى في الحوار مع أهل الكتاب ﴿وقالوا لئلا يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى أتلا أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾<sup>(3)</sup>

(1) - سورة يوسف الآية: 108

(2) - سورة الأعراف الآية: 73

(3) - سورة البقرة الآية: 111

قال الطبري في الآية: "وهذا أمر من الله تعالى من الله جل ثناؤه لنبيه ﷺ بدعاء الذين قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى، إلى أمر عدل بين جميع الفرق، مسلما ويهودها ونصاراها، وهو إقامة الحجة على دعواهم التي أدعوا من أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هودا أو نصارى، يقول الله لنبيه محمد ﷺ يا محمد قل للزاعمين أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هودا أو نصارى دون غيرهم من سائر البشر هاتوا برهانكم على ما تزعمون من ذلك فنسلم لكم دعواكم إن كنتم في دعواكم من أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هودا أو نصارى محقين، والبرهان: هو البيان والحجة والبيينة"<sup>(1)</sup>

والعقلاء دائما عندما تتضح لهم الحجة، ويظهر لهم البرهان، ويرون الدليل الساطع على صحة المسألة يقتنعون بذلك، ويعترفون بالحق، أما السفهاء والجهلاء والمغرورون، فإنهم يصرون على باطلهم ويجحدون الحق عن علم به، لسوء نواياهم، وضعف عقولهم، وانطماس بصائرهم.<sup>(2)</sup>

#### ❖ عدم الالتزام بضد الدعوى

ان المطلوب من المحاور هو ألا يكون ملتزماً في أمر من أموره بضد الدعوى التي يحاول أن يثبتها، فإن كان ملتزماً بشيء من ذلك، كان حاكماً على نفسه بأن دعواه مرفوضة من وجهة نظره. ومن الأمثلة على سقوط دعوى المناظر بسبب التزامه بنقيض دعواه وقبوله له استدلال بعض من أنكر رسالة محمد ﷺ لأنه بشر، وزعم هؤلاء أن الاصطفاء بالرسالة لا يكون للبشر، إنما يكون للملائكة، أو مشروطاً بأن يكون مع الرسول من البشر ملك يرى، وفي اعتراضهم على بشريته قالوا ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الصَّعْمَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾<sup>(3)</sup> مع أنهم يعتقدون برسالة كثير من الرسل السابقين كإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وهؤلاء في نظرهم بشر، ليسوا بملائكة، ولذلك

(1) \_ جامع البيان عن تأويل أي القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر الطبري 346/1 ط، الأولى سنة 1415هـ/1994 مؤسسة الرسالة بيروت.

(2) \_ ينظر: أدب الحوار في الإسلام، محمد سيد طنطاوي ص: 27 ط الأولى 1997، دار النهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

(3) \_ سورة الفرقان الآية 7

أسقط الله دعواهم بقوله في سورة الفرقان ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَبَأَ كَلُونَ الصَّعْمَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾<sup>(1)(2)</sup>

### ❖ الرضا بالنتائج وقبولها

ان الواجب هو الرضا والقبول بالنتائج، والالتزام الجاد بها، وما يترتب عليها، وإذا لم يتحقق هذا الأصل كان الحوار ضرباً من العبث الذي يتنزه عنه العقلاء فلا بد وأن يكون في نهاية الحوار والمناظرة نتائج توصل إليها المتحاوران، فينبغي لمن لزمته الحجة، ووضحت له الدلالة أن ينقاد لها، ويصير إلى موجباتها، لأن المقصود من النظر والجدل طلب الحق واتباع تكاليف الشرع، قال الله تعالى ﴿الْكَبِيرَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الْكَبِيرَ هَكَذَا هُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>(3)(4)</sup>

الالتزام بأدب الحوار وهذا من الشروط الأساسية التي يجب على المحاور التحلي بها لعدة

أمور:

أولها: أنها معتبرة شرعا

وثانيها: أن الحوار وسيلة لطمأنة المحاور وتسليمه واقناعه.

وثالثها: أن الأدب في الحوار يضمن مواصلته وبلوغه المرام.

والنصوص الشرعية الحاثثة على التأدب في الحوار يمكن أن نقسمها إلى نصوص عامة وأخرى خاصة؛ ومن النصوص التي تحت على الأدب العام قوله سبحانه ﴿الْمَعِ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(5)</sup> فلا بد من حكمة لوضع الأمور في مواضعها فلكل مقام مقال، ولكل ظرف موقف، وموعظة حسنة من غير زجر وسباب وإنما رفق ولين، وجدال بالحسنى يشتمل على كافة أدب الحوار، يقول ابن كثير وجادلهم بالتي هي أحسن" أي من احتاج

(1) - سورة الفرقان الآية 20

(2) - مناهج الجدل زاهر الامعي ص: 453\_436، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، د.ت.:

(3) - سورة الزمر الآية 18

(4) - ينظر: منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، ص: 32. عثمان علي حسن. ط 1، دار اشبيليا، الرياض بالسعودية، 1999م

(5) - سورة النحل الآية 125

منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب<sup>(1)</sup> ويقول سيد قطب: " والدعوة بالحكمة والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم، والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم ولا يشق بالتكليف قبل استعداد النفوس لها، فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة، فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه، وبالموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق، وتتعلم المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب، ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية، فإن الرفق في الموعظة كثيرا ما يهدي القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ، وبالجدل والتي هي أحسن بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتقبيح، حتى يطمئن إلى الداعي ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدال، ولكن الاقتناع والوصول إلى الحق، فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق حتى لا تشعر بالهزيمة، وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها هي عند الناس، فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلا عن هيبتها واحترامها وكيانها، والجدل بالحسنى هو الذي يطمئن من هذه الكبرياء الحساسة، ويشعر المجادل أن ذاته مصونة وقيمته كريمة وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها والاهتداء إليها في سبيل الله، لا في سبيل ذاته ونصر رأيه وهزيمة الرأي الآخر"<sup>(2)</sup>.

ومن النصوص العامة الأمر بإحسان القول كما قال تعالى: ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ وقوله تعالى: ﴿وقل لعبادي يقولوا للذين هم أحسن﴾ والإحسان في القول يشمل كافة آداب الحوار، وهي من الكلمات الجامعة في القرآن الكريم.

ومن النصوص العامة الأمر بالرفق في السنة الشريفة، ومنها ما روته عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه"<sup>(3)</sup> ومنها ما ترجم له البخاري بقوله باب الرفق في الأمر كله ثم ساق حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله

(1) تفسير القرآن العظيم للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي 591/2 ط الأولى 2000م/1420هـ دار ابن حزم للطباعة والنشر بيروت

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب 4/2302. دار الشروق، بيروت، ط الثامنة 1979م/1399هـ

(3) رواه مسلم 8/22

ﷺ فقالوا: السام عليكم. قالت عائشة: وعليكم السام واللعنة. قالت فقال رسول الله ﷺ: "مهلا يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله"<sup>(1)</sup>.

ومن النصوص الدالة على أدب الحوار الأمر بحسن الخلق، ولقد مدح الله النبي صلى الله عليه وسلم فقال ﴿إِنذِلْ لِعَلِّ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ كما أمرنا بالاعتداء به قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>(2)</sup> كما حث النبي ﷺ على حسن الخلق فقال: "إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا"<sup>(3)</sup>.

ومن الآداب أيضا المتفرعة عن هذه النصوص:

#### أولا: الصدق:

فلا يجوز الكذب في الحوار ولا في غيره إلا ما استثنى كالحرب والإصلاح بين الناس قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾<sup>(4)</sup>

#### ثانيا: الحلم والصبر:

والمحاور يجب أن يكون حليما صبورا فلا يغضب لأتفه سبب فإن ذلك يؤدي إلى النفرة منه والابتعاد عنه والغضب لا يوصل إلى إقناع الخصم وهدايته وإنما يكون ذلك بالحلم قال تعالى: ﴿وَلْتَسْمَعْنَ مِنَ الَّذِينَ آوَتْ أَلْسِنَهُنَّ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَرِهُوا وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ عِنْدِ الْأُمُورِ﴾<sup>(5)</sup> فعزم الأمور بالصبر والحلم لا بالغضب والانفعال وقد قال عليه السلام: "ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"<sup>(6)</sup>.

(1) - رواه البخاري 80/7

(2) - سورة القلم الآية: 4

(3) - سورة الأحزاب الآية: 21

(4) - سنن الترمذي 250/3 محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق عبد الرحمان محمد عثمان، ط دار الفكر بيروت

(5) - سورة التوبة الآية: 119

(6) - سورة آل عمران الآية: 186

(7) - رواه البخاري 99/7

ومن أعلى مراتب الصبر والحلم مقابلة الإساءة بالإحسان فإن ذلك له أثره العظيم على المحاور، وكثير من الذين اهتموا لم يهتموا لعلم المحاور واستخدامه أساليب الجدل، وإنما لأدبه وحسن خلقه.

### ثالثا: الإنصاف:

يجب على المحاور أن يكون منصفاً فلا يرد حقا بل عليه أن يبدي إعجابه بالأفكار الصحيحة والأدلة القوية...<sup>(1)</sup>

### رابعا: التواضع:

يجب على المؤمن أن يكون عزيزاً متواضعاً قال تعالى في الحديث القدسي "العز إزاري والكبرياء ردائي، فمن ينازعني عذبتة"<sup>(2)</sup>

لذا يحسن بالمحاور أن يتجنب استعمال ضمير الجماعة مثل: وتجربتنا تدل على كذا، درسنا القضية المختلف فيها يتبين لنا كذا.. "وهذا النوع من الحديث يترك انطبعا سلبيا لدى السامع يجعله ينفر منه ويزهد فيه، والإنسان بطبعه يكره من يتعالم عليه وينزله منزلة الجاهل الذي ينبغي أن يتعلم منه"<sup>(3)</sup>

### خامسا: عدم الاستعجال بالرد على الخصم:

ينبغي على المحاور أن ينتظر خصمه حتى يفرغ من حجته، فيجيبه بوجاهة وعلم، فيصمت بحلم مهما كان خطاب الآخر.. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"<sup>(4)</sup> وينبغي أن يكون الرد بالعلم قال تعالى:

(1) \_ ينظر: الندوة العلمية، أصول الحوار ص: 42. ط الثانية، الندوة العالمية للشباب الإسلامي \_ الرياض، ، 1408/1987

(2) \_ مسلم 36/8

(3) \_ الندوة العلمية، أصول الحوار ص: 55

(4) \_ صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب الحد من الغضب، رقم الحديث: 6114 ج 8 ص: 34

﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾<sup>(1)</sup> فإن لم يعرف بما يجب لقصور علمه، فيجب أن يقول لا أعلم...<sup>(2)</sup>

سادسا: المحاوراة بأفضل الأسماء والألقاب وأجمل ألوان الخطاب:

"إن مناداته الطرف الآخر باسمه وبأحب الأسماء إليه دليل على الاحترام والتقدير لشخصه، فليس ثمة شيء أجمل وأحب إليه من اسمه. فحفظ الأسماء لا بد منه لمن يحب التآلف مع الناس، ودعوتهم إلى الله ومشاركتهم ومخالطتهم، وكسب ودهم"<sup>(3)</sup>

سابعا: التركيز على الرأي لا على صاحبه

من الصواب والحكمة، أن لا نركز على الآخر بقدر ما نركز على الرأي أثناء الفعل الحوارية، إذ يستحسن تناول الفكرة بالبحث والتحليل، أو بالنقد والنقض بعيدا عن صاحبها أو قائلها، حتى لا يتحول الحوار إلى مبارزة كلامية، طابعها الطعن والتجريح، والعدول من مناقشة القضايا والأفكار إلى مناقشة التصرفات والأشخاص وقد ينشأ صراعا بين الطرفين، إذ على المتحاورين إدراك أن هذا الصراع والتوتر لا يخدم غاية الحوار المرجوة؛ وقد يستحب تجاوز هذه القاعدة في حالة واحدة؛ عندما تقضي مصلحة الحق تعرية الطرف الآخر وبيان ما فيه، ومع ذلك فيجب أن يتم هذا وفق الأدب.

ومن هذا كله نقول إن المحاور البارع هو الذي يجعل كلماته صورا تتدفق أمام ناظري صاحبه ومن حوله، مبتعدا عن الرمزية والغموض، باحثا عن الكلمات والعبارات التي تسمع وترى في أو احد.<sup>(4)</sup> مراعيًا الشروط التي أشرنا إليها متفننا في توظيفها حسب المقام الذي هو فيه.

(1) سورة لقمان، الآية:

(2) ينظر: الحوار الفكري في القرآن الكريم (المناظرة والجدال والمحاجة)، أمين حلمي، ص: 43، ط1، دار النهضة الإسلامية، 1997م

(3) فن الحوار أدبه، صفات المحاور، أبو عبد الله فيصل بن عبد الحاشدي، ص: 125، دط، دت، دار الإيمان.

(4) ينظر: كيف تحاور؟ (دليل عملي للحوار)، الحبيب طارق بن علي، ص: 40، دار البيت العتيق، ط1، 1422هـ-2002م

## ❖ التثبيت:

إن للتثبيت أهمية عظيمة في الفعل الحوارى فعندما يبني الإنسان تصوراتة ويصدر أحكامه على أساس من العلم وليس الظن والتخريف فإن ذلك يحميه من الوقوع في الزلل.

إذ يعد التثبيت من الجوانب المنهجية، التي توجب على المتحاورين أخذها بعين الإعتبار، وهي مسؤولية مشتركة بين المتحدث من جانب والمتلقي من جانب آخر، أما مسؤولية المتحدث فهي: أن يتحرى الصدق فيما يقول وألا يتحدث بما لا يملك دليلاً على صدقه، وأن يستقي معلوماته من مصادر موثوقة بها. وأما مسؤولية المتلقي فهي: ألا يأخذ كل ما يقال له مأخذ التسليم، وإنما يقومه في ضوء مجموعة من المعايير منها: شخصية المتحدث، وأخلاقه، وسيرته بين الناس، وعلمه، ومدى توافق الأفكار المطروحة مع الحقائق الثابتة والموثوق بها، ومدى قوة الحجج والبراهين التي تدعم ما يقال.<sup>(1)</sup>

(1) \_ ينظر: الحوار فنياته واستراتيجياته، ص: 33، اللبودي.

## □ الفصل الثاني: الحوار مع أهل الكتاب من خلال الكتاب والسنة

المبحث الأول: الحوار وأهميته في الدعوة

- المطلب الأول: تعريف مفهوم الدعوة
- المطلب الثاني: أهمية الحوار في الدعوة

المبحث الثاني: أهمية الحوار في القرآن الكريم

المبحث الثالث: أهمية الحوار في السنة النبوية

المبحث الرابع: أساليب الحوار في القرآن الكريم وموضوعاته

- المطلب الأول: أساليب الحوار في القرآن الكريم
  - المطلب الثاني: موضوعات الحوار في القرآن الكريم
- المبحث الخامس: أساليب الحوار في السنة النبوية وموضوعاته
- المطلب الأول: أساليب الحوار في السنة النبوية
  - المطلب الثاني: موضوعات الحوار في السنة النبوية

### المبحث الأول: الحوار وأهميته في الدعوة

- المطلب الأول: تعريف مفهوم الدعوة
- المطلب الثاني: أهمية الحوار في الدعوة

## المطلب الأول: تعريف مفهوم الدعوة

الدعوة في اللغة: مشتقة من الفعل الثلاثي دعا يدعو دعوة، والاسم الدعوة، والقائم بها يسمى داعية، والجمع: دعاة.

وترد كلمة الدعوة في اللغة بمعاني عدة:

النداء والطلب والتجمع والدعاء والسؤال والاستمالة.

قال الزمخشري: دعوت فلاناً وبقلاً ناديته وصحت به (1).

والداعي من تبنيته ومنه قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ أَلْمِغِيَاءَ كُمْ أَنْبَاءَ كُمْ﴾ (2)

وادعى عليه كذا والاسم: الدعوى و تداعت الحيطان للخراب تهدمت.

ودعاه صاح به و استدعاه أيضاً و دعوت الله له وعليه أدعوه دعاء.

والدعوة المرة الواحدة والدعاء أيضاً واحد الأدعية وتقول للمرأة أنت تدعين وتدعوين

وتدعين بإشمام العين الضمة وللجماعة أنتن تدعون مثل الرجال سواء وداعية اللبن ما يترك في الضرع ليدعو ما بعده.

وفي الحديث: "دع داعي اللبن" (3).

وقال ابن منظور: الدعوة: المرة الواحدة من الدعاء ومنه الحديث: "فإن دعوتهم تحيط من

ورائهم"، أي تحوطهم وتكنفهم وتحفظهم يريد أهل السنة دون البدعة. والدعاء: واحد الأدعية،

وأصله دعاو لأنه من دعوت، إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف همزت... ودعا الرجل دعوا ودعاء:

ناداه، والاسم: الدعوة. و دعوت فلاناً أي صحت به واستدعيتته...

والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، وأحدهم داع. ورجل داعية إذا كان يدعو

الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة (4)

(1) أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، 1/189، ط 1399هـ/1979م، دار الفكر.

(2) سورة الأحزاب، آية: 4

(3) الأحاديث المختارة، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهب، 8/91، ط1.

1410هـ، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.

(4) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري 14/258-259، ط1، دار صادر، بيروت.

وقال الزبيدي: الدعاء، بالضّمّ ممدوداً؛ الرّغبة إلى الله تعالى فيما عنده من الخير والابتهاال إليه بالسؤال؛ ومنه قوله تعالى: ﴿الْمُعْوَدُونَ لَكُمْ تَضُرّاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِرِينَ﴾<sup>(1)</sup>.

دعا يدعو دعاءً ودَعَوَى؛ وألّفها للتأنيث.

وقال ابن فارس: وبعضُ العربِ يُؤنّثُ الدّعوةَ بالألفِ فيقولُ الدّعوى.

ومن دعائهم: اللهمّ أشركنا في دعوى المسلمين، أي في دعائهم، ومنه قوله تعالى: ﴿الْمُعْوَدُونَ لَكُمْ تَضُرّاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِرِينَ﴾<sup>(2)</sup>.

أما مفهوم الدعوة من الناحية الاصطلاحية: فإنه يراد بها في الغالب معنيان:

الأول: الدعوة بمعنى الإسلام أو الرسالة.

الثاني: الدعوة بمعنى تبليغ الرسالة.

وعلى المعنى الأول: الدعوة بمعنى الإسلام أو الرسالة جاءت تعريفات اصطلاحية كثيرة، ومنها:

قيل: هي دين الله الذي بعث به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعاً، تجدد على يد محمد

ﷺ خاتم النبيين، كاملاً وافياً لصالح الدنيا والآخرة .

وقيل: هي دين الله الذي ارتضاه للعالمين؛ تمكيناً لخلافتهم، وتيسيراً لضرورتهم، ووفاءً

بحقوقهم، ورعايةً لشؤونهم، وحمايةً لوحدتهم، وتكريماً لإنسانيتهم، وإشاعةً للحق والعدل فيما

بينهم .

وقيل: هي الضوابط الكاملة للسلوك الإنساني، وتقدير الحقوق والواجبات.

وهي قبل ذلك وبعده: الاعتراف بالخالق، والبر بالمخلوق<sup>(4)</sup> .

وقيل: هي نداء الحق للخلق؛ ليوحدوا المعبود، ويعبدوا الواحد، حنفاء لله غير مشركين به،

متبعين غير مبتدعين<sup>(1)</sup> .

(1) \_ سورة الأعراف الآية: 55.

(2) \_ تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي تحقيق عبد الصبور شاهين ، 38/ 47. ط الاولى 1422هـ\_ 2001 الكويت

(3) \_ سورة يونس، الآية: 10.

(4) \_ ينظر: الدعوة الاسلامية دعوة عالمية، محمد عبد الرحمن الراوي، ص: 40، ط الاولى 1415هـ/ 1995م، مكتبة العبيكان للنشر الرياض

وأما على المعنى الثاني: الدعوة بمعنى تبليغ الإسلام فجاءت أيضاً على تعريفات كثيرة، ومنها: عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله الدعوة إلى الله: "هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه"<sup>(2)</sup>.

وقيل: هي تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة<sup>(3)</sup>.

وقيل: هي الحث على فعل الخير واجتناب الشر والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتحبيب بالفضيلة، والتنفير من الرذيلة واتباع الحق ونبذ الباطل<sup>(4)</sup>.

وقيل: هي الدعوة إلى توحيد الله، والإقرار بالشهادتين، وتنفيذ منهج الله في الأرض قولاً وعملاً، كما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة: ليكون الدين كله لله<sup>(5)</sup>.

وقيل: هي قيام من له أهليه، بدعوة الناس جميعاً، في كل زمان ومكان، لاقتفاء أثر رسول الله - ﷺ - والتأسي به، قولاً وعملاً وسلوكاً<sup>(6)</sup>.

وقيل: هي إبلاغ الناس دعوة الإسلام، في كل زمان ومكان، بالأساليب والوسائل، التي تناسب مع أحوال المدعوين<sup>(7)</sup> ..

وقيل: هي فن يبحث في الكيفيات المناسبة، التي يجذب بها الآخرين إلى الإسلام أو يحافظ على دينهم بواسطتها<sup>(8)</sup>.

(1) ينظر: التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته، عبد رب النبي علي أبو السعود، ص: 19، ط1، 1412هـ/ 1992م، دار التوفيق النموذجية للطباعة، القاهرة.

(2) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أبو العباس أحمد عبد الحلیم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، 15/ 158-157، ط2، مكتبة ابن تيمية.

(3) ينظر: المدخل إلى علم الدعوة، محمد البيانوني، ص: 17، ط3. 1415هـ 1995م مؤسسة الرسالة بيروت

(4) ينظر: مرشد الدعاة، محمد نمر الخطيب، ص: 24، ط1، 1401هـ/ 1981م، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

(5) ينظر: الدعوة إلى الله " الرسالة - الوسيلة - الهدف "، توفيق الواعي، ص: 19، ط1، 1406هـ/ 1986م، مكتبة الفلاح، الكويت.

(6) ينظر: الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل، محمد بن سيدي بن الحبيب، ص: 27، ط1، 1406هـ، دار الوفاء، جدة.

(7) ينظر: مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي صالح المرشد، ص: 21، ط1، 1409هـ/ 1989م، مكتبة لينه، دمنهور، مصر.

(8) ينظر: الدعوة والإنسان، عبد الله يوسف الشاذلي، ص: 39، ط1، المكتبة القومية الحديثة، طنطا.

وقيل: هي إنقاذ الناس من ضلالة أو شر واقع بهم، وتحذيرهم من أمر يخشى عليهم الوقوع في بأسه  
(1)

وقيل: هي عملية إحياء لنظام ما؛ لتنتقل الأمة بها من محيط إلى محيط (2).

وقيل: هي قيام الداعية المؤهل بإيصال دين الإسلام إلى الناس كافة، وفق المنهج القويم، وبما يتناسب مع أصناف المدعويين، ويلائم أحوال وظروف المخاطبين في كل زمان ومكان (3) ..

قلت: الدعوة قيام من له مؤهلات علمية بنشر القيم الانسانية والإسلامية في نسق حوارى. وهذه التعاريف لا منافاة بينها، فليست من باب اختلاف التضاد، لكنها من باب اختلاف التنوع، فكل تعريف للدعوة من هذه التعاريف عني بجانب من جوانب الدعوة وركز عليه (4).

فهذا المصطلح في الحقيقة استخدم من طرف الفرق الباطنية، وقصد به غير المعنى البريء الذي تطرقنا إليه؛ إذ يقصدون بالمصطلح دعوة الكافر الخارج عن الدين، أو بالأحرى خارج عن نهجهم ومنهجهم، ففي القرآن نفسه نجد هذا المصطلح يورد حينما يتعلق الأمر بدعوة من كفر؛ قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ مَالِيَ أَمْ لَكُمِ الْبَيْتُ الْجَنَّةُ وَتَدْعُونَ إِلَى النُّارِ﴾ (5) وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ (6) وقال سبحانه: ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْكِتَابِ لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مَعْرُضُونَ﴾ (7)

فهذه الايات كلها ورد فيها لفظ الدعوة التي يُعنى بها الخارج عن الدين، اما المؤمن من يقرب بالاسلام ديناً فالأنسب ان نوظف معه مصطلح التزكية أو الوعظ أو التربية... الخ

(1) ينظر: الدعوة إلى الإصلاح، محمد الخضر حسين، ص: 17، ط1، 1346هـ، المطبعة السلفية، القاهرة.

(2) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أبو العباس أحمد عبد الحلیم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، 158-157/15، ط2، مكتبة ابن تيمية.

(3) ينظر: الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها، رؤوف شلبي، ص: 32، ط3، 1402هـ/1982م، دار القلم، الكويت.

(4) ينظر: نصوص الدعوة في القرآن الكريم، حمد ناصر عبد الرحمن العمار، ص: 18، ط2، 1422هـ/2002م، دار إشبيلية، الرياض، السعودية.

(5) سورة غافر، الآية: 41

(6) سورة الكهف الآية: 52.

(7) سورة ال عمران الآية: 23.

## المطلب الثاني: أهمية الحوار في الدعوة

اقتضت حكمة الله تعالى أن يخلق الناس مختلفين و متفاوتين في النظر والفهم والتفكير والإدراك. ولا شك أن هذا الاختلاف هو مظهر جلي من مظاهر التجدد وتلاقح الأفكار ما دام منضبطا بضوابط الاختلاف المشروع، وهذا ما يؤكد قوله تعالى: ﴿ولو شاء ربنا لَجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربنا، ولذلك خلقهم﴾<sup>(1)</sup>

يقول الفخر الرازي: "والمراد اختلاف الناس في الأديان والأخلاق والأفعال"<sup>(2)</sup>. فالله سبحانه وتعالى قد خلق الناس بمقتضى حكمته كاسبين للعلم لا ملهمين، وعاملين بالاختيار وترجيح بعض الممكنات المتعارضات على بعض، لا مجبورين ولا مضطرين، وجعلهم متفاوتين في الاستعداد لكسب العلم والتحصيل؛ ولما كانت طبيعة الانسان على هذه الشاكلة جعل الإسلام أسلوبا للتقارب وتضييق الهوة بين المخالفين في العقيدة والفكر؛ وهذا الأسلوب هي الدعوة بالتي هي أحسن الذي يتخذ من الحوار قناة لمد الجسور.<sup>(3)</sup>

ف "الحوار ركن أساس من أركان الدعوة ووسيلة فعالة للإقناع والتبليغ، فالدعوة الإسلامية في الأساس قائمة على حوار المخالفين وإقناعهم بالحجة والمنطق والدليل"<sup>(4)</sup>، وهو السلاح الأول والأسمى في يد الرسل ومن بعدهم الدعاة إلى الله؛ ذلك أن الدعوة في حقيقتها قائمة على التبليغ والتوضيح والإفهام، وهذا ما لا يتم إلا بفتح قنوات التواصل البناء والحوار الهادف بين الأطراف المختلفة، والحوار في هذا الإطار غايته إقامة الحجة، ودفع الشبهة، وإزالة الريبة، ودحض الفساد من القول والرأي حتى يصل الطرفان إلى نقطة التقاء وتفاهم وتعاون بناء ومثمر.

(1) \_ سورة هود الآيتان: 118\_ 119

(2) \_ التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي: 78/18 ط الأولى 1401هـ\_ 1981م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع لبنان\_ بيروت\_

(3) \_ ينظر: الحوار أدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة. ص: 44 يحيى بن محمد حسن بن احمد زمزمي. ط الأولى 1414هـ\_ 1994 دار التربية والتراث\_ مكة المكرمة\_

(4) \_ مستقبل حوار الحضارات في ظل العولمة. ص: 31. عبد المجيد عمراني. نشر ندوة الثقافة والعلوم 2004م دبي.

إن من حكمة القول في دعوة أهل الكتاب إلى الله تعالى أن يُجَادَلُوا بالتي هي أحسن، بحسن خلق ولطفٍ ولين كلام، ودعوة إلى الحق، وتحسينه بالأدلة العقلية والنقلية، ورد الباطل بأقرب طريق وأنسب عبارة، وأن لا يكون القصد من ذلك مجرد حوار اجوف وحب العلو، بل لابد أن يكون القصد بيان الحق، وهداية الخلق، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ضَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(1)</sup> وقال تعالى: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ حُنُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" <sup>(2)</sup>.

ونظير ذلك من الدعوة بالقول الحكيم واللين في الحوار قوله سبحانه لموسى وهارون: ﴿اٰذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَحَقِّيْ، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهٗ يَتَذَكَّرُ اَوْ يَخْشَىٰ﴾<sup>(3)</sup>

ومن ذلك القول اللين كقوله تعالى لموسى: ﴿اٰذْهَبْ اِلَىٰ فِرْعَوْنَ اِنَّهُ كَحَقِّيْ، فَقُلْ هَلْ لَكَ اِلٰهٌ اِلَّا اَنْ تَرْكَبَ وَاَهْدِيْكَ اِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾<sup>(4)</sup>.

ومن هذا كله نقول: إن المتتبع لتاريخ الحوار بين أهل الإسلام وغيرهم من أتباع الملل في القديم والحديث يجد أنواعا ثلاثة من الحوار، هي كما يلي:

أولا: حوار دعوة وكشف شبهة: وهذا النوع لا شك في مشروعيته، لأنه يهدف إلى دعوة غير المسلمين إلى اعتناق الإسلام، وهذه وظيفة الأنبياء و ورثتهم من العلماء والدعاة، حيث حاوروا الكافرين بغية تعريفهم بدين الله، وإنقاذهم به من الظلمات إلى النور.<sup>(5)</sup>

(1) سورة العنكبوت، الآية: 46.

(2) - سورة آل عمران، الآية: 64.

(3) - سورة طه، الآيتان: 43-44.

(4) - سورة النازعات، الآيات: 17-19.

(5) - ينظر: ثقافة الحوار في الإسلام دراسة وصفية تحليلية نقدية، أعداد فهد خضير، ص: 574، مجلد الأول من العدد الرابع والثلاثين لحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

ولذا تتركز موضوعات هذا الحوار حول التعريف بالله تبارك وتعالى وصفاته، وبالإيمان ونواقضه، وباليوم الآخر وسبيل النجاة والخلاص فيه.

ويمتاز حوار الدعوة عن غيره من أنواع الحوار بخصائص وسمات، منها:

1- الهدف من حوار الدعوة؛ الدعوة إلى الإسلام والسعي إلى إقناع الآخرين بأن الإسلام هو دين الله الذي لا يقبل الله من العباد غيره.

2- أخذ المسلمين بزمام المبادرة في هذا اللون من الحوار، إذ هو استجابة لطبيعة دينهم، ويتحقق ذلك باستضافتهم في دار المسلمين، واستقبال وفودهم، والكتابة إليهم، وغشيانهم في محافلهم وبيوتهم لدعوتهم، إذ الدعوة و البلاغ واجب المسلم بمقتضى إسلامه.

3- تغلب العلاقات الشخصية على هذا اللون من ألوان الحوار الذي يبتعد عن الصفة الرسمية التي تغلب على حوار التعامل و التعايش.

ثانيا: حوار تعامل و تعايش ونبذ العنف: فإذا رفض الكافر الدخول في الإسلام فإننا ندعوه للتعایش السلمي ونبذ العنف و حسن التعامل و الجوار و العدل في التعامل، وهو حوار ترفضه السياسة الشرعية، وتمليه طبيعة التعايش بين البشر؛ بحكم الجوار والمصالح المتبادلة، وقد بينت الشريعة بنصوصها أو بقواعدها العامة الأسس والضوابط المتعلقة بهذا اللون من ألوان الحوار.<sup>(1)</sup>

وظهر مثل هذا اللون من حوار التعامل والتقارب المعيشي منذ نشأة الدولة الإسلامية في المدينة، حيث عقد النبي ﷺ عهدا مع يهود المدينة، كما أبرم صلح الحديبية مع كفار قريش، وحوى الفقه الإسلامي بمذاهبه المختلفة تراثا ضخما في مجال العلاقات الدولية التي بينت للمسلمين أصول التعامل مع غير المسلمين القائمة على الحوار كما تطرقنا إليه، إذ هو الأسلوب الأنجع والوسيلة الأولى المقدمة على ما سواها، ولا سيما مع المخالفين وتبرز أهمية الحوار وفائدته بالإضافة إلى ما سلف ذكره فيما يلي:

(1) ينظر: ثقافة الحوار في الإسلام دراسة وصفية تحليلية نقدية، أعداد فهد لخضير، ص: 574، مجلد الأول من العدد الرابع والثلاثين لجمعية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية.

- 1- يعتبر الحوار من احسن الوسائل لإقناع الآخرين وتغيير سلوكهم ومعتقداتهم.
- 2- فيه ترويض للنفس على قبول النقد والاعتراف بالخطأ واحترام آراء الآخرين.
- 3- يعد الحوار من الوسائل الناجحة في الدعوة الى الله، وهو من وسائل تبليغ الحق ونصرتة وزهق الباطل وهزيمته، فان المخالف قد يكون، مخطئاً في الفهم، والعاص متماد في معصيته. فان لم يكن معهم الحوار، فلا تتحقق الثمرة المرجوة، ولا سيما ان المسلم يرجو للمخالف الهداية والدخول في الاسلام، كما يرجو للعاصي التوبة والاستغفار. والواقع ان الحوار وسيلة من وسائل الدعوة التي بدأها رسول الله ﷺ في رسائله التاريخية الى هرقل والمقوقس والنجاشي، والتي ختمها بالآية الكريمة: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾<sup>(1)</sup>
- 4- إقامة الحجة، ودفع الفاسد من القول والرأي فهو تعاون بين أطراف على معرفة الحقيقة والتوصل إليها، ليكشف كل طرف ما خفي على صاحبه منها، بطرق الاستدلال الصحيح للوصول الى الحق.
- ولهذا قال القرطبي لا يظهر الفرق بين الحق والباطل الا بظهور حجة الحق ودحض حجة الباطل<sup>(2)</sup>
- 5- وتبرز اهمية الحوار وفائدته للدعوة الاسلامية انه وسيلة العلمية والحضارية في الرد على الشبهات التي تحاك للإسلام<sup>(3)</sup>

(1) \_ سورة ال عمران: 64

(2) \_ القرطبي الجامع الاحكام القران 286/3

(3) \_ مؤتمر الدعوة الاسلامية ومتغيرات العصر الجامعة الاسلامية بغزة (8/7 ربيع الاول 1426هـ \_ 17/16 ابريل 2005م

## المبحث الثاني: أهمية الحوار في القرآن الكريم

من مظاهر شمولية الاسلام وعالميته أنه اعتنى بالعقل البشري من الزيغ والانحراف؛ برسم خطوطا يسير عليها، وجعل له وسائل يهتدي بها، ومن هذه الوسائل التي أرشد الوحي الإلهي إليها وسيلة الحوار بين الناس للوصول إلى الحقيقة.

لقد أكد القرآن الكريم وحدة الاصل والنوع الانساني وعلى اختلاف البشر في الوقت نفسه، واعتبره سنة طبيعية، قال تعالى: ﴿ولو شاء ربنا لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين﴾<sup>(1)</sup> وحدد التعارف كوسيلة لتقليص الهوة بينهم وتذكيرهم بأصلهم الواحد قال تعالى: ﴿يا أيها الناس انزلناكم من ذكركم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم...﴾<sup>(2)</sup>، ف... "الحوار يتطلب أولا وقبل كل شيء الاعتراف بحتمية وجود الاختلاف بمعنى التنوع في الحياة الانسانية المطلقة، الأمر الذي يترتب عليه مبدأ الاعتراف بوجود الآخر واحقيته في الوجود."<sup>(3)</sup> وعلى هذا الأساس حدد القرآن اسلوب الحوار في الدعوة بالحكمة التي تفيد التعقل والاعتدال وإحكام الامور بحيث يكون الحوار موضوعيا، ومفتوحا، وهادفا الى تحقيق غاية شريفة يلتقي عليها المتحاورون.<sup>(4)</sup> ويؤكد القرآن الكريم الموعظة الحسنة التي تحث على عمل الخير، وتعبّر عن اسلوب مقبول لا يلقى معارضة من أطراف الحوار وهي موعظة حسنة تضبطها الموضوعية، وتتجنب الاثارة والصدام مع الآخر، وبعبارة عن التعصب والتعالي والتحقير. "ان الحكمة والموعظة الحسنة تتطلبان الحوار الهادئ المتزن الخالي من الضغط والإكراه، والمعتمد فقط على الاقناع العقلي والمنطقي، والرضا والتسليم بالحجة والبرهان، وقد تمثلت الحكمة والموعظة الحسنة في دعوة اهل الكتاب للإلتقاء في كلمة التوحيد كما ورد في القرآن كنموذج للحوار القائم على اساس الحكمة والموعظة

(1) سورة هود الآيتان: 118\_119

(2) سورة الحجرات الآية: 13

(3) فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية، رقية طه جابر العلواني ص: 55\_56 مؤسسة ال سعود للسنة النبوية والدراسات الاسلامية المعاصرة 2005

(4) بنظر: عالمية الاسلام ونداؤه للسلام ودعوته للتعايش والاعتراف بالآخر، عبد الهادي بو طالب، ص: 53، مجلة الاجتهاد العددان 52\_53 السنة الثالثة عشر 1422هـ/2003. دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر. بيروت

الحسنة: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾<sup>(1)</sup> (2).

ومن هذا كله نقول إن:

### ■ الاختلاف سنة من السنن الإلهية:

يراد بالاختلاف المغايرة في القول أو الرأي أو الحالة أو الهيئة أو الموقف<sup>(3)</sup> ويتحول الاختلاف إلى جدل "إذا اشتد اعتداد أحد المخالفين أو كليهما بما هو عليه من قول أو رأي أو موقف، وحاول الدفاع عنه، وإقناع الآخرين به، أو حملهم عليه"<sup>(4)</sup> وقد خلق الناس مختلفين في العقول والمدارك والألسنة والألوان والأفكار الأمر الذي يؤدي إلى تعدد الآراء والأحكام، وهذا الاختلاف آية من آيات الله وسنة من سننه: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَجَعَلْنَا النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾<sup>(5)</sup>.

وقد تطور أدب الاختلاف منذ عصر النبوة حيث حرص الصحابة رضي الله عنهم على تجنب الاختلاف، فإذا وقع الاختلاف ردوا الأمر المختلف فيه إلى الكتاب والسنة، وبادروا إلى الخضوع والالتزام بحكم الله ورسوله ﷺ، والالتزام بالتقوى وتجنب الهوى، والالتزام أيضاً بأداب الإسلام في الاختلاف، و كان لاختلاف الصحابة أسبابه كما كانت له آدابه، ومن أهمها التحلي بالحكمة والحوار الفعلي الهادئ، وبالتوقير والاحترام المتبادل، ومن أهم سمات أدب الاختلاف، الحرص على تحاشي الاختلاف، وأن الدافع إلى الاختلاف هو دائماً تحري الحقيقة، وأن يكون للخلاف أسباب تبرره من بينها الاختلاف في فهم النص، وأن أخوة الإسلام أصل من أصول الإسلام، وهي فوق الخلاف في

(1) \_سورة آل عمران، الآية: 64.

(2) \_الحوار من نهج وثقافة، محمد خليفة حسن احمد. ص: 68، ط الاولى 1429هـ 2008م . الدوحة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية.

(3) \_ينظر: مقدمة كتاب الاسلام وصراع الحضارات. ص 27\_28، عمر عبيد حسنة. تأليف احمد قديدي كتاب الأمة العدد 44. الدوحة 1415هـ

(4) \_ ادب الاختلاف في الاسلام ص: 22، طه جابر فياض العلواني. المعهد العالمي للفكر الاسلامي .سلسلة قضايا الفكر الاسلامي العدد.2.

1987

(5) \_سورة هود الآية: 118.

المسائل الاجتهادية، وأن الخلاف كان في مسائل الفروع وليس في المسائل الاجتهادية والاعتقادية وأنه لم يتجاوز حدود أدب الاختلاف فلا تكفير و لا تفسيق ولا اتهام بابتداع منكر.

### ■ الحوار الحضاري سنة من سنن الله:

لا شك في أن ضرورة الحوار تنبثق من اختلاف في وجهات النظر، وفي تقدير الأشياء والحكم عليها، وهو أمر فطري طبيعي<sup>(1)</sup> بل هو سنة من سنن الله كما ورد في القرآن الكريم ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾<sup>(2)</sup> وكذلك في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾<sup>(3)</sup>

وكما أن الاختلاف سنة من سنن الله فإن الحوار المؤدي إلى تحقيق التفاهم يعد أيضا من الفروض الشرعية الكفائية ويؤكد عمر عبيد حسنة على هذا بقوله: "إن الحوار الحضاري، أو الحوار مع الآخر، وإتاحة الفرصة لتوسيع دائرة التفاهم، وإبلاغ رسالة الإسلام إلى العالم... وإيصال دين الله إليه، بأفضل الوسائل، والمجادلة له بالتي هي أحسن، مع مراعاة آداب الحوار وشروطه... فهو من الفروض الشرعية الكفائية التي تعتبر من مسؤولية الأمة جميعها"<sup>(4)</sup>.

والحوار مع الآخر المؤدي إلى تبادل الرأي، والوصول إلى صيغ مشتركة للتفاهم والتعاون يمثل مطلبا إسلاميا، بل هو أكثر من مطلب إسلامي، إنه تكليف شرعي وذلك لأن الدعوة إلى دين الله محلها ابتداءً الآخر.

لعظمة الحوار في القرآن، يكفي معرفة ما كشفه لنا هذا الكتاب المجيد، من أن الحوار بدأ قبل الإنسان خلقا ووجودا، وبدأ عنه وحوله وبسببه، في حوار جرى بين الله جلّت قدرته مع ملائكته المقربين، نقله لنا القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ،

(1) ينظر: إدب الاختلاف في الإسلام. طه جابر العلواني، ص: 11.

(2) سورة هود الآية: 118

(3) سورة المائدة الآية: 48.

(4) تقديم كتاب الإسلام وصراع الحضارات ص: 26. عمر عبيد حسنة. تأليف احمد القديدي. وزارة الاوقاف القطرية 1995م

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّنَا أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ<sup>(1)</sup>.

من هذا يمكن أن نستخلص النتائج الآتية:

أولاً: إن أقدم حوار على الإطلاق له علاقة بعالم الإنسان حسب ما كشفه لنا القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هو هذا الحوار الذي جرى بين الله سبحانه وملائكته في عالم كان فيه الملائكة و لم يكن فيه الإنسان، وكان الإنسان محور هذا الحوار.

ونفهم من ذلك أن أول حوار ظهر إلى الوجود، وأرشدنا إليه القرآن الكريم هو الحوار الذي أشارت إليه الآيات المذكورة، ومن ثم فهو أول حوار ينبغي العودة والرجوع إليه.

ثانياً: برهنت هذه الآيات على صحة وصدقية المقولة التي تستعمل كثيرا في الكتابات الإسلامية، وهي مقولة: "في البدء كان الحوار"، والحاجة لهذه البرهنة لما لهذه المقولة من أهمية وقيمة في حقلها الدلالي، فهي من أكثر المقولات دلالة على قيمة الحوار وعظمته والحاجة إليه، والمقصود بها أن الحوار بدأ منذ وجود الإنسان على هذه الأرض، وعلى الإنسان أن يتخذ من الحوار بدأ ومنطلقاً وسبيلاً في علاقته بالإنسان الآخر الذي هو إما أخ له في الدين، وإما نظيراً له في الخلق.

وهذا يعني أن الحوار ليس أمراً طارئاً على الإنسان والمجتمع الإنساني، أو دخيلاً عليهما، ولا حتى عابراً، وإنما هو أمر له صفة الرسوخ والثبات.

ثالثاً: اقتضت حكمة الله سبحانه أن يتحاور مع ملائكته المقربين الذي يسبحون بحمده ويقدمون له، حين أراد جلت قدرته أن يجعل في الأرض خليفة، تحاور معهم وهو غني عن محاورتهم، ويكفي عنده سبحانه أن يقول للشيء كن فيكون.

والغاية من هذا الحوار متوجهة للإنسان لكي يتبصر في هذا الموقف، ويمعن النظر فيه، ويتعلم منه التخلق بالحوار، واتخاذ منهجاً وسبيلاً في الحياة، وفي التعامل مع الآخرين.

(1). سورة البقرة من الآية: 30\_32.

رابعاً: كشفت هذه الآيات عن أن العلم هو المقوم الحقيقي للحوار، والمحرك له، والباعث عليه، فحين قال الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾<sup>(1)</sup>، خاطبهم سبحانه: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

وحين علم الله آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة، قائلاً لهم أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، خاطبه الملائكة: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(3)</sup>.

فبالعلم خاطب الله الملائكة، وبالعلم رفع الله منزلة آدم وشرفه وكرمه، وبالعلم صدق الملائكة وقالوا سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا.

وهذا يعني أن الحوار ينبغي أن يتخذ من العلم وجهة ومنطلقاً وسبيلاً، لأن الحوار يقوم بالعلم ولا يقوم بالجهل، والعلم هو منطلق الحوار، ولن يكون الجهل منطلقاً للحوار أبداً؛ وذلك لأن العلم يجعل من الحوار حاجة وقيمة، ويعطي الحوار محتوى ومضموناً، وينتهي به ثمرة ومكسباً.

بمعنى أن الحوار ينبغي أن يبدأ من العلم وينتهي إلى العلم، وهذا هو الحوار الإيجابي الفعال، حوار العقلاء والحكماء.

(1) سورة البقرة، الآية: 30

(2) سورة البقرة، الآية: 30

(3) سورة البقرة، الآية: 32

## المبحث الثاني: أهمية الحوار في السنة النبوية

إن المتأمل في سيرة النبي ﷺ يجد الرسالة الإسلامية بلغت مبلغها بأساليب حضارية بعيدا عن الإرهاب وسفك الدماء...، فمن الأساليب التي وظفها النبي عليه السلام في التأثير في الآخر؛ أسلوب الحوار، فنهجه عليه السلام لهذا الأسلوب جاء من توجيه الله له، وكذا وعيه العميق بجدواه وفعاليتها طوال العهدين المكي والمدني

ويمكن أن نرى صورة من صور ذلك الحوار الذي كان يدور بين الرسول ﷺ وبين مشركي مكة بما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾<sup>(1)</sup>؛ حيث يحاور الرسول ﷺ المشركين، مبلغا عن رب العالمين، أنه لو فرض أن الله عز وجل ولدا على الحقيقة كما تزعمون، لعبدته سبحانه على ذلك؛ لأنني عبد من عبيده، مطيع لجميع ما يأمرني به، ليس عندي استكبار ولا إباء عن عبادته؛ ولكن هذا ممتنع في حقه تعالى<sup>(2)</sup>؛ ومن ثم فلا يصح أن أثبت له ما ينفيه عن نفسه عز وجل، ولا يستقيم أن أعبد ما تعبدون من الملائكة التي ادّعتهم أنهم بنات الله، ليس لبغضي وعداوتي لكم أو للملائكة؛ بل إنما هو لجزمي باستحالة ما نسبتموه إلى الملائكة، وبنيتم عليه عبادتكم من كونهم بنات الله عز وجل<sup>(3)</sup>.

فمن خلال ذلك النص القرآني وتفسيره، يتضح لنا الشكل العام للحوار الذي انتهجه الرسول ﷺ مع المشركين في محاجاتهم ومقارعتهم، والذي يُعدُّ حوارًا عقليًا تفاعليًا، وليس جدليًا جامدًا؛ ينطلق فيه الرسول ﷺ من مسلماتهم، ثم يبني عليها الفروض، ليصل إلى النتيجة المنطقية العقلية، بالحجة والبرهان القوي؛ وذلك دون إسفافٍ لهؤلاء المخالفين، ودون محاولة لفرض الرأي عليهم بالقوة.

(1) سورة الزخرف، الآية: 81

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي الدمشقي 241/7، 242. ط الأولى 1420هـ/2000م، دار ابن حزم بيروت

(3) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي: 103/13. تحقيق علي

عبد الباري عطية، ط الأولى 1415هـ، دار الكتب العلمية بيروت

ووصف القرآن الكريم المنهج التحاوري الذي كان بين الرسول ﷺ وبين مشركي مكة، وجسد حال الطرفين أثناء الحوار، وما كان من اتهام وأدلة وإقناع لدى الطرفين. وأوضح أن اتهامات مشركي مكة كانت تقليدية جامدة، حيث كانوا يردون بالتعجب، ثم يُطلقون أحكامهم بالتهم المتجنّية، فقال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْكَرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَالصَّلَاقُ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى الْعِتْكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَاءُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾<sup>(1)</sup>.

وفي المقابل فقد أوضح القرآن الكريم أن الرسول ﷺ حاورهم بكل هدوء، وطلب منهم إبداء الدليل على تعجبهم واتهامهم وما هم عليه من شرك؛ فقال الله تعالى يخاطب رسوله ﷺ، ويدعوه لمحاورتهم: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ اتُّنَوْنِ بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(2)</sup>.

وعلى هذا النحو كانت محاورات الرسول ﷺ للمشركين في مكة<sup>(3)</sup>، التي صورها القرآن الكريم وسردها في أغلب السور المكية؛ ويمكن أن نستقي من سورة الأحقاف مثلاً نقف من خلاله على طريقة وطبيعة وأبعاد حوار رسول ﷺ مع المشركين، واتهامات وأدلة الطرفين.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا يَبِينَاتٍ قَالِ الْكُفِرَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَرُ بِهِ شَيْبًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِهِ وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَالِمٌ مِثْلِهِ قَامَرٌ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنْ لَدَىٰ يَهْدِيهِ الْقَوْمَ الضَّالِّينَ وَقَالَ الْكُفِرَ كَفَرُوا لِلْكُفِرَ آمَنُوا لَوْ

(1) - سورة ص الآيات: 4-7

(2) - سورة الأحقاف الآية: 4

(3) - ينظر: الحوار في السيرة النبوية ص: 88 وما بعدها. السيد علي خضر. البحث الفائق بالجائزة الثالثة المناصفة في مسابقة حسن عباس شربتلي العالمية للتعريف بنبي الرحمة ﷺ. \_ الدورة الثانية\_ 1431هـ. نشر المركز العالمي للتعريف بالرسول ونصرتة.

كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقْنَا إِلَيْهِ وَإِنَّا لَمْ يَهْتَكُوا بِهِ فَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ وَمِمَّا قَبْلَهُ كِتَابٌ مُوسَى إِمَامًا  
وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدَّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنكَرَ الْكُذِبَ. كُتِبُوا وَبُشِّرَ لِلْمُحْسِنِينَ<sup>(1)</sup>.

فالأيات توضح اتهام مشركي مكة للرسول ﷺ بالسحر، وأنه افتري ما يتلو، ثم تُبين ردَّ الرسول ﷺ عليهم في هذه المحاورة، وأنه لو كذب على الله كما قالوا وزعم أن الله أرسله، لعاقبه الله عز وجل أشد العقوبة، حتى لم يُقدَّر أحد من أهل الأرض أن يُجيره منه.

ثم تتابع الآيات رد الرسول ﷺ العقلي والدامغ على المشركين، وقوله: إنه ليس بأول رسول ظهر للعالم؛ بل جاءت رسل من قبله، وما هو بالأمر الذي لا مثيل له حتى تستنكروه وتستبعدوا بعثته إليكم؛ فإن الله قد أرسل قبله جميع الأنبياء إلى الأمم<sup>(2)</sup>.

ثم يطلب منهم الرسول ﷺ الاستعانة بأصحاب الخبرة في هذا المجال، وبأهل التخصص في هذا العلم، فيحيلهم إلى علماء بني إسرائيل، وكانوا متواجدين في المدينة \_ يثرب \_ فيطلب من المشركين أن يذهبوا إليهم، ويسمعوا منهم، ثم يعودوا إليه بما عرفوه، فيكملوا حوارهم بناء على ما حصلوا عليه من معلومات جديدة؛ ويوضح القرآن الكريم أنه في مواجهة هذا المنطق وهذه الدلائل لم يكن أمام المشركين إلا الهروب من المناقشة والحوار؛ حيث قالوا بعد سماع الحجج المفحمة: ﴿لَوْ كُنَّا خَيْرًا مَّا سَبَقْنَا إِلَيْهِ﴾<sup>(3)</sup> فهم يُعرضون عن مناقشة الحجج، ويقولون في منتهى الجهل والجحود: ليس من المعقول أن يدرك هؤلاء البسطاء والعبيد الحق، ويسرعوا إليه سابقين؛ بينما نحن الأشراف القادة نتبعهم بعد ذلك إنها لطامة كبرى.

وقد وضح القرآن الكريم أن الرسول ﷺ أقام الحجج والبراهين على صدق نبوته، وصحة ما يدعو إليه، مما جعل المشركون يحتارون في أمره، إلا أن يطالبوه في حواراتهم معه بعدد من المطالب التي لم يكن الغرض منها التأكد من صدقه ﷺ، وإنما مجرد التعنت والتعجيز.

(1) سورة الأحقاف، الآيات: 12-7

(2) ينظر: تفسير ابن كثير 275/7 وما بعدها.

(3) سورة الأحقاف، الآية: 11

ويسجل لنا القرآن مشهداً من تعنتهم في قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الصَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَأٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَكِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الضَّالِّمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾<sup>(1)</sup>، وقال أيضاً: ﴿وَإِنَّمَا تُثَمَّرْ عَلَيْهِمْ أَيَّامَنَا وَبَيْنَاتِ قَالِ الْكَبِيرِ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلَهُ فُلٌ مَا يَكُونُ لَوْ أَنْ أَبَدَلَهُ مَرْ تَلْقَاءِ نَفْسٍ إِنْ أَتَيْعُ إِلَّا مَا يُوجِرُ إِلَوَّ إِتْمَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتَ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾<sup>(2)</sup>، وكثرة الآيات في هذا الموضوع تُؤكِّد أنها كانت عادة عند الكافرين في حوارهم مع رسول الله ﷺ.

لقد دفعهم الانتصار المستمر لرسول الله ﷺ في المناظرات والحوارات العلمية إلى أن يذهبوا فعلاً إلى المدينة \_ يثرب\_، ويلتقوا بأحبار اليهود هناك، وذكروا لهم أمر الرسول ﷺ، ولقد كان اليهود يتوقعون ظهور النبي في هذا التوقيت، وكانوا يعدون أسئلة معينة لاختبار صدقه؛ ومن ثم فقد نقلوا هذه الأسئلة لكفار قريش، وعاد بها المشركون بسرعة إلى مكة.

وقد ذكر ابن إسحاق قصة هذه الرحلة المكية إلى أحبار اليهود<sup>(3)</sup>، ومع أن سند القصة ضعيف فإنها مشتهرة عند علماء السيرة؛ مما يوحي بوجود قبول لها عندهم، كما أن القصة ليس فيها تعارض مع ما نعرفه من أحداث في السيرة، أو من سياق لسورة الكهف، التي نزلت عقب حدوث هذه القصة، وقد نقله الطبري في تفسيره<sup>(4)</sup>، وكذلك ابن كثير في تفسيره<sup>(5)</sup> هذه القصة كما جاءت في سيرة ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ قَدِيمَ عَلَيْنَا مُنْذُ بَضْعِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَعَثْتُ قُرَيْشَ النَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ، وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ، إِلَى أَحْبَارِ يَهُودَ بِالْمَدِينَةِ، فَقَالُوا لَهُمْ: سَلُوهُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ، وَصِفُوا لَهُمْ صِفَتَهُ، وَأَخْبِرُوهُمْ بِقَوْلِهِ؛ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ، وَعِنْدَهُمْ مَا لَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ. فَخَرَجَا حَتَّى قَدِمَا الْمَدِينَةَ، فَسَأَلُوا أَحْبَارَ يَهُودَ عَنْ

(1) \_سورة الفرقان، الآيات: 7\_8

(2) \_سورة يونس، الآية: 15

(3) \_ينظر: السير والمغازي، محمد بن اسحاق المطلي ص202، تحقيق سهيل زكار، ط الاولى 1398هـ/1978 دار الفكر.

(4) \_ينظر: جامع البيان الطبري: 592/17

(5) \_ينظر: تفسير القرآن العظيم ابن كثير: 136/5.

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَوَصَّفُوا لَهُمْ أَمْرَهُ وَبَعْضَ قَوْلِهِ، وَقَالَا: إِنَّكُمْ أَهْلُ التَّوْرَةِ، وَقَدْ جِئْنَاكُمْ لِتُخْبِرُونَا عَنْ صَاحِبِنَا هَذَا. قَالَ: فَقَالَتْ لَهُمْ: سَلُوهُ عَنْ ثَلَاثٍ نَأْمُرُكُمْ بِهِنَّ، فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ بِهِنَّ، فَهُوَ نَبِيُّ مُرْسَلٍ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَالرَّجُلُ مُتَقَوْلٌ فَرَوْا فِيهِ رَأْيَكُمْ: سَلُوهُ عَنْ فِتْيَةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ؛ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ؟ فَأَيُّهُمْ قَدْ كَانَ لَهُمْ حَدِيثٌ عَجِيبٌ. وَسَلُوهُ عَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ بَلَغَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، مَا كَانَ نَبَوْهَ؟ وَسَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، مَا هُوَ؟ فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ بِذَلِكَ فَهُوَ نَبِيُّ فَاتَّبِعُوهُ، وَإِنْ لَمْ يُخْبِرْكُمْ فَإِنَّهُ رَجُلٌ مُتَقَوْلٌ، فَاصْنَعُوا فِي أَمْرِهِ مَا بَدَأَ لَكُمْ.

فَأَقْبَلَ النَّضْرُ وَعَقْبُهُ حَتَّى قَدِمَا عَلَى قُرَيْشٍ، فَقَالَا: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، قَدْ جِئْنَاكُمْ بِفَصْلِ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ، قَدْ أَمَرْنَا أَحْبَارَ يَهُودَ أَنْ نَسْأَلَهُ عَنْ أُمُورٍ، فَأَخْبَرُوهُمْ بِهَا، فَجَاءُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنَا: فَسَأَلُوهُ عَمَّا أَمَرُوهُمْ بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَخْبِرْكُمْ غَدًا بِمَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ". وَلَمْ يَسْتَتِنْ، فَانصَرَفُوا عَنْهُ، وَمَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، لَا يُحَدِّثُ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ وَحَيًّا، وَلَا يَأْتِيهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى أَرْجَفَ (1) أَهْلُ مَكَّةَ وَقَالُوا: وَعَدَنَا مُحَمَّدٌ غَدًا، وَالْيَوْمُ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً قَدْ أَصْبَحْنَا مِنْهَا لَا يُخْبِرُنَا بِشَيْءٍ مِمَّا سَأَلْنَاهُ عَنْهُ. وَحَتَّى أَحْزَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَتُ الْوَحْيِ عَنْهُ، وَشَقَّ عَلَيْهِ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ أَهْلُ مَكَّةَ، ثُمَّ جَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِسُورَةِ أَصْحَابِ الْكُفْرِ، فِيمَا مُعَاتَبَتُهُ إِيَّاهُ عَلَى حُزْنِهِ عَلَيْهِمْ، وَخَبَرَ مَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الْفِتْيَةِ وَالرَّجُلِ الطَّوَّافِ، وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (2) (3).

ويروي ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلْيَهُودِ أَعْطُونَا شَيْئًا نَسْأَلُ عَنْهُ هَذَا الرَّجُلَ، فَقَالُوا: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَسَأَلُوهُ، فَتَزَلَّتْ: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا"، قَالُوا: أُوتِينَا عِلْمًا كَثِيرًا أُوتِينَا التَّوْرَةَ، وَمَنْ أُوتِيَ التَّوْرَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ" (4).

(1) أُرْجِفَ أَهْلُ مَكَّةَ: خَاضُوا فِي الْأَخْبَارِ السَّيئَةِ، وَذَكَرَ الْفِتْنَةَ عَلَى أَنْ يَوْقَعُوا فِي النَّاسِ الْاضْطِرَابَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصِحَّ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ.

(2) يَنْظُرُ: سِيرَةٌ بِنِ اسْحَاقَ 1/178.

(3) سُورَةُ الْأَسْرَاءِ، آيَةُ: 85.

(4) سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ، أَبِي عَيْسَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَيْسَى التِّرْمِذِيِّ: كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ وَمِنْ سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ (3140).

كان رسول الله ﷺ على يقين أنه على الحق، يدرك أنها معركة مستمرة مع هؤلاء المعاندين، وكان في جولاته السابقة معهم يردُّ عليهم بما ينزل عليه من الوحي؛ ولذلك حدّد لهم دون تردّد موعدًا في اليوم التالي؛ ولكن في هذه المرّة دون أن يُعلّق الأمر على مشيئة الله عز وجل، وكان الأولى في هذا الموقف أن يقول لهم: سأجيبكم إن شاء الله عندما يأتي وحي من السماء، فأنا لا أنزله بإرادتي، إنما ينزل بأمر الله عز وجل.

وعلى عكس ما توقع رسول الله ﷺ، لم ينزل الوحي عليه في اليوم التالي، وصارت أزمة، وحزن رسول الله ﷺ، وشعر المشركون ببوادر أمل، وتوقّعوا نصرًا قريبًا لهم؛ ولكن بعد خمس عشرة ليلة نزل الوحي يحمل الإجابة الحاسمة على أسئلتهم، وجاءت الإجابة مطابقة تمامًا لما ذكره اليهود، وكان التأخر في الردّ علامة جديدة من علامات النبوة؛ لأنه لو كان رسول الله ﷺ يعلم هذا العلم عن طريق قراءة في كتب الأولين كما يزعمون، لكانت الإجابة حاضرة عنده؛ لكنه لا يعلم شيئًا فعلاً إلا عن طريق الوحي، ولو كان الأمر بيده لما عرض نفسه للإجراج أمام زعماء قريش، ولقد كانت الإجابة آية للفريقين، فريق المشركين، وفريق اليهود، وكانت في الوقت نفسه درسًا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين، وتنبهًا لهم ألا يذكروا شيئًا عن المستقبل دون تقديم مشيئة الله، ونزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ قَالُوا عَلِمَ لَمَّا عَدَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاللَّهُ كَرِيمٌ إِنَّمَا نَسِيتُ وَقَدْ عَسَى أَنْ يَفْهَمَ رَبِّي لَأَقْرَبُ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾<sup>(1)</sup>.

ولقد لاحظنا في معرض ردِّ ربِّ العالمين على اليهود في مسألة الروح أن مستقبل اليهود مع المسلمين لن يكون مشرقًا، فعلى الرغم من أن الإجابات جاءت مطابقة لما عندهم من أدلة فإنهم تركوا الإجابة، وعلقوا متكبرين على مسألة قلّة علمهم، فردوا على قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(2)</sup> بقولهم: ﴿أُوتِينَا عِلْمًا كَثِيرًا أُوتِينَا التَّوْرَةَ وَمَنْ أُوْتِيَ التَّوْرَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، فظهر واضحًا تجاهلهم للحقّ، واتباعهم للهوى.

(1) سورة الكهف، الايتان: 23\_24

(2) سورة الاسراء، الآية: 85

وعودة إلى موقف المشركين، فالذي يظهر من ذلك كله هو أنه على الرغم من عجز المشركين عن المقارعة بالحجة والمنطق، وإقامة الدليل العلمي والعقلي على دعواهم، فإن الرسول ﷺ كان يستمع إليهم وينصت لهم، ولم يتعدَّ في ردِّه وحواره معهم إلى أي شائبة من شوائب الإكراه المادي أو النفسي، أو محاولة فرض الرأي بالقوة، حتى لو كانت آراؤهم غير مقبولة عقلاً أو شرعاً؛ بل كان يُوسِّع صدره تماماً للإجابة عن كل أسئلتهم، ولو كانت تبدو أحياناً طفولية ساذجة، حتى إنهم جاءوا إليه يسألونه في يوم من الأيام عن نسب ربِّه وعائلته! وهم بذلك يُوضِّحون مدى ضعف تصورهم عن الرب، ومدى سطحية تفكيرهم، إلا أن رسول الله ﷺ ردَّ عليهم دون غضب أو تعصُّب؛ وذلك بما نزل من القرآن في هذا الصدد، فعن أبي بن كعب، أنَّ المُشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَنْسُبْ لَنَا رَبَّكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾<sup>(1)(2)</sup>.

كان هذا هو الأسلوب النبوي في التعامل مع المشركين في هذه المرحلة الصعبة من تاريخ الدعوة، ولم يخرج رسول الله ﷺ أبداً عن أدبه ودمائة خلقه، ولم يُغلق قضية من القضايا دون حوار، ولم يضع خطوطاً حمراء لاستفسارات المشركين، إنما كان يصول ويجول هنا وهناك، في منتهى الأدب والتواضع، ناقلاً عن ربِّه عز وجل كليات الإيمان، وأساسيات العقيدة.

بالإضافة إلى ما سبق نجد في سيرة الرسول ﷺ نماذج كثيرة متنوعة للحوار، حين جهر رسول الله ﷺ بالدعوة حارت قريش وارتبكت وفكرت ودبرت، وكان مما صنعتة أنها أرسلت عتبة بن ربيعة إليه، يحادثه ويفاوضه ويغريه.

يروى أن عتبة بن ربيعة جلس إلى رسول الله ﷺ فقال له يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت جماعتهم، وسفهت أحلامهم، وعبت آلهتهم، وكفرت به فيما مضى من آباءهم، فاسمع مني أعرض عليك بعضها. فقال رسول الله ﷺ: "قل يا أبا الوليد، أسمع"، فقال له عتبة ما قال، حتى إذا فرغ قال له: أوقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال نعم.

(1) الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة الاخلاص (3364)

(2) سورة الاخلاص، الآيتان: 1\_2

قال: فاسمع مني، قال: افعل، فأخذ رسول الله ﷺ يتلو عليه من سورة فصلت حتى إذا انتهى إلى الآية موضع السجدة فيها، سجد، ثم قال لعتبة: قد سمعت يا أبا الوليد، فأنت وذلك، فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم: نحلف بالله قد جاءكم أبو الوليد بوجه غير الوجه الذي ذهب به، وطلب عتبة إليهم أن يدعوا الرسول ﷺ وشأنه، فأبوا وقالوا له: سحرك يا أبا الوليد بلسانه.<sup>(1)</sup>

وفي هذه القصة أكثر من درس، فيما يتصل بموضوع هذا المبحث يحسن الوقوف عندها، فالرسول الكريم أحسن الاستماع والإنصات لعتبة، وقال له قل يا أبا الوليد، أسمع، فلما قال عتبة ما عنده أطاه الرسول ﷺ الفرصة لإضافة شيء قد يود أن يقوله، ربما نسيه أو غفل عنه، وسأله أوقد فرغت يا أبا الوليد؟ ومعنى ذلك أنه أحسن الاستماع تماما، وأعطى محدثه الفرصة ليقول من جديد دون أن يعاجله، فلما سأله ليتأكد من فراغه مما لديه، بدأ التلاوة وهذه قمة الأدب، وقمة الذوق، مما يجعل الطرف الآخر تنفتح نفسه للسماع، فكانت تلك المقدمة محددة لما جاء بعدها وهي تلاوة القرآن الكريم، تنتهي بسجدة، ثم قال لعتبة: قد سمعت يا أبا الوليد فأنت وذلك، أي وما تختار ففي تصرفه عليه الصلاة والسلام أدب عال وذوق جم و حسن استماع، يستدعي حسن إصغاء من عتبة، وهذا كله يجعل عتبة مستعدا للتلقي، لذلك لا غرابة أن قال له قومه بعد إذ عاد إليهم: سحرك يا أبا الوليد بلسانه.

وروى أبو أمامة أن غلاما شابا أتى النبي ﷺ فقال له يا نبي الله أتأذن لي في الزنا؟ فصاح الناس به، فقال النبي ﷺ: قربوه، ادن، فدنا حتى جلس بين يديه، فقال النبي ﷺ: أتحبه لأملك؟ قال: لا جعلني الله فداك، قال: كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم. أتحبه لابنتك؟ قال: لا جعلني الله فداك، قال: كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم، أتحبه لأختك؟ قال: لا جعلني الله فداك، قال: كذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم، فوضع رسول الله ﷺ يده على صدره وقال: اللهم طهر قلبه، واغفر ذنبه، وحصن فرجه، فلم يكن شيء أبغض إليه من الزنا.<sup>(2)</sup>

(1) سيرة ابن هشام، ص: 93/1

(2) المسند الجامع، أحمد بن محمد بن حنبل 5/256. تحقيق أحمد شاكر، ط الرابعة د.ت دار المعارف.

وجاء يهودي إلى النبي ﷺ يختبر صدقه في الدعوة وقد ابتاع منه تمرا إلى أجل، فطاله قبل حلول الأجل مغلظا له في القول وسط القوم، فكان قوله: إنكم يا بني عبد المطلب قوم مظل، فهم به عمر ﷺ فمنعه الرسول ﷺ وقال له يا عمر: أنا وهو كنا أحوج منك إلى غير هذا، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن الاقتضاء، ثم أمر بإعطائه حقه وزيادة عشرين صاعا في مقابل ترويع عمر له، فلم يسع اليهودي إلا أن أعلن إسلامه.

وقد تجلى البعد الوظيفي في الحوارات النبوية كأوضح ما يكون. حيث كان عليه الصلاة والسلام حريصا على أن تكون حواراته جميعا موجهة نحو أهدافها لا تخرج عنها قيد أنملة، لأنه كان صاحب رسالة عظيمة يتوقف على نجاحها مستقبل البشرية كلها، وكان الحوار وسيلة من أهم الوسائل وأعظمها أثرا في تبليغ هذه الرسالة.

لذلك كانت حواراته مضبوطة بالشكل الذي تخدم به الفكرة الأساسية التي يعالجها مع محاوره، فلا يشتط به الحديث هنا أو هناك، ولا يسمح لمسار الحوار أن ينحرف ليتحول إلى لجاج أو مباحكة أو ممارسة، لأن الحوار إنما فُتِحَ للبحث عن الحقيقة، ونشدان الحق، وتوضيح معالمه، وإقامة الدليل عليه، وتبليغه لمن لا يعرفه ليجد طريقه إلى النفوس التي تبحث عنه.

إن المتصفح لحواراته الكثيرة التي أدارها بكل كفاءة ومهارة يتبين له أن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام لم يكن يسعى في أي منها إلى تسجيل موقف الغلبة على محاوره بإفحامه أو إلزامه الحجة، بل كان هدفه دائما أن يجعل الطرف الآخر يتحرك معه في الخط الذي يسير عليه.

ويقوده شيئا فشيئا نحو الهدف الثابت بإشراكه في الموضوع وإدماجه فيه من خلال الإقناع العقلي، أو الحديث العاطفي الوجداني إلى أن يتحد الموقفان، ويفضي الحوار إلى موقف مشترك يحس معه الطرف الآخر أنه قد شارك فعلا في الوصول إلى النتيجة.

لقد عبر النبي ﷺ عن الحوار السلبي بمصطلح «المراء» الذي يحيل إلى الحوار الفاشل الذي لا طائل من ورائه. ونهى عنه نهيا شديدا، وحذر من مغبة الوقوع فيه، وبشر المسلمين الذين

يتجنبون هذا النوع من الحوار تعففا وورعا بعظيم الجزاء، ودعاهم إلى الابتعاد عن مجالس المراء ولو كانوا على الحق، لأن الطرف الثاني لا يريده ولا يبحث عنه.

من أجل ذلك شدد النبي عليه الصلاة والسلام في النهي عن هذا النوع من الحوار، وحذر من الانسياق وراء أسبابه ومجاراة أصحابه، صيانة للطاقت المسلمة من أن تذهب هباء فيما لا يفيد الفرد والمجتمع، وتوجيهها لها لاستثمارها فيما ينفع ويفيد، ولنا في حواراته الكثيرة التي تزخر بها سنته المطهرة نموذجا ومثالا للحوار الجاد الهادف الذي كان ديدنه إلى أن بلغ رسالة ربه، ووطد دعائمها، وأرسى أركانها فكانت خيرا على البشرية في كل الأزمان والأصقاع.

فالحوار كان في سنة رسول الله مرتكزا أساسيا من مرتكزات الدعوة إلى الله، ووسيلة عظيمة من وسائل الاتصال التي اعتمد عليها الرسول ﷺ لأداء أمانة البلاغ. وكان أيضا سلاحه الوحيد أمام واقع الجاهلية الكؤود الذي مرد على الضلال والطغيان والظلم والعدوان وسفك الدماء وإتيان الفواحش وقطع الأرحام.<sup>(1)</sup>

وظل الحوار في ميدان الدعوة إلى الله هو سيد الموقف حتى بعد انتصار الإسلام وظهوره على أعدائه، إذ لم يكن هناك بديل للحوار في مخاطبة العقل والنفوس وسوقهما بالدليل الواضح والحجة المقنعة إلى الله سبحانه وتعالى لينبع الإيمان من الذات محملا بالصدق والرغبة الخالصة في التوجه إلى الله.

اذن فالحوارات الكثيرة التي جرت بين النبي عليه الصلاة والسلام والمسلمين على اختلافهم تدل على حرصه الشديد على المحافظة على شبكة العلاقات الاجتماعية متينة قوية بما كان يقدمه من الحلول لمختلف المشاكل التي تعرض له، والتي تدل كلها على أن الأحكام الشرعية إنما مدارها على مصلحة الأمة بما يحقق لأفرادها الاستقرار والأمن والاطمئنان.

(1) \_ ينظر: الحوار في السيرة النبوية ص: 50، السيد علي خضر

والسنة النبوية الشريفة تزخر بالحوارات التي تتناول المشاكل الاجتماعية وتقدم لها الحلول، بحيث تظل الأسرة متماسكة، والأفراد متضامنين، والمجتمع متكافلا، والجميع يسعون في حوائج بعضهم بعضا رجاء ثواب الله وحسن جزائه.

ومما سبق نقول إن الحوار له أهمية بالغة في تبليغه عليه السلام الرسالة واستمالة قلوب الناس؛ وهو اول اسلوب قام به ﷺ حينما صدع بالحق.

المبحث الرابع: أساليب الحوار في القرآن الكريم وموضوعاته

- المطلب الأول: أساليب الحوار في القرآن الكريم
- المطلب الثاني: موضوعات الحوار في القرآن الكريم

## المطلب الأول: أساليب الحوار في القرآن الكريم

"... يتسم أسلوب القرآن ومحتوياته بالكمال والقوة والعظمة"<sup>(1)</sup> قول قاله الأديب الألماني

قوث goeth بعد انبهاره بأساليب القرآن وجزالة اللغة في البرهنة والاقناع،...

احتوى القرآن الكريم على أفضل الأساليب وأدق المناهج، وأجزل البراهين وأقواها، في حوارهِ مع أهل الكتاب وغيرهم، وقد أنزل الله تعالى على نبيه هذا القرآن موشحاً بالحجج البينة والبراهين الساطعة: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾<sup>(2)</sup> لقد أظهر الله تعالى دينه على رغم من كفر وجحد الجاحدون، فأظهره بالحجة والبيان ونصر أهله على من ناوأهم، فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما يبطلها ويلقها من عال كما قال تعالى: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فأنا هو اذخوه﴾<sup>(3)</sup> وفي الحديث عن صفة القرآن قال النبي ﷺ: "فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله. ومن ابتغى الهدى من غيره اضله الله، هو حبل الله المتين. وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسن ولا تشيع منه العلماء ولا يخلق من كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه وهو الذي لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا ﴿إننا سمعنا قرآناً عجيباً يهدي إلى الرشاد فآمن به﴾"<sup>(4)</sup> من قال به صدق ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم"<sup>(5)(6)</sup>.

ونجد الرازي يقول هو الآخر منبهاً من أساليب القرآن: "لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج

الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن: أقرأ في الإثبات:

Goeth, dictionary of islam(1886), thomas patrik hughes ( tard.wikiquote), ed. laurier book ltd, 1996(\_(1)

isbn8120606728)p:526

(2)\_ سورة الصف الآية: 9

(3)\_ سورة الصافات الآية: 173

(4)\_ سورة الجن الآية: 2\_1

(5)\_ الترمذي 245/4

(6)\_ ينظر: منحة القريب المحيب في الرد على عباد الصليب. عبد العزيز بن الشيخ ال معمر ص:12\_13 ط الثالثة 1400هـ/1980م دار

تنقيف للنشر والتاليف الطائف

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الصَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، وأقرأ في النبي : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، ومن جَرَّبَ مثلَ تجربتي عرف مثل معرفتي<sup>(1)</sup>.

ومن الأساليب التي جعلت هؤلاء ينهرون سنذكر ما له علاقة بمحاورة أهل الكتاب، منها:

### ■ الإستفهام الاستنكاري

الإستفهام لون من ألوان التعبير، فهو ينقل أدق المشاعر، وأعمق الأحاسيس باعنا في نفس المخاطب الكثير من الإيحاءات؛ ولا شك أن الإستفهام القرآني وسيلة مهمة تعالج النفس الإنسانية، والمواقف التي يمر بها الإنسان، وذلك لما يحمله من معان ودلالات<sup>(2)</sup>، وقد ورد هذا الأسلوب كثيرا في القرآن الكريم في سياق محاورة أهل الكتاب وهو أن ينكر عليهم أفعالهم المنكرة عن طريق الإستفهام، فلا يملكون جوابا ولا ردا لما في أفعالهم من فساد يعرف بداهة بالفطرة، ولما فيها من تناقض ومخالفة ما في كتبهم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تُشْهِدُونَ. يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(3)</sup>. وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾. قل يا أهل الكتاب لِمَ تَكْفُرُونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ آمَنَ تَبْغُونَهُ عَوجًا وَانْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(4)</sup>. وقوله تعالى مخاطبا لهم بخطاب الغائب ليكون أبلغ في التأثير: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ النَّاكِبِينَ﴾<sup>(5)</sup>.

(1) \_مجموع الفتاوى 73/4 ابن تيمية

(2) \_ ينظر: نماذج من الإستفهام التقريري عند ابن عاشور في كتابه التحرير والتنوير "دراسة تحليلية" مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد

الخامس، العدد العاشر 1432هـ/2010م ص:305

(3) \_سورة ال عمران الآيتان: 70\_71

(4) \_سورة ال عمران الآيتان: 98\_99

(5) \_سورة ال عمران الآيتان: 86

فالسامع لهذه الاستفهامات يحار ولا يجد عليها ادنى جوابا، فمن كانت له مسكت عقل يقر ابتداء بصدق ما سمعه، وإن لم يفعل تقوم عليه الحجة، ويقع في الحرج، وذلك لأن الكتابي يقر بوجود هذه الأمور.

### ■ القصص القرآني:

اشتمل القرآن الكريم علي كثير من أخبار الأمم الماضية والنبوات السابقة والحوادث الواقعة وتتبع آثار كل قوم ونقل لنا صورة ناطقة لما كانوا عليه، يقول السيوطي ذاكرا العلوم التي احتوى عليها القرآن: "وعلم القصص هو الاطلاع علي أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ليعلم المطلع علي ذلك سعادة من أطاع الله وشقاوة من عصاه"<sup>(1)</sup>.

إن الدليل الذي يساق في قالب القصة تصغي إليه الأذان، وتميل إليه الأنفس و ترتاح إليه الأفتدة، وتتأثر بما فيه من عظات وعبر، وقد اتخذ القرآن الكريم من القصص سبيلا للإقناع والتأثير. فنجد أن القرآن في محاوراة أهل الكتاب وغيرهم يورد القصص والتي فيها من إقامة الحجة والتأثير الشيء الكثير.

وأكثر القصص التي تردت في القرآن قصص الأنبياء، ولن أسرد جميع ما ذكر وإنما سأكتفي بمثال واحد وهو قصة إبراهيم عليه السلام. فقد وردت قصة إبراهيم في مواضع عديدة منها ما ورد في سورة البقرة ضمن محاوراة أهل الكتاب، وقد وردت بعد قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ...﴾<sup>(2)</sup> و ورد بعدها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارًا تَهْتَكُوا...﴾<sup>(3)</sup>. والآيات طويلة تبتدئ بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ...﴾<sup>(4)</sup> إلى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(5)</sup>.

(1) - الإتقان في علوم القرآن، الحافظ ابي الفضل جلال الدين عبد الرحمان بن ابي بكرالسيوطي 364/5. تحقيق مركز الدراسات القرآنية. دت. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

(2) - سورة البقرة الاية: 47

(3) - سورة البقرة الاية: 135

(4) - سورة البقرة الاية: 124

(5) - سورة البقرة الاية: 134

وقد ذكر الفخر الرازي سبب ذكر قصة إبراهيم وفائدتها في محاوراة أهل الكتاب وغيرهم بقوله: "والحكمة فيه أن إبراهيم عليه السلام شخص يعترف بفضل جميع الطوائف والملل، فالمشركون كانوا معترفين بفضل متشرفين بأنهم من أولاده ومن ساكني حرمة وخادمي بيته، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا أيضا مقرين بفضل متشرفين بأنهم من أولاده، فحكى الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم عليه السلام أمورا توجب على المشركين وعلى اليهود والنصارى قبول قول محمد ﷺ والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه، وبيانه من وجوه:

أحدها: أنه تعالى لما أمره ببعض التكاليف فلما وفي بها وخرج عن عهدها لا جرم نال النبوة والإمامة، وهذا مما ينبه اليهود والنصارى والمشركين على أن الخير لا يحصل في الدنيا والآخرة إلا بترك التمرد والعناد، والانقياد لحكم الله تعالى وتكاليفه.

ثانها: أنه تعالى حكى عنه أنه طلب الإمامة لأولاده فقال الله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فدل ذلك على أن منصب الإمامة والرياسة في الدين لا يصل إلى الظالمين، فهؤلاء متى أرادوا وجدان هذا المنصب وجب عليهم ترك اللجاج والتعصب للباطل.

ثالثها: أن الحج من خصائص دين محمد ﷺ فحكى الله تعالى ذلك عن إبراهيم ليكون ذلك كالحجة على اليهود والنصارى في وجوب الانقياد لذلك.

رابعها: أن القبلة لما حولت إلى الكعبة شق ذلك على اليهود والنصارى فبين الله تعالى أن هذا البيت قبلة إبراهيم الذي يعترفون بفضلهم ووجوب الاقتداء به، فكان ذلك مما يوجب زوال ذلك الغضب عن قلوبهم." (1)

ومنها أن إبراهيم عليه السلام دعا بخروج النبي ﷺ ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ (2) ثم قال بعدها: ﴿وَمَنْ يَرْكَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ (3) فلا حجة لهم بترك متابعتة.

(1) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب. الامام محمد فخر الدين الرازي 46/4. ط الاولى 1401هـ/1981م. دار الفكر للطباعة والنشر.

(2) سورة البقرة الآية:129.

(3) سورة البقرة الآية:130.

ومنها بيان الله أن إبراهيم الذي يستشرفون بالنسبة إليه كان على الإسلام والتوحيد كما كانت وصيته لأبنائه ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ إِبْرَاهِيمَ الْقَدِيمَ النَّبِيَّ لِلْعَالَمِينَ﴾ (1)، يقول سيد قطب بعد هذه القصة: "في ظل البيان التاريخي الحاسم لقصة العهد مع إبراهيم وقصة البيت الحرام كعبة المسلمين، ولحقيقة الوراثة وحقيقة الدين، يناقش ادعاءات أهل الكتاب المعاصرين، ويعرض لحججهم وجدلهم ومحالهم فيبدو هذا كله ضعيفا شاحبا كما يبدو فيه العنت والادعاء بلا دليل. كذلك تبدو العقيدة الإسلامية عقيدة طبيعية شاملة لا ينحرف عنها إلا المتعنتون" (2).

وهكذا فإن القصة في القرآن لها دورها البالغ في محاوراة أهل الكتاب كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصِّلُ لَكُمْ بَيْنَ إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، وَإِنَّهُ لَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (3) و قال تعالى مبينا فوائد القصص القرآني في نهاية قصة يوسف: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرُونَ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (4).

#### ■ ضرب الأمثلة:

وهو القياس، وأنواعه متعددة استخدمها القرآن في محاجة الخصم.

وفيما يلي عرض لبعض الأقيسة التي استخدمها القرآن في محاجة أهل الكتاب:

1- الأقيسة الإضمارية: وهي التي تحذف فيها إحدى المقدمات مع وجود ما ينبئ عن المحذوف أو هو ما ذكرت فيه مقدمة واحدة، قال الغزالي: "إن القرآن مبناه الحذف والإيجاز في الأقيسة" (5) ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (6) والقارئ لهذه الآية يفهم أن تقديرها إن كان الخلق من غير أب مسوغا لاتخاذ عيسى إليها أو ابنا لله، فإن آدم أولى من عيسى لأنه خلق من غير أب و لا أم، وهم لا يقولون بذلك بل لا أحد يقول به. وهذا

(1) سورة البقرة الآية: 132.

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي 117/1 ط الأولى دت، دار الشروق

(3) سورة النمل الآية: 76\_77

(4) سورة يوسف الآية: 111

(5) مناهج الجدل في القرآن الكريم. زاهد عواض الأملعي ص: 77 ط الثالثة 1404هـ

(6) سورة آل عمران الآية: 59

النوع من الحذف يعطي الدليل فصاحة وبيانا، قال شارح الطحاوية: "إن الطريقة الفصيحة في البيان أن تحذف إحدى المقدمات وهي طريقة القرآن"<sup>(1)</sup>.

2- قياس الأولى و هو قياس الأشبه،<sup>(2)</sup> وهو أن تكون العلة في الفرع أولى بالحكم منها في الأصل، والآية السابقة استفاد منها العلماء واستخدموا فيها هذا النوع من القياس وتقديرها، أي أنهم إذا اتخذوا عيسى إلهاً لأنه خلق من غير أب فأدم أولى لأنه خلق من غير أب ولا أم، وقد استخدم أبو الوليد الباجي هذا الأسلوب -بطريقة أخرى- في رسالته لراهب فرنسا حيث يقول: "وإن الله خلق عيسى عليه السلام من غير أب كما خلق آدم عليه السلام من تراب، وقد حملت بعيسى أم، ولم تحمل بآدم أنثى ولا ذكر، فإذا لم يكن آدم إلهاً و هو الأب الأول -بل هو مخلوق- فعيسى أولى أن لا يكون إلهاً و هو من ذرية آدم و ولده"<sup>(3)</sup>.

يقول سيد قطب معلقاً على هذا الدليل: "إن ولادة عيسى عجيبة بالقياس إلى مألوف البشر ولكن أية غرابة حين تقاس إلى خلق آدم أبي البشر، وأهل الكتاب الذين كانوا يناظرون ويجادلون حول عيسى -بسبب مولده- ويصوغون حوله الأوهام والأساطير بسبب أنه نشأ من غير أب .. أهل الكتاب هؤلاء كانوا يقرون بنشأة آدم من التراب؛ وأن النفخة من روح الله هي التي جعلت منه هذا الكائن الإنساني دون أن يصوغوا حول آدم الأساطير التي صاغوها حول عيسى"<sup>(4)</sup>.

3- قياس الشبه وقد استخدمه القرآن في بيان مشابهاة أهل الكتاب للمشركين عبدة الأوثان، مع علمهم بفساد طريقة المشركين، وقد ذكر الله مشابهاتهم لهم في نسبة الولد لله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزْرُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ خَلَقُوا قَوْلَهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الْكَاذِبِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَاتْلُهُمْ اللَّهُ أَنْزِلُ يَوْمَ كُونَ<sup>(5)</sup>﴾، كما ذكر مشابهاتهم لهم في كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وحقدهم عليه قال تعالى: ﴿مَّا يَوْمَ الْكَاذِبِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ

(1) - شرح العقيدة الطحاوية، علي بن أبي العز الحنفي ص: 23 المطبعة الاميرية القاهرة.

(2) - ينظر: الاحكام في اصول الاحكام 930/7 ابن حزم. نشر زكريا علي يوسف - القاهرة- د.ت.

(3) - رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين و جواب القاضي ابي الوليد الباجي 66.

(4) - في ظلال القرآن. سيد قطب 101/1.

(5) - سورة التوبة: 30.

يُنزَلُ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصِرُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَوُّ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ<sup>(1)</sup>، قال سيد قطب: "ويجمع القرآن بين أهل الكتاب والمشركين في الكفر وكلاهما كافر بالرسالة الأخير، فهما على قدم سواء من هذه الناحية، وكلاهما يضمم للمؤمنين الحقد والضغن ولا يود لهم الخير"<sup>(2)</sup>.

هذا التشابه بينهم وبين المشركين مادة خصبة لكثير من المحاورين المسلمين، فهذا نصر بن يحيى<sup>(3)</sup> يبين تشابه عقيدة النصارى مع الوثنيين في كتاباته للنصارى ومنها: "ثم إنكم تتخذون الصليب وتضعون في قبلكم الصور" ويقول: "وما رأينا أعجب من حال من يقف قدام ما عمله الأيدي ويسأله قضاء الحوائج".. ويسوق الأدلة على هذا التشابه ويختمه بقوله: "ومع هذا تجحدون أنكم عباد الأوثان والأصنام"<sup>(4)</sup>.

#### ■ الوعظ والتذكير:

الوعظ هو الكلام الذي تلين له القلوب، وأعظم ما تلين له قلوب العقلاء أوامر ربهم ونواهيهم، فإنهم إذا سمعوا الأمر خافوا من سخط الله في عدم اجتنابه، وطمعوا فيما عنده من الثواب في اجتنابه، فحداهم حادي الخوف والطمع إلى الإمثال، فلانت قلوبهم للطاعة خوفا وطمعا.<sup>(5)</sup>

إن أهل الكتاب لا تنقصهم الحقائق كما لا يخفى عليهم الهدى، وإنما ينقصهم التجاوز عن غيهم وجحودهم للإقرار والإيمان، لذا نجد القرآن الكريم يعظهم ويذكرهم ليردهم إلى الحق، ولكي لا يبقى لديهم حجة أو عذر.

(1) سورة البقرة: الآية 105.

(2) في ظلال القرآن الكريم. سيد قطب 1/101.

(3) هو نصر بن يحيى بن عيسى بن سعيد المتطرب من أهل البصرة كان اديبا وشاعرا عارفا بالطب هداه الله من النصرانية إلى الاسلام ت589. النصيحة الايمانية في فضيحة الملة النصرانية ص: 17 تقديم وتحقيق محمد عبد الله الشرقاوي دار الصحوة للنشر \_ القاهرة 1406\_ م1986

(4) المصدر نفسه ص: 74\_75

(5) ينظر: اضاء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق مكتب البحوث والدرسات. 431/2. ط 1415هـ\_1995م. دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت

فتارة يذكرهم بنعم الله عليهم والتي من الواجب أن تقابل بالشكر والإيمان لا بالكفر والجحود، فيسرد النعم التي أنعم الله على بني إسرائيل - في آيات كثيرة يطول سردها- ابتداء بتفضيلهم على العالمين ومرورا بإنجائهم من آل فرعون وإغراق آل فرعون وعفو الله عنهم بعد اتخاذهم العجل، وإحيائهم بعد موتهم، وتظليل الله عليهم الغمام وإنزال المن والسلوى، وتفجير الأرض اثنتا عشرة عينا... إلى آخر تلك النعم.

وسأذكر مثالا على ذلك وهو قوله تعالى: ﴿بَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ، وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾<sup>(1)</sup>.

وتارة أخرى يذكرهم بعاقبة الكفر والعصيان بضرب أمثلة لمن عصى أو كفر منهم، وكيف كانت عاقبته؟ كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الْكَيْنَ اجْتَنَبُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ، فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيَّنَّا يَدِيهَا وَمَا خَلَقْنَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(2)</sup> وكقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْكَيْنَ أَوْفُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَضْمِسَ وُجُوهَآ فَنَرَكَهَا عَلَىٰ أَعْبَارِهَا، أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾<sup>(3)</sup> وكقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِأَخْلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَاكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِصَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَصَالِيكُمُ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ، فَبَدَّلَ الْكَيْنَ ضَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَىٰ الْكَيْنَ ضَلَمُوا رِجَالًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾<sup>(4)</sup> ويقول تعالى عن بعض بني إسرائيل: ﴿وَضَرَبْنَا عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ عَلَيَا بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ عَلَيَا بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾<sup>(5)</sup>.

وتارة يذكرهم بيوم القيامة وبشدة عذاب الله للعصاة، ليكون ذلك رادعا لهم عن عصيانهم وكفرهم بمحمد ﷺ. ومن ذلك قوله تعالى مخاطبا بني إسرائيل: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا

(1) - سورة البقرة: 40

(2) - سورة البقرة: 65

(3) - سورة النساء: 40

(4) - سورة البقرة: 58

(5) - سورة البقرة: 61

وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ<sup>(1)</sup>. ويقول تعالى: ﴿سَلِّ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبدَلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(2)</sup> ويقول تعالى في سياق محاوراة أهل الكتاب: ﴿إِنَّ الْكُفْرَانَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الْكُفْرَانَ يَأْمُرُونَ بِالْفِسْقِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، أُولَئِكَ الْكُفْرَانَ حَبِصَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾<sup>(3)</sup> ويقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الْكُفْرَانُ قَالَوا إِنْ اللَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلضَّالِّينَ مِنْ أَنْصَارٍ لَقَدْ كَفَرَ الْكُفْرَانُ قَالَوا إِنْ اللَّهُ ثَلَاثَةٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الْكُفْرَانُ مِنْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(4)</sup> ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الْكُفْرَانَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُصُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(5)</sup> وقد نزلت هذه الآية في اليهود المعاصرين للنبي ﷺ، قال ابن عباس: "نزلت هذه الآية في رؤساء اليهود: كعب بن الأشرف وكعب بن أسد ومالك بن الصيف وحيي بن أخطب وأبي ياسر بن أخطب، كانوا يأخذون من أتباعهم الهدايا، فلما بعث محمد عليه السلام خافوا انقطاع تلك المنافع فكتموا أمر محمد عليه السلام وأمر شرائعه"<sup>(6)</sup>.

وقد كان النبي ﷺ يحاور أهل الكتاب بهذه الآيات وأمثالها، وعلى هذا المنوال صار علماء الأندلس، يستخدمون هذا الأسلوب في محاوراة أهل الكتاب، ومن ذلك تذكير الباجي لأحد الرهبان بقوله: "وأمر الدنيا وشأنها انفر وانزر من أن يغتر بها ذو عقل أو يسكن إلى غرورها ذولب"<sup>(7)</sup>.

(1) سورة البقرة: 48

(2) سورة البقرة: 211

(3) سورة آل عمران: 21

(4) سورة المائدة: 72

(5) سورة البقرة: 174

(6) التفسير الكبير. الرازي 25/5

(7) رسالة راهب فرنسا، الباجي ص: 69

## سادسا: الاستدلال باستحالة ما يدعونه عقلا:

يناقش القرآن الكريم أهل الكتاب مناقشة عقلية، ويثبت لهم أن بعض ما يدعونه محال عقلا، أو يلزم منه أمر لم يقع.

فمن ذلك نسبتهم الولد لله، فبيّن الله عز وجل امتناع ذلك عقلا كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونَ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِنَّا قَصُورٌ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(1)</sup> ولم يزد الرب عز وجل عن تسبيح نفسه، وإخباره بأنه مبدع السماوات والأرض، مع كمال قدرته المنافية لاتخاذهم الولد لله وهذا مما علم بالفطرة.

كما أن الإله مستغن عن غيره ضرورة، والمسيح لم يكن كذلك كما قال تعالى: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الصَّغَامَ انصُرْ كَيْفَا نُبَيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انصُرْ أَنَّهُ يُؤْفِكُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

كما أن نسبة الابن لله يلزم منه أمرا لم يقع فيعلم بطلانه عقلا، وهو مستحيل في حقه، قال تعالى: ﴿مَّا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَآتَى كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَمٌ لِّبَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾<sup>(3)</sup> "والمعنى ليس مع الله من إله ولو سلم أن معه سبحانه إلهما للزم من ذلك التسليم ذهاب كل إله من الاثنين بما خلق، وعلو أحدهما على الآخر، فلا يتم في العالم أمر، ولا ينفذ فيه حكم، ولا تنتظم أحواله، والواقع خلاف ذلك، ففرض إلهين فأكثر محال لما يلزم منه من المحال"<sup>(4)</sup>.

ومن ذلك قول النصارى: الله ثالث ثلاثة، المخالف للفطرة البشرية والذي يحيله العقل لذا لم يزد الرب عز وجل عن إنكار قولهم مع بيان أن التوحيد هو الأصل، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ

(1) سورة البقرة: 116

(2) سورة المائدة: 75

(3) سورة المؤمنون: 91

(4) - مناهج الجدل، زاهر عواض الأملعي 75\_76. مطابع الفرزدق - الرياض. د.ت

الْكَيْنَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ<sup>(1)</sup> وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ<sup>(2)</sup> .

ومن ذلك وصف اليهود الرب بصفات النقص، وهذا مما يحيله العقل فطرة فلا يحتاج إلا إلى الإنكار، كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الْكَيْنِ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَعِيرٌ وَنَحْرٌ أَغْنِيَاءُ سَتَكُنَّ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ عَادٍ الْخَرَابِ<sup>(3)</sup> وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَرَّيَا لَهُ مَبْسُوتَتَانِ يَنْفَعُ كَيْفَ يَشَاءُ<sup>(4)</sup> .

ومن ذلك عبادتهم للملائكة والنبيين، وزعم النصارى أن عيسى دعا إلى نفسه، فبين الله استحالة ذلك كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ، وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ<sup>(5)</sup> .

وهكذا يهدم القرآن دعاوى أهل الكتاب بنظرة عقلية تجعل لمن له مسكة عقل أن يتراجع عن قوله الذي يحيله العقل والفطرة.

وقد استخدم هذا الأسلوب كثير من المحاورين المسلمين، ومنهم على سبيل المثال:

■ ابن حزم الأندلسي، وقد ساق أقوال من قال أن الفاعل أكثر من واحد، وساق أقوال النصارى بفرقهم المختلفة والتي فيها من الشرك بأنواعه، ثم قال: "ولولا أن الله وصف قولهم في كتابه إذ يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الْكَيْنَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ<sup>(6)</sup> وإذ يقول تعالى حاكيا عنهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ<sup>(7)</sup> . وإذ يقول تعالى: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيِّ الْقَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ<sup>(1)</sup> لما انطلق

(1) سورة المائدة: 73

(2) سورة النساء: 171

(3) سورة آل عمران: 74

(4) سورة المائدة: 64

(5) سورة آل عمران: 80\_79

(6) سورة المائدة: 17

(7) سورة المائدة: 73

لسان مؤمن بحكاية هذا القول العظيم الشنيع، السمج السخيف، وتالله لولا أننا شاهدنا النصراري ما صدقنا أن في العالم عقلا يسع هذا الجنون، ونعوذ بالله من الخذلان"<sup>(2)</sup>.

■ و أبو الوليد الباجي في بيانه أن عيسى ليس إله يقول لأحد الرهبان: "بل هو بشر مخلوق لا يعدو عن دلائل الحدوث من الحركة و السكون، والزوال والانتقال، والتغير من حال إلى حال، وأكل الطعام، والموت الذي كتب على جميع الأنام، مما لا يصح على إله قديم"<sup>(3)</sup>.

سابعاً: إثبات أن دعواهم خالية من الحجة والبرهان وتحتاج إلى تصحيح:

وذلك أن كثيراً من دعاوى أهل الكتاب تنقصها الحجة والبرهان، فيطالبهم الله عز وجل ببرهان دعواهم، وهم لا يملكون على ما يدعون حجة ولا برهاناً وإنما أماني وتخرض، فتسقط دعواهم من غير رد لها ومن ذلك دعواهم: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارًا تِلْكَ أَمَانِيُّكُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(4)</sup>.

ومثل ما حكاه الله عنهم: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارًا قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ اللَّهُ﴾<sup>(5)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِرْعَانَ إِذْ جَاءَكُمْ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُعْمَلُونَ، هَا أَنْتُمْ قَوْلَاءٌ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(6)</sup>.

(1) سورة المائدة: 116

(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابو محمد علي بن حزم، 1/111-112 تحقيق محمد ابراهيم وعبد الرحمان عميرة، مكتبات عكاظ \_ جدة \_ دت.

(3) رسالة راهب فرنسا، الباجي ص: 65

(4) سورة البقرة: 111

(5) سورة البقرة: 140

(6) سورة آل عمران: 65\_66

قال سيد قطب: "فإبراهيم سابق على التوراة، وسابق على الإنجيل، فكيف إذن يكون يهوديا؟ أو كيف يكون نصرانيا؟ إنها دعوى مخالفة للقل تبدو مخالفتها بمجرد النظرة الأولى للتاريخ"<sup>(1)</sup>.

ومن ذلك دعواهم: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُومَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

قال ابن القيم: "فهذا مطالبة لهم بتصحيح دعواهم وتردد هذه المطالبة بين أمرين لا بد من واحد منهما، وقد تعين بطلان أحدهما فلزم ثبوت الآخر. فإن قولهم: لن تمسنا النار إلا أياما معدودة، خبر عن غيب لا يعلم إلا بالوحي فيما أن يكون قولاً على الله بلا علم فيكون كذبا، وإما أن يكون مستندا إلى وحي من الله و عهد عهده إلى المخبر و هذا منتف قطعاً، فتعين أن يكون خبراً كاذباً، قائله كاذب على الله"<sup>(3)</sup>.

ومن ذلك: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الضُّرِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾<sup>(4)</sup>.

وهذا النوع من إبطال دعاويهم المجردة من الدليل واضح كل الوضوح، وقد سلكه علماء الإسلام في حوارهم مع أهل الكتاب، فهذا ابن تيمية يرد على دعوى النصراني بأن قرابينهم صحيحة، ويستشهد على ذلك بقول إشعيا فيرد ابن تيمية بمطالته بإثبات: أولاً: نبوة إشعيا ثانياً: صحة كلامه عنه ثالثاً: صحة الترجمة لأن أولئك الأنبياء لم يتكلموا بالعربية، بل ولا بالرومية والسريانية واليونانية، وإنما تكلموا بالعبرية رابعاً: إثبات أن هذا القول ينطبق على قرابينهم في هذا الزمان فلم يحتج عليهم إلا بطلب برهان الدعوى.

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب 1/411

(2) سورة البقرة: 80

(3) بدائع الفوائد: محمد بن ابي بكر بن القيم 143/4 دار الكتب العربي - بيروت. د.ت

(4) سورة النساء، الآية: 157

## المطلب الثاني: موضوعات الحوار في القرآن الكريم

إن المتأمل في القرآن الكريم يستكنه منه أسلوباً لا يكاد يغيب عن آياته و موضوعاته، وهو أسلوب الحوار.

والقرآن بوصفه كتاب موجه للبشرية جمعاء باختلاف مستوياتهم ومراكزهم، تنوعت مواضعه؛ بناء على هذا الأساس، "...إلا ان هذا التنوع يتمركز على فكرة الرسالة ودعوة الناس إليها، فهو حين يحدثنا عن الصالحين يحدثنا عن قريهم من الرسالة ووظيفتهم في بيان حقيقتها، وحين يحدثنا عن المفسدين يحدثنا عن بعدهم عنها ويقف بنا على أسباب ذلك البعد".<sup>(1)</sup>

فالقرآن حين يسوق لنا النماذج الحوارية يقف بنا على معالم الرسالة وغاياتها، والمتأمل أكثر يجد أن حضور الحوار في أسلوب القرآن كان يتمشى مع مراحل الدعوة التي مرت بها الرسالة.

فالدعوة أول ما بدأت كانت سرية، وهذا يعني أن فرصة التلاقي بين أصحاب الرسالة وغيرهم قليلة، ولهذا نلمس أن عنصر الحوار في النازل من النصوص إبان هذه الفترة يكاد يكون معدوماً، حيث القصص الذي كان يتنزل في هذه الفترة كان في أغلبه سرداً لأحداث القصة، كما نلمس في سورة الفجر، قال تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربنا بعلاء\* إرم إذ أتت العملاء\* التي لم يخلق مثلها في البلاد\*﴾<sup>(2)</sup>

ثم كان التدرج شيئاً فشيئاً، حتى صرنا نلمس حضور الحوار مع انصداع الدعوة والإجهار بها.

(1) \_المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، ص: 3، العدد: 2، 1427هـ/2006م

(2) \_سورة الفجر، الايتان: 6\_7

ومن أبرز مواضع القرآن نجد:

● الدعوة إلى التوحيد:

من أول مجالات الدعوة في القرآن الكريم وابرز المواضع التي خاطب الله بها خلقه وعباده دعوته إلى الإيمان بالله تعالى وحده، وإخلاص العبادة و التوحيد له سبحانه ونبذ الكفر والشرك، والإعراض عن الخرافات والانجراف عن العقيدة الصحيحة بكل الأشكال والصُّور المخالفة للعقل والفطرة الأولى التي فطر الله الناس عليها، ألا وهي فطرة التوحيد والإيمان بالله: ﴿فَصَرَفَ اللَّهُ التَّيْمَةَ فَصَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾<sup>(1)</sup>.

قد أخذ هذا الموضوع حيزا كبيرا من نصوص القرآن، مع تعدد طرق طرحه، فتارة يكون بالدعوة إلى توحيد الله وبيان أهميته، وتارة يكون بالنهي والجزع عن الشرك والإلحاد، وأحيانا يكون حول إثبات وجود الخالق ووحدانيتته، او في ربوبيته وألوهيته في سياق محاوراة أهل الكتاب منها قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ حَنِيفًا مَسْلَمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(2)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجِدُ أُمَّةَ أَحَدًا إِلَّا سَلَّمَتْهُ لِرَبِّهِمْ أَحْسَنُ الْإِسْلَامِ الَّذِي كَفَرُوا مِنْهُمْ وَقَوْلُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ الْبُكْرَ وَالنَّهْثَ وَالْهَمَّ وَالْحَمَّ وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(3)</sup> وكقوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَحْبُدُ إِلَهَكَ وَالْهَؤُلَاءِ آبَاءُكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(4)</sup><sup>(5)</sup>.

وكقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُتُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ. وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَهُمْ عَلَى الدِّينِ الْقِيَمَةَ﴾<sup>(6)</sup>

(1) \_ سورة الروم، الآية. 30.

(2) \_ سورة آل عمران: 67.

(3) \_ سورة العنكبوت، الآية: 46.

(4) \_ سورة البقرة: 133.

(5) \_ ينظر: الحوار مع أهل الكتاب، أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، خالد عبد الله القاسم، ص: 163، ط1، دار المسلم للنشر والتوزيع،

1414هـ، الرياض

(6) \_ سورة البينة: 4\_5.

وتارة يبين لهم عاقبة الشرك كقوله تعالى: "محاورا أهل الكتاب : ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما حون غلا لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما﴾<sup>(1)</sup> وكقوله تعالى للنصارى: ﴿وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للضالمين من أنصار﴾<sup>(2)</sup>

وتارة "يدعوهم إلى التوحيد وينهاهم عن اتخاذ المخلوقين أربابا حتى لو كانوا ملائكة وأنبياء، كقوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من حون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾<sup>(3)</sup> (4)

وتارة "ينكر عليهم نسبة الولد لله ويبين لهم أن ذلك من الشرك كقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ غَلَا قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الْكَاذِبِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾<sup>(5)</sup> وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾<sup>(6)</sup> كما ينكر على النصارى عقيدة التثليث ﴿قَدْ كَفَرَ الْكَاذِبِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الْكَاذِبِينَ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(7)</sup> وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ وَكَيْدًا﴾<sup>(8)</sup> (9)

• دعوتهم إلى الإيمان بمحمد ﷺ، وبالكتاب الذي أنزل إليه، وبالدين الذي جاء به، وهو دين الإسلام، ويحذرهم من الذود عنه خاصة وقد ذكر في كتبهم كتبهم و علموا أنه رسول من عند

(1) \_ سورة النساء: 48

(2) \_ سورة المائدة: 72

(3) \_ سورة آل عمران: 74

(4) \_ الحوار مع أهل الكتاب، أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، خالد عبد الله القاسم، ص: 163.

(5) \_ سورة التوبة: 30

(6) \_ سورة البقرة: 117

(7) \_ سورة المائدة: 73

(8) \_ سورة النساء، الآية: 171

(9) \_ الحوار مع أهل الكتاب، أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، خالد عبد الله القاسم، ص: 164.

الله. كقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عُلْمَ فَتْرَةٍ مِنَ الرَّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(1)</sup> وكقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾<sup>(2)</sup> وكقوله تعالى ذاما أهل الكتاب على تفريقهم بين الأنبياء، وكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الْكٰفِرِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللّٰهِ وَرَسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِرُ بِبَعْضِ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ غَيْلٍ وَسَبِيلٍ، أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾<sup>(3)</sup> وكقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْكٰفِرُونَ أُوثُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنزِّلَ الْفُرْقَانَ فَرَغُوا عَنِ الْكٰفِرَاتِ أَوْ نَبِّئَهُنَّ كَمَا نَبَّيْنَاهُنَّ لَمَّا كُنَّ فِي ظُلُمٍ أَمَّا جَبَلٍ أُوثُوا الْكِتَابَ وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَأَ فَرِيقٌ مِّنَ الْكٰفِرِينَ أُوثُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللّٰهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(5)</sup> <sup>(6)</sup> وكقوله تعالى محاورا أهل الكتاب: ﴿أَفَغَيَّرَ كٰفِرِينَ اللّٰهُ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ صَوًّا وَكَرَهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾<sup>(7)</sup>. وكقوله تعالى في سياق محاورتهم: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ لَمِنَّا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخٰسِرِينَ﴾<sup>(8)</sup> وقال تعالى واصفا معرفتهم بالحق الذي جاء به: ﴿الْكٰفِرِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(9)</sup> وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرٰئِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللّٰهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنٰتِ قَالُوا هٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾<sup>(10)</sup> وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ الْكٰفِرِينَ أُوثُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾<sup>(11)</sup>

(1) \_ سورة النساء. الآية: 19

(2) \_ سورة المائدة. الآية: 15

(3) \_ سورة النساء، الآية: 150\_ 151

(4) \_ سورة النساء، الآية: 47

(5) \_ سورة البقرة، الآية: 101

(6) \_ ينظر: الحوار مع أهل الكتاب، أسسه ومناهجه في الكتاب واللسنة، خالد عبد الله القاسم، ص: 166

(7) \_ سورة آل عمران، الآية: 83

(8) \_ سورة آل عمران، الآية: 85

(9) \_ سورة البقرة، الآية: 146

(10) \_ سورة الصف، الآية: 6

(11) \_ سورة البقرة، الآية: 144

■ بيان تحريفهم لكتبهم ، وطمسا لحقائق التوحيد والبشارة بمحمد ﷺ، "وقد ذكر القرآن أن الكتب السابقة وقع فيها جميع أنواع التحريف وهي التبديل والزيادة والنقص"<sup>(1)</sup>، ومن بين الآيات التي تناولت الموضوع قوله تعالى: ﴿مَنْ الْكَاذِبُ هَذَا أَوْ يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لَبِئْسَ لِسَانُنَا فِي الدِّيرِ﴾<sup>(2)</sup>.

ويقول تعالى: ﴿أَفَتَضْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(3)</sup> ويقول تعالى: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ بِهَا لَكُمْ رِيبٌ قَوْلٌ لِّكُلِّ آلِهَةٍ مِّمَّا كَتَبَتْ لِهُمْ مِّمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾<sup>(4)</sup> ويقول تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾<sup>(5)</sup> ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُصُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(6)</sup> ويقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾<sup>(7)</sup>. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(8)</sup>.

■ الرد على شبهاتهم و ادعاءاتهم و افتراءاتهم: تنوعت الشبهات التي تصدى لها القرآن الكريم، وهي رغم تنوعها لا تخرج جميعها عن الهدف الرئيسي بل والوحيد الذي تثار من أجله ألا وهو الصد عن الحق وأهله، فهناك الشبهات المتعلقة بوحدانية الله وأسمائه

(1) الحوار مع أهل الكتاب، أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، خالد عبد الله القاسم، ص: 166.

(2) سورة النساء، الآية: 46

(3) سورة البقرة، الآية: 75

(4) سورة البقرة، الآية: 79

(5) سورة المائدة، الآية: 15

(6) سورة البقرة، الآية: 174

(7) سورة آل عمران، الآية: 187

(8) سورة البقرة، الآية: 146

الحسنى وصفاته العلى والشبهات المتعلقة بدين الله وأحكامه والشبهات المتعلقة بالدعاة إلى الله من الأنبياء والرسل وأتباعهم وأخرى تتعلق بالبعث واليوم الآخر.<sup>(1)</sup>

لقد فند القرآن شبه أهل الكتاب التي اثاروها، كما رد على ادعاءاتهم وافتراءاتهم الباطلة، حتى يتضح الحق، ومن ذلك:

1- دعوى اتخاذ الله ولدا: يدعي بعض اليهود والنصارى أن لله تعالى ولدا؛ قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزْرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ خَلَا قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الْكَاذِبِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾<sup>(2)</sup>، فبزعمهم هذا يريدون "إضفاء روح القداسة والألوهية على أنبيائهم".<sup>(3)</sup> فهذا لا يليق في حقه سبحانه، وقد قال تعالى مفندا قولهم: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾<sup>(4)</sup>.

2- دعوى كل طائفة أنها المتفردة بالحق دون غيرها ولن يدخل الجنة سواهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُنُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَفْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(5)</sup> وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(6)(7)</sup>.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ إِلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾<sup>(8)</sup> وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُومَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا

(1) ينظر: منهج القرآن الكريم في التعامل مع الشبهات، ص: 218، سعيد عمر عبود بن دحيح، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية،

العدد 5 المجلد 9، يناير 2015م.

(2) سورة التوبة، الآية: 30.

(3) موسوعة بيان الإسلام، مجموعة من المؤلفين، ج 1، ص: 73، دت، دار النهضة مصر للنشر.

(4) سورة مريم، الآية: 92.

(5) سورة البقرة، الآية: 135.

(6) سورة البقرة، الآية: 111.

(7) الحوار مع أهل الكتاب، أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، خالد عبد الله القاسم، ص: 166.

(8) سورة البقرة، الآيتان: 94-95.

لَا تَعْلَمُونَ، بَلْ أَمَرَ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَصِيَّتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ<sup>(1)</sup>.

3- الزعم أن الله هو المسيح ابن مريم، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْنَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾<sup>(2)</sup>، وقد رد سبحانه عن هذا الموضوع على لسان نبيه عيسى بقوله: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلضَّالِّمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾<sup>(3)(4)</sup>.

3- دعواهم أنهم أبناء الله وأولياؤه كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾<sup>(5)</sup>. وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَاجَرُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ خَوْنِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ إِلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالضَّالِّمِينَ﴾<sup>(6)(7)</sup>.

4- افتراؤهم على الله بقولهم إنه فقير، وإن يده مغلولة تعالى الله عما يقولون. و زعمهم بأنهم أغنياء، كما قال تعالى عنهم: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ عَوْفُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾<sup>(8)</sup>. وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَارْتَبَعُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ صُغَيْلًا وَكُفْرًا﴾<sup>(9)(10)</sup>.

5- زعمهم بأن الله عهد إليهم أن لا يؤمنوا لرسول حتى يأتيهم بقربان تأكله النار، وهذا من تعجيزاتهم ومبرراتهم لعدم الأيمان بمحمد ﷺ، وقد ذكر الله ذلك عنهم: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَاهِدَ

(1) سورة البقرة، الآيتان: 80-81

(2) سورة التوبة، الآية: 30

(3) سورة المائدة، الآية: 72

(4) ينظر: موسوعة بيان الإسلام، مجموعة من المؤلفين، ج 1، ص: 97.

(5) سورة المائدة، الآية: 18

(6) سورة الجمعة، الآيتان: 6-7

(7) ينظر: الحوار مع أهل الكتاب، أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، خالد عبد الله القاسم، ص: 167.

(8) سورة آل عمران، الآية: 181

(9) سورة المائدة، الآية: 64

(10) ينظر: الحوار مع أهل الكتاب، أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، خالد عبد الله القاسم، ص: 167.

إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ نَأْكُلُهُ النَّارُ قَدْ جَاءَ كُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالذِّكْرِ فَلْتَمَرْتُمْ فَلَمَّ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِهِ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١﴾.

6- "طلبهم من محمد ﷺ الإتيان بمثل ما جاء به موسى، وأن عدم إتيانه بذلك هو المانع من إيمانهم"<sup>(2)</sup>، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أُولَٰئِكَ لَا يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلِ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ، قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(3)</sup>.

7- زعم اليهود بأن المانع من إيمانهم هو أن الملك الذي يأتي بالوحي هو جبريل و هو عدوهم<sup>(4)</sup>، فأنزل الله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيْنَا قَلْبًا بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرًا لِلْمُؤْمِنِينَ، مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾<sup>(5)</sup>.

8- "زعمهم أن المانع من إيمانهم هو أن القرآن يحلل من الأطعمة ما حرم على بني إسرائيل كلحوم الإبل و ألبانها، فكيف يكون مصدقا للتوراة فأنزل الله: ﴿كُلِّ الصَّعَامِ كَانَ حَلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَمَنْ أَفْتَرَا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ حَقِّهِ قُلْ فَلَوْلَئِذَا هُمُ الضَّالُّونَ﴾"<sup>(6)</sup><sup>(7)</sup>.

9- تعجيزهم للنبي ﷺ بطلب الآيات فقد سأله أن ينزل كتابا من السماء ليؤمنوا،<sup>(8)</sup> كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أُرِنَا

(1) سورة آل عمران، الآيتان: 183\_184

(2) الحوار مع أهل الكتاب، أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، خالد عبد الله القاسم، ص: 167.

(3) سورة القصص، الآيتان: 48\_49

(4) الحوار مع أهل الكتاب، أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، خالد عبد الله القاسم، ص: 167.

(5) سورة البقرة، الآيتان: 97\_98

(6) سورة آل عمران، الآيتان: 93\_94

(7) الحوار مع أهل الكتاب، أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، خالد عبد الله القاسم، ص: 167.

(8) منهج القرآن الكريم في التعامل مع الشبهات، ص: 219، سعيد عمر عبود بن دباح، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية،

العدد 5 المجلد 9، يناير 2015م\_بتصرف\_

اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ أَخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَقَوْنَا عَنْ عِجْلِهَا  
وَأَثَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١﴾.

10- تشكيك اليهود بصحة الرسالة بسبب ترك قبلتهم وهي بيت المقدس إلى البيت الحرام، ومحاولتهم استغلال ذلك لفتنة المؤمنين عن دينهم، فأُنزل الله آيات عديدة في الرد عليهم منها قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنِ قِبَلَتِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢﴾.

وكان اليهود يعترضون على نسخ القبلة لأنهم لا يرون النسخ أصلا فرد الله عليهم: ﴿مَا نُنسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِي بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣﴾.

مما تجدر الإشارة إليه بأنه إذا كان من منهج القرآن رد الشبهة وتفنيدها وأن للقرآن أساليبه في تناول هذه الشبهات فإن هذا يوجب على أهل القرآن وأهل العلم ان تلزم تلك المنهجية والتصدي لرد الشبهات التي توجه للحق وأهله هذا من جهة ومن جهة أخرى وجوب الإستفادة من منهجية القرآن الكريم في التعامل مع الشبهات وإعطاء كل شبهة حجمها وتخير الوسائل والمسالك المناسبة لردّها وتفنيدها.

إن حملات التشويه والتشكيك الموجهة للإسلام والتي سجلها القرآن، شنت مثلها إبان وجود المسلمين في الأندلس، وما زالت تشن من قبل تيارات شتى وكما هو مقرر أن ذلك معهود في تاريخ الرسائل والدعوات، وهي معركة لم تضع أوزارها ولم يهدأ أوارها بعد، بل هي في اشتداد وأساليب وطرائقها إلى ازدياد ونطاق تأثيرها وتطاير شررها في امتداد، وقد تجلّى لنا من خلال البحث أن القرآن كان حاضرا وبكل قوة في هذه المعركة في الصدر الأول، يقول سيد قطب: "القرآن كان دائما في المعركة، سواء تلك المعركة الناشئة في القلوب بين تصورات الجاهلية وتصورات الإسلام؛ والمعركة الناشئة في الجو الخارجي بين الجماعة المسلمة وأعدائها الذين يترصدون بها من كل جانب.

(1) سورة النساء، الآية: 153

(2) سورة البقرة، الآية: 142

(3) سورة البقرة، الآية: 106

هذه المعركة كتلك ما تزال قائمة؛ فالنفس البشرية هي النفس البشرية وأعداء الأمة المسلمة هم أعداؤها، والقرآن حاضر و لا نجاة للنفس البشرية ولا للأمة المسلمة إلا بإدخال هذا القرآن في المعركة، ليخوضها حياة كاملة كما خاصها أول مرة، وما لم يستيقن المسلمون من هذه الحقيقة فلا فلاح لهم ولا نجاح.

وأقل ما تنشئه هذه الحقيقة في النفس أن تقبل على هذا القرآن بهذا الفهم و هذا الإدراك وهذا التصور، أن تواجهه وهو يتحرك ويعمل وينشئ التصور الجديد، ويقاوم تصورات الجاهلية، ويدفع عن هذه الأمة، ويقمها العثرات، لا كما يواجهه الناس اليوم نغمات حلوة ترتل، وكلاما جميلا يتلى، وينتهي الأمر، إنه لأمر غير هذا نزل الله القرآن، لقد نزله لينشئ حياة كاملة، ويحركها، ويقودها إلى شاطئ الأمان بين الأشواك والعثرات، ومشتقات الطريق؛ التي تتناثر فيها الشهوات كما تتناثر فيها العقبات"<sup>(1)</sup>.

ومن هذا كله نقول إن هذه الموضوعات الواردة في القرآن تشكل زادا للمحاور، يرجع إليها للتزود بمنهج رصين تمكنه من الوصول إلى الهدف الأسى من الحوار ألا وهو نشدان الحقو الانتصار له.

(1). في ظلال القرآن 180/1. سيد قطب

المبحث الخامس: أساليب الحوار في السنة النبوية وموضوعاتها

- المطلب الأول: أساليب الحوار في السنة النبوية
- المطلب الثاني: موضوعات الحوار في السنة النبوية

## المطلب الأول: أساليب الحوار في السنة النبوية

بعث الله تعالى النبي ﷺ ليبلغ عنه رسالته، ونشرها في الناس، وآتاه جوامع الكلم، فكان كلامه ﷺ فصلاً ظاهراً، ومنطقه بيّناً واضحاً، ما إن يقع على أذن مَنْ يجلس إليه شذرات منه، حتى يحفظه بمجرد سماعه؛ لأنه ﷺ كان يوجز المعاني الكثيرة في درر قليلة، ويختصر الكلام اختصاراً، في غير إخلال بالمعنى المراد، ولا تقصير في المقصود من وراء الكلام؛ لما لا وهو القائل "...أعطيت جوامع الكلم"<sup>(1)</sup> وقد جاء في الحديث "كان يحدث حديثاً لو عدّه العادُّ لأحصاه"<sup>(2)</sup>. ولربما يتلفظ المتكلم بكلمة لا يعقلها السامع من أول مرة؛ لذلك كان ﷺ يكرر الكلمة مراراً؛ ليعقلها السامع ويعيها. فالناظر في كلام النبي عليه السلام لا من جهة الصنعة اللغوية ولا البيانية، يجد "كلامه مسدد اللفظ محكم الوضع، جزل التركيب، متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات، فخم الجملة، واضح الصلة بين اللفظ ومعناه...ثم لا ترى فيه حرفاً مضطرباً، ولا لفظة مستدعاة أو مستكرهة عليه..."<sup>(3)</sup>. والسر في ذلك أنه يريد أن يبلغ، أو يريد أن يصل إلى سامعه، ولا يريد أن يقيم بينه وبين السامع حاجزاً من اللفظ الغريب، أو المعنى الغريب..."<sup>(4)</sup>.

ويقول الرافعي عن فصاحته: "أما فصاحته ﷺ فهي من السمات الذي لا يؤخذ فيه على حقه، ولا يتعلق بأسبابه متعلق، فإن العرب وإن هذبوا الكلام وحذفوه، وبالغوا في إحكامه وتجويده، إلا أن ذلك قد كان منهم عن نظر متقدم، وروية مقصودة، وكان عن تكلف يُستعان له بأسباب الإجادة التي تسمو إليها الفطرة اللغوية فيهم، فيشبهه أن يكون القول مصنوعاً، مقدراً على أنهم مع ذلك لا يسلمون من عيوب الاستكراه والزلل والاضطراب، ومن حذف في موضع إطناب، وإطناب في موضع حذف، ومن كلمة غيرها أليق، ومعنى غيره أريد، ثم هم في باب المعنى ليس لهم إلا حكمة التجربة، والأفضل ما يأخذ بعضهم عن بعض، قلَّ ذلك أو كثر. والمعاني هي التي تعمّر الكلام،

(1) - صحيح ابن حبان، رقم الحديث: 2313

(2) - صحيح ليخاري، رقم الحديث: 3567.

(3) - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي ص: 223 ط التاسعة 1393هـ 1973 دار الكتاب العربي بيروت - لبنان.

(4) - عبقرية محمد، عباس محمود العقاد ص: 68 د.ت مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة جمهورية مصر العربية

وتستتبع ألفاظه، وبحسبها يكون ماؤه ورونقه وعلى مقدارها، وعلى وجه تأديتها، يكون مقدار الرأي فيه، ووجه القطع به. بيد أن رسول الله ﷺ كان أفصح العرب، على أنه لا يتكلف القول، ولا يقصد إلى تزيينه، ولا يبغى إليه وسيلة من وسائل الصنعة، ولا يجاوز به مقدار الإبلاغ في المعنى الذي يريده، ثم لا يعرض له في ذلك سقْط ولا استكراه، ولا تستزله الفجاءة، وما يبده من أغراض الكلام عن الأسلوب الرائع، وعن النمط الغريب، والطريقة المحكمة، بحيث لا يجد الناظر إلى كلامه طريقاً يتصفح منه صاعداً أو منحدراً. ثم أنت لا تعرف له إلا المعاني التي هي إلهام النبوة، ونتاج الحكمة، وغاية العقل، وما إلى ذلك مما يخرج به الكلام، وليس فوقه مقدار إنساني من البلاغة والتسديد، وبراعة القصد، والمجيء في كل ذلك من وراء الغاية.

ولا نعلم أن هذه الفصاحة قد كانت له ﷺ إلا توفيقاً من الله وتوقيفاً؛ إذ ابتعثه للعرب وهم قوم يقادون من ألسنتهم، ولهم المقامات المشهورة في البيان والفصاحة، ثم هم مختلفون في ذلك على تفاوت ما بين طبقاتهم في اللغات، وعلى اختلاف مواطنهم، فمنهم الفصيح والأفصح، ومنهم الجافي والمضطرب، ومنهم ذو اللوثة والخالص في منطقه، إلى ما كان من اشتراك اللغات وانفرادها بينهم، وتخصص بعض القبائل بأوضاع وصيغ مقصورة عليهم، لا يساهمهم فيها غيرهم من العرب إلا من خالطهم أو دنا منهم دنو المأخذ.

فكان ﷺ يعلم كل ذلك على حقه، كأنما تكاشفه أوضاع اللغة بأسرارها، وتبادره بحقائقها، فيخاطب كل قوم بلحنتهم، وعلى مذهبيهم، ثم لا يكون إلا أفصحهم خطاباً، وأسدهم لفظاً، وأبينهم عبارة. ولم يعرف ذلك لغيره من العرب، ولو عُرف لكانوا نقلوه، وتحدثوا به، واستفاض فيهم<sup>(1)</sup>.

وهذه الحنكة اللغوية والبيانية والعقل الراجح؛ "...لو لم ينزل عليه الوحي، ويخاطب من السماء، لكان عقله وحده كافياً لأن ينشئ دولة، ويقوم مجتمعاً طيباً فاضلاً، ولكن أتم الله عليه نعمته فجعله نبياً مرسلًا، فاجتمع له الكسب الذاتي، بالإدراك، بالفطرة الإنسانية العالية

(1) - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي ص: 281 ط التاسعة 1393 هـ 1973 دار الكتاب العربي بيروت - لبنان.

المكتملة، بالتكوين الإنساني، والرسالة الإلهية الهادية المرشدة... وما كانت إحداها لتغني عن الأخرى<sup>(1)</sup>.

هذا من جهة النسق الحواري؛ أما من جهة الأسلوب فقد كان عليه السلام يغير من أسلوبه حسب مقتضيات الحوار والشخص المحاور، فتارة يوظف الرسائل في تواصله، وتارة أسلوب التكرار، وتارة ضرب المثل وتارة أخرى الترغيب والترهيب...

فمن الأساليب الحوارية التي يمكننا أن نستكنهها من أحاديث النبي ﷺ على سبيل الإجمال لا على سبيل الاستقراء، نجد ما يلي:

■ **القول الحكيم:** ومن ذلك ما روته عائشة ؓ قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام<sup>(2)</sup> عليك. قالت عائشة: ففهمتهما، فقلت: وعليكم السام واللعنة قالت: فقال رسول الله ﷺ: مهلا يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله "فقلت: يا رسول الله ألم تسمع ما قالوا: قال رسول الله ﷺ قد قلت: وعليكم"<sup>(3)</sup>.

■ **الرسائل:** وقد وظف عليه السلام هذا الأسلوب للتقارب مع أهل الكتاب، كما فعل مع هرقل، وكان نص الرسالة: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله الى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى. اما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم...<sup>(4)</sup>.

■ **الترغيب والترهيب:** فمن الأحاديث الدالة على هذا الأسلوب ما قاله النبي ﷺ: "ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عند أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها فله أجران"<sup>(5)</sup>.

(1) - خاتم النبيين ، محمد أبو زهرة، ص:231 ، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، ج1. د.ت.

(2) - السام: الموت

(3) - صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله 449/10 رقم: 6024

(4) - صحيح البخاري، كتاب التفسير باب قل يا أهل الكتاب...، 315/8 رقم: 4553

(5) - صحيح البخاري، كتاب العلم باب تعليم الرجل أمته وأهله رقم: 97

وفي الترهيب ما قاله النبي عليه السلام: "والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار"<sup>(1)</sup>.

■ **القسم:** نهج النبي ﷺ نهج العرب في كلامها كما قدمنا، وحذا حذوها في أساليبها الخطابية، فنوع في الأسلوب وفي طريقة العرض فكان القسم واحداً من هذه الأساليب التي تحمل معنى التأكيد والإقناع، وإقامة الحجة والدليل على السامعين في كل زمان ومكان، ويصبح الأمر أكثر وضوحاً إذا تذكرنا أن النبي ﷺ كان معلماً، ومن شأن المعلم أن ينوع ويلون في أسلوبه حتى يدفع الملل عن السامع أولاً، وليقيم الحجة عليه ويقنعه ثانياً، يقول جرونيباوم: "يجب أن لا يغرب عن البال أن محمداً إنما كان ينبغي أن يعلم وأن يصلح"<sup>(2)</sup>. فمن صيغ القسم عند رسول الله قوله: "والذي نفسي بيده" وهي صيغة وردت كثيراً في القسم النبوي، وفيها إشارة واضحة من النبي ﷺ إلى أنه وإن كان نبياً، فإنه لا يملك من أمره شيئاً، فإن نفسه التي بين جنبيه بيد الله تعالى، وفيها تسليم مطلق لإرادة الله واعتراف بعبوديته وبشريته، فما هو إلا رسول مبلغ عن ربه، فما هو يقسم على أمر غيبي سيكون قبل يوم القيامة يعلمه ولا يعلمه قومه، ويراه ولا يرونه، ومن شأن هذه الأخبار أن يعززها المخبر بما شاء من المعززات والمؤكدات لأنها فوق إدراك البشر ليدفع الشك عن نفس تضيق بشريته عن إدراك ما لا تراه كما أن هذا التوكيد هو دليل ثقة المتكلم بما يقوله وإيمانه بوقوعه، فهو دليل صدق قائله حين يقع في المستقبل، فيكون امتداداً للمعجزة وتثبيتاً لمن جاء بعده، وهو نزول عيسى عليه السلام حكماً عدلاً بين الناس ليقوم شريعة الله في الأرض فيقول: "والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويفيض بالممال حتى لا يقبله أحد"<sup>(3)</sup>.

■ **البيان:** تميّز أسلوب الرسول اللغوي بسمّة الفصاحة والبيان، وهي التي جعلته شديداً التميّز حين يُحادث الناس ويُحاورهم. ففصاحةً منطوق الرسول تُشكّل جزءاً من تحدّ مخالفه، بحُكم تأثره

(1) صحيح مسلم رقم: 153

(2) حضارة الإسلام، جوستاف جرونيباوم ص: 109 ترجمة وتحقيق عبد العزيز توفيق جاويد الهيئة المصرية ط 1 1994م

(3) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى حاكماً بشريعة النبي، رقم الحديث: 155

ﷺ بالإعجاز القرآني في البلاغة ، بالإضافة إلى البيئة اللغوية المحيطة به ، وهي عالية الدقة ، ولتنظر إلى مستوى الشعر الجاهلي الذي كان نموذجاً في النظم الرفيع ، فلما جاء القرآن بآياته أعجز العرب ، ولما رأى المسلمون بيان الرسول ﷺ وفصاحته تعلّقوا بمصاحبته ، ورجبوا في الحوار معه في كلّ زمان ومكان ، وقد كانت فصاحته ﷺ وسيلةً مضافةً للإقناع بأيسر عبارة ، وأرق طرح ، وأفصح أسلوب .

وقد جعل النبي ﷺ هذا الأسلوب للتأثير في محيطه؛ عن وعي منه بوقع هذا الأسلوب في النفوس؛ وهو القائل: "إن من البيان لسحراً"<sup>(1)</sup>

■ التكرار: التكرار أسلوب تعبيرى معروف ، استعمله العرب في كلامهم لغايات متعددة ، ولما كان النبي ﷺ واحداً من العرب يتكلم بلسانهم ويستعمل أساليبهم فقد استعمل التكرار وجعله وسيلة من وسائل الدعوة ، وطريقة من طرق تبليغ مبادئها ، فكرر الحرف الواحد في الكلمة فحمل تكراره جزءاً من المعنى ، كما كرر اللفظة أو العبارة أو الأداة أو الصيغة الواحدة أحياناً ، وقد يكرر المعنى دون اللفظ ، وهذا النوع من التكرار كان شائعاً في الحديث كالتكرار اللفظي ، كل ذلك لتحقيق أهداف كان النبي ﷺ يسعى إليها ، كتأكيد المعنى ، أو التحذير منه ، أو الترغيب فيه ، أو الوعيد والتهديد أو غير ذلك من الأغراض الأخرى التي حققها من خلال التكرار ، فأحسن وأجاد.<sup>(2)</sup>

والتكرار في الحديث النبوي ضربان: تكرر بالمعنى فقط وتكرر باللفظ والمعنى ، وهو ما أشر إليه ابن جني بقوله: "اعلم أن العرب إذا أردت المعنى مكنته واحتطت له ، فمن ذلك التوكيد التكرير وهو على ضربين: أحدهما تكرير الأول بلفظه؛ وهذا الضرب الذي أشار إليه أنس ﷺ عن النبي ﷺ: "أنه كان إذا تكلم بكلمة ، أعادها ثلاثاً حتى تُفهم عنه ، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم ، سلم عليهم ثلاثاً"<sup>(3)</sup> والثاني ، تكرير الأول بمعناه..."<sup>(4)</sup>

(1) صحیح البخاری ، کتاب الطب ، باب: إن من البيان سحراً ، رقم: 5767

(2) مجلة جامعة دمشق \_ المجلد 26 \_ العدد الأول 2010 ص: 73

(3) صحیح البخاری ، کتاب العلم ، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليعقل عنه ، رقم الحديث: 94- 95

(4) الخصائص ابو الفتح عثمان بن جني الموصلي ، تحقيق علي النجار ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 101/3 ، بتصرف .

■ **ضرب الأمثال:** للأمثال مكانة هامة، نظرا لما لها من وقع عجيب في الآذان، وتأثير في النفس والقلوب، فهي تقرب المعاني إلى الذهن، وتعطي السامع الصورة بأقصر لفظ وأحسنه؛ فهذا الأسلوب: "... من كمال الدعوة ... تقرب فيها الأحكام من النفوس ويزاح فيها ما يحوم بالقلوب من شبه. وتمثيل المعقول بالمحسوس، والمجهول بالمعلوم كثيرا ما يسلك لهذا الغرض النبيل"<sup>(1)</sup>. وقد استخدم النبي ﷺ ضرب المثل كثيرا في الأمر والنهي، والتوجيه والإرشاد، صورته، قوله عليه السلام: "مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: «هلا وضعت هذه اللبنة؟»". قال: «فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين"<sup>(2)</sup>

■ **الرسوم التوضيحية:** وظف النبي صلى الله عليه وآله وسلم موازيا مع الحوار؛ وهو أسلوب الرسوم التوضيحية لما لها من وقع على إدراك الآخر لمعنى الذي يحاوره فيه مع تشويقه لذلك وترسيخ الموضوع المحاور فيه في ذهنه؛ ومن فعله ﷺ ما رواه ابن مسعود قال - رضي الله تعالى عنه -: "خط لنا رسول الله -ﷺ- يوما خطا فقال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطا عن يمين الخط ويساره وقال: هذه سبل، على كل سبيل منه شيطان يدعوه، ثم تلا: وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ يعني الخطوط التي عن يمينه ويساره"<sup>(3)</sup>.

■ **القصة:** فهي من أهم الوسائل التي استخدمها الرسول ﷺ في ترغيبه؛ وطلبك لتعلق النفوس البشرية بالحدث الذي تقوم عليه القصة وما يصاحبه من مؤثرات وجدانية وعاطفية، تقتضي التفاعل والاندماج مع القصة وأحداثها.

والإنسان بطبعه يعقد بين نفسه وبين الشخصية المحاورية مقارنة خفية واعية او غير واعية فإن ناله خير تمنى أن يكون مكانه وإن ناله شر تمنى أن يكون هو في نجوة منه.

ومثاله قوله ﷺ: "أنا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون لم ذلك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس منهم فيبلغ الناس من

(1) - الأمثال في القرآن: الشريف منصور بن عون العبدلي، ص: 57. ط الاولى 1406. عالم المعرفة - جدة.

(2) - صحيح البخاري كتاب المناقب رقم الحديث: 3535

(3) - صحيح البخاري كتاب الرقائق رقم الحديث: 6417

الغم والكرب مالا يطيقون ولا يتحملون، فيقول الناس بعضهم لبعض: ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول الناس بعضهم لبعض عليكم بآدم فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم آدم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله. ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن عليه؟ ألا ترى ما بلغنا؟ فيقول لهم نوح إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم، فيقولون يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنني قد كذبت ثلاث كذبات، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول لهم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنني قد قتلت نفسا لم أؤمر بقتلها نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهدي، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ قال: فيأتون محمدا ﷺ: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه، فأنتقل فأتي تحت العرش فأخبر ساجدا لربي، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا فشيئا لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي يا رب أمتي يا رب أمتي، فيقول: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من

الأبواب. ثم قال: والذي نفسي بيده إن ما بين المصارعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر وكما بين مكة وبصرى<sup>(1)</sup>

ومن هذا يتبين أن القصة ركيزة قوية من ركائز الترغيب في دين الله القائمة على الإقناع العقلي والإطمئنان القلبي والارتياح الوجداني، وتحويل الغيبات إلى واقع محسوس.

(1) - سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي ج 4، تحقيق عبد الرحمان محمد عثمان، ط دار الفكر بيروت 1400 هـ

## المطلب الأول: موضوعات الحوار في السنة النبوية

إن المتتبع للحوار في السنة النبوية يجد تنوعاً كبيراً من حيث الموضوع والهدف؛ فقد كان إثبات وحدانية الله عزوجل ومطلق علمه وقدرته وصدق الرسل وإبطال عادات الجاهلية ومعتقداتها الفاسدة من المواضيع التي هيمنت على الحوار...

وفيما يلي أبرز موضوعات الحوار في السنة النبوية:

### 1- عرض الكلمة السواء (التوحيد):

والاصل في هذا الموضوع دعوة الله تعالى نبيه بقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾<sup>(1)</sup> يأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يدعو مجادليه إلى كلمة انصاف لا ميل فيها لأحد، وكلمة الانصاف هو التوحيد.

لقد كانت دعوة النبي ﷺ ترجمة واقعية لما أمر به الله تعالى؛ فقد حاور النبي ﷺ نصارى نجران ودعاهم إلى التوحيد ونبذ الشرك انطلاقاً من الأساس الذي دعا إليه القرآن.

جاء وفد نجران إلى النبي ﷺ يحاجونه ويحاورونه في عيسى ابن مريم عليه السلام، فجاؤوا المدينة ودخلوا المسجد، فعرض عليهم الرسول ﷺ الإسلام، فقال راهبان من نجران: إنا قد أسلمنا قبلك فقال: كذبتما، إنه يمنعكما من الإسلام ثلاث: عبادتكم الصليب، وأكلكم الخنزير، وقولكمما لله ولد، فقال أحدهما من أبو عيسى؟ فسكت النبي ﷺ وكان لا يعجل حتى يكون ربه هو يأمره، فأنزل الله عليه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ لَكَ اللَّهُ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾<sup>(2)</sup> حتى بلغ ﴿فَلَا تُكْزِمَنَّ الْمُتَكِبِينَ﴾<sup>(3)</sup> ثم قال الله تعالى فيما قالاه: ﴿فَمَنْ حَاجَدًا فِيهِ مِنْ بَعْدِكَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعُلَمَاءِ﴾ إلى قوله:

(1). سورة آل عمران الآية: 64

(2). سورة آل عمران الآية: 59

(3). سورة آل عمران الآية: 60

﴿فَتَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾<sup>(1)</sup> ؛ فدعاهما الرسول ﷺ إلى المباهلة<sup>(2)</sup>، وأخذ بيد فاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، فقال أحدهما للآخر، قد أنصفك الرجل فقالا لا نباهلك، وأقرا الجزية وكرها الإسلام<sup>(3)</sup>.

فهذا حوار سادت فيه حرية العبادة، وصلى النصارى في مسجد رسول الله ﷺ، ثم جرى الحوار في جو من المودة وحرية القول، وانتهوا إلى موادعة الرسول ﷺ، ولم يمنعهم عدم إتباعهم لمحمد ﷺ أن طلبوا منه يرسل من يحكم بينهم فيما اختلفوا فيه، وأن يمض معهم إلى الاهتداء بالحق في سماحة القيم، ووداعة الخلق، ثم كتب لهم كتابا، حيث ورد في صحيح البخاري في نهاية القصة أن وفدا من نجران طلبوا منه رجلا أمينا يرجع معهم فقال عليه الصلاة والسلام "لأبعثن معكم رجلا أمينا حق أمين" فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح فلما قام، قال رسول الله ﷺ: هذا أمين هذه الأمة"<sup>(4)</sup>

وكذا دعوته عليه السلام هرقل ملك الروم في رسالة ارسلها اليه: "فاني ادعوك بدعاية الاسلام، اسلم تسلم، يؤتك الله اجرک مرتين فان توليت فان عليك اثم الارسيين"<sup>(5)</sup>

## 2- الدعوة إلى الايمان بالنبي عليه السلام واتباعه:

فمن لوازم الإيمان وأركانه؛ الإيمان بالنبي ﷺ، وأنه بعث برسالة الاسلام، وأن الاسلام نسخ ما سبق من الشرائع. فقد كان عليه السلام: "...يأتهم \_أهل الكتاب\_ بالآيات الدالة على نبوته ومعجزاته، تزيد على ألف معجزة مثل انشقاق القمر وغيره من الايات ومثل القرآن المعجز ومثل اخبار اهل الكتاب قبله وبشارة الانبياء به ومثل قصة الفيل التي جعلها الله آية عام مولد ومثل إخباره بالغيوب التي لا يعلمها إلا بتعليم الله عز وجل من غير أن يعلمه إياها بشر، فأخبرهم

(1). سورة آل عمران الآية:61

(2). وهو الاجتماع مع الخصم ، والدعاء من كل منهما على الآخر

(3). سيرة ابن هشام/1/573.584

(4). صحيح البخاري، كتاب المغازي باب قصة أهل نجران، رقم:4119

(5). صحيح البخاري كتاب الجهاد 99، 103.

بالماضي، مثل قصة آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، والمسيح...، وبالمستقبلات، وكان قومه يعلمون أنه لم يتعلم من أهل الكتاب ولا غيرهم..."<sup>(1)</sup>.

### 3- النهي عن الغلو في الدين

من المعلوم أن النصارى غلوا في نبهم عيسى عليه السلام حتى قالوا: هو الله، وبعضهم قال: هو ابن الله، وبعضهم قال: هو ثالث ثلاثة. وقد غلا اليهود من قبلهم مثل هذا الغلو حين قالوا: عزير ابن الله، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ عَلِيمًا قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَهُنَّ قَوْلَ الْكَاذِبِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾<sup>(2)</sup>

فلما بعث النبي ﷺ أمره الله تعالى ان ينهى اهل الكتاب عن الغلو في دينهم ومجاورة الحد في اتباعهم أهواءهم قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾<sup>(3)</sup>.

ونهى ايضاً -ﷺ- قومه على هذا السلوك بقوله: "اتطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد الله ورسوله"<sup>(4)</sup>.

### 4- بيان ما هم عليه من الباطل ورد شبهاتهم

لقد كان من موضوعات حوارات النبي عليه السلام مع أهل الكتاب بيان ما هم عليه من الباطل بإثبات تحريفهم لكتبتهم وانحرافهم عن مناهج الانبياء وتبديل شرع الله وذلك لاطهار باطلهم للمؤمنين ليحذروا منهم.

ولقد حاج النبي ﷺ نصارى نجران ويهود المدينة وأظهر باطلهم وأقام عليهم الحجة بعد نفهم قبول المباهلة مع النبي عليه السلام؛ خوفاً من العذاب؛ والشاهد على ذلك ما جاء في سيرة ابن هشام: "قدم على رسول الله ﷺ وفد نجران فيهم بضعة عشر رجلاً من أشرفهم وثلاثة نفر يتولون

(1) \_ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النميري الحراني، (ابن تيمية)، (399/1)، تحقيق علي بن حسن بن ناصر، وعبد العزيز بن إبراهيم العسكر، وحمدان بن محمد الحمدان. ط 2 ، 1419هـ/1999م ، دار العاصمة الرياض

(2) \_ سورة التوبة، الآية: 30

(3) \_ سورة المائدة الآية: 77

(4) \_ صحيح البخارى رقم الحديث: 3287

أمورهم، العاقب وهو أميرهم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلا من رأيه وأمره واسمه عبد المسيح، والسيد وهو ثمالهم وصاحب رحلهم واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة الاسقف وهو حبرهم وامامهم وصاحب مدارسهم وله فيهم شرف ومنزلة وكانت ملوك الروم قد بنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم من علمه واجتهاده في دينهم فلما وجهوا الى رسول الله ﷺ جلس أبو حارثة على بغلة والى جنبه أخ له يقال له: كرز، وبشر بن علقمة يسايره، إذ عثرت بغلة أبي حارثة فقال كرز: تعس الأبعد- يعني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له أبو حارثة: بل أنت تعست، قال له: ولم يا أخ؟ فقال: والله انه النبي الذي كنا ننتظره، قال كرز: فما يمنعك ان تتبعه؟ فقال: ما صنع بنا هؤلاء القوم شرفونا ومولونا وأكرمونا وقد أبوا إلا خلافه، ولو فعلت نزعوا منا كل ما ترى، فأضمر عليها منه أخوه كرز فلما قدم على النبي أسلم.

قال: فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وقت العصر وفي لباسهم الديباج وثياب الجبرة على هيئة لم يقدم بها أحد من العرب، ... ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فسلموا عليه فلم يردّ عليهم السلام و لم يكلمهم فانطلقوا يتتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانا معرفة لهم، فوجدوهما في مجلس من المهاجرين فقالوا: انّ نبيكم كتب إلينا بكتاب فأقبلنا مجيبين له فأتيناه وسلمنا عليه فلم يرد سلامنا ولم يكلمنا، فما الرأي؟ فقالا لعلي بن أبي طالب عليه السلام: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟ قال: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم ثم يعودون إليه، ففعلوا ذلك فسلموا فردّ عليهم سلامهم ثم قال: و الذي بعثني بالحق لقد أتوني المرّة الاولى وانّ ابليس لمعهم.

ثم ساءلوه ودارسوه يومهم وقال الأسقف: ما تقول في المسيح يا محمد؟ قال هو عبد الله ورسوله قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: هل رأيت ولدا من غير ذكر؟ فنزلت: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ رَبِّي إِنِّي كُنْتُ مَكْرُومًا ۖ فَلَمَّا طَالَ الْمُنَازَرةُ وَالْحَوَا فِي عَصِيَانِهِمْ ۖ وَخَصِمَتِهِمْ ۖ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا

وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ تَمَّ نَبْتُهُمْ فَجَعَلَ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ كَلَامًا بَئِيرًا<sup>(1)</sup> فقالوا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَبَاهُكَ غَدَا وَقَالَ أَبُو حَارِثَةَ لِأَصْحَابِهِ: انظروا محمداً في غد، فإن غدا بولده وأهله فاحذروا مباهلتة، وإن غدا بأصحابه فباهلوه فإنه على غير شيء، فذهب رسول الله ﷺ صباحاً إلى بيت عليٍّ فأخذ بيد الحسن والحسين وخرج من المدينة وبين يديه عليٌّ وفاطمة تتبعه فلما رأى ذلك رؤساء نجران قال أبو حارثة: من هؤلاء الذين معه؟ قالوا: هذا ابن عمه زوج ابنته يتقدمه، وهذان ابنا ابنته وهذه بنته أعز الناس عليه وأقربهم إلى قلبه وتقدم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فجثا على ركبتيه فأخذ السيد والعاقب أولادهم وجاءوا للمباهلة.

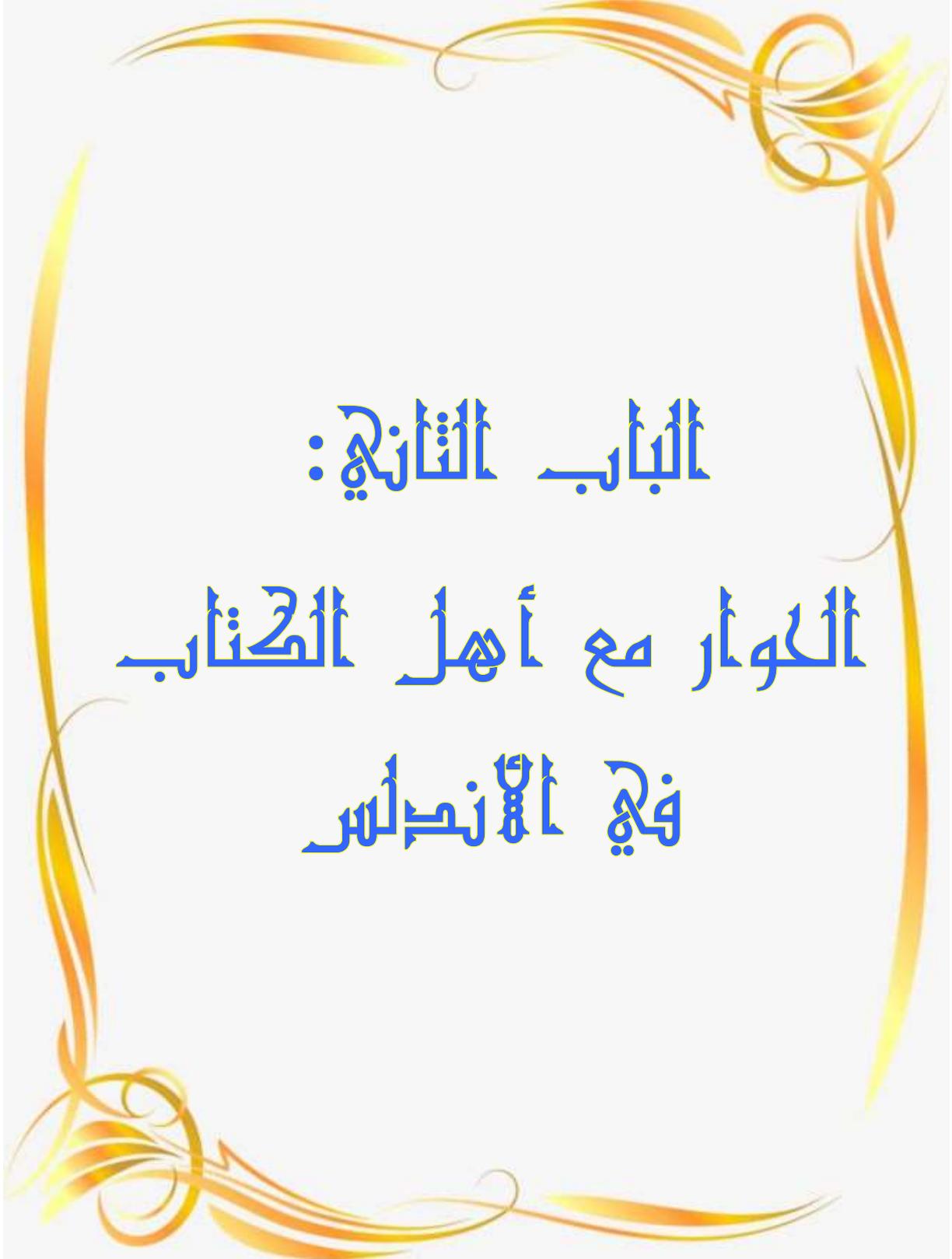
قال أبو حارثة: جثا والله كما جثا الأنبياء للمباهلة، فكع ولم يقدم على المباهلة، فقال له السيد: أين تذهب؟ قال: لا آتي لأرى رجلاً جريئاً على المباهلة وأنا أخاف أن يكون صادقاً فلا يحول والله علينا الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الماء، وفي رواية أخرى أنه قال: آتي لأرى وجوها لو سألتها الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة.

ثم جاء أبو حارثة إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فقال: يا أبا القاسم أنا لا نباهلك ولكن نصالحك، فصالحنا على ما نهض له فصالحهم على ألفي حلّة قيمة كل حلّة أربعون درهماً وعلى عارية ثلاثين درهماً وثلاثين رمحاً وثلاثين فرساً إن كان حرب فكتب لهم بذلك كتاباً فانصرفوا راجعين إلى بلادهم<sup>(2)</sup>.

ومن هذا كله نقول إن النظرة الشمولية المتفحصة لنصوص الوحي الإلهي، كما جاءت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، تفضي بصاحبها لا محالة، إلى نتيجة أساسية كبرى وهي: أن الوظيفة الوجودية للإنسان، ومآله النهائي، تشكلان محور ارتكاز أساسي في اهتمامات الدعوة الإسلامية، بعد الاهتمام المركزي الأول لها وهو توحيد الله سبحانه وتعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وبالتالي فإن مواضيع الحوار في السنة تتنوع بحسب تنوع الأحداث وتغيرها...

(1) - سورة آل عمران الآية: 61

(2) - سيرة ابن هشام 1/584، 573.



**الفصل الأول: حوار العلماء مع أهل الكتاب في الأندلس: الأهداف والغايات**

**المبحث الأول: أهداف الحوار مع أهل الكتاب في الأندلس**

**المبحث الثاني: غايات الحوار مع أهل الكتاب في الأندلس ومقاصده**

**المبحث الثالث: دور الحوار مع غيرهم في الرقي والازدهار**

## المبحث الأول: أهداف الحوار مع أهل الكتاب في الأندلس

لقد اتسمت البيئة الأندلسية بتسامح منقطع النظير؛ كانت سببا في ظهور خصال حضارية تومئ بنهضة على كل المستويات، فمن بين هذه القيم دخول علماء المسلمين في تحاور حضاري رفيع المستوى، على مستوى الأسلوب، وعلى مستوى المنهج والمعاني والموضوعات. "انطلق المتحاورون من كل الطوائف الدينية لتحقيق أهداف معلومة لكل وينبغي الاعتراف أن الإسلام كعقيدة وشريعة وتطبيق هيا الأرضية المناسبة لمثل ذلك التحاور الحضاري. فكما هو معروف لم يطلب الإسلام من الإسبان الذين دخلوا فيه إلا التلطف بالشهادتين لقاء تمتعهم بكامل الأهلية الإسلامية، وترك للذين اختاروا البقاء على دياناتهم السابقة حرية الدين والشريعة والحكم، ولم يتعرض المسلمون لسواد النصراني فضلاً عن ساداتهم. وفوق ذلك فإن المسلمين استعانوا باليهود. وهم الطائفة المضطهدة من قبل القوط النصراني. وولاهم المناصب العليا وقربوا المتعلمين منهم، فاستوزر عبد الرحمن الناصر والحكم الثاني الطبيب اليهودي حسداي بن شبروط. (945.970م). واستوزر الأمير حبوس في غرناطة الأديب اليهودي المعروف: إسماعيل بن النغيلة صاحب كتاب "القصص اليهودي" وصاحب أكبر مكتبة شخصية في الأندلس"<sup>(1)</sup>.

لقد حظي رجال الدين المسيحي بحرية دينية، "وسمح لأساقفة النصراني بعقد مؤتمراتهم الدينية وأغلبها مخصص للتبشير. في المدن الأندلسية الكبيرة مثل: المؤتمر الديني الذي عقد في قرطبة عام 582م ومؤتمراً أشبيلية عام 782م<sup>(2)</sup> وغني عن القول أن الحكومة الإسلامية سمحت للنصراني بتشديد العديد من الكنائس<sup>(3)</sup>. وأكثر من ذلك أن بعض الأمراء \_ سنتحدث عنه في المباحث القادمة \_ وفقهاء المسلمين في الأندلس اتخذوا من النصراني مساعدين لقضاء حوائجهم ولا يجدون في ذلك نفورا، فقد ذكر الطرطوشي أن الفقيه ابن الحصار بقرطبة له جار نصراني يقضي

(1) ينظر مقال: الجدل الديني في الأندلس، عبد الله بن إبراهيم العسكر، 1429هـ/2008م. <https://arab-yes.ahlamontada.com>

(2) مقال: الجدل الديني في الأندلس، عبد الله بن إبراهيم العسكر، أخذاً عن حضارة العرب، جوستاف لوبون، ص: 290، ترجمة عادل زعير، ط 2012 مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربية

(3) ينظر: حضارة العرب، جوستاف لوبون، ص: 228.

حوائج وينفعه، فكان الفقيه يكثر أن يقول له: "أبقاك الله وتولاك، أقرأ الله عينك! يسرني والله ما يسرك! جعل الله يومي قبل يومك. لا يزيدك قط على هذه الكلمات، فببتهج النصراني ويسره" (1). وكذلك مشاركة بعض المسلمين النصراني في بهجتهم واحتفالاتهم الدينية مثل: عيد ميلاد المسيح وعيد سان خوان ولاشك أن تلك المشاركة الروحية ترجع إلى التعايش السلمي بين الطائفتين (2).

"بل وصل بعض النصراني إلى مناصب عالية في الحكومة الإسلامية فقد استوزر المقتدر بن هود (ت: 474). ملك سرقسطة أبا عامر بن غند شلب النصراني. وفعل مثله محمد بن عبد الرحمن الأوسط (ت 273هـ) الذي صار كبير الكتبة عنده قومس ابن أنتنيان النصراني وهو الذي جعل من يوم الأحد إجازة رسمية للدولة" (3).

"إذن يمكن القول إن الجو السياسي والديني والعلمي الذي أظل العلماء في الأندلس كان موافقاً لانطلاق أكبر تحاور حضاري عرفته أوروبا في تاريخها القديم والوسيط، والفضل يعود للحكومة الإسلامية التي رسخت قولاً وعملاً منهج التحاور العلمي وأشاعت جواً من الحرية الفكرية تمتع بها الكل، وقد درس خالد السيوطي الجدل الديني في الأندلس، واستخلص أهم الأهداف التي سادت الجدل الديني، وهي بدورها تعتبر من سمات التحاور الحضاري بين الديانات السماوية في الأندلس" (4).

من تلك الأهداف استعمال الجدل الديني في الأندلس في عصور عديدة من قبل المتحاورين المسلمين والنصراني من أجل الدعوة إلى الإسلام. وقد أبان تجادل أصحاب الديانات عن روح

(1) \_سراج الملوك، ابو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي، تحقيق محمد فتحي ابو بكر. ط الاولى 1414هـ\_ 1994 الدار المصرية اللبنانية القاهرة، ص. 1/ 147

(2) \_ ينظر: الأعياد في مملكة غرناطة. أحمد مختار العبادي مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمديرد، المجلد الخامس عشر، 1970م.

(3) \_مقال: الجدل الديني في الأندلس، عبد الله بن إبراهيم العسكر.

(4) \_المصدر نفسه

التسامح السائد بين المتجادلين من علماء المسلمين وعلماء أهل الكتاب، ولعل ذلك راجع للتقاليد التي أشاعها المسلمون حكماً وعلماءً ومنها حرية التعبير والاعتقاد الديني لكل الطوائف والممل.<sup>(1)</sup>

وقد بين الحوار مدى مقدار احترام الإسلام والمسلمين للرأي الآخر. وهذه الخصلة "تعد بحق رافداً من روافد الحضارة الإسلامية التي عرفت التعددية في العقائد والمذاهب والأفكار والرؤى، وكما هو معروف في الإسلام فإن الاختلاف سنة من سنن الله في الكون. ولعل أكبر ثمار الجدل الديني ما توصل إليه المسلمون عقلياً، وما أقر به بعض علماء أهل الكتاب المنصفين فيما بعد من أن كثيراً من عقائد أهل الكتاب السائدة آنذاك يفتقر للبرهان المقبول. وقد اعترف بذلك بعض علماء النصرانية. ونجد تلك الاعترافات ماثورة في مؤلفاتهم الجدلية، فيذكر الصفي بن العسال في كتابه: "الصحاح في جواب النصائح" أن العقائد النصرانية غير برهانية وينقل عن بولس الرسول مقولته المشهورة: "لم أبشركم بحكمة الكلام لئلا يتعطل صلب السميع"<sup>(2)(3)</sup>. وفي هذا القول دلالة واضحة عن عدم الصمود عقائد النصرانية وغيرها أمام الحوار والجدال القائم على الحجة والبرهان.

لقد بلغ من معرفة علماء المسلمين المشتغلين بعلوم الكلام والفلسفة درجة عظيمة في ميدان الجدل حتى أصبح عند الإمام جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمرو بن أبي بكر المعروف بابن الحاجب المتوفى عام (ت646هـ) علماً بذاته، يؤلف فيه كتاب مستقل عنوانه: "منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل" وهو كتاب في غاية الإتقان والبحث العقلي، وتدوير الأدلة النقلية لتطابق الفكر والعقل. أو كتاب علم الجدَل في علم الجدَل "لنجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي (ت716هـ) كما كشف الجدل الديني عن براعة المسلمين في علم المنطق، نجد مصداق ذلك لدى فقهاء وعلماء شرعية مثل ابن حزم والباقي اللذين لم يشتهرا كفلاسفة أو علماء في المنطق. والحق أن المرء لتصيبه الدهشة من تمكن علماء المسلمين من الجدل المنطقي، وهم الذين لم

(1) ينظر: الجدل الديني في الأندلس، عبد الله بن إبراهيم العسكر.

(2) الصحاح في جواب النصائح، ابو الفضل الصفي بن العسال، ص 21. ط سنة 1643م على نفقة مرقس جرجس

(3) ينظر: الجدل الديني في الأندلس، عبد الله بن إبراهيم العسكر.

يتوسعوا في دراسة المنطق اليوناني أو الفلسفة اليونانية، ومعرفتهم الواسعة بعقائد أهل الكتاب. ومن أمثلة ذلك ما نجده في كتاب: "عيون المناظرات" لأبي علي عمر السكوني(ت: 717هـ) الذي يحوي عدداً من المناظرات مع اليهود والنصارى تنتهي كلها بإفحامهم، وانقطاعهم عن الحجج الديني، وأحياناً باعتناق بعضهم الدين الإسلامي.<sup>(1)</sup>

يتضح من خلال استعراض أدبيات الجدل الديني الإسلامي في الأندلس أن كتابات وحوارات العلماء المسلمين يغلب عليها أمران: الأول يتمثل في الدفاع عن الدين الإسلامي عقدياً وشريعة ونبوة دفاع علمي دقيق، وبأسلوب هاديء ضد حجج المجادلين من أهل الكتاب. الأمر الثاني يتلخص في المحاولات الناجحة لنقض العقائد الدينية اليهودية والنصرانية، وكانت المحاورات تتم في الغالب بصورة كتابية، وبمعنى تأليف المسائل والردود. وفي أحيان أخرى تتم المحاوراة في شكل مناظرة بين عالمين يشهدا نفر من أتباع أديان المتناظرين.<sup>(2)</sup>

ومن أهم القضايا التي استأثرت باهتمام الأطراف المتحاوراة هي ما يلي: دحض حجج أهل الكتاب المتعلقة بمذاهبهم المتعددة، ومن ثم البرهنة على بطلانها. وبيان فساد مذاهب النصارى المتعلقة في القول بفكرة الاتحاد والحلول. والبرهنة النقلية والعقلية من كون التوراة والإنجيل محرفين لا يشبهان ما أنزل على النبيين موسى وعيسى عليهما السلام. والخلوص إلى إثبات نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، والمقارنة الشرعية والنقلية والعقلية بين عديد من الشعائر الإسلامية وما يقابلها في النصرانية واليهودية، والخلوص إلى أن الشعائر في الديانتين اليهودية والنصرانية قد دخلها كثير من الدخن وزيادة والنقصان، وأصبحت لا تتواءم مع الشرع الإلهي والعقل الإنساني.

(1) - بنظر: الجدل الديني في الأندلس، عبد الله بن إبراهيم العسكر.

(2) - المصدر نفسه.

## المبحث الثاني: غايات الحوار مع أهل الكتاب في الأندلس ومقاصده

تبوّأت الأندلس مكانة متميزة في العطاء الحضاري الإنساني منقطعة النظير، فمما لا ريب فيه، أن دولة الإسلام في الأندلس، قد أرست دعائم حضارة شامخة، تعايشت فيها الأجناس بتلاونها، وأديانها، وثاقفت فيها الألسن والثقافات، وانصهرت فيها الطاقات على تنوعها، فأثمرت مجتمعاً فسيفسائياً حياً، ومتفاعلاً، مبدعاً تحققت للإنسان فيه إنسانيته وكرامته، وكفلت له حريته وحقوقه، وضمن سعيه وعطاؤه، ولعل أبرز جوانب هذه الحضارة قيمة وإشراقاً، ما يتعلق بمسألة التسامح الذي ساد الأندلس الإسلامية تجاه النصارى، واليهود، الذين كانوا يشكلون شريحة هامة من شرائح المجتمع الأندلسي، فقد عاش اليهودي والنصراني، إلى جنب المسلم، حياة ملؤها التآزر، والتعاطف، والتراحم، والمشاركة الفاعلة المثمرة.

"وليس من شك في أن إثارة هذا الموضوع الذي يكتسي طابعاً حضارياً، والذي يتصل بمسألة التعايش بين الشعوب، والديانات المختلفة، والحوار الحضاري، والثقافي بين شتى الأمم والأعراق، له ما يبرره، وله غاياته ومقاصده، فالحوار بين الثقافات والديانات المختلفة، كان من المواضيع المحترمة في المجتمع الأندلسي، الذي لم يعرف التعصب الديني إلا في حالات استثنائية قليلة وشاذة، فقد كانت بعض التجارب مريرة ومؤسفة، ومأساوية. ولكنها لا تنطوي تحت حكم أو تندرج تحت مبدأ. وتزداد أهمية هذا الموضوع خاصة عندما نعلم أن العالم المعاصر يسعى لتأسيس نظام جديد، كما أن الإسلام والمسلمين يتعرضون لحمولات شعواء ترمي إلى تشويه صورتهم، وتقديم نظرة خاطئة عن ممارساتهم، بالإضافة إلى رواج بعض النظريات التي تسعى إلى التنكر لهذا العطاء الحضاري الإنساني الفريد من نوعه."<sup>(1)</sup>

لقد مهدت الحضارة الأندلسية، منذ مراحلها الأولى، الأرضية الأنسب للتفاعل الحضاري الإيجابي؛ فقد انصهر اليهود والنصارى، في جو من الحرية والسماحة وتكافؤ الفرص في المجتمع الأندلسي الجديد؛ يتعلمون ويتناقفون، ويسهمون في البناء دون عائق أو عقدة، وهو الأمر الذي

(1) - قراءة في كتاب: الأندلس العربية: إسلام الحضارة وثقافة التسامح، محمد سيف، www.raialyoum.com

جعل الكثيرين منهم يحظون بمكانة عالية، ويتقلدون مناصب عليا في الإدارة والسياسة، فقد عاش الذميون الأمن والاستقرار في دولة الإسلام يتمتعون بحرية العقيدة والتعبد منذ الفتح الإسلامي لإيبيريا وقد مورس الحوار بين مختلف عناصر الشعب الأندلسي طوال عصور المسلمين في الأندلس في أزمنة السلم وأزمنة الحرب، وبين المنتصرين والمهزومين، ولعل حضارتنا وثقافتنا الإسلامية في الأندلس هي الأعلى صوتاً وفعلاً في رسالتها الحوارية، وعلى مدى قرون عديدة.<sup>(1)</sup>

إن من أبرز سمات الحرية في الأندلس الحوار الديني بين معتنقي الديانات السماوية الثلاثة؛ فقد كان نبراس الرقي المعرفي وقبول الآخر، وقد كان الحوار الإسلامي اليهودي النصراني أو ما يعرف الآن بحوار الأديان هو ما اختاره المسلمون الأوائل في الأندلس طريقاً للتعايش وتكريساً لمبدأ الحرية، وقد شكلت النقاشات بين فقهاء الإسلام ورهبان النصراني وأخبار اليهود مقدمة ضرورية لمزيد من التعرف على الآخر، وقد تراوحت هذه المجادلات الدينية بين مجادلات اتسمت بطابع الهدوء والرصانة واعتمدت مهذب الكلام، وبين مجادلات طغى فيها الشتم والإفصاح عن التبغض، ومن أبرز مجادلي العصر الوسيط في الأندلس ابن حزم أبو محمد علي بن سعيد (ت456). وأبو الوليد الباجي (ت474) وأبو جعفر أحمد بن عبد الله الخزرجي (ت). وأما من اليهود، فقد برز إسماعيل بن النغيلة اليهودي (ت448) وموسى بن ميمون (ت603). أما المسيحيون، فقد كان جلّ قساوستهم ورهبانهم يجادلون، ومن أبرزهم رامون مارتى

ويبدو أن النقاش بين المسلمين والمستعربين من اليهود والنصارى حول أمور تتعلق بالدين، كان سبباً في فتح حوار هادئ بين الجانبين، كما أدت إلى بعض المواجهات العنيفة بسبب تجاوز أهل الذمة لحدودهم. وهكذا، فقد استفاد المستعربون أقطاب هذه المناقشات من أجواء الحرية التي اتبعها المسلمون في الأندلس منذ عهد الولاة وحتى آخر حكم بني الأحمر؛ فقد ضمنت لهم هذه الحرية عدم التعرض للمسائلة أو العقاب من قبل المسؤولين الحكوميين بسبب أفكارهم لدرجة أن

(1) \_ ينظر: قراءة في كتاب: الأندلس العربية: إسلام الحضارة وثقافة التسامح، محمد سيف.

بعض القضاة الذين يشهدون المحاورات الدينية، يغضون الطرف عندما يتلفظ أحد المتحاورين من أهل الكتاب بما يعدّ قذفاً.

لقد كانت التعددية في الأندلس -تعدّد الأديان وتعدّد الأجناس- الصورة الحيّة لواقع الحرّيات الدينية، ولم تكن تتوقف عند الإقرار بحق الآخر في الوجود، بل تتجاوز ذلك إلى احترام حرّيته في إقامة شعائره واختيار معتقده بلا تضيق ولا ممارسة لأيّ ضرب من ضروب الضغط المادي والمعنوي.

"لقد شكلت الفسحة الأندلسية حيّزاً إنسانياً ممتازاً للحوار والتفاعل بين الأديان السماوية الثلاثة، وأكثر منها فقد شهدت هذه الفسحة العصر الذهبي للثقافة العبرية التي اتخذ شعراؤها وأدباؤها وعلمائها ومفكرها العربية أداة تعبير وتواصل وتفكير دونوا بها خير ما جادت به قرائحهم. بل إنّ كثيراً من النصارى واليهود والصقالبة احتلّوا مراكز سامية في الحكم وتبوأوا مراتب ممتازة في الحياة العامة، فكان منهم الوزراء والشعراء والشاعرات والأطباء والموسيقيون. وقد بدأ الأندلسيون في الأعين منصفين بأهمّ فضائل المدنية، فضيلة التسامح المطلق، والحوار والتفاعل مع العناصر الأخرى لدرجة أثارت إعجاب الأعداء قبل الأصدقاء على نحو ما ذهب إليه غوستاف لوبون<sup>(1)</sup> في كتابه "حضارة العرب" وزيفريد هونكه<sup>(2)</sup> في كتابه "شمس العرب تسطع على الغرب"<sup>(3)</sup>.

وهذا الفعل -الحواري- الذي رصع بالتسامح كان من ورائه غاية ومقصد يمكن إجماله في أمرين أساسيين. التمكين على المستوى الديني والفكري وذلك بإظهار الآخر على ما هو عليه من باطل.

(1) - غوستاف لوبون 7 مايو 1841 / 13 ديسمبر 1931 Gustave Le Bon : طبيب ومؤرخ فرنسي. عمل في أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا. كتب في علم الآثار وعلم الأنثروبولوجيا وعني بالحضارة الشرقية. من أشهر آثاره: حضارة العرب وحضارات الهند و"باريس 1884" و"الحضارة المصرية" و"حضارة العرب في الأندلس" و"سر تقدم الأمم" و"روح الاجتماع" الذي كان انجازه الأول. هو أحد أشهر فلاسفة الغرب وأحد الذين امتدحوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية. لم يسر غوستاف لوبون على نهج معظم مؤرخي أوروبا، حيث اعتقد بوجود فضلٍ للحضارة الإسلامية على العالم الغربي.

(2) - زيفريد هونكه 26 أبريل 1913 في كيل - 15 يونيو 1999 في هامبورغ مستشركة ألمانية معروفة بكتاباتها في مجال الدراسات الدينية، وحصلت على شهادة الدكتوراه عام 1941. اشتهر عنها في آخر حياتها أنها كانت تنظر للإسلام نظرة معتدلة كما هو واضح من أشهر تراجم كتاباتها انتشاراً في العالم العربي وهما شمس العرب تسطع على الغرب وكتاب الله ليس كذلك.

(3) - ينظر: قراءة في كتاب: الأندلس العربية: إسلام الحضارة وثقافة التسامح، محمد سيف.

ثم التمكين على مستوى السياسي ببسط النفوذ على المجتمع الجديد بطريقة إنسانية حضارية؛  
حقنا للدماء.

وإني قد أجزم أن أبا الوليد الباجي قد لعب دورا أساس في المستويين اللذين أشرت إليهما.  
فقد كان شديد اللهجة العلمية في الرد على الرهبان خصوصا في أمر العقيدة وهذا ما جسده  
رسالته الى الراهب فرنسا<sup>(1)</sup>. التي كانت فحواها ردا على مزاعم الراهب في رسالة أرسلها الى الأمير  
المقتدر بالله بن هود (ت 473هـ / 1081م)، حاكم سرقسطة، يدعوه فيها الى الدخول في دين  
النصارى، ويشرح له أسسه وقواعده ومحاسنه، التي هي في الأصل متناقضة مع العقل ومع روح  
الدين الإسلامي المتمثل في عقيدة التوحيد<sup>(2)</sup>.

وقد أشار أبو الوليد في رسالته إلى قلة بضاعة القوم في الحوار، والمنطق، وإيراد الحجج،  
فقال: "ولو تتبعنا ما في كتابك من التناقض، وفساد الوضع، ومستحيل القول، لما سلم منه إلا  
اليسير الحقير لكنا \_ وفقنا الله وإياك \_ حملنا ذلك منك على ما عهدناه من أهل ملتك من قلة العلم،  
والبعد عن مقاصد المناظرة، وأرجوا أن يوفقك الله بارشادنا لك إلى ترك التمويه، والتعليق  
بالمغالطة، والكذب، ويعوضك علم الحقائق، وصحيح المقاصد، وأدب المناظرة التي تفضي بك الى  
السبل اللائحة والحقائق الواضحة."<sup>(3)</sup>

ومن خلال هذا الرد يتبين ان ابا الوليد كان ريانا في العقيدة النصرانية، واختلافات فرق  
النصرانية ما لا يعلمه علماء النصارى، جاء في الرسالة: "وعندنا من علم شريعتكم واختلاف  
أخباركم في ملتكم، وما تورده كل طائفة من شبهكم في الأقانيم، وإلتحاد، ومعنى اللاهوت والنسوت  
والجوهر وغير ذلك من تنميقات أناجيلكم ما لو أبدينا إليهما \_ أي مبعوث الراهب \_ اليسير منه  
لحيرهما وأبهرهما، وعلمنا أن عندنا جملها وتفاصيلها ما لم ينته إليه أحد من أهل ملتكم، ولا وصل

(1) - اشار المستشرق الانجليزي د.م دنلوب \_ الذي قام بترجمة الرسالة، ونشر دراسة وجيزة عنها \_ ان الراهب الفرنسي صاحب الرسالة هو  
القديس هيو كبير رهبان دير cluny، وكان قد توسد سدة هذا الدير ما بين عامي 1049 و 1109 م

(2) - ينظر: الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس ( ابن حزم \_ الخزرجي)، خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، ص: 87

(3) - من النماذج الرفيعة للدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين جواب القاضي ابي الوليد الباجي على رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين. محمد عبد  
الله الشرفاوي: ص: 119، مقال ضمن مجلة هذه سبيلي.

إلى تفريعه، وتتبع معانيه أولكم، وآخركم" (1)، والدليل على معرفته لمعتقد القوم انه صرح ما جاء في رسالة الراهب من معتقد يخالف فيه معتقد النصارى، فقال: "وقد رأينا في كتابك مما خالفت فيه جميع أهل ملتك، فإنه ليس في فرق النصارى من يقول: إن المسيح لا ينبغي الإيمان بأحد سواه بل هو الإيمان بالأب عندكم واجب، والأب يتحد بالناسوت عندكم، وإنما اتحد به الابن، فمن لم يؤمن بغير الابن كفر بالأب، وقد تقدم في كتابك أن المسيح ابن الله. وهذا نقض لقولك: إنه لا ينبغي الإيمان بغير المسيح الذي هو الابن" (2).

إن الرسالتين وثيقتان مهمتان تكشفان جانباً من جوانب الحوار الديني المتبادل بين المسلمين والنصارى في الأندلس من جهة، وتظهران الإحتكاك الثقافي بين الإسلام والغرب من جهة أخرى (3).

هذا على المستوى التمكين الديني والفكري، أما على المستوى التمكين السياسي، فإننا نجد الحوار الديني قد صب في هذا الجانب أيضاً، بغية التحكم في الرعية، وهذا مجاله السياسة الشرعية.

لقد مضى معنا القول إن ابا الوليد له اليد الطولى في تمكين الدولة الإسلامية في الأندلس على المستوى الديني والفكري وعلى مستوى التمكين السياسي. وهذه المكانة التي تبوأها تكمن في قربها للمقتدر بالله بن هود الامير على بلنسيا (4). فقد اكتست جل حواراته طابع نصرة الإمام. وتدلنا بعض النصوص الواردة في ترجمته وتراجم بعض تلاميذه أن الباجي كان ينتقل بين المدن والمراكز الأندلسية ويلقي دروسه بها ويواصل تطوافه بينها، مما أتاح لكثير من طلبة الأندلس (5) الذميين

(1) من النماذج الرفيعة للدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين جواب القاضي ابي الوليد الباجي على رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين. محمد عبد الله الشرفاوي: ص: 118

(2) نفسه، ص: 118\_119

(3) نفسه، ص: 95

(4) ينظر: فلانيد العقبيان ومحاسن الأعيان، الفتح بن خاقان بن احمد بن غرطوج، ابو محمد، ج1/187، ط مصر 1284هـ\_1866م.

(5) ينظر: فقه السياسة الشرعية عند الإمام الباجي، إبراهيم أحمد محمد الصادق الكاروري، ص: 20 جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالمنوفية.

وغيرهم أن يأخذوا عنه فكره. "وكان الباجي في كل ذلك يهدف إلى تكوين قوة تنصر الإسلام بالجزيرة الأندلسية ويلتئم بها شمل ملوك الطوائف وملوك المغرب المرابطين"<sup>(1)</sup>.

وهذه السياسة الحوارية كان لها أثر كبير في اجتذاب أهل الذمة إلى الإسلام واقناعهم بعدالة الدولة الإسلامية، وهذا هو السر في إقبال أهل الذمة على الدخول بأعداد كبيرة في الإسلام، وأدى ذلك إلى دخول كثير من الكلمات الإسلامية واستعمالها بألفاظها العربية من قبل سكان الأندلس مثل كلمة الله Alah، القرآن Alcoran، الحديث Hadith، الإسلام Alislam، رمضان Ramadan، السلام عليك Al-salamalec، حرام Haramu، زكاة Zekkat، وقف Wakouf، خراج Carath.<sup>(2)</sup>

وهو السر أيضا في الاستقرار السياسي والاجتماعي، والاقتصادي بحيث أصبحت الأندلس أكبر قوة سياسية في المنطقة، فغدت أرقى دول العالم حضارة مدة ثلاثة قرون.

(1) \_ فصول الأحكام وبيان مما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام، القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف الله الباجي ص:27، تحقيق

وتقديم محمد أبو الأجناف، دار ابن حزم ط 1، 2002م

(2) \_ ينظر: ثقافتنا للدراسات والبحوث، توفيق سلطان اليوزبكي، المجلد 5\_ العدد العشرون\_ 2010\_1431.

### المبحث الثالث: دور الحوار مع غيرهم في الرقي والإزدهار

إن الناظر في التاريخ؛ يجد الأمم في حركتها الحضارية صعوداً ونزولاً وإنهياراً، لا تحركها الجماهير والعامّة، بل تقودها النخبة السياسية والعلمية والاقتصادية؛ إما نحو النهضة والتقدم وتحقيق أهدافها، وإما نحو الانهيار والسقوط في وحل التخلف.

وهذا هو الحاصل في الأندلس؛ إذ الذي قاد البلاد إلى الرقي وصناعة نهضة كبرى هم العلماء؛ وبخاصة علماء الدين، أمثال ابن حزم وابن رشد والباجي...؛ بحوارتهم التي كانت سبباً في تفتح علوم جديدة، جعلت من الأندلس منارة للعلم والمعرفة؛ بلغ صداها إلى أرجاء أوروبا. والحق أن المدرسة الإعتزالية كان لها وقعها في جعل الحوارات تكتسي طابعاً عقلياً وبالتالي حمولة فكرية وفلسفية.

"إن تناول ظاهرة الحوار الديني بين المسلمين وغيرهم من أرباب الديانات الأخرى، إنما نسعى إلى إثبات أن ذلك الحوار والجدل أديا إلى بروز ظاهرة أخرى لا تقل عن الأولى في الأهمية وهي ظاهرة "الاحتكاك الثقافي" وهو احتكاك أدى إلى تفاعل حضاري بين الأندلس والدول الأوروبية المجاورة. حيث تم تبادل الزيارات العلمية بينهما، وقامت الوفود من الطرفين بزيارات متبادلة. وتم أيضاً تبادل الرسائل التي يحرص أن يقول فيها كل طرف الحجج القوية لتأييد ما يذهب إليه."<sup>(1)</sup>

عُرف الحوار الديني بالحوار بين التوحيد والتثليث، وهو حوار سابق لدخول المسلمين شبه جزيرة الإيبيريا. وكان الحوار الديني يدور بين الأرثوذكس من جهة والأريوسيين من جهة أخرى، وهما أهم طائفتين نصرانيتين في شبه جزيرة الإيبيريا وقتذاك. لقد رفض الأريوسيون قرارات مجمع نيقيا لعام (325م) القائلة بألوهية المسيح، ولم يروا فيه أكثر من كونه بشراً ورسولاً. ولما دخل الإسلام إسبانيا وانتشر رأي بعض علماء النصارى أن الإسلام لا يعدوا أن يكون صورة من المذهب الأريوسي، لذلك كثرت في مجادلاتهم ومناظراتهم من أن الإسلام هرطقة نصرانية كما يذهب الراهب نيكولا دي كو في كتابه: "نقد القرآن"<sup>(2)</sup>. وأخذ الكتاب النصارى يطلقون على مخالفهم الأريوسيين

(1) - بنظر: الجدل الديني في الأندلس، عبد الله بن إبراهيم العسكر.

(2) - الإسلام في الغرب (فرطبة عاصمة الروح والفكر) روجيه جارودي، ترجمة محمد الصدر، دار الهادي، بيروت، 1411هـ، ص: 29.

لقب (مسلمون) وهو لقب يحمل معاني الاحتقار . ولعل هذا كما يقول روجيه جارودي سبب عزوف علماء النصرانية الأرثوذكس من الدخول مع علماء الإسلام في حوار ديني حتى منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي<sup>(1)</sup>

"أما بعد ذلك التاريخ فقد ظهرت مؤلفات جدلية ألفها علماء الدين النصراني واليهودي لنقد الدين الإسلامي. وكانت البداية في مؤلفات الحوار و الجدل الديني عند أهل الكتاب طغى عليها التشدد من حيث الأسلوب والمنهج المتبع، ؛ فظهرت مؤلفات تتصف بقذف الإسلام عقيدة وشريعة ولكن تلك الحالة لم تستمر إذ دخلت الأطراف المتجادلة في حوار علمي رصين، وقوبل هذا التشدد بروح التسامح في المؤلفات الجدلية عند المسلمين وذلك بإلتزامهم الجدل بالحسنى، وقد قال سليم شعشوع<sup>(2)</sup>:" وفي مثل هذه الشؤون العقائدية، التي لا يمكن أن تتجرد من تأثير العاطفة ان دل على شيء فان أول ما يدل عليه هو هذا التسامح الديني، الذي كان بين المسلمين واليهود في الأندلس."<sup>(3)</sup> صحيح أنه كانت هناك بعض التجاوزات ولكنها لا تشكل السمة الغالبة.

"في مطالع القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ظهر كتاب لمؤلف مجهول عن سيرة النبي محمد ﷺ، وإنتشر ذلك الكتاب عند مثقفي الأندلس انتشاراً واسعاً. وكان الكتاب يحتوي على أفكار مغلوبة ومفاهيم مكذوبة، وقد بين علماء المسلمين ذلك عندما استعرضوا الكتاب وراجعوه، ومع هذا أصبح الكتاب الحجة والمرجع شبه الوحيد للمحاورين من أهل الكتاب. ثم ظهر كتاب إيولوجيو San Eulogio عام (851م) وعنوانه: "ذكرى الشهداء" ويعنى بهم المقتولين النصرارى في المواجهات الحربية مع المسلمين فيما عُرف بحركة الاستشهاد في قرطبة، التي اندلعت في منتصف القرن التاسع الميلادي ( ما بين سنتي 236-245 هـ/ 850-859م)

ويهدف إيولوجيو من وراء كتابه تذكير الشباب النصراني بذكرى أسلافهم، وإلى وقف اعتناق الإسلام من قبلهم. ثم أخرج القس ألفارو Alvaro عام (854م) كتاباً في نقد الإسلام أسماه "نقد المحمدية" احتوى على فهم مغلوط لشعائر الإسلام وخاصة الآذان والصلاة. ويعلق المستشرق

(1) - الإسلام في الغرب (قرطبة عاصمة الروح والفكر) ص: 17\_28 روجيه جارودي

(2) - دارس يهودي مقيم باسرائيل (لم اعثر على ترجمته)

(3) - العصر الذهبي - صفحات من التعاون اليهودي العربي في الأندلس - ص: 40 سليم شعشوع ط1 سنة 1979م تل ابيب

رايهمات دوزي على تلك الكتب المغلوطة ويبيدي استغرابه حيال رجال الدين المسيحي الذين يعرفون الإسلام واللغة العربية ومع هذا فقد شوهوا العقيدة الإسلامية.<sup>(1)</sup>

وفي القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي حيث بدأ الضعف والسقوط يأخذ بالممالك الإسلامية، نشطت المجادلات الدينية من الجانب النصراني، وأخذت المناظرات الشفاهية أو المكتوبة شكل تخصص دقيق، أجتهد له القوم، فتخصصوا في الدراسات العربية والإسلامية، وكانوا دائماً يرددون مقولة مؤداها أنهم إنما يدرسون الثقافة العربية لينقلوا العلوم والفلسفة اليونانية والهلنستية التي ترجمها علماء العرب في الشرق من اللغتين اليونانية والسريانية إلى اللغة العربية، لذا فهم يستعيدون علومهم من العرب. وتمكن الرهبان النصارى من تأسيس حلقات العلم الديني لإعداد جيل من الفقهاء يستطيعون مقارعة حجج المسلمين واليهود على السواء. وكان من ثمره تلك الجهود العلمية أن قصد الأندلس أحد علماء تلك الحلقات، وهو بطرس المبجل Pierre Le Venerable، وهو فرنسي من الرهبانية البندكتية، ورئيس دير كلوني، من أجل التزود من العلوم العربية والإسلامية، وعندما رجع إلى ديره أخذ يصنف المؤلفات الجدلية للرد على العلماء المسلمين واليهود<sup>(2)</sup>.

كما أنجز توما الأكويني Thomas d'Aquin (ت 1274م) من الرهبان البندكتيين دراسة ضخمة بعنوان: "خلاصة ضد الكفار" وكان يهدف من وراء كتابه أن يصبح مرجعاً للمبشرين النصارى العاملين بين المسلمين. وكذلك فعل راييموندو مارتيني R.Marini وكتب كتاباً عنونه "خنجر الإيمان" وكان راييموندو مارتيني يهدف من وراء كتابه إلى الرد على المسلمين واليهود على حد سواء<sup>(3)</sup>.  
وصنف المبشر النصراني ريموند لول R. Llull الذي قُتل في شمال أفريقية عام (1314م). كتاب "الزنديق" وأدراه على شكل رواية أبطالها يهودي ونصراني ومسلم. وتحتوي تلك الرواية على أخطاء كثيرة. ثم ألف رواية أخرى عمادها مناظرة بين ريموند النصراني وعمر المسلم<sup>(4)</sup>.

(1) ينظر: الجدل الديني في الأندلس، عبد الله بن إبراهيم العسكر.

(2) ينظر: المستشرقون، لنجيب عقيقي، ص ج 1/122، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1964م.

(3) نفسه، ج 1 ص: 128\_131

(4) ينظر: الجدل الديني في الأندلس، عبد الله بن إبراهيم العسكر.

حيث أدار مناظرة بين الاثنين انتصر فيها لريموند. والحق أن ريموند لول أمضى سنوات غير قليلة من عمره يبشر بالنصرانية بين أظهر المسلمين، ولكن لم يحالفه الحظ. وبأت محاولاته بالفشل، والحقيقة الغريبة التي تستحق التوقف عندها أن كل المؤلفين السابقين، وكل المجادلين من علماء اليهودية والنصرانية اعتمدوا واستفادوا من المؤلفات الفلسفية والعملية لكل من: الغزالي، وابن رشد، وابن سينا، وابن باجه، وابن طفيل، وابن عربي التي ترجمت إلى اللاتينية وكانت الأساس القويم للنهضة الأوروبية فيما بعد<sup>(1)</sup>

أما المحاورون من اليهود فيأتي على رأسهم إسماعيل (صموئيل) ابن النغريلة وهو من أعلام القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. كتب ابن النغريلة عدة كتابات جدلية طاعناً في صدق القرآن الكريم، والشعائر الإسلامية الأخرى. ويظهر أن ابن النغريلة استغل التسامح الذي أشاعه المسلمون في الأندلس، وكذلك الحرية شبه المطلقة التي منحها المسلمون لليهود الأندلس، وهي حرية لم يألفوها من قبل من لدن الرومان ثم القوط النصارى. أقول فتجراً ابن النغريلة وأمثاله على الإسلام وتعاليمه جرأة لا تمت للتحاور والمجادلة العلمية بصله، وهو أمر دعا علماء الأندلس للرد عليه. وفي أحيان استعمال اللغة القاسية التي يجيدها. بقول ابن حزم وهو من الذين تصدوا لابن النغريلة: "فإن بعض من تلقى قلبه للعداوة للإسلام وأهله، وذوبت كبده بغضه الرسول صلى الله عليه وسلم، من متدهرة الزنادقة المستترين بأذل الملل وأرذل النحل من اليهود، أطلق الأشر لسانه وأرخى البطر عنانه، واستمشخت لكثرة الأموال لديه نفسه المهينة، وأطغى توافر الذهب والفضة عنده همته الحقيرة، فألف كتاباً يقصد فيه بزعمه إلى إبانة تناقض كلام الله عز وجل في القرآن، اغتراراً بالله تعالى أولاً، ثم بملك ضعفه ثانياً، واستخفافاً بأهل الدين بدءاً، ثم بأهل الرياسة في مجانة عوداً<sup>(2)</sup> .

(1) المستشرقون، لنجيب عقيقي، ج 1 ص: 116\_117

(2) ينظر: الجدل الديني في الأندلس، عبد الله بن إبراهيم العسكر

ويمثل إسماعيل بن النغريه مثل اليهودي المثقف الذي أوقف حياته في المناقحة والمدافعة عن اليهودية واليهود، وثلب الإسلام والمسلمين. درس إسماعيل الأدب العربي والفلسفة الإسلامية وكان نابغاً وصل إلى أرفع الدرجات الوظيفية، فتبوء منصب الوزارة في عهد حبوس وأبنة أمراء غرناطة، ولما مات إسماعيل خلفه في الوزارة أبنة يوسف الذي لا يقل عن أبيه إخلاصاً لدينه، وزاد بأن استطال على الإسلام والمسلمين، واشترأت في زمنه اليهود وتناولوا على المسلمين.<sup>(1)</sup>

وكان يوسف كاتباً لبلقين بن باديس بن حبوس ولي عهد أبيه ملك غرناطة. وكان بشهادة ابن بسام قد نظر في كتب المسلمين والعرب، ونقل عنه ادعاؤه القدرة على نظم الشعرا والموشحات.<sup>(2)</sup> وقد صور الشاعر أبو إسحاق الإلبيري "إبراهيم بن مسعود بن سعيد التجيبي" (ت 459هـ)، الحالة التي عليها يوسف وطائفته اليهودية في قصيدة نونية مشهورة، ثارت العامة بسببها وقتلوا يوسف وهم يرددون أبيات تلك القصيدة.

ثم يأتي يهودا اللاوي المعروف في الأوساط العربية في طليطله بأبي الحسن اللاوي. وهو صاحب كتاب: "الحجة والدليل في نصره الدين الذليل". وتقوم فكرة هذا الكتاب على قصة خيالية ملخصها أن أحد ملوك الخزر أراد التعرف على الدين الإسلامي والنصراني، بينما استبعد الدين اليهودي لقلّة أتباعه. وبعد المقارنة استبعد الإسلام لأن معجزته القرآن الكريم المكتوب باللغة العربية، وهي لغة لا يمكن لغير العرب من تلمس الإعجاز فيها، ولا يمكن لغيرهم من التفريق بين القرآن الكريم وغيره من الكتب العربية. أما النصرانية فلأنها في قتال وحرب مستمر مع الإسلام، وهذا في حد ذاته دليل على فساد الديانتين، ولو كان فيهما خير لما اقتتلا، أو لأتناصر الدين الحق على ما سواه، ومن هنا فقد وقع اختيار ملك الخزر على الديانة اليهودية. وهي قصة موعلة في الخيال. والخيال لا يعد حجة في المناظرات الدينية<sup>(3)</sup>.

أنفق علماء المسلمين الجهد والوقت والمال في سبيل التعرف على معتقدات أهل الكتاب وعلومهم الدينية. ثم قاموا بعقد المناظرات الشفاهية مع الرهبان والقساوسة والمفكرين النصراني

(1) \_ نفسه،

(2) \_ نفسه

(3) \_ الجدل الديني السيوطي، ص: 154.

واليهود. وألفوا الكتب التي تتكئ في معلوماتها على الكتب الدينية المعتمدة عند الطرف الآخر، واستعانوا بعلم المنطق والعقليات والفلسفة لدحض آراء المناوئين للإسلام، وبيان فساد عقيدة أهل الكتاب.<sup>(1)</sup>

"وعند تأملنا المنهج الجدلي والحواري لعلماء المسلمين نجد أنهم اعتمدوا على المنهج التركيبي والمنهج التحليلي، وزاوجوا بين المنهجين، وكانت طريقتهم في الجدل تبدأ بمرحلة تحليل النص أو الفكرة، يعقب ذلك ثلاث مراحل هي على التوالي: التركيب ثم التحليل ثم التوليف. وتلك المراحل هي ما تعرف اليوم باسم "الجدل الديالكتيكي" <sup>(2)</sup> Dialectic".

ومن أول المواجهات أيضا هي التي تصدت للمستعرب الأسباني المسلم أبي عامر أحمد بن غرسيه وهو من سبي المسلمين، ومع أنه نشأ مسلماً، إلا أنه يحمل في داخله عقيدة شعوبية ضد الإسلام والعرب، وقد تصدى له أبو جعفر أحمد بن الدودين البلنسي<sup>(3)</sup>. وممن جادل علماء النصراري الشيخ أبو الطيب عبد المنعم القروي (ت 493هـ) وقد صنع مجادلتته بأسلوب (قلتم وقلنا) أو ما يطلق عليه اسم (الفنلقة) وهو أسلوب من أشق أساليب المحاججة والمناظرة<sup>(4)</sup>.

"وتأتي مناظرات ومؤلفات ابن حزم (ت 456هـ) والقاضي أبي الوليد الباجي (ت 474هـ) وأحمد بن عبدا لصمد الخزرجي (ت 582هـ) والفيلسوف ابن رشد (ت 595هـ) وأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي. (ت 671هـ) والفقهاء أبي عبد الله محمد بن الفرج المعروف بأن الطلاع، (ت 497هـ)، تأتي كلها في الذروة من الجدل الديني الإسلامي تجاه الملل والنحل غير الإسلامية."<sup>(5)</sup>

والحاصل من هذا كله أن المحاور والمجادلة الدينية بين علماء الأديان السماوية الثلاث وقعت في القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، ولعل ذلك راجع إلى روح التسامح الديني، التي سادت مدن الأندلس قاطبة، وليس من المستبعد أنه راجع أيضاً لنشاط حركة التنصير. الشيء نفسه يمكن أن يقال عن زيادة عدد الداخلين في الإسلام من شباب

(1) ينظر: الجدل الديني في الأندلس، عبد الله بن إبراهيم العسكر

(2) المنهج الأصولي في فقه الخطاب، إدريس حمادي ص: 21.

(3) ينظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام 2/ 719.

(4) المصدر نفسه، 719/2.

(5) الجدل الديني في الأندلس، عبد الله بن إبراهيم العسكر

النصارى واليهود نتيجة للمحاورات الدينية، وعلى الأخص شباب نصارى إشبيلية الذين اعتنق مجموعة منهم الإسلام<sup>(1)</sup>.

وهذا السيل من الحوارات تمخض عنه ظهور علوم افتخر بها المسلمون وصنعوا من خلالها حضارة بزغ ضيائها في الآفاق.

لقد كانت الأندلس عامة وقرطبة خاصة مهوى أفئدة النبغاء وملجأ الحكماء والبلغاء ومحط رجال العلماء، من داخل الأندلس وخارجها، حيث كانت منارة العلوم والفنون، وقد أطلق على قرطبة في عهد الحكم: "دار العلوم". ولاغرو إذن أن نجد قمما شامخة، وأعلامًا شاهقة وروادًا موسوعيين كابن عبد البر (ت 463 هـ)، والباجي (ت 474) وابن حيان (ت 426) وابن رشيق (ت 456 هـ). وغير هؤلاء ممن نبغ في علوم الشريعة والتاريخ والآداب وسائر العلوم الانسانية<sup>(2)</sup>. أما في العلوم الطبيعية والرياضية والطبية، فقد استفاضت شهرة أسرة آل زهر، وأبي القاسم الزهراوي (ت 403 هـ)، والزرقالي (ت 472 هـ)، وأحمد بن نصر (ت 332 هـ)، ومسلمة بن أحمد المجريطي (ت 394 هـ)، الذي لقب بإقليدس الأندلس، وابن السمح (ت 425 هـ)، وغيرهم ممن إرتفع إلى الذروة في مختلف التخصصات العلمية<sup>(3)</sup>.

ومن هذا نجد ان الثقافة الاسلامية في الاندلس لم تقتصر فقط على الجوانب النظرية وانما تناولت الجوانب العلمية التجريبية، وأسهمت فيها إسهاما كبيرا وأسدت الحضارة الانسانية فكرا علميا، وثروة من النظريات والآراء والأفكار، أعترف بقيمتها المؤرخون، وأشادوا بدورها الفعال، في تنمية الفكر العلمي الأندلسي، ثم مضى المجتمع الذي أبرزته الفكرة الدينية الى تطوره<sup>(4)</sup> الذي قاد إلى نهضة كبرى في شتى المجالات<sup>(5)</sup>.

(1) ينظر: الجدل الديني في الأندلس، عبد الله بن إبراهيم العسكر

(2) ينظر: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب احمد بن محمد المقرئ 168/4. تحقيق احسان عباس. دار صادر. بيروت. 1988

(3) ينظر مثلا: "الطب والاطباء في الأندلس الاسلامية" لحمد العربي الخطابي، "والحياة العلمية في ملوك الطوائف بالأندلس" لسعد عبد الله البشري

(4) شروط النهضة، مالك بن نبي ص: 68؛ ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر دمشق 1406\_1986

(5) ينظر: أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، ص: 151، احمد علي الملا.

## الفصل الثاني: موضوعات الحوار مع غيرهم في الأندلس

### ❖ المبحث الأول: في الإيمان بالله

### ❖ المبحث الثاني: في الحرية الدينية

#### ▪ المطلب الأول: الحرية الدينية عند المسلمين وغيرهم وأنواعها

##### • الفرع الأول: مفهوم الحرية

##### • الفرع الثاني: الحرية الدينية عند المسلمين وغيرهم وأنواعها

#### ▪ المطلب الثاني: الحرية الدينية أبعادها وضوابطها

#### ▪ المطلب الثالث: نطاق الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية

#### ▪ المطلب الرابع: حقيقة الدعوة الى الحرية الدينية عند المسلمين

### ❖ المبحث الثالث: في الحرية السياسية

#### ▪ المطلب الأول: الاسلام و حرية الرأي السياسي

##### • الفرع الأول: مفهوم السياسة

##### • الفرع الثاني: موقف الاسلام من حرية الرأي السياسي

#### ▪ المطلب الثاني: الحرية السياسية في الفكر الأندلسي

#### ▪ المطلب الثالث: نطاق الحرية السياسية عند المسلمين في

الأندلس

#### ▪ المطلب الرابع: معالم الحرية السياسية وأبعادها

### ❖ المبحث الرابع: في حرية الرأي والفلسفة

#### ▪ المطلب الأول: ابن حزم وحوارته

#### ▪ المطلب الثاني: أبو الوليد الباجي

#### ▪ المطلب الثالث: ابن باجه وحوارته

#### ▪ المطلب الرابع: ابن رشد و حواراته

## المبحث الأول: في الإيمان بالله

لا مرأ في أن الإيمان بالله أساس التوحيد و أول دعوة الرسل و هو رأس الأمر كله ورأس سنامه؛ من أجله خلق الخلق ومن أجله كانت الدنيا ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(1)</sup>، ومن أجله بعثت الرسل ونزلت الكتب، وما من نبي إلا خاطب قومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾<sup>(2)</sup>، بل هو أول واجب على المكلف كما قال تعالى: ﴿فَاعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>(3)</sup>، ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾<sup>(4)</sup>، ولأن توحيد الإله وإفراده بجميع أنواع العبادة أهم شيء في حياة الناس، فقد تصدى أهل العلم من البلاد الأندلسية بالرد على من جاورهم من أهل الملة النصرانية في شركهم بالله فهو أي - التوحيد - نقطة الخلاف الأهم بين المسلمين وبين النصراني في كل عصر وفي كل مصر وفي هذا المبحث: "في الإيمان بالله" حوارات علماء الأندلس في تصدهم للعقائد الوثنية النصرانية، وطرحهم لشبهاتهم بالأدلة الدمغة في قالب شرعي. وأظهروا ما في عقائدهم شطحات وعوار.

تعد الحوارات العقدية لونا من الثراء الفكري الذي مارسته النخبة العاملة بالأندلس، وكانت سببا في لم الشرائع السماوية وبالخصوص: الإسلام، والنصرانية..؛ منذ أن اضطرهما التاريخ إلى الالتقاء ببعضهما. ولقد ساعدت هذه المحاورات على تأسيس صروح المعرفة بهذه الشرائع، من خلال تأملهما ودراستهما لعناصر الاختلاف والائتلاف بينهما؛.. كما ساعدت على معرفة مختلف الضرورات التاريخية التي دفعت بالدينين المذكورين إلى الانخراط معاً، ضمن تقليدين مختلفين متكاملين في الوقت نفسه؛ تقليد التعايش والمثاقفة من جهة، وتقليد بسط الهيمنة والسيطرة، وتأجيج روح الإلغاء والإقصاء المتبادلين بينهما من جهة ثانية.

(1)\_ سورة الذاريات: 56

(2)\_ سورة هود: 50

(3)\_ سورة محمد: 19

(4)\_ سورة طه: 14

فمن نتائج التعايش الطبيعي بين معتنقي الأديان التوحيدية في أرض الإسلام بعامة، وفي الأندلس بخاصة؛ أن المحاورات كانت وافرة جداً بين المسلمين من جهة، واليهود والمسيحيين من جهة ثانية؛ وقد طالت هذه المحاورات مجال العقديّة بشكل خاص<sup>(1)</sup>.

وقد ظلت مساحة هذه المحاورات تتسع من قرن إلى قرن؛ مع ازدهار الحضارة الإسلامية. من جانب. وخوف الأقليات اليهودية والمسيحية على خصوصيتهما؛ مع انتشار الإسلام من جانب آخر. لقد شهدت الأندلس سجلات تاريخية بين المسلمين فيما بينهم، وبين النصارى واليهود من جهة أخرى، وصارت قصصها ووقائعها مادة طيبة لحركة الفكر الأندلسي.

وكانت هناك مساجلات أخرى هدفها الانتصار للرأي، ومقارعة الخصوم، سواء من خارج الدين الإسلامي أو من داخله، من أصحاب المذاهب الفقهية والكلامية الأخرى. ومساجلات أبي محمد بن حزم، وأبي الوليد الباجي من أشهر المساجلات التي تعكس هذا النوع من المبارزة الفكرية التي تعقد لها المجالس ويحضرها المثقفون من مؤيدين ومعارضين.

ولم يكن مجال هذه المحاورات والمناظرات التنافس والكسب فقط، كما أنها لم تكن لمجرد التسلية، وإنما كانت أسلوباً من أساليب امتحان القدرة الفكرية والفنية. والطريف من هذه الامتحانات هي تلك التي يقوم بها العلماء بعضهم لبعض في المجالس العلنية، ويترك الأمر لنتائج هذه الامتحانات لمنح الألقاب العلمية، وقد كان لبعض المناظرات أثر عظيم في تقرير مصير العلماء.<sup>(2)</sup>

لقد قامت هذه المحاورات على أسس علمية رصينة، في أغلب الأحيان، يؤكد هذا ما قيل من أن متكلمين اجتمعا فقال أحدهما: هل لك في المناظرة؟ قال: على شرائط: ألا تغضب، ولا تعجب، ولا تشغب، ولا تحكم، ولا تُقبل على غيري وأنا أكلّمك، ولا تجعل الدعوى دليلاً، ولا تجوز لنفسك

(1) ينظر: مشروعية سكى المسلمين في أرض استعادها المسيحيون، عبد المجيد تركي، مجلة الاجتهاد، عدد 28، بيروت.

(2) ينظر: العلاقات بين العلماء، ودبعة طه النجم، ص: 252، 257، عالم الفكر عدد 1، مجلد أبريل سنة 1970م، .

تأويل آية إلا جوزت لي تأويل مثلها، وعلى أن تؤثر التصادق، وتنقاد للتعارف، وعلى أن كلاً منا يبني مناظرته على أن الحق ضالته، والرشد غايته<sup>(1)</sup>.

وكان القرن الخامس للهجرة في اسبانيا، والذي تألق فيه أبو محمد بن حزم القرطبي؛ الجدلي الشهير (456هـ. 1063م)؛ في مناظراته مع ابن النغيلة "ويدعى صموئيل"، ثم ابنه يوسف<sup>(2)</sup>.

وقد توافرت لابن حزم أدوات التناظر والتحاوور والبحث، فقد ناظر كثيراً من اليهود والنصارى، وكان له معهم مجالس محفوظة وأخبار مكتوبة<sup>(3)</sup>، واطلع على كتبهم، واحتك معهم عن كتب، وقد شحذ همته ابن حزم لدراسة اليهودية، ومناقشتها بصفة خاصة، أنه عاصر ظروفًا بلغ فيها من اليهود وتناولهم على المسلمين في الأندلس حدًا لا يطيقه مسلم غير كابن حزم وكان ذلك في الربع الثاني من القرن الخامس للهجرة<sup>(4)</sup>.

ففي هذا الجو المشحون بالصراع، والذي يأخذ فيه كل فريق عدته في البحث ناقش ابن حزم اليهودية وكتب فيها فصولاً في موسوعته "الفصل في الملل والأهواء والنحل" ثم أفرد رسالة في الرد على اليهودي "يوسف بن النغيلة" عرفت باسم "الرد على ابن النغيلة".

وناقش ابن حزم في حديث عن اليهود جوانب أربعة هي:

أ. كشف التناقض في نسخ التوراة.

ب. كشف الأكاذيب في نصوص التوراة المعتمدة لدى اليهود، والتناقض فيها.

ج. والجانب الثالث من جوانب حديث ابن حزم عن اليهودية هو تفنيده لافتراءات بعض كتاب

اليهود على الإسلام.

(1) ينظر: العلاقات بين العلماء، ودبعة طه النجم، ص: 258.

(2) ينظر: مشروعية سكك المسلمين في أرض استعادها المسيحيون، عبد المجيد توكي، مجلة الاجتهاد، عدد 28

(3) ينظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي ابن بسام الشنتري، 1/ 143، تحقيق: احسان عباس، طبعة الأولى 1981م الدار العربية للكتاب. تونس.

(4) ينظر: مقدمة إحسان عباس: الرد على ابن النغيلة، ص 18، دط. دار العروبة، القاهرة 1960م.

وقد لخص في صدر رسالته في الرد على ابن النغريلة شبهات اليهود على الإسلام.

د. ولا يكتفي ابن حزم بالرد على هذه الشبهه وغيرها، بعد أن يحصرها حصراً وافياً؛ لكنه يتبع ذلك بذكر "قليل من كثير من قبائحهم التي يدبرونها وينسبونها إلى الباري تعالى في كتبهم التي طالعناها ووقفنا عليها"<sup>(1)</sup>.

"ومن قبائح اليهود التي ذكرها ابن حزم: استباحتهم الكذب بغير العبرية، وتصويرهم الله في صورة الخائف من يعقوب، ونسبتهم الزنا لأنبيائهم، وزعمهم أن كل نكاح على غير حكم التوراة هو زنا، ودعواهم أن السحرة يقدرون على إحالة الطباع، كإحالة الإنسان حماراً، أو العكس، وزعمهم أن الله حضهم على سرقة أموال المصريين حين خروجهم من مصر، وأن هارون هو الذي صنع لهم العجل ليعبدوه، وغير هذا كثير وكثير مما تحفل به التوراة."<sup>(2)</sup>

أما النصراني فهم يزعمون أن المسيح ابن مريم هو الله وبالتالي فهو الرب الخالق الرازق المدبر فذهبت اليعقوبية \_ وتعرف اليوم بالأرثوذكسية \_ إلى القول بالاستحالة والنقلة؛ أي تحول الإله من حال إلى حال، وفي ميلاد المسيح إله في صورة بشر.<sup>(3)</sup>

وكان رد ابن حزم على هذا البهتان البارز للعيان بقوله: "وهم فرقة نافرت العقل والحس منافرة وحشية تامة؛ لأن الاستحالة نقلة، والنقلة الاستحالة لا يوصف بهما الأول الذي لم يزل تعالى عن ذلك علواً كبيراً" ثم أضاف مخاطباً إياهم بكلام عقلي، لرد زعمهم أن الثلاثة (الأب، الابن، الروح القدس) لم تزل كلها، قائلاً:

(1) \_الفصل في الملل والأهواء والنحل\_ 217/1، ابن حزم.

(2) \_ ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، عبد الحليم عويس، ص:329. ط الثانية 1409 هـ\_1988م، شركة سوزلر للنشر القاهرة.(أخذاً عن أحمد شلبي في كتابه اليهودية، ص:166\_167)

(3) \_ ينظر: الفصل في الملل وأهواء النحل، 112/1، ابن حزم

"ثم يقال للقائلين بأن الباري تعالى ثلاثة أشياء: أب وابن وروح القدس، أخبرونا إذ هذه الثلاثة لم تنزل كلها، وأنها مع ذلك شيء واحد إن كان ذلك كما ذكرتم فبأي معنى استحق أن يكون أحدهما يسمى: أباً، والثاني: ابناً، والثالث: روح القدس، وأنتم تقولون: إن الثلاثة واحد، وأن كل واحد منهما هو الآخر فالأب هو الابن والابن هو الأب، وهما روح القدس، وليس روح القدس سواهما، وهذا عين التخليط، وإنجيلهم يبطل هذا بقولهم فيه "سأقعد عن يمين أبي" (1) وقال: "وأيضاً فإن ما قالوا محال؛ لأن الباري عز وجل الذي لم يزل لا يستحيل إلى طبيعة الإنسان المحدث، ولا يستحيل المحدث إليها لم يزل، وهذا محال بذاته لا يتشكل (ينشكك)، وكذلك الإنسان لا يجاور الإله مجاورة مكانية لأنه محال أيضاً" (2).

ثم يجادلهم الإمام ابن حزم فيما اصطالحوا عليه بـ "الأمانة" (3)، هل الابن الذي نزل من السماء، مخلوقاً كان أو غير مخلوق قبل أن ينزل؟.

وقال: "وأمانتهم التي ذكروا أنهم متفقون عليها موجبة أن الابن هو الذي نزل من السماء وتجسد من روح القدس، و صار إنساناً، وقتل وصلب، فيقال لهم:

هذا الابن الذي من أمانتكم إنه نزل من السماء وتجسد إنساناً، أخبرونا قبل أن ينزل من السماء أي مخلوق كن أو غير مخلوق؟ أم كان لم يزل؟

فإن قالوا: كان مخلوقاً فقد تركوا قولهم، لا سيما إن قالوا: إنه ليس هو غير الأب، بل يصير الأب وروح القدس مخلوقين.

وإن قالوا: كان قبل أن ينزل غير مخلوق.

قيل لهم: فقد صار مخلوقاً إنساناً، وهذا محال وتناقض.

(1) \_الفصل في الملل وأهواء النحل، 1/112، ابن حزم. والنص في انجيل لوقا الإصحاح 69/22 ونصه: "منذ الآن يكون الإنسان ابن الإنسان عن يمين قوة الله.

(2) \_الفصل 117/118

(3) \_الأمانة: اجماع على معتقد نزول المسيح وقتله وصلبه، وقد ذكرها ابن حزم في الفصل 1/121 وهي غير موجودة في الأناجيل، وإنما هي من تلفيقات رجال الكنيسة.

وأيضاً فقد لزم من هذا أن الابن مخلوق، إذ صار إنساناً... " (1).

لقد وظف الامام ابن حزم في رده هذا أسلوب الفنقلة ( إذا قالوا قلنا) وهذا أسلوب ان دل على شيء انما يدل على احاطته بشريعتهم صحيحها وعليلها.

وبعد رد طويل أظهر فيه فكرهم العليل، ينتقل ابن حزم في الجزء الثاني تحت فصل: تضارب الأقوال حول باطرة (بطرس). وأنه أعطى خطة الربوبية والتصرف في ملكوت السماوات، وهذا ما سطرته أناجيلهم و دارت حوله أباطيلهم، فيقول:

"وفي الباب السادس عشر من إنجيل متى أن المسيح قال لباطرة: "إليك أبرأ بمفاتيح السماوات، فكل ما حرمة في الأرض يكون محرماً في السماوات، وكل ما حللته على الأرض يكون حللاً في السماوات"، وبعد هذا الكلام بأربعة أسطر أن المسيح قال لباطرة نفسه: متصلاً بالكلام المذكور: اتبعني يا مخالف و لا تعارضني فإنك جاهل بمرضاة الله تعالى، وإنما تدري مرضاة الآدميين" (2).

وفي هذا يصدد يقول ابن حزم ردا على اعتقاداتهم؛ سواتان عظيمتان:

"إحداهما: أنه برئ إلى باطرة النذل بمفاتيح السماوات، و ولاه خطة إلهية لا تجوز لغير الله تعالى وحده لا شريك له، من أن كل ما حرمة في الأرض كان حراماً في السماوات، وكل ما حلله في الأرض كان حللاً في السماوات.

الثانية: إنه أثر براءته ليه بمفاتيح السماوات، و توليته له خطة الربوبية، إما شريكاً لله تعالى في التحريم والتحليل، وإما منفرداً دونه عز وجل بهذه الصفة قال له في الوقت: "إن مخالف معارض له، جاهل بمرضاة الله تعالى (مخالفاً له) لا يدري إلا مرضاة الآدميين" (3).

(1) \_الفصل 121/1، ابن حزم

(2) \_الفصل 85/2، ابن حزم، والنص في إنجيل متى 19\_18/16. ونصه: "وانا اقول لك ايضا: أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة ابن كنيسة، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات".

(3) \_الفصل 86\_/2، ابن حزم.

"فوالله لئن كان صدق في الآخرة لقد خرق في الأولى؛ إذ ولي ما لا ينبغي إلا لله تعالى، جاهلاً بمرضاة الله تعالى، مخالفاً له لا يدري إلا مرضاة الناس، وإن هذه لسوأة الأبد؛ إذ من هذه صفته لا يصلح أن يبرأ إليه بمفاتيح كنيف، أو بيت زبل. ولئن كان صدق وأصاب في الأولى لقد كذب في الثانية، والله ما قال المسيح قط ما ذكروا عنه في الأولى؛ لأنها مقالة كافر شر خلق الله تعالى، وما يبعد أنه قال له الكلام الثاني، فهو والله كلام حق، يشهد بع اللعين الكافر (باطرة) شاه وجهه وعليه سخط الله وغضبه".<sup>(1)</sup>

"ثم عجب ثالث: أننا قد ذكرنا قبل، أن في الباب الثامن عشر من إنجيل متى أن المسيح أشرك مع (باطرة) في هذه الخطة التي أفرد بها هنا سائر الاثني عشر تلميذاً، ومن جملتهم السارق الكافر الذي دل عليه اليهود برشوة ثلاثين درهماً أخذها منهم، وأنه قال لجمعهم: "ما حرمتوه في الأرض كان حراماً في السماوات وما حللتموه في الأرض كان حلالاً في السماوات".<sup>(2)</sup>

استغرب ابن حزم في المسألة الواحدة التي يحلها البعض ويحرمها البعض الآخر.

ثم يناقشهم في شريعتهم، ويختتم هذا الفصل بقوله: "فلئن كان هذا فإنها لحظة خسف، وترى (باطرة) وأصحابه الأوغاد قد صاروا حكماً على الله تعالى، وقد صار عز وجل تابعا لهم. وحاشا لله تعالى من هذا كله، ونرى باطرة (بطرس) وأصحابه الأذال حصلوا من مفاتيح السماوات، ومن خطة الألوهية إلا على حق اللحي، وإنما أحق لحي النتف، وعلى ضرب الظهور بالسياط ولصلب، أما (باطرة) دبره إلى فوق، ورأسه إلى أسفل. والحمد لله رب العالمين".<sup>(3)</sup>

(1) \_المصدر نفسه، 86/2، ابن حزم.

(2) \_المصدر نفسه، 86/2، ابن حزم.

(3) \_الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، 87/2.

وفي رد ابن حزم على القصيدة النقفورية؛ ينكر عليهم ابن حزم اتخاذهم عيسى ربا فيقول: (1)

كما يفترى إفكا وزورا وضلة	على وجه عيسى منكم كل لاطم
على أنكم قد قلتم هو ربكم فيا	لضلال في القيامة عائم
أبي الله أن يدعى له ابن وصاحب	تلقى دعاة الكفر حالة نادم
ولكنه عبد نبي مكرم	من الناس مخلوق و لا قول زام
أيلطم وجه الرب؟ تبا لدينكم	لقد فقتم في قولكم كل ظالم

ومن هذا كله نجد ردود ابن حزم تتلخص في نقاط منها:

1- رد على النصارى في زعمهم أن المسيح هو الرب، وأنه تحول من صورة بشر، وأكد استحالة هذه العقيدة، وخص بها الفرق النصرانية لا سيما اليعقوبية "الأرثوذكسية".

2- رد عليهم في زعمهم أن الثلاثة، الأب والابن والروح القدس، قديمة لم تزل.

3- رد عليهم في عقيدة "الأمانة": بأن الابن الذي نزل من السماء و تجسد من روح القدس وصار إنسانا و قتل و صلب. فهل يقتل الرب ويصلب؟

4- رد عليهم في معتقدتهم حول باطرة "بطرس" وأنه أعطى خطة الربوبية.

وإلى جانب ابن حزم كانت هناك شخصيات كثيرة على المستويات المختلفة أسهمت في هذا

الحوار، من بينهم ابو الوليد الباجي، وأبو عبيدة الخزرجي، وغيرهم كثير...

فأبو الوليد الباجي كما مر معنا كانت له اسهامات في هذا الحقل؛ والشاهد على ذلك

رسالته التي أرسلها الى راهب فرنسا، والتي كانت في الأصل ردا على رسالة أرسلها الراهب إلى المقتدر

بالله، وكان مما ضمنه فيها من الباطل: أن المسيح عليه السلام هو الله وأنه يحيي الموتى ويحيي

الأعظم الرفات. ويقول مخاطبا الملك صاحب سرقسطة:

(1) \_ رد متأخر: مقابلة بين قصيدة نقفور فوقاس و قصيدة ابن حزم، ص: 365، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد الثلاثون،

ذو القعدة 1426هـ\_ ديسمبر 2005م.

"وحقاً إن القادر على كل الذي اصطفى أوليائه قبل خلق العالم، ولم يسبق في علمه هلاكهم، قد أنار قلبك وأشعره للإيمان بالإله المسلم لك، وهو الرحمن الرحيم الغفور الذي يهديك لمعرفته"<sup>(1)</sup>.

وكان الراهب قبلاً قد أرسل رسالة زعم فيها: أن المسيح هو الرب المحيي المميت؟

فكيف رد الإمام الباجي على هذه الدعاوي؟

قال القاضي أبو الوليد الباجي: "وقد كان ورد علينا - قبل هذا - كتابك، واقترن به من دعوى حامله المحال، الذي كان يحب أن لا يخاطب به من له أقل حس بالإحساس، أو يختلج بخاطر من له أدنى فهم، من إحياء أموات و أعظم رفات.

فألنا القول و أوليائه الإعراض والصفح، وجاوبناك جواب من يعتقد - حسب ما ظهر منك، وبلغنا من خطرات الغفلة- أنك أرسلتها دون تأمل، وأظهرتها دون تحصيل ولا تحقق، مع ظنك أنه يجوز على ضعفاء المسلمين من ذلك ما يجوز على جماعتكم من تجويز المحال وتصحيح ما هو في غاية الإبطال"<sup>(2)</sup> ثم يترفق بالراهب بكلام رقيق، وهادئ عميق، ويصل هذا بالرد... "وإنا لنرباً بمثلك، ونرفع قدرك عما استفتحت به كتابك، من أن عيسى عليه السلام -ابن الله تعالى- بل هو بشر مخلوق وعبد مربوب لا يعدو عن دلائل الحدوث: من الحركة، والسكون، والزوال، والانتقال من حال إلى حال، وأكل الطعام، والموت الذي كتب على جميع الأنام، مما لا يصح على إله قديم، ولا يمكن عند ذي رأي سليم، ولو جوزنا كونه عليه السلام مع هذه الصفات ولأنه ليس في شيء مما ذكرنا من البشر والعالم وما فيه من الحيوان والجماد من دلائل الحدوث غير ما في عيسى عليه السلام"<sup>(3)</sup>.

وفي موضع آخر يرد على المهتان، لما زعم أن عيسى هو الرب؛ لأنه وقعت له معجزات خلقها، فدل على أنه الخالق.. "ولو جاز أن يقال إن عيسى عليه السلام هو الخالق لما ظهر من ذلك على

(1) رسالة الراهب فرنسا إلى المسلمين، ورد الإمام القاضي أبي الوليد الباجي عليها، ص: 50، للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي،

تحقيق: محمد الشرقاوي، دار الصحو، 1406\_1986م

(2) رسالة الراهب فرنسا إلى المسلمين، ورد الإمام القاضي أبي الوليد الباجي عليها، ص: 50، للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي.

(3) رسالة الراهب فرنسا إلى المسلمين، ورد الإمام القاضي أبي الوليد الباجي عليها، ص: 66، القاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي.

يده، والمنفرد بفعله؛ لجاز أن نقول إن آدم وإبراهيم وموسى ومحمدا وسائر الأنبياء عليهم السلام، انفردوا بخلق ما ظهر على أيديهم، وإن جميعها من خلقهم وإنهم لذلك آلهة معبودون وذلك محال فلا خالق إلا الله ولا معبود سواه".<sup>(1)</sup>

ويضيف القاضي: "وأما ملكوت رب العالمين، فهو المنفرد به لا ينبغي أن يشركه فيه طائع ولا عاص، ولا بر ولا فاجر".<sup>(2)</sup>

أما جهل النصارى وتناقضهم في شأن الربوبية حيث جعلوا عيسى عليه السلام ابنا لداود؛ قال القاضي أبو الوليد الباجي: "ومن طريف ما تأتون به، وتضحكون سامعه منكم قولكم: إن عيسى ابن الله -تعالى الله عن ذلك- وتقولون: إنه من ولد داود عليه السلام".<sup>(3)</sup>

وهذا ثابت في إنجيلكم وملتو من كتابكم، وتزعمون أن جبريل، إذ بشر مريم به قال لها: إنه يكون عند الله عظيما ويكون الله لاسمه ناشرا و يدعى بابن الله و يورثه الله ملك أبيه داود".<sup>(4)</sup>

"ولا تحملون ذلك على أن داود أبوه من قبل مريم لأنها لم تكن من ذرية داود، وإنما تحملون على أنه أبوه من قبل يوسف النجار الذي تزعمون أنه كان زوجا لمريم؛ فإذا كان عيسى من ولد داود، وداود عبد مخلوق، وجد بعد أن لم يكن، ومات بعد أن حيي، فكيف يكون عيسى الابن، خالق داود (أبيه) وإلهه وكيف يكون ابنا لداود المخلوق وابنا لله الخالق؟

وهل هذا إلا جهل بمعرفة الابن من الأب، والقديم من المحدث، والخالق من المخلوق، ومن بلغ هذا الحد من الجهل لم يصلح له اعتقاد شرع، فكيف يدعو إليه ويتكلم عليه".<sup>(5)</sup>

(1) \_ نفسه، ص: 68

(2) \_ نفسه، ص: 71.

(3) \_ نفسه، ص: 72.

(4) \_ نفسه، ص: 72.

(5) \_ رسالة الباجي الى راهب فرنسا، ص: 83\_84.

ومن واقع النصارى قولهم أن الرب يخاف من إبليس، فكيف يدعون أن يكون ذلك هو الله –تعالى الله-. قال أبو الوليد الباجي في رسالته: "فكيف يخاف من هذه صفته بعض خلقه أن يفتنه؟ وكيف تحمل إبليس الأرض أو تضله، وهو يخاطب ربه ويدعي إلى عبادته، ويعد أن يثيبه على ذلك، ويملكه زينة الحياة الدنيا، وهي ملكه ومن خلقه، وربّه يخاف فتنته ويستنجد منه بالصيام؟"<sup>(1)</sup> وقد تكلم القاضي تفصيلا على هذه الواقعة، خاصة توحيد العبادة.

وخلاصة ما ذهب إليه الإمام أبو الوليد الباجي، في رسالته القيمة تتلخص في النقاط التالية:

- 1- رد على راهب فرنسا في أن المسيح هو الرب وأنه يحيى ويميت.
- 2- رد في موضع آخر على أن المسيح خلق المعجزات فهو الخالق لكل شيء، بل هو الرب القادر.
- 3- رد عليهم في إحدى مضحكاتهم في قولهم: إن عيسى من أبناء داود، و هو مع ذلك خالق داود وأب له.
- 4- رد عليهم زعمهم في كتابهم المقدس: أن عيسى هو الله، وأنه يخاف من إبليس، ويستجير منه.

أما أبو عبيدة الخزرجي؛ فقد أدلى بدلوه هو الآخر بحوارته التي لمها في كتاب وسمه بـ "مقامع الصلبان في الرد على عبدة الأوثان" فهذا الكتاب هو في الأصل رد على قسيس نصراني، الذي ارسل رسالة له يرغبه في الدخول في دينه قائلا فيها: "من فلان إلى فلان باسم الأب والابن، والروح القدس، إله واحد سلام عليك أيها الفتى، الإسماعيلي المحمدي، ورحمة الله وبركاته"، وضمن هذه الرسالة كثيرا من الهتان والشرك والظلم والشبهات والطغيان وختمها بقوله: "وأنا قد بذلت لك النصيحة في هذه الرسالة، لما ظهر لي من ذكائك، فاعتبرها وتدبرها والله يجعلها نورك وسبب هداك أمين أمين"<sup>(2)</sup>.

(1) نفسه، ص: 89.

(2) مقامع هامات الصلبان وروائع روضات الإيمان، أبو عبيدة الخزرجي، ص: 119. تح: محمد شامة، مكتبة وهبة \_ القاهرة. لقد طبع هذا الكتاب باسم "بين المسيحية والإسلام". فمحقق هذا الكتاب اشار في مقدمته ان المخطوط ورد باسم "مقامع هامات الصلبان وروائع روضات الإيمان"

وكان مما سود به ما بين مبتدائها ومنتهاها، الشرك بأنواعه ومنه الإشراك في توحيد الربوبية، وأن المسيح هو الخالق المدبر فقال: "المسيح إلهنا، الذي خلق السماوات والأرض وما بينهن".<sup>(1)</sup>

وقال في موضع آخر أن الأنبياء جاءوا ليعلموا البشر الإقرار بربوبيته (أي المسيح)<sup>(2)</sup> وسفسط في موضع آخر في العقليات، واستبعد السمعيات فقال: "والكلمة هو الله، وهو مخلوق من طريق الجسم، وخالق من طريق النفس، هو خلق جسمه، وهو خلق أمه وأنه كانت من قبله في الناسوت، قبلها اللاهوت، وهو الإله التام، وهو الإنسان التام".

ثم رد عليه أبو عبيدة بكلام بليغ رغم حدث سنه؛ قال الإمام أبو عبيدة -أو أحد نساخ الكتاب-: "ولما وقف الصبي على هذه الرسالة زجر موصلها، وامتنع عن مراجعة القسيس، لكونه يومئذ بين ظهرانهم، وفي كنه ديانتهم"<sup>(3)</sup> فألحوا عليه في الجواب. وفي خلال ذلك حان موعد سفره عنهم فكتب هذا الجواب، المسمى: بمقامع هامات الصليبان وروائع روضات الإيمان و تركه عندهم ومضى و هذه نسخته.<sup>(4)</sup>

ابتدأ أبو عبيدة رسالته بالتوحيد، واختتمها بالتوحيد فقال في أولها قبل أن يدلف الخزرجي إلى المناقشة والرد، ابتدأ القول: "من فلان إلى فلان، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إلى فرد، صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد"<sup>(5)</sup> ثم حمد الله وصلى على رسول الله ﷺ وتلا آيات الإسلام وأنه دين الله الخالد وقال:

"فصل: في تقديم الاعتذار عن النزول إلى إجابتك، والاعتذار عن ذلك للاعتراف بأن الالتفات إلى ما لديكم يحل بعقل الإنسان ودينه.

(1) \_ نفسه، ص: 59.

(2) \_ نفسه، ص: 69.

(3) \_ نفسه، ص: 119.

(4) \_ نفسه، ص: 119.

(5) \_ مقامع هامات الصليبان وروائع روضات الإيمان، لأبي عبيدة الخزرجي ، ص: 122.

وكما وصف أحد ملوك الهند -وقد ذكرت له الممل الثلاث- فقال: أما النصراني فإن كان مناصبهم من أهل الممل يجاهدونهم بحكم شرعي فلقد أرى ذلك بحكم عقلي، وإن كنا لم نربحكم عقولنا قتالا،<sup>(1)</sup> ولكن استثنى هؤلاء القوم من جميع العالم، فإنهم قصدوا مضادة العقل، وناصبوه العداوة<sup>(2)</sup> ثم يضيف الملك الهندي بعد كلام عقلي ظريف: {فلو لم يجب مجاهدة هؤلاء القوم إلا لعموم أضرارهم التي لا تحصى وجوهه، لكفى، وكما يجب قتل الحيوان المؤذي بطبعه لا يلام المرء على قتل هؤلاء، فكيف وثم من الموجات ما تقدم<sup>(3)</sup>}.<sup>(3)</sup>

قال أبو عبيدة: "فهذا ما بدا له من جهلكم، وليس بمخاصمكم، ولا مناؤكم، ولا بمتهم باتباع الهوى فيكم.

ولم أقدم هذا الفصل قاصدا تبيان ملالتك؛ لأن ذوائها قد سارت مسرى الشمس وبواظلمها لاحت لعيون الجن والإنس، ولكن لأتم الحجة على نفسي، وأحيل: ما رمته أولا من الاعتذار عن النزول إلى مجاوبتك.."<sup>(4)</sup> ثم يعتذر الخزرجي اعتذارا جليلا جميلا لقصور علمه وصغر سنه، "على أني بين القصور، لصغر السن وإغفال المطالعة وقلة العناية قبل اعتراضك إياي"<sup>(5)</sup>.

إن من يقف على كتابه المذكور يقف إعجابا برده الدامغ على عباد الصلبان والطين، قال أبو عبيدة الخزرجي في رده على زعم النصراني أن المسيح هو الله وأنه خالق مدبر: "أخبرني أيها المخدوع؛ ما الذي أظهره دليلا على أنه هو الله حتى تنقطع صحة العالم به دون غيره كما زعمت؟ وما الذي رأوا من العظمة التي لم يكونوا رأوها حتى ترتفع المعاذير؟ لأجل أن رأوا يديه ورجليه مكتوفة -كما تظن من غير يقين- مصفوعا في قفاه، مبصوقا في وجهه بتاج من الشوك على رأسه، مصلوبا على جذع مسمرة يداه ورجلاه فيه"<sup>(6)</sup>.

(1) نفسه، ص: 123

(2) نفسه، ص: 122\_123

(3) نفسه، ص: 123

(4) نفسه، ص: 124

(5) مقامع هامات الصلبان وروائع روضات الإيمان، أبو عبيدة الخزرجي، ص: 62

(6) نفسه، ص: 139

وبعد مناقشة طويلة في معتقد الصلب والفداء و الألوهية – سيأتي ذكرها- يضيف: "أخبرني أيها المغرور! من كان الممسك للسموات والأرض، إذ كان الله – كما تزعمون- مربوطا في خشبة الصليب؟ هل بقيا ساكنتين؟ أم استخلف عليها غيره، وهبط هو لربط نفسه في خشبة الصليب؟"<sup>(1)</sup>.

ويبطل الخزرجي دعوى ربوبية عيسى بدليل عقلي: "ثم كتبتكم في الإنجيل الذي بأيديكم: أن الرب صعد، فصار على يبي الرب في إثر الصلب."<sup>(2)</sup>

أخبرني أيها المخدوع عن هذين الربين:

من خلق منهما صاحبه؟ فالمخلوق ضعيف عاجز، ليس بإله، وإذا أراد أمرا، لمن الحكم منهما؟، فإن كان أحدهما مضطرا إلى مشاورة الآخر، ومساعدته، كان المضطر عاجزا مقهورا، ولم يكن إلهها قادرا، وإن كان قادرا على مخالفته ومدافعته، فهو إذن إله مدهن، ويكون الآخر ضعيفا، عاجزا مقدورا عله.

أما تعلم أيها المغرور أنه ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾<sup>(3)</sup>، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذْ مَا لَخَلَقَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾<sup>(4)</sup>  
(5)

وخلاصة ما ذهب إليه الخزرجي في كتابه الذي ضمنه النقاط التالية:

1- تضمن رده مقدمة، ثم تبيان مناقضة دين النصارى للعقول، وكثير من معتقداته محالات العقول.

(1) المصدر نفسه، أبو عبيدة الخزرجي ، ص: 188

(2) إنجيل مرقس الإصحاح 16:19.

(3) الأنبياء: 22

(4) المؤمنون: 91

(5) مقامع هامات الصليبان وروائع روضات الإيمان، أبو عبيدة الخزرجي ، ص: 189

- 2- رد على القسيس في زعمه أن المسيح خالق السماوات والأرض، فماذا رأوا منه مما يوجب هذا الاعتقاد الفاسد، أهو الصلب واللطم ووضع الشوك على الرأس.
- 3- ومن كان الممسك للسماوات والأرض -إن كان هو الرب الذي صلب- كما زعموا.
- 4- الرد على زعم الإنجيل أن الرب صعد وجلس إلى جوار الرب، بعد أن صلب.

في ظل ما تطرقنا إليه نقول إن من أبرز من تصدى لحركة التنصير أو حركة التأليف اليهودية بأسلوب المجادلات والمناظرات الدينية الإمام أبو محمد علي بن سيعد ابن حزم الظاهري (ت 456هـ) والشيخ أبو جعفر أحمد بن عبد الصمد الخزرجي (ت 582هـ) والشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت 671هـ) لقد قام كل منهم بعمل فكري وجدلي كبيرين، وناقشا قضايا عقيدية وتشريعية في الدينين: النصراني واليهودي محاولين البرهنة على فسادها وعورها.

أما ابن حزم فنقد عقيدة الإلوهية لدى أهل الكتاب وعقيدة صلب المسيح وأنسنة الإله، وتأليه الإنسان، وعقيدة التثليث . كل ذلك وغيره ورد في مؤلفاته الموسوعية: ( الفصل في الملل والأهواء والنحل) (والأصول والفروع) (والرد على ابن النغيلة اليهودي) وكانت مجادلات ابن حزم شاملة وعميقة وقاسية، وكانت مؤثرة لدرجة أن علماء التوراة اليهود أدخلوا تغييرات في النصوص التوراتية نتيجة مجادلات ابن حزم مثل ما فعل موسى بن ميمون (ت 603هـ) الذي تأول معظم النصوص التجسيمية الواردة في التوراة بناء على ملحوظات ابن حزم ونقده. وفي هذا الشأن يقول السموأل بن يحيى المغربي (ت 570هـ) في كتابه: "بذل المجهود في إفحام اليهود" ما نصه:

"عندهم - يقصد أهل الكتاب - من كفريات التجسيم كثيراً، على أن أحبارهم تهذبوا كثيراً عن معتقدات آبائهم بما استفادوه من عندهم بما يدفع إنكار المسلمين عليهم ما تقتضيه الألفاظ التي فسروها ونقلوها، وصاروا متى سئلوا عما عندهم من هذه الفضائح استبرؤوا بالجحد والبهتان من فضيخ ما يلزمهم من الشفاعة"<sup>(1)</sup>.

(1) \_ الجدل الديني، للسيوطي ص: 154

أما الشيخ أبو جعفر أحمد بن عبد الصمد الخزرجي فقد ركز على نقد عقيدة الإلوهية لدى أهل الكتاب، وعقيدة صلب المسيح، وكذلك نقد الأناجيل المعتمدة لدى النصارى في زمنه، وقد ألف الخزرجي كتابه العظيم الموسوم: "مقام همامات الصلبان ومراتع رياض الإيمان" وهو كتاب تم تحقيقه مرتين، وله كتاب آخر لا زال مخطوطاً عنوانه: "مقام المدرك في إفحام المشرك" وللخزرجي تجربة فريدة فقد تم أسره من قبل الفرنج النصارى، وفي مقامه ذاك تمت محاولات عديدة لتحويله من الإسلام إلى النصرانية. ولكنه قاوم بشجاعة العالم، ورد وفند ما أثير حول الإسلام من قبل أسريه.

ومن العلماء أيضاً الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي صاحب كتاب "الجامع لأحكام القرآن" الذي جادل حول تناقضات الإنجيل، وبرهن على صدق وقوع تحريف التوراة. وناقش قضية صلب المسيح. كما أنه أبان بطلان كثير من المعجزات النصرانية، وكتب كثيراً من الردود ورد على القس حفص بن البر صاحب كتاب "العقائد" وهو كتاب أتخذ بمثابة دليلاً ومعيناً للمجادلين النصارى عند تحاورهم مع المسلمين. وينسب للقس حفص بن البر أنه نظم مزامير داود شعراً. ألف القرطبي كتاباً شاملاً في الجدل الديني أسماه: "الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة محمد عليه الصلاة والسلام" ويرى المؤرخون أهمية كبيرة لكتاب الخزرجي في ميدان الجدل الديني لموسوعيه حجمه وكبره، وتطرقه للخلاف العقدي بين الإسلام والنصرانية.

وجملة القول أن مؤلفات أولئك العلماء، خصوصاً مؤلفات الإمام ابن حزم قد بُنيت على قواعد صلبه، أدت إلى نشوء علم اسمه: علم مقارنة الأديان وقواعده. لقد كان ابن حزم رائداً في ميدان النقد التاريخي، ورائداً في ميدان الفلسفة والعقليات، ويكفي أنه أول من نص على دور بولس الرسول في تحريف الإنجيل، وهو قول سبق به علماء النصرانية واللاهوت النصارى في العصر الحديث. وكان ابن حزم أكثر علماء الأندلس مجادلةً ومناظرةً لعلماء اليهود. ولقد كان ابن حزم صريحاً وواضحاً في مداخلاته الدينية، وكان لا يقر ما عليه الصوفيين في كل الأديان، ولكن نصيب

الصوفيين المسلمين من نقده يُعد الأكثر والأقوى، وكان يرى أن الصوفية تُفسد الدين. وقد كان نصيب الصوفي محمد بن عيسى الإلبيري من هجوم ابن حزم كبيراً. ولا يُستبعد كما يقول المستشرق الأسباني آسين بالاثيوس من أن محمد بن عيسى هذا من تلاميذ مدرسة محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيج القرطبي الصوفي المشهور (ت 319هـ) وهي مدرسة لعبت دوراً في نشر الصوفية الإسلامية في الأندلس<sup>(1)</sup>.

لقد شكلت النقاشات الحامية التي جرت بين علماء الأديان الثلاثة مقدمة ضرورية. ورصعت صفحات ناصعة في ميدان الحوار الديني، وكانت الروح المتسامحة السائدة بين المتحاورين هي ما شجع عدداً من العلماء من مختلف الطوائف للدخول في دائرة الجدل الديني، طالما أنهم لن يتعرضوا للمساءلة أو العقاب من قبل المسؤولين الحكوميين، لدرجة أن بعض القضاة الذين يشهدون المحاورات الدينية يصمون أذانهم عندما يتلفظ أحد المتحاورين من أهل الكتاب بما يعد قذفاً في جنب الإسلام أو نبيه، وذلك خشية أن يوقع عليه العقوبة المشروعة<sup>(2)</sup>.

وقد بلغ من اتساع دائرة التسامح الديني آنذاك أن القاضي محمد بن عمر ابن لبابه (ت 314هـ) أفتى بعدم إيقاع حد الردة على يافع أندلسي بعد إسلامه بسبب ضغط أبويه. ومثل هذا فتوى القاضي عبيد الله ابن يحيى (ت 279هـ) بخصوص فتى أندلسي رأي النكوص عن إسلامه بعد أن سجله القاضي، وجاء للقاضي لتسجيل رجوعه لدينه السابق، النصرانية، فتم له ما أراد<sup>(3)</sup>.

ومما يسهل ملاحظته أن المحاورة الدينية بين المسلمين واليهود في الأندلس أكثر وأشمل من مثلياتها في الشرق الإسلامي، نظراً للثقل الثقافي اليهودي في الأندلس وقتذاك. وأمر آخر لا يقل وضوحاً عن سابقة وهو: أن أسلوب المناظرة، ومنهجية المحاورة وطرائق المجادلة الأندلسية قد أثرت في شكل وطبيعة المحاورات في الشرق الإسلامي، ودليلنا على ذلك أن القرافي (ت 684) وهو من

(1) ينظر: علماء الملل والتحلل، نجاح محمود الغنيبي، ج1، ص 77، دار المنار، القاهرة، 1987م ..

(2) ينظر: تاريخ الجدل، محمد أبو زهرة، ص: 148، دار الفكر العربي، القاهرة، 1980م ..

(3) ينظر: الأحكام الكبرى (وثائق في قضاء أهل الذمة مستخرجة من مخطوطة الكتاب)، أبو الإصبع عيسى بن سهل الأندلسي تحقيق محمد بن

عبد الوهاب خلاف، المركز العربي، بيروت، ص 42-46.

علماء المشرق قد تأثراً كثيراً بالخزرجي، لدرجة أن من لا يعرف القرافي يعده من علماء الجدل الأنديسيين<sup>(1)</sup>.

وأزعم أن الجدل الديني بين الديانات المساوية الثلاث شكل سمة من سمات الحوار الحضاري الذي عرفته الأنديس، وهو حوار حضاري، أنتج العقلية الأنديسية المتفتحة، وأدى إلى لقاء الثقافات المختلفة على صعيد واحد، وأدى إلى تلاقح العقول، وهو حوار حضاري ما أحوجنا اليوم لمثله، فقد أثبت التجربة الأنديسية أنه إذا ما توفرت الأجواء الصحيحة والتسامح فإن الدين لا يشكل عقبة أمام الحوار الحضاري، وإن الدين لا يصبح كما يقول البعض من أنه كان سبباً من أسباب الصدام الحضاري، وإذا ما ابتعد عن التعصب والتحيز. والجدل الديني كما اتضح من التجربة الأنديسية، جدل قائم على قبول الرأي والرأي الآخر، وعلى فتح باب الخيار أمام المتجادلين وغيرهم، وعدم إجبارهم على قبول ما لا يرضون، أو التقليل من شأنهم، ولم يرد في المصادر ما يشير إلى أن المتجادلين والمحاورين من أتباع النصرانية أو اليهودية قد تعرضوا للضرب أو السجن، ناهيك عن القتل. وهذا هو الجدل الديني المطلوب. الجدل الديني الذي يؤدي إلى حوار حضاري. وهو الحوار الحضاري الذي شهدته الأنديس، وقام بين الحضارة الإسلامية وحضارة أهل الكتاب بشقيها اليهودي والنصراني.

(1) \_ ينظر: الجدل الديني للسيوطي ص: 265

## ❖ المبحث الثاني: في الحرية الدينية

- **المطلب الأول: الحرية الدينية عند المسلمين وغيرهم وأنواعها**

- **الفرع الأول: مفهوم الحرية**

- **الفرع الثاني: الحرية الدينية عند المسلمين وغيرهم وأنواعها**

- **المطلب الثاني: الحرية الدينية أبعادها وضوابطها**

- **المطلب الثالث: نطاق الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية**

- **المطلب الرابع: حقيقة الدعوة إلى الحرية الدينية عند المسلمين**

- **المطلب الخامس: المطلب الخامس: الرد على شبهات وادعاءات حول**

الإسلام

## الفرع الأول: مفهوم الحرية

عرف ابن منظور الحرية في لسانه، بقوله: "الحر بالضم نقيض العبد والجمع أحرار، والحررة نقيض الأمة، وهي: الكريمة من النساء، وحرره أعتقه، وتحرير الولد". أن يفرد له لطاعة الله عز وجل وخدمة المسجد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(1)</sup>، قال الزجاج: هذا قول امرأة عمران ومعناه جعلته خادما يخدم في متعباتك وكان ذلك جائزة لهم.<sup>(2)</sup> وقال القرطبي: "قوله تعالى محررا ماخوذ من الحرية التي هي ضد العبودية، من هذا تحرير الكتاب وهو تخليصه من الاضطراب والفساد"<sup>(3)</sup>.

والحر من كل شيء أعتقه، وفسر حر عتيق، وحر الفاكهة خيارها، والحر كل شيء فاخر، والحر الطين الطيب، وحر الدار وشطها وخيرها، وفي الحديث ما رأيت أشبه برسول الله ﷺ من الحسن، إلا أن النبي ﷺ كان أحر حسنا منه يعني أرق من رقة حسن"<sup>(4)</sup>.

وقال الجصاص: "تحرير رقبة يعني عتق رقبة، وتحريرها ايقاع الحرية عليها، وذكر الرقبة واران به جملة الشخص تشبيها له بالاسير الذي تفك رقبتة ويطلق فصارت الرقبة عبارة عن الشخص وكذلك قال اصحابنا إذا قال رقبتك حرة انه يعتق كقوله أنت حر"<sup>(5)</sup>.

وقد جمع صاحب القاموس المحيط ذات المعاني. فيقول: الحررة جمع لأرض ذات حجارة نخرة سود، والحر بالضم خلاف العبد، وخيار كل شئ والفرس العتيق والفعل الحسن، ومن الوجه ما بدأ، ومن السحاب الكثيرة المطر، والحرية الأرض اللينة الرملية ومن العرب أشرافهم"<sup>(6)</sup>.

(1) سورة آل عمران، الآية: 35.

(2) لسان العرب، ابن منظور 181/4 بتصرف.

(3) الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمن من السنة وأحكام الفرقان، محمد بن احمد الانصاري القرطبي، 66/4، تحقيق: احمد عبد العليم البردوني، الطبعة 2، القاهرة، دار الشعب، 1372هـ.

(4) لسان العرب، ابن منظور 181/4 بتصرف.

(5) أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص، 121/2، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، بيروت، دار احياء التراث العربي، 1405هـ.

(6) القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيوزي آبادي 7/2 بتصرف.

ويقول الباحث والكاتب العراقي، الشيخ القرشي: "الحرية في اللغة تطلق على الخلوص من العبودية، فيقال هو حر أي غير مُسترق، وتطلق على الخلوص من القيد والاسر. وفي الاسلام فان الحرية تارة يراد بها الخلوص من العبودية فيقال حر (أي غير مملوك) واخرى يُراد بها الرضا والاختيار، فيقال فلان حر في تصرفاته أي غير مكره، كما انها تطلق ويراد منها تخليص النفس من الأوهام والخرافات، كما يقال: فلان متحرر من الأوهام"<sup>(1)</sup> ويقول التهانوي: "الحر بالفتح والتشديد لغة الخلوص"<sup>(2)</sup>.

اذا كان تعريف الحرية في اللغة كثر معانيه وتعددت مدلولاته، فانه في مجالها الاصطلاحي اكثر عددا وتنوعا وتشعبا، وبمرور الزمن يتم استحداث مصطلحات لمعنى الحرية، توفرها وتخلقها الظروف وتطورات العصر السياسية والاقتصادية والذهبية...

فعلى سبيل المثال، لا يجد باحث بريطاني في الشؤون السياسية مثل NEIL MCNAUGHTON، أية غموض من اطلاق وصف الحرية على ما تصفه شعوب العالم الثالث بالاستعمار، فعنده: "عندما يكون كل الناس مستعمرين ويتم انتزاعهم من القوة الإرهابية ويحررون من الإستعباد من قبل قوة خارجية، نحن نقول إنهم الآن قد تحرروا"<sup>(3)</sup>.

وكلمة الحرية الكل يوظفها حسب أغراضه وأهدافه؛ وأبراهم لنقولن يبين هذا بمثل ضربه؛ قال: "إن الراعي يبعد الذئب عن الشاة، ولهذا تشكر الشاة الراعي لأنه حررها، بينما يستنكر الذئب تصرف الراعي باعتباره محطما للحرية. وواضح أن الشاة والذئب ليسا متفقين على تعريف لكلمة الحرية"<sup>(4)</sup>.

(1) نظام الإسلام السياسي، الشيخ باقر شريف القرشي، ص: 183-184 بيروت، دار التعارف للمطبوعات، الطبعة 2، 1398هـ/1978م.

(2) كشاف اصطلاحات الفنون، محمد بن علي الفاروقي التهانوي، 1/291-292، كلكتا 1822.

(3) John Murray، SUCCESS IN POLITICS، NEIL McNAUGHTON Ltd

publishers، Second Edition 2001، p21

(4) حقوق الانسان وحياته الاساسية في النظام الاسلامي والنظم المعاصرة. عبد الوهاب عبد العزيز. ص: 4، مطابع الجمعية العلمية الملكية

1400هـ-1980م، \_ عمان\_

أما عند المشتغلين في الحقل الديني فالمفهوم عندهم يقتصر على الخلوص كما ذهب التهانوي.

فالحرية إذن \_عندهم\_ نقيض العبودية وهي الانفراد لطاعة الله عزوجل أو هي الطيب الخالص الحسن الذي لا يضاهيه شيء في حسنه ولا جودته ولا رفعته، وإذا أضفنا لفظ الحر للإنسان فهو الإنسان الحر الطيب النفس الكريم الذي حرر نفسه من كل رق سوى الله سبحانه وتعالى...

لقد أورد التهانوي في تعريفه لمصطلح الحرية في كشفه لاصطلاحات الفنون تعريفاً بمعنى الخلوص، و الخلوص لله وحده، فقال:

إن الحرية هي "خلوص حكمي يظهر في الآدمي لانقطاع حق الغير عنه"، ثم أورد تعريف الحرية عند السالكين فقال: "إن الحرية تعني انقطاع خاطر من تعلق ما سوى الله تعالى بالكلمة، وذكر أيضاً أن الحرية نهاية العبودية فهي هداية عند ابتداء خلقته".<sup>(1)</sup>

وقد جاء في التعريفات للجرجاني أن الحرية هي "الخروج عن رق الكائنات، وقطع جميع العلائق والأغيار، وهي على مراتب. حرية العامة عن رق الشهوات وحرية الخاصة عن رق المرادات لفناء إرادتهم في إرادة الحق، وحرية خاصة الخاصة عن رق الرسوم والآثار لانمحاقهم في تجلي نور الأنوار".<sup>(2)</sup>

وعرفها جابر بن حيان الكوفي بأنها: "إرادة تقدمتها روية مع تمييز". وقال "بو حامد الغزالي بأن: "الحر من يصدر منه الفعل مع الإرادة للفعل على سبيل الاختيار، على العلم بالمراد". وعرفها الدكتور زكريا إبراهيم بأنها: تلك الملكة الخاصة التي تميز الكائن الحر الناطق من حيث هو موجود عاقل يصدر أفعاله عن إرادته هو، لا عن إرادة أخرى غريبة عنه، فالحرية بحسب معناها (الاشتقائي) هي انعدام القسر الخارجي. ويرى الشيخ أبو زهرة: "أن الحر حقا هو الشخص الذي

(1) \_كشف اصطلاحات الفنون، محمد بن علي الفاروقي التهانوي، 292\_291/1

(2) \_التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ص: 76، الناشر مصطفى البابي الحلبي، ط 1938م.

تتجلى فيه المعاني الانسانية العالية، الذي يعلو بنفسه عن سفاسف الامور، ويتجه إلى معالها ويضبط نفسه، فلا تنطلق اهاؤه ولا يكون عبدا لشهوة معينة، بل يكون سيد نفسه، فالحر من يبتدئ بالسيادة على نفسه، ومتى ساد نفسه وانضبطت أهواؤه وأحاسيسه يكون حرا بلا ريب".<sup>(1)</sup>

أما تعريف الحرية من الناحية الفلسفية نجد كثير من الفلاسفة تكلموا فيها وعرفوها؛ منهم سقراط socrates ( حوالي 469\_399 ق.م) الذي عرف الحرية بأنها فعل الأفضل، وهذا يقتضي معرفة الأفضل مسبقا، فعاد الأمر إلى المعرفة، أما أفلاطون platon ( حوالي 428\_347 ق.م) فعرفها بأنها وجود الخير الذي هو الفضيلة، والخير محض يراد لذاته ولا يحتاج إلى أي شيء آخر، والحر عنده هو من يتوجه فعله نحو الخير. وهكذا فالفيلسوفان الكبيران ردا الحرية إلى الميدان الأخلاقي.

"مع أرسطو Aristotle ( 384\_322 ق.م) يبدأ المعنى الأدق للحرية في الظهور، إذ يربطها بالإختيار ويقرر أن الإختيار لا يكون عند المعرفة وحدها، بل عند الإرادة أيضا، ولذا عرف أرسطو الإختيار بأنه إجتماع العقل مع الإرادة".<sup>(2)</sup>

وعرفها جون بول سارتر في الحرية الذي قال: "إن الإنسان ليس إنسانا إلا بحريته، فالحرية يصح اعتبارها تعريفا للإنسان. و إننا نريد أن نجعل حريتنا هدفا نسعى إليه لا يسعنا إلا أن نعتبر حرية الآخرين هدفا هو أيضا نسعى إليه"<sup>(3)</sup>. ويعرفها سارتر أيضا بأنها هدف يسعى الإنسان إليه: "وأننا إذ نريد أن نجعل حريتنا هدفا نسعى إليه فعلينا أن نعتبر حرية الآخرين هدفا هو أيضا نسعى إليه...، فإذا اعتبرنا أن الفرد لا يستطيع في مختلف مراحل حياته و كافة مواقفه إلا أن يختار حريته سبيلا، إذا صح بالتالي أن أعتبر أن الإنسان لا يستطيع إلا أن يختار حرية الغير"<sup>(4)</sup>. ويتناولها جاك

(1) النظام السياسي في الاسلام، نعمان عبد الرزاق السامرائي، ص:175-176، الطبعة 1، 1419هـ/1999م، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

(2) موسوعة الفلسفة، عبد الرحمان يدوي، 1/252\_253، المؤسسة العربية للنشر 1980. بيروت.

(3) الوجودية مذهب إنساني، جون بول سارتر، ص:177، ترجمة كمال الحاج، دار الطليعة، ط 1، 2003.

(4) الوجودية مذهب إنساني، جون بول سارتر، ص:82\_83

روبير من زاوية أخرى، حيث يقول: "الحرية تلتقي إذن بضمانة حيز خاص لكل فرد لأن يكون سيد نفسه".<sup>(1)</sup>

أما هيغل فيرى أن "الحرية هي العنصر المكون لمفهوم الإنسان، إن الوعي بهذه الحقيقة قد عمل عبر التاريخ كغريزة مدة قرون وقرون، وحققت تلك الغريزة تغيرات عظيمة، لكن القول إن الإنسان حر بطبعه لا يعني بمقتضى كيانه الملموس بل يعني بمقتضى ما تعنيه ومفهومه".<sup>(2)</sup> ويعرفها هارولد لاسكي في رسالته عن الحرية في كتابه 'الحرية في

الدولة الحديثة بما يلي: "أنا أعني بالحرية انعدام أية قيود على وجود تلك الظروف الاجتماعية التي تمثل في المدينة الحديثة الضمانات الضرورية للسعادة الفردية"<sup>(3)</sup>. وفي الإطار نفسه يحددها جون ستيوارت ميل من خلال الإطار المناسب لتطورها، فيقول: "إن النطاق المناسب للحرية الإنسانية هو حرية الضمير بأشمل معانها وحرية الفكر والشعور وحرية الرأي والوجدان المطلقة في كل الموضوعات سواء كانت عملية أم تأملية أم أخلاقية أم لاهوتية".<sup>(4)</sup>

ويؤكد عبد الله العروبي في مسألة التشبث بالحرية عند الفرد داخل المجتمع، أنه يحتاج إلى أمرين اثنين: "الأول إثبات الحرية كحق أصلي ضروري بديهي لا يقبل النقاش أو المنازعة، والثاني هدف تتعين فيه الحرية المجردة المطلقة. وهذان الأمران متوفران لدى الشخص من خلال تجربته اليومية، لا حاجة إلى التدليل على أن الحرية حق طبيعي مادامت الحياة تستلزمها وتحتمها".<sup>(5)</sup> فالعروبي يرى أن ما يجعل الفرد شخصا وإنسانا قائم الذات هو الشعور بأن الحرية بديهية ومتوفرة.

(1) Jacques robert ; libertes puplique ; ed montcherstien ; paris troisieme Ed\_ 1982p.17

(2) \_دروس في تاريخ الفلسفة\_، هيغل ، باريس غاليمار، 1978، ص:63

(3) \_الحرية في الدولة الحديثة\_، هارولد لاسكي، ص:27، ط2، باريس، 1978.

(4) \_الحريات العامة وحقوق الإنسان بين النص والواقع\_، عيسى بيرم، ص:11\_12، دار المنهل اللبناني، بيروت 1998.

(5) \_مفهوم الحرية\_، عبد الله العروبي، ص: 17 المركز الثقافي العربي، ط 6، الدار البيضاء، 2002.

ويرى الدكتور زكريا إبراهيم أن الحرية هي: "الملكة الخاصة التي تميز الإنسان من حيث هو موجود عاقل يصدر في أفعاله عن إرادته هو لا إرادة أخرى غريبة عنه...، فهي مشكلة الوجود الإنساني، مادام فهمنا لمعنى الحرية هو الذي يكشف لنا معنى القيم، ومعنى القلق...".<sup>(1)</sup> والحرية حسب زهير الخويلدي، هي خلوص واختيار وروية وانقطاع حق الغير عن المرء ويقابلها الرق والعبودية والجبر والحتمية، وبالتالي فهي لها عدة معان وفيها السلبي والإيجابي وتدل على الفعل الإرادي والقيام بمبادرات عقلانية ومشاريع هادفة وإتيان أفعال مسؤولة، وتشير إلى النظرة الإبداعية التي يعامل بها المرء نفسه وغيره والمحيط المادي الذي يوجد حوله، وتشمل مجال التفكير والتعبير والإعلام والمعتقد والرأي. إن الحرية المسؤولة هي تلك التي تسبق فعل الخير على ارتكاب الشر وتجعل وجود الإنسان ثمرة معركة مستمرة مع كل أشكال الاستلاب والاستعباد والاستغلال وتفقد حرية الاستواء التي تزعم أن المرء قادر في الوقت نفسه على فعل الشيء والامتناع عنه، وتعتبر أن الحرية الكاملة هي وجود الإنسان الذي يتجلى في عالم من التواصل الأصيل بين كائنات عاقلة وحررة، ومثلما أكد كارل ياسبرس: "بقدر ما تكون حريتي بقدر ما يكون وجودي. وذاتي لا تكون ذاتا أصيلة إلا إذا انفتحت على غيرها من الذوات الأصيلة".<sup>(2)</sup>

لقد استطاع العلماء والفلاسفة بالوقوف على الأرض الحقيقية للفظ الحرية ألا وهي النفس الإنسانية، ولن تجد هذه النفس سعادتها وحريتها الحقيقية سوى في الخروج عن رق الكائنات، وانقطاع خاطر من تعلق ما سوى الله فالإنسان الحر حقا هو ذاك الذي تحرر من الشهوات والأهواء، وتحرر وجدانه من التعلق بسائر الآلهة أصناما مادية كتلك التي كان يعبدها الوثنيون أو عرب الجاهلية قبل الإسلام، أم كانت أصناما معنوية في صورة شعارات ونظريات أثبت الواقع زيفها وما أنزل الله بها من سلطان. وأستفيد من تعريفات هؤلاء العلماء أيضا أن الحرية تعني تحرير الإنسان من الأوهام والتقاليد البالية المنافية لحكم العقل فإذا وصلت النفس الإنسانية إلى هذه الدرجة من تحرر الوجدان على النحو الذي كره هؤلاء العلماء، وإلى تحريرها من الشركاء كان لها

(1) مشكلة الحرية، زكرياء إبراهيم، ص: 10\_13، مكتبة مصر، القاهرة، 1971.

(2) المسؤولية بين إكراهات القانون ومستلزمات الحرية، زهير الخويلدي، ص: 91، مجلة الأزمنة الحديثة، عدد 5، 2012.

حرية الاختيار، اختيار ما تريده، اختيارا حقيقيا خالصا مبني على أسس ومبادئ راسخة، لا على مجرد تقاليد بالية، و هنا فقط تكون الحرية متفقة والكرامة الإنسانية و وظيفة الإنسان الأصلية في عبادة الله وحده، و الخلافة في الأرض وعمارة الكون على النحو الذي أراده الله سبحانه وتعالى، وهنا يكون الإنسان منسجما في تصرفاته مع مخلوقات الله ونواميس الطبيعة التي سخرها الله للإنسان لا أن يجد نفسه في عداوة غير معلومة المصدر مع هذا الكون الفسيح الذي أبدعه الخالق سبحانه وتعالى.

## الفرع الثاني: الحرية الدينية عند المسلمين وغيرهم وأنواعها

تعتبر الحرية في الدين الإسلامي من الأمور التي قدسها الشرع وقدمها على بعض لوازم الإيمان؛ فالإسلام لا يقيد حرية إلا إذا كانت هذه الحرية تسلب حرية الآخر؛ أو تمس مصلحة أعظم، فلا يجعل الإسلام أي قيد على الحرية إلا لأمر قد تبين ضرره.

إن قضية الإيمان أو عدمه من الأمور المرتبطة بمشيئة الإنسان نفسه واقتناعه الداخلي؛ قال سبحانه: ﴿قُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾<sup>(1)</sup>. ولَفَتَ الْقُرْآنُ نَظَرَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ، وَيَبَيِّنُ لَهُ أَنَّ عَلَيْهِ تَبْلِيغَ الدَّعْوَةِ فَقَطْ، وَأَنَّهُ لَا سُلْطَانَ لَهُ عَلَى تَحْوِيلِ النَّاسِ إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَالَ: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(2)</sup>، وقال: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّرٍ﴾<sup>(3)</sup>، وقال: ﴿فَإِنْ أُعْرِضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيضًا إِنْ عَلِمْتَ إِلَّا الْبَلَاغَ﴾<sup>(4)</sup>. ومن ذلك يتضح أن دستور المسلمين يقرر حرية الاعتقاد، ويرفض رفضاً قاطعاً إكراه أحدٍ على اعتناق الإسلام.<sup>(5)</sup> فإقرار الحرية الدينية يعني الاعتراف بالتعددية الدينية، وقد جاء ذلك تطبيقه في فعل النبي عليه السلام حين أقرَّ الحرية الدينية في أول دستور للمدينة، وذلك حينما اعترف لليهود بأنهم يُشكِّلون مع المسلمين أُمَّةً واحدةً، وأيضاً في فتح مكة حين لم يجبر قريشاً على اعتناق الإسلام، رغم تمكُّنه وانتصاره، ولكنه قال لهم: "أَذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ"<sup>(6)</sup>. وعلى دربه أعطى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب للنصارى من سكان القدس الأمان "على حياتهم وكنائسهم وصلبانهم، لا يضار أحد منهم ولا يرغم بسبب دينه"<sup>(7)</sup>.

(1) سورة الكهف، الآية: 29

(2) سورة يونس، الآية: 99

(3) سورة الغاشية، الآية: 22

(4) سورة الشورى، الآية: 48

(5) ينظر: حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك، ص: 33 محمود حمدي زقزوق، ط 1425 هـ - 2004 م، مكتبة الشروق الدولية - القاهرة

(6) ابن هشام: السيرة النبوية 411/2

(7) تاريخ الأمم والملوك 105/3، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أبو صهيب الكرمي، نشر: بيت الأفكار الدولية. 1879 م

إن الإسلام كفل مع حرية الاعتقاد حرية المناقشات الدينية؛ على أساس موضوعي بعيد عن المهاترات أو السخرية من الآخرين، وفي ذلك يقول الله: ﴿الْمَعِ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَاءَ لِقَوْمٍ بِالَّذِينَ هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(1)</sup>. وعلى أساس هذه المبادئ السامحة ينبغي أن يكون الحوار بين المسلمين وغير المسلمين، لقد وَجَّهَ القرآن هذه الدعوة إلى الحوار إلى أهل الكتاب فقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ حُنُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَلَّا مُسْلِمُونَ﴾<sup>(2)</sup>. ومعنى هذا أن الحوار إذا لم يصل إلى نتيجة فلكل دينه الذي يقتنع به، وهذا ما عبرت عنه أيضا الآية الأخيرة من سورة (الكافرون) التي ختمت بقوله تعالى للمشركين: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

فالإسلام لم يقر الحرية فقط بل ألزم بها المجتمع الإسلامي بتطبيق هذه الحرية وتنزيلها في الواقع بما يوافق أمر الله ورسوله، وتظهر الحرية في ما أمر به الشرع في أمور منها:

أولاً: إن المسلم مطالب بإعمال عقله فيما ينفعه، وتحرير عقله من ريقه التقليد كما حذر من الحجر عليه، فقد دعا الله الناس إلى النظر والتدبر بالدليل والبرهان<sup>(3)</sup>، في الكون و ذلك لمعرفة الحق، وليكون المسلم على بصيرة من أمره، قال تعالى: ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(4)</sup>، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَمَلِي قُلُوبٍ أَفْقَالِهَا﴾<sup>(5)</sup>

كما حذر من الحجر على العقل وتعطيله، سواء بالغفلة كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا لِبَنِي إِدْرِيمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِبْرِ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾<sup>(6)</sup> ويقول تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿وَلَا تُكِنُّرَ الْعَافِلِينَ﴾<sup>(7)</sup> أو بتقليد الآباء من غير تدبر و بصيرة قال تعالى: ﴿وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ

(1) سورة النحل، الآية: 125

(2) سورة آل عمران، الآية: 64

(3) ينظر: تنظيم الإسلام للمجتمع. ص: 183 محمد أبو زهرة، دط، د.ت دارالفكر العربي. القاهرة..

(4) سورة يونس، الآية: 101

(5) سورة محمد، الآية: 24

(6) سورة الأعراف، الآية: 179

(7) سورة الأعراف، الآية: 205

تَتَّبِعْ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١﴾ والآيات القرآنية التي تذكر العقل المهتدي بالمدح والثناء عديدة جدا، وكذا الآيات التي تنبهه إلى أهمية أعماله وهذا ما لا نجده في الكتب السابقة،<sup>(2)</sup> يقول العقاد: "ففي كتب الأديان الكبرى إشارات صريحة أو مضمونة إلى العقل وإلى التمييز، ولكنها تأتي عرضا غير مقصودة، وقد يلمح فيها القارئ بعض الأحياء شينا من الزرابة بالعقل أو التحذير منه لأنه مزلة العقائد، وباب من أبواب الدعوى والإنكار، ولكن القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة ولا مقتضبة في سياق الآية، بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة، وتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله أو يلام فيها المنكر على إهمال عقله وقبول الحجر عليه"<sup>(3)</sup>.

ومن اهتمام القرآن الكريم بالعقل والإقناع من غير إكراه؛ اهتمامه بالحجة والبرهان فنجد أن القرآن الكريم يقيم الأدلة المتنوعة على المسائل التي يطلب من الناس الإيمان بها، وجعل ذلك فريضة لمن توافرت فيه شروط النظر والاجتهاد؛ وقد قسم ابن تيمية أصول الدين إلى قسمين: - مسائل وهي ما يحتاج الناس إلى معرفته واعتقاده والتصديق به. والقسم الثاني وهو دلائل هذه المسائل الأصولية ثم يقول: "فإنه وإن كان يظن طوائف من المتكلمين والمتفلسفة أن الشرع إنما يدل بطريق الخبر الصادق، فدلالته موقوفة على اللم بصدق المخبر، ويجعلون ما يبني عليه صدق المخبر معقولات محضة. فقد غلطوا في ذلك غلطا عظيما، بل ضلوا ضلالا مبينا في ظنهم: أن دلالة الكتاب والسنة إنما هي بطريق الخبر المجرد، بل الأمر ما عليه سلف الأمة وأئمتها - أهل العلم والإيمان - من أن الله سبحانه وتعالى بين من الأدلة العقلية التي يحتاج إليها في العلم بذلك ما لا يقدر أحد من هؤلاء قدره"<sup>(4)</sup> ومن تدبر القرآن ووعاه، وجد الأدلة العقلية المقامة على توحيد الله، وعلى

(1) سورة البقرة، الآية: 40

(2) ينظر: الحرية الدينية بين الإسلام وأهل الكتاب، ص: 9. خالد بن عبد القاسم، ط الأولى 1430هـ، نشر مكتبة فهد الوطنية - الرياض.

(3) التفكير فريضة إسلامية، ص: 7، عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثانية، 1969هـ.

(4) مجموع الفتاوى، ابن تيمية: 296/3

البعث، وعلى صدق النبي ﷺ، وعلى صحة القرآن، وعلى مسائل كثيرة. كما نجد في القرآن الرد على أصناف المنحرفين بأدلة عقلية محضه.<sup>(1)</sup>

كما أن القرآن يعتمد في تحدي خصومه على طلب البرهان والدليل الذي يوجي بالاعتبار للحرية؛ قال سبحانه: ﴿أَمْ أَلْحَدُوا مِنْ حُورِهِ آلهةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾<sup>(2)</sup> "ولا يوجد معنى لحرية الفكر أوسع ولا أجل من أن تطلب من مناظرِك -مهما كان شأنه- أن يجيئك ببرهانه على صدق دعواه"<sup>(3)</sup> والآيات المشابهة: كثيرة منها ﴿تَبَيَّنُوا يَعْزِمُ أَنَّ كُنْتُمْ صَالِحِينَ﴾<sup>(4)</sup> ﴿أَتُنْفِرُ بِكِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرُهُ مِّنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَالِحِينَ﴾<sup>(5)</sup> فالْمُؤْمِنُ مطالب بالتفكير واتباع الحجة والبرهان من غير حجر على عقله أو تقليد بغير دليل، وقد لاحظ هذا بعض النصارى من خلال تدبرهم لآيات القرآن الكريم يقول أحدهم تعليقا على قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>(6)</sup> "يكفيك أيها المسيحي المنصف ما يمكن أن تدركه من أسرار الآية الكريمة التي صدرت بها مقالي هذا، رغم كون ما أوتيته الإنسان من لوازم الإدراك إنما هو عقل مظلم خابي الشعاع، فهي وحدها تعلن عن حرية الإسلام وحرية تابعيه، وتطلق لم عنان التفكير في الكون بجمي نواحيه، وتترك لهم حرية السماع لكل الدعاة مهما اختلفت المقاصد وتباينت الأنواع، لأن المفروض من العقلاء أنهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ولو كان هناك ما هو أحسن من القرآن -قول الله الكريم- لما حرص على استماع غيره، فينصرف الناس عنه إلى ضده كما هو حاصل عند هيئات الأكليروس التي تحرم قراءة كتب غيرهم الدينية، كما تحضر الاستماع لهم، وما ذلك إلا خشية المقارنة فيظهر للمقارن أن هناك قولاً أحسن من قولهم فيتبعه، وفي ذلك الحجر على حرية الأفكار ما فيه، ومن الإكراه في الدين والاعتقاد ما به، ليمنع نظر المتدين في معتقده ليعرف صوابه من

(1) ينظر: الحرية الدينية بين الإسلام وأهل الكتاب، ص: 9، خالد بن عبد القاسم.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 24

(3) حرية الفكر في الإسلام، محمد الصادق عرجون، ص: 17، مطبعة الأزهر القاهرة، 1956/1375م

(4) سورة الأنعام، الآية: 143

(5) سورة الأحقاف، الآية: 4

(6) سورة الزمر، الآية: 18

عواره، إذا فالإسلام دين الحرية، والدين المسيحي بعد أن لبس ثوبه الافرنجي أصبح دين العبودية، وما أسخف إنسانا وهبه الله الحرية فباعها بلا ثمن".<sup>(1)</sup>

ثانيا: الشورى: وفيها حرية إبداء الرأي واحترامه في كافة الأمور الاجتهادية، وهذا عام في أمور العلم والسياسة والحرب والاقتصاد، وحتى داخل القبيلة والأسرة، فلقد أمر الله نبيه عليه السلام وهو أرجح الناس عقلا، وأحكمهم رأيا والوحي ينزل عليه أن يستمع إلى آراء غيره،<sup>(2)</sup> بل أن يطلبها منهم كما قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَنُغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ فَضِيلُ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(3)</sup> مما يدل أنه لا يجوز لأحد من بعده أن يترك هذا المبدأ العظيم لأي مصلحة كانت، وخاصة أن هذه الآية نزلت في ظروف غزوة أحد يقول سيد قطب تعليقا على الآية: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: ليقدر المبدأ في مواجهة أخطر الأخطار التي صاحبت استعماله، وليثبت هذا القرار في حياة الأمة المسلمة أيما كانت الأخطار التي تقع في أثناء التطبيق، وليسقط الحجة الواهية التي تثار لإبطال هذا المبدأ في حياة الأمة المسلمة، كما نشأ هن استعماله بعض العواقب التي تبدو سيئة، ولو كان هو انقسام الصف، كما وقع في أحد و العدو على الأبواب... لأن وجود الأمة الراشدة مرهون بهذا المبدأ، ووجود الأمة الراشدة أكبر من كل خسارة أخرى في الطريق"<sup>(4)</sup> وقد عمل بهذا المبدأ النبي ﷺ في حوادث كثيرة، أهمها مشاورة النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه يوم بدر بالقتال وعدمه، عندما قال: "أشيروا علي أيها الناس"<sup>(5)</sup> ومشاورتهم يوم أحد لما قدم العدو إليهم لمقابلتهم أخرج؟ أم يتحصنون في المدينة؟ وكان رأيه ﷺ ألا يخرج من المدينة، وأن يتحصنوا فيها، وكان رأي كثيرين من الصحابة الخروج، فنزل عن رأيه إلى رأيهم.<sup>(6)</sup> وفي صلح الحديبية أمر أصحابه بالنحر والحلق فلم يفعل أحد منهم ذلك، فدخل عليه الصلاة والسلام

(1) دعوة نصارى العرب إلى الدخول في الإسلام، خليل اسكندر قبرصي، ص: 8-9 المطبعة السلفية، \_ القاهرة\_ دت

(2) ينظر: الحرية الدينية بين الإسلام وأهل الكتاب، ص: 12، خالد بن عبد القاسم، ط الأولى 1430 هـ، نشر مكتبة فهد الوطنية \_ الرياض \_

(3) سورة آل عمران، الآية: 159

(4) في ظلال القرآن 1/502، سيد قطب.

(5) السيرة النبوية، أبي محمد بن عبد الملك بن هشام المعافري، 1/188، دط، دت، مكتبة الكليات الأزهرية.

(6) \_المستند، أحمد ابن حنبل 3/351

على أم سلمة وذكر لها ما لقي من الناس، فأشارت إليه أن ينحر ويحلق، فإذا رآه الناس فعل فعلوا، فأخذ برأيها وكان نعم الرأي.<sup>(1)</sup>

يقول ابن القيم في فوائد هذه القصة "ومنه استحباب مشورة الإمام رعيته وجيشه استخراجا لوجه الرأي، واستطابة لنفوسهم، وأمنا لعتهم، وتعرفا لمصلحة يختص بعلمها بعضهم دون بعض، وامتنالا لأمر الرب".<sup>(2)</sup>

والشورى من سمة المؤمنين حكاما كانوا أو محكومين، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾<sup>(3)</sup>. فلا استبداد بالرأي، ولا كبت له، يقول سيد قطب بعد هذه الآية: "والتعبير يجعل أمرهم كله شورى، ليصبغ الحياة كلها بهذه الصبغة. وهو نص مكي كان قبل قيام الدولة الإسلامية. فهذا الطابع إذن أعم و أشمل من الدولة في حياة المسلمين، وإنه طابع الجماعة الإسلامية في كل حالاتها، ولو كانت الدولة بمعناها الخاص لم تقم بعد... والواقع أن الدولة في الإسلام ليست سوى إفراز طبيعي للجماعة و خصائصها الذاتية".<sup>(4)</sup>

ثالثا: الدعوة إلى الإسلام لا يمارس فيها أي نوع من أنواع الإكراه،<sup>(5)</sup> "فالإسلام احترام حرية الاعتقاد، وجعل الأساس في الاعتقاد هو أن يختار الإنسان الدين الذي يرتضيه من غير إكراه، ولا حمل، وأن يجعل أساس اختياره التفكير السليم، وأن يحمي دينه الذي ارتضاه، فلا يكره على خلاف ما يقتضيه، وبذلك تتكون حرية الاعتقاد من عناصر ثلاثة:  
أولها: تفكير حر غير مأسور بشيء سابق من جنسية أو تقليد.  
وثانيها: منع الإكراه على عقيدة معينة، فلا يكره بتهديد من قتل أو نحوه.  
وثالثها: العمل على مقتضى ما يعتقد ويتدين به"<sup>(6)</sup>

(1) البخاري 182/3

(2) ينظر: تنظيم الإسلام للمجتمع. ص: 182 محمد أبو زهرة.

(3) سورة الشورى، الآية: 38

(4) في ظلال القرآن: 316/5، سيد قطب

(5) الحرية الدينية بين الإسلام وأهل الكتاب، ص: 14، خالد بن عبد الله القاسم.

(6) في ظلال القرآن: 316/5، سيد قطب

قال تعالى: ﴿الْمَعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَاءَ لَكُمْ بِالْتَّوْبَةِ أَحْسَرَ﴾<sup>(1)</sup>.  
 فالدعوة بيان للحق بحكمة وموعظة ومجادلة لا قسر فيها وإكراه، كيف وقد قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ  
 فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾<sup>(2)</sup> وقد ورد في تفسير هذه الآية أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لعجوز  
 نصرانية: أسلمي أيتها العجوز تسلمي، إن الله بعث محمداً بالحق. قالت: أنا عجوز كبيرة والموت إلي  
 قريب! فقال عمر: اللهم فاشهد، وتلا ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾<sup>(3)</sup>.

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: "أي لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام، فإنه  
 بين واضح جلي دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله  
 للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه  
 وبصره، فإنه لا يفيد الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً"<sup>(4)</sup> فبيان الحق كفيل باستجابة طابه من  
 غير إكراه، بل إن المشرك المحارب إذا استجار المؤمن فله أن يجيره إلى أن يسمعه القرآن ويبين له  
 الحق، فإن لم يستجب فلا إكراه ولا ضغوط، وإنما يعلمه بأن عليه المغادرة وله الأمان إلى أن يصل  
 إلى مأمن، يقول تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ  
 مَأْمَنَهُ لَعَلَّ بَأْسُكُمْ قَوِّمٌ لِّمَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(5)</sup>.

يقول سيد قطب مبينا سماحة الإسلام وعدم الإكراه فيه: "والإسلام وهو أرقى تصور للوجود  
 وللحياة وأقوم منهج للمجتمع الإسلامي بلا مرأى هو الذي ينادي بأنه لا إكراه في الدين، وهو الذي بين  
 لأصحابه قبل سواهم أنهم ممنوعون من إكراه الناس على هذا الدين، فكيف بالمذاهب والنظم  
 الأرضية القاصرة المتعسفة وهي تفرض فرضاً بسلطان الدولة ولا يسمح لمن خالفها بالحياة"<sup>(6)</sup>.

(1) سورة النحل، الآية: 125

(2) سورة البقرة، الآية: 256

(3) سورة البقرة، الآية: 256

(4) تفسير ابن كثير: 310/1

(5) سورة التوبة، الآية: 6

(6) في ظلال القرآن، سيد قطب: 291/1

إن هذه الحرية التي جاء بها الإسلام، ومارسها النبي ﷺ في حياته ثم مارسها صحابته من بعده، شكلت صفحة مشرقة في تاريخ الإسلام؛ وهذه الإشراقة هي التي أخذها المجتمع الأندلسي، وأقرها في ميادين شتى، عقيدة، وفكراً...؛ مما شكل اشعاعاً حضارياً على أرض الأندلس، والفضل ما شهد به الأعداء؛ فهذا المستشرق الإسباني سيمونت<sup>(1)</sup> يقول: "إنه فيما يتعلق بالقوانين المدنية والسياسية، فإن النصراني الإسبان احتفظوا في ظل الحكم الإسلامي بنوع من الحكومة الخاصة، واحتفظ الناس بأحوالهم القديمة دون تغيير كبير، وفيما يتعلق بالتشريع، فإنهم قد احتفظوا في باب النظم الكهنوتية بقوانين الكنيسة الإسبانية القديمة..."<sup>(2)</sup>.

ويقول المستشرق أشباخ<sup>(3)</sup> عن النصراني في ظل الحكم الإسلامي في الأندلس: "كانوا يتمتعون بحرية الشعائر ويحتفظون ببعض القوانين القوطية ولهم أساقفتهم وقضاةهم"<sup>(4)</sup>.

يقول أرنولد: "اعتنق أهل إسبانيا الإسلام لاقتناعهم بالإسلام، وكرههم للطبقة المسيحية"<sup>(5)</sup> ولقد ظل المسلمون في الأندلس ثمانية قرون فلم يفرضوا عقيدة الإسلام على النصراني حتى ردوا

(1) فرانسيسكو خافيير سيمونت francisco javier simonet مستشرق إسباني عني خصوصاً بتاريخ غرناطة وتاريخ المستعربين، أي النصراني الذين اعتنقوا الإسلام في إسبانيا. ولد في مالقة (على الساحل الجنوبي الشرقي من إسبانيا) في أول يونيو سنة 1829. وتوفي في 1897م.

(2) دولة الإسلام في الأندلس، 66/1، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط الرابعة، 1417هـ.

(3) يوسف أشباخ Joseph Aschbach.: (29 أبريل 1801. 25 أبريل 1882) هو مؤرخ ألماني له مؤلفات عن تاريخ الحكم الإسلامي للأندلس، كما اهتم بدراسة تاريخ القوط الغربيين، وألف عنهم "تاريخ القوط الغربيين (Geschichte der Westgoten)"; الذي نشر عام 1827، وهو في السادسة والعشرين من عمره.

ولد أشباخ في ضاحية هوكست في فرانكفورت، وبدأ دراسة علمي اللاهوت والفلسفة في جامعة هايدلبرغ سنة 1819، غير أنه سرعان ما تحول إلى دراسة التاريخ بتشجيع من المؤرخ الشهير شلوسر.

عقب تخرج أشباخ عام 1823، عين أستاذاً بمدرسة فرانكفورت الثانوية بدءاً من عام 1823، ثم عين أستاذاً للتاريخ بجامعة بون عام 1842، ثم شغل نفس الكرسي في جامعة فيينا عام 1853، وبعد عامين صار عضواً بأكاديمية فيينا للعلوم.

حصل أشباخ على لقب النبالة (Ritter von Aschbach) عام 1870، وتقاعد عن التدريس بالجامعة عام 1872، وتوفي في فيينا عام 1882.

(4) تاريخ الإسلام في عهد المرابطين والموحدين، ص: 82، يوسف أشباخ، ترجمة: محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والنشر، 1360هـ-1941م.

(5) الدعوة إلى الإسلام، ص: 154\_155، سير توماس أرنولد، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، ط، الثالثة، 1970، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة.

للمسلمين الجميل بطردهم من الأندلس مع التعذيب والتنكيل والتشريد على أشنع صورة وعاها التاريخ<sup>(1)</sup>

ومن حفظ الإسلام للحرية والخصوصية الدينية أن الفقهاء الأندلسيين لم يمنعوا النصارى المعاهدين من القضاء لرعايهم وتعيين القضاة لهم، وقد كانت للنصارى سلطاتهم الدينية التي يرأسها من يسمونه بقاضي النصارى أو قاضي العجم، وقد أشار ابن القوطية في تاريخ افتتاح الأندلس إلى كبيرهم في أيام عبد الرحمان الناصر، وهو القاضي حفص ابن البر، وهذا كبير النصارى وقاضيمهم.<sup>(2)</sup>

كان علماء مسلمون يراعون في فتواهم هذه الخصوصية، فابن رشد (الجد) لما استفتي في نازلة متعلقة برجل نصراني أعى يقوده مسلم إلى الكنيسة، ايجوز أم لا؟ فأجاب أنه يجوز ذلك.<sup>(3)</sup>

هذا من جهة الحرية الدينية عند المسلمين، فماذا عن الحرية الدينية عند أهل الكتاب؟

إن الشرائع السماوية كلها دعت إلى الحرية والتوحيد إلى أن سئست وسلب منها روحها

فالمسيحية مثلا تميزت بميزتين: الأولى حررت الإنسان من سيطرة الدولة في مجال الروحانيات، ولهذا أرست مبدأ حرية العقيدة، والثاني إقرار مبدأ المساواة، وفي هذا تدعيم لهذه الحرية الدينية.<sup>(4)</sup> فهاتين الميزتين امتازت بهما حقتين متباعدتين؛ الأولى كانت في حياة عيسى عليه السلام، والثانية عند ضعف المسيحية إبان وجود المسلمين في الأندلس؛... فلما آل مقاليد الحكم للكنيسة بعد ضعف المسلمين، تخلت عن مبدأ حرية الدين والعقيدة، وأضحت لا تطبق عقيدة أخرى غيرها، بل أنه في داخل المسيحية ذاتها كان يتم تجريم أتباع المذهب المسيحي المخالف،

(1) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة، ص: 600، محمد قطب، ط الأولى 1403 هـ\_ 1983 م، دار الشروق\_ بيروت.

(2) ينظر: تاريخ افتتاح الأندلس، ص: 31، أبو بكر محمد بن عمر القوطية، تحقيق إبراهيم الأبيار، دار الكتاب المصري، ط الثانية، 1410 هـ\_ 1989 م.

(3) ينظر: البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، 206/3، أبو الوليد أحمد بن محمد بن رشد، الجد، تحقيق محمد صبحي، دار الغرب الإسلامي، ط. الثانية، 1408\_ 1977 م.

(4) ينظر: حرية العقيدة في الشريعة الإسلامية، ص: 66، أحمد رشاد طلحون، ط الأولى 1998 م\_ القاهرة.

واعتبارهم زنادقة، وأصبحت السمة البارزة في الديانة المسيحية هي الإكراه على العقيدة بدلا من حرية العقيدة، الذي أقرته في البداية.

لقد انتكست حرية العقيدة في أوروبا في الفترة من القرن الثاني عشر الميلادي حتى القرن الثامن عشر.

فقد أنشأت محاكم التفتيش، وذاق الإنسان من وبائها أشد أنواع التنكيل والتعذيب و وأد الفكر الحر، وكان الاضطهاد الديني جزءا رئيسا من الكيان الاجتماعي لكل مدينة أو دولة. ولم تقتصر مهمة هذه المحكمة على محاكمة أتباع العقائد أو المذاهب المخالفة، إنما امتد سلطانها إلى درجة محاكمة الضمير والوجدان، أي حساب الإنسان عما يجول بخاطره.

وبالطبع كان للمسلمين في الأندلس نصيب الأسد من الاضطهاد والتنكيل غير أن الأمر لم يستمر، على هذا الحال طويلا، إذ انقضت الغمة، وتبدد الظلام، وكانت تباشير الصباح تلوح في الأفق كلما زاد اضطهاد الكنيسة لمخالفها، فظهرت طائفة من الموحدين الطليان، وصاغ أتباعها مبدأ التوحيد، وتحريم الاضطهاد الديني، وبذا أفسح مجال واسع أمام حرية العقيدة، وكان ظهور المفكرين الأحرار أمثال سبينوزا، ولوثر، أثره البين في إقرار حرية العقيدة.

ولقد كانت القاصمة لمبدأ الاضطهاد الديني تدخل الكنيسة في شؤون العلم واضطهادها العلماء والمفكرين الأحرار، (كما فعلت مع يان هوس، وكوبرنيك وغاليلي) ونشب الصراع بين الكنيسة والعلم واستعر أواره إلى أن انتهى الأمر بانتصار حاسم للعلم التجريبي.

لقد أصيبت حرية العقيدة بانتكاسة خطيرة في أوروبا ، حيث كان الاضطهاد الديني على يد محكمة التفتيش، وقد سادت هذه المحكمة في معظم دول أوروبا إذ أنشأ البابا جريجوري التاسع في عهد لويس التاسع، ملك فرنسا، محكمة التفتيش أو ديوان التحقيق Inquisition عام 1123 من الميلاد، وسنتحدث عن هذا الأمر بالتفصيل في الفصل الأخير.

وقد مكن لهذا النظام أمر بابوي، أصدره أنوسنت الرابع سنة 1252 ميلادية، وضبط به نظام الاضطهاد كجزء رئيسي من الكيان الاجتماعي لكل مدينة أو دولة، وكانت هذه أبشع أداة لكبح التفكير النزيه و الضمير الحر لم يعهد التاريخ لها نظيراً.

وكانت هذه المحكمة العجيبة، تفتش عن ضمائر الناس، وتحاكمهم ليس فقط على ما يظهرونه من فكر، بل على ما تكنه صدورهم، وكان من جراء هذا النظام العجيب أن أخذ الناس بالشبهات، وأصبحت القاعدة أن المتهم مذنب حتى تثبت براءته، وكان القاضي هو الخصم، و تقبل شهادة كل من يتقدم ضد من قدم للمحاكمة، حتى ولو كان الشاهد من أرباب السوابق.<sup>(1)</sup>

وكان يقدم إلى محكمة التفتيش، كل من اتهم في عقيدته الكاثوليكية، وكل من كان على دين أو معتقد غير ما يعتقد جماعه الكاثوليك، أمثال اليهود والبروتستانت الإنجيليين، وجماعة المفكرين من الأحرار، والمسلمين الذين كانوا في أوروبا في إسبانيا و البرتغال، وكل من يهتم بالإلحاد و الزندقة في مسيحيته الكاثوليكية.<sup>(2)</sup>

"وكم كان مثيراً للبلع منظر الملحد وهو يسام العذاب، وكم كانت آلام أمه و ابنته أو زوجته مثار الإشفاق، إنها ترقب النار وهي تزحف في بطن على جسمه، وتلتهم أعضائه واحداً بعد آخر، فإذا استوفى أنفاسه وأخفت الموت صبيحة ألمه الممض، واستراح جسمه المعذب، قيل لهذه البائسة. إن هذه هي إرادة الله الذي تعبدن، وأن هذا العذاب ليس إلا صورة باهتة لعذاب سرمدي مقيم ينزله الله بأمثال هذا الملحد".<sup>(3)</sup>

وقد امتدت آثار التعذيب إلى ذوي المعذب، فلم تكن العقوبة شخصية، بل كان الأبناء يؤخذون بذنب الآباء... وكان أطفال الملحد يتركون للفقر المدقع، والعوز المطلق وكانوا يتركون لحياة الجوع أو لحياة الدعارة.

(1) ينظر: قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، ص: 70\_73، توفيق الطويل، الناشر دار الفكر العربي، 1366هـ\_1947م.

(2) ينظر: مذابح جرائم التفتيش في الأندلس، ص: 84، محمد على قطب، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، ط 1985.

(3) قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، ص: 76\_77، توفيق الطويل.

أما ما حدث للمسلمين في اسبانيا، فحدث عنه و لا حرج، فبعد أن نهلت أوروبا العلم على أيدي علماء المسلمين، كان رد الجميل حيال هذا التنوير عكسيا، وإنهم أرادوا أن يطفئوا نور الله في هذه البقعة من الأرض فصدرت المراسيم الملكية، لاضطهاد المسلمين، وقرر البابوات محو الإسلام محوا، ذلك أن قلوبهم لا تطيق نور الإسلام. فكان إكراه المسلمين على اعتناق الكاثوليكية، ومن عجب أنه إذا استسلم البعض تحت وطأة التعذيب، فإنهم كانوا يحاكمونهم على خلجات نفوسهم، ويعذبونهم لأتفه الأسباب، من ذلك ما أوشت به مسيحية إلى سلطات محكمة التفتيش، بأن أحد منتصرة المسلمين قد عاد لإسلامه عام 1528م، وقالت إنها كانت تسكن مع أسرته سنة 1510م، ولاحظت أنهم لا يأكلون لحم الخنزير، ولا يشربون الخمر أبدا، وأنهم يغسلون أقدامهم وأرجلهم حتى الوسط، كل يوم سبت وأحد، وكان هذا المسلم المنتصر، يدعي خوان وكان رجلا هرما جاوز السبعين من عمره.

ومن التهم الغريبة أيضا أن فلانا أنشد أغاني عربية أو أنه يكثر من الاستحمام كما هو عند المسلمين، أو لقيامه إلى الصلاة أو صومه، وكان العقاب شديدا من إرهاب وحرق وجلد ومصادرة وتعذيب و تشهير.<sup>(1)</sup>

ومن هذا كله نهتدي إلى القول؛ إن الحرية في الشرائع السماوي \_بعدها دخلها الدخن من تحريف، وتزييف\_ ليست بنفس المحجة في نظرة الإسلام، فهي في الإسلام ضرورة من الضرورات الإنسانية، وفريضة إلهية وتكليف شرعي واجب.. وليست مجرد حق من الحقوق، يجوز لصاحبه أن يتنازل عنه إن هو أراد<sup>(2)</sup>، فمقام الحرية يبلغ في أهمية سلم الأولويات، مقام الحياة التي هي نقطة البدء والمنتهى، وجماع علاقة الإنسان بوجوده الدنيوي.

فموقف الإسلام من الحرية و عداؤه للعبودية ليس مجرد طرف فكري نظري، وإنما تجسد على أرض الواقع تجربة إصلاحية شاملة غيرت المجتمع الذي ظهر فيه تغييراً جذرياً\_ الأندلس

(1) ينظر: مذابح جرائم التفتيش في الأندلس. ص: 107\_110، محمد على قطب.

(2) ينظر: المفهوم الإسلامي للحرية، محمد عمارة، مجلة الأزهر ذوالقعدة 1433 هـ، أكتوبر 2012م الجزء 11، ص: 85.

نموذجاً \_ وذلك هو الذي يحسب للإسلام، ولا تحسب عليه الردة التي حدثت عندما استشرى الاسترقاق في فترات لاحقة من التاريخ<sup>(1)</sup>.

فالحرية في الإسلام إذن ارتبطت قيمتها بالإنسان مطلق الإنسان، وليس بالإنسان المسلم وحده، وإذا كان الدين والتدين هو أعلى وأول ما يميز الإنسان، فإن تقرير الإسلام لحرية الضمير في الاعتقاد الديني لشاهد على تقديس حرية الإنسان في كل الميادين.. فهو حر حتى في أن يكفر، إذا كان الكفر هو خياره واختياره: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرِّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾<sup>(2)</sup>، وقال تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتْلِيٰ رِحْمَةَٰ مِنْ عِنْدِهِ فَعَمَّيْتُمْ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْنَا كُتُوبَهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾<sup>(3)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً أَفَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾<sup>(4)</sup> مؤمنين<sup>(4)</sup>.

لقد أراد الله للناس الهدى والإيمان، لكنه سبحانه جعل لهم، مع هذه الإرادة الإلهية الحرية والتخيير والتمكين، فكان انتصار الإسلام للحرية الإنسانية في كل الميادين..

بينما الحرية في الشرائع السماوية الأخرى \_ غير الإسلام \_ تكاد تكن منعدمة لإعتقادهم أن أي شريعة غير شريعتهم تعد هرطقة من تعاليم الشيطان، يجب إبادة أتباعها واضطهادهم، إن فضلوا ملتهم، فقد ألف القديس أوغسطين كتاباً بعنوان: "الدين الحقيقي"، يقصد الدين المسيحي، حيث يقول: "في عصرنا الحاضر أصبح الدين المسيحي هو الدين الذي عارفنا ومارسنا يمنحنا الخلاص من الآمان والثقة وأن الكنيسة الكاثوليكية هي المكان المعبر عن الإيمان الإلهي، بحكم أنها تملك الحقيقة الدينية الإيمانية."<sup>(5)</sup>

(1) \_ المصدر نفسه، ص: 85.

(2) \_ سورة البقرة، الآية: 256.

(3) \_ سورة هود، الآية: 28.

(4) \_ سورة يونس، الآية: 99.

(5) \_ منابع تاريخ الأديان، ص: 309، فيليب بوجوه، ترجمة فوزية العشماوي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط الأولى، 2015، العدد 2089.

وخلاصة القول: أن حرية العقيدة قد منيت بردة إلى الخلف في أوروبا، بعد أن كانت تقدمت خطوة للأمام في عهد الدولة الرومانية بإصدار مرسوم التسامح سنة 311 من ميلاد المسيح، وسنة 313 أيضا، وبعد أن صارت حرية العقيدة منطقة محجوزة لا تستطيع السلطات الاقتراب منها بفضل المسيحية، أضحت هذه الحرية لا وجود لها، على يد آباء بلغ بهم التعصب إلى حد اعتبار أتباع الدين المسيحي ذاته زنادقة و كفاراً مرتدين إذا خالفوهم في المذهب (الصراع بين الكاثوليك والبرتستانت مثلاً).

في المقابل نجد الإسلام كفل الحرية الدينية للإنسان، وليس للمسلمين أو المؤمنين به فحسب، بل ليحافظ على الحرية الدينية لكل شخص، سواء كان مسلماً أم غير مسلم، ليبقى التوازن الفكري والعقلي والنفسي بين عقيدة الإنسان وفكره وسلوكه، وثبتت الحرية الدينية في الإسلام بنصوص قطعية في القرآن الكريم والسنة النبوية، وكفلت الدولة الإسلامية الحرية الدينية لجميع المواطنين على أرضها، ومنعت الإكراه في الدين، وحافظت أماكن العبادة لجميع الديانات (الشرائع)، وتحققت الحرية الدينية لجميع القاطنين في ديار الإسلام، وواقع الأندلس إبان حكم المسلمين خير شاهد لذلك، وارتفعت راية التسامح الديني في أجل صورها، إلا من بعض المنغصات والاضطرابات التي تصدر أحياناً عن تعصب ديني ممقوت، أو تدخل أجنبي بغيض، أو جهل وغباء، مما يستدعي تدخل الدعاة والعلماء والحكماء والمفكرين (الباجي، وابن حزم، والخزرجي...) لإحقاق العدل، وإعادة الحق إلى نصابه.<sup>(1)</sup>

(1) ينظر: الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية، أبعادها وضوابطها، ص:70، محمد الزحيلي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية \_ المجلد 27\_ العدد الأول 2011. \_بتصرف\_

## المطلب الثاني: الحرية الدينية أبعادها وضوابطها

إن الحرية\_ كما مر معنا في المطلب الأول من هذا الفصل\_ قيمة سامية تحتل من سلم المقاصد الدينية الدرجات العليا، وهي قيمة ثابتة تتصف بالديمومة في الزمان والمكان. والحرية من صميم أصول الدين وليست من فروعها، لعل أول ما يبدو ذلك في عقيدة التوحيد، فجوهر هذه العقيدة هو أن يكون الإنسان مسلماً نفسه فيما يأتي وما يذر لله تعالى وحده، وهو ما يقتضي أن يكون متحرراً من كل ما سواه، فعقيدة الوحدانية تنفي أن يكون المؤمن بها خاضعاً لأي سلطان...

فالحرية التي جاء الإسلام يشرعها للناس هي هذه الحرية التي تتضمنها عقيدة التوحيد<sup>(1)</sup>

وقد أعطى الإسلام ثلاث وسائل للإنسان يستطيع من خلالها تحقيق حريته، وهي العقل والإرادة والإستطاعة، أما عناصر الحرية فالمسؤولية الفردية، ومعرفة الذات، ومعرفة الكون وتكريم الإنسان؛ فهذه الأثافي تشكل فعلاً مناط الحرية.

فمن خلال ما سبق، يمكننا طرح سؤالاً جوهرياً يجعلنا أمام فهم المصطلح والوقوف عند حقيقته، والسؤال هو كالاتي: ماهي ضوابط وأبعاد التي سيجت بها هذه الحرية\_ الدينية\_؟ وما هي حقيقتها في الواقع؟

إن ضوابط الحرية في الإسلام ليست قيوداً وأغلال تكبل بها المصلحة العامة للإنسان وإنما هو سياج باطنه رحمة، يحفظ المصلحة العليا للإنسانية عامة والمجتمع الإسلامي خاصة، فهي أشبه بعلامات المرور التي تمنع الإنسان من التردى في الهاوية أو الاصطدام بغيره أثناء سيره، وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ مثلاً من أروع الأمثلة، يبين الحد الفاصل بين الحرية والفضوى: "كمثل قوم استهموا على سفينة؛ فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا

(1). ينظر: مراجعات في الفكر الإسلامي، ص: 169، عبد المجيد النجار، الطبعة الأولى 2008، دار الغرب الإسلامي\_تونس.

من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا؛ هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم؛ نجوا ونجوا جميعاً".<sup>(1)</sup>

فالحديث يبين أن الحرية ليست شأنًا شخصيًا تقف آثاره عند حد الفرد المعني بها، لو كانت كذلك لما احتاج الأمر فيها إلى ضوابط و حدود، إذ يمكن للفرد حينئذ أن يفكر كما يشاء ويعتقد ما يشاء ليبقى تأثير ذلك مقتصرًا على ذاته فيتحمل هو مسؤوليته، و لكن لما كانت هذه الحرية ذات أبعاد اجتماعية، بل إنها لا تكتمل حقيقتها إلا بامتدادها في تلك الأبعاد من مثل إظهار المعتقد و الدفاع عنه و الدعوة إليه ، فإن الضوابط و الحدود حينئذ تصبح أمرا مهما و ضروريا شأن كل ما هو ذو بعد اجتماعي من مناشط الإنسان.<sup>(2)</sup>

والحديث يبين أيضا الموقف ممن يمارسون الشطط في استعمال حريتهم الشخصية بما يؤدي الإنسانية ويفسد الأمر على الناس جميعاً، فدائرة حرية الفرد تتسع في نظر الإسلام مادام لا يؤدي بهذه الحرية نفسه أو مجتمعه أو دينه، أما إذا استغل هذه الحرية للإضرار بنفسه أو إيذاء مجتمعه أو الإضرار بدينه؛ فعند ذلك يقف الإسلام بالمرصاد أمام هذا الفكر التخريبي.

إن الحرية في الإسلام ليست، سائبة، ولا مطلقة حتى تهوي بصاحبها إلى قاع الضلال ودرك الانحطاط الأخلاقي، بل هي حرية واعية منضبطة، فإذا خرج بها الإنسان عن أحكام الدين ونطاق العقل وحدود الأخلاق، ومصلحة الجماعة، تمت مساءلته ومحاسبته وإيقافه عند حده.

إذا سلمنا بالقول أنه يجب أن تكون الحرية مطلقة في كل مجالات الحياة، فحينها تنتهي هذه الحرية إلى نقيضها ، لأن حرية أفراد أو فئات أو جماعات قد تكون مناقضة لحرية آخرين، فلو أرسلت على الإطلاق فسوف تعصف بها، ويؤول الأمر إلى نقض الحرية لنفسها؛ ولذلك فإن الحرية عامة والحرية الدينية من بينها لا بد أن تضبط بضوابط و تقيد بقيود من شأنها أن تحافظ بها على نفسها، وأن تحول دون الوقوع في الانتقاص، إلا أن تلك الضوابط ينبغي أن لا تبلغ من التضيق

(1) صحيح البخاري ، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، (3/139)، رقم: 2493.

(2) بنظر: الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية، أبعادها وضوابطها، ص: 23، عبد المجيد النجار، مجمع الفقه الإسلامي، الدورة التاسعة عشر، إمارة الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة.

درجة تنتهي بالحرية إلى الإهدار، فهي إذن معادلة دقيقة توزن بميزان دقيق اسمه: "روح الشريعة الإسلامية".

ولعل الحدود والضوابط التي ننظر لها والمتعلقة بالحرية الدينية، كثيرا ما يساء فهمها بين مفرط ومتشدد، ففي كلتا الحالتين ينبثق عن سوء الفهم إيديولوجيات تتناحر في ما بينها، سواء على مستوى التأصيل النظري، أو على مستوى الواقع العملي، ولكن المتأمل في تلك الحدود والضوابط كما أصلتها التعاليم الإسلامية، وكما جرى عليه الأمر في المجتمع الإسلامي حقبا طويلة من الزمن يجد أنها قدرت على معادلة دقيقة تتفادى ذلك المصير الذي تنتهي إليه الحرية بالقيود المتعسفة أو بالاضطراب والفوضى. ولعل من أهم تلك الحدود والضوابط ما يلي:

#### أ- منع التغيرير

"ومعنى ذلك ألا تكون حرية التفكير والاعتقاد فيما تنتهي إليه من إظهار للمعتقد ودفاع عنه ودعوة إليه سالكة مسلك التغيرير بمن يتوجه إليهم الخطاب، وذلك بمثل أن يكون ذلك الخطاب مستعملا في بيان موضوعه وفي الدعوة إليه والإقناع به أدوات خارجة عن ذات ذلك الموضوع مما يتضمنه من أفكار ومما يسنده من حجج قصد أن تكون تلك الأدوات الخارجة مسوغا لاعتناق المعتقد المبين المدعو إليه، فيكون ذلك المعتقد إذن قد روج بين الناس وأصبح معتقدا لهم بمقتضى قوته الذاتية وإنما بمقتضى عوامل خارجية قامت مقام المغررات المضللة. ولهذه الغواية التي تقف حرية المعتقد عند حدودها صور متعددة متجددة." (1)

"فمنها الإغواء بأن يكون الخطاب مصحوبا بمغريات مادية من تقديم أموال أو تحقيق شهوات فيما يشبه المقايضة متمثلة في اعتناق المعتقد موضوع الخطاب من قبل المدعويين إليه مقابل تقديم تلك المغريات المادية إليهم وليس اقتناعا منهم به في ذاته لما يتضمنه من أفكار وما يسنده من حجج. إن هذا الصنيع هو حد تقف دونه الحرية الدينية لما يتضمنه من تزييف هو ضرب

(1) \_ بنظر: الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية، أبعادها وضوابطها، ص: 23، عبد المجيد النجار، مجمع الفقه الإسلامي، الدورة التاسعة عشر، إمارة الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

من الإكراه النفسي، إذ تستغل في الحاجة إلى إشباعات مادية لتكون طريقاً لنشر المعتقد فيما يشبه الابتزاز الذي هو ضرب من الإضلال والتغيير. ومن الإشارات القرآنية في هذا الشأن قوله تعالى: ﴿الْمَعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾<sup>(1)</sup>، وهو ما يبين أن الدعوة إلى المعتقدات بغير ذلك من أساليب التغيير أمر تقف عنده حرية الدعوة، وهذا ما قرره الرازي في قوله: "اعلم أن الدعوة إلى المذهب والمقالة لا بد وأن تكون مبنية على حجة وبينه"<sup>(3)</sup>،

ومنها أيضاً إغواء الضعفاء من الأميين والبسطاء، والقصر من الأحداث وغيرهم، وذلك بأن يفصل هؤلاء عن محيطهم الأسري أو الاجتماعي، ويركن بهم إلى الخلاء، فيستغل ضعفهم و قصورهم، ويمارس عليهم خطاب لا تكون لهم قدرة على تبين محتواه تبيناً واعياً، فإذا هم يعبأون بمعتقدات يلقنونها تلقيناً فيما يشبه المخادعة التي تنتفي فيها قدرتهم على تمحيص ما يلقنون والقرار بقبوله أو رده، فيكون قبولهم للمعتقدات التي يتضمنها الخطاب حاصلًا لديهم بضرب من الإكراه، وهو المبرر لأن يكون هذا الإغواء حداً تقف دونه الحرية الدينية.<sup>(4)</sup>

إن الأمر لا يتوقف عند القول إن الإغراء بأي دين يعد سلوكاً منافياً لأدبيات الحرية، فما تطرقنا إليه ينبغي حصره فيمن لا أهلية له كالصبيان، وعامة الناس...؛ بينما في الأوساط النخبة فلا، فالمسألة ينبغي تأصيلها والتدقيق فيها، وتفصيلها أكثر، فتعليل هذه المسألة أن الله سبحانه وتعالى أمر بتخصيص من مال الزكاة للمؤلفة قلوبهم، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(5)</sup> قال البغوي في تفسير قوله سبحانه: ﴿... وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ﴾: "قَالَ صِنْفُ الرَّابِعِ مِنَ الْمُسْتَحِقِّينَ لِلصَّدَقَةِ هُمُ الْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ، وَهُمْ قِسْمَانِ قِسْمٌ مُسْلِمُونَ وَقِسْمٌ كُفَّارٌ، فَأَمَّا الْمُسْلِمُونَ فَقِسْمَانِ قِسْمٌ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَنِيَّتُهُمْ ضَعِيفَةٌ فِيهِ، فَكَانَ النَّبِيُّ

(1) - سورة النحل، الآية: 125.

(2) - الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية، أبعادها وضوابطها، ص: 24، عبد المجيد النجار.

(3) - التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي: 140/20 ط الأولى 1401 هـ - 1981 م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع لبنان - بيروت.

(4) - ينظر: الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية، أبعادها وضوابطها، ص: 24، عبد المجيد النجار،

(5) - سورة التوبة، الآية 60.

ﷺ يُعْطِيهِمْ تَأْلَافًا كَمَا أَعْطَى عَيْنَةَ بْنَ بَدْرِ وَالْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ وَالْعَبَّاسَ بْنَ مَرْدَاسِ السَّلْمِيِّ، وَأَسْلَمُوا وَنَيْبَتُهُمْ قَوِيَّةٌ فِي الْإِسْلَامِ وَهُمْ شُرَفَاءُ فِي قَوْمِهِمْ مِثْلُ عُدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ وَالزُّبَيْرِقَانِ بْنِ بَدْرِ، فَكَانَ يُعْطِيهِمْ تَأْلَافًا لِقَوْمِهِمْ وَتَرْغِيبًا لِأُمَّتِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ، فَهَوْلَاءُ يَجُوزُ لِلْإِمَامِ أَنْ يُعْطِيَهُمْ مِنْ خُمْسِ خُمْسِ الْغَنِيمَةِ، وَالْفَيْءِ سَهْمِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْطِيهِمْ مِنْ ذَلِكَ وَلَا يُعْطِيهِمْ مِنَ الصَّدَقَاتِ. وَالْقِسْمُ الثَّانِي مِنْ مُؤَلَّفَةِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكُونَ قَوْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِإِزَاءِ قَوْمٍ كَفَّارٍ فِي مَوْضِعٍ مَتْنَاءً لَا تَبْلُغُهُمْ جُيُوشُ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا بِمُؤَنَةٍ كَثِيرَةٍ وَهُمْ لَا يُجَاهِدُونَ، إِمَّا لِضَعْفِ نَيْبَتِهِمْ أَوْ لِضَعْفِ حَالِهِمْ، فَيَجُوزُ لِلْإِمَامِ أَنْ يُعْطِيَهُمْ مِنْ سَهْمِ الْغَزَاةِ مِنْ مَالِ الصَّدَقَةِ. وَقِيلَ: مِنْ سَهْمِ الْمُؤَلَّفَةِ وَمِنْهُمْ قَوْمٌ بِإِزَاءِ جَمَاعَةٍ مِنْ مَانِعِي الرِّكَاتِ يَأْخُذُونَ مِنْهُمْ الرِّكَاتَةَ يَحْمِلُونَهَا إِلَى الْإِمَامِ فَيُعْطِيهِمْ الْإِمَامُ مِنْ سَهْمِ الْمُؤَلَّفَةِ مِنَ الصَّدَقَاتِ. وَقِيلَ: مِنْ سَهْمِ سَبِيلِ اللَّهِ. رُوِيَ أَنَّ عُدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ جَاءَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ بِثَلَاثِمِائَةٍ مِنَ الْإِبِلِ مِنْ صَدَقَاتِ قَوْمِهِ فَأَعْطَاهُ أَبُو بَكْرٍ مِنْهَا ثَلَاثِينَ بَعِيرًا. وَأَمَّا الْكُفَّارُ مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ فَهُوَ مَنْ يُخْشَى شَرَّهُ مِنْهُمْ أَوْ يُرْجَى إِسْلَامُهُ، فَيُرِيدُ الْإِمَامُ أَنْ يُعْطِيَ هَذَا حَدْرًا مِنْ شَرِّهِ أَوْ يُعْطِيَ ذَلِكَ تَرْغِيبًا لَهُ فِي الْإِسْلَامِ، فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْطِيهِمْ مِنْ خُمْسِ الْخُمْسِ، كَمَا أَعْطَى صَفْوَانَ بْنَ أُمِيَّةٍ لَمَّا كَانَ يَرَى مِنْ مَيْلِهِ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَقَدْ أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فَلَهُ الْحَمْدُ وَأَغْنَاهُ عَنِ أَنْ يُتَأَلَّفَ عَلَيْهِ رِجَالٌ، فَلَا يُعْطَى مُشْرِكٌ تَأْلَافًا بِحَالٍ، وَقَدْ قَالَ بِهَذَا كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ الْمُؤَلَّفَةَ مُنْقَطِعَةٌ وَسَهْمُهُمْ سَاقِطٌ. رَوَى ذَلِكَ عَنْ عُمَرَ، وَهُوَ قَوْلُ الشَّعْبِيِّ، وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ وَالثَّوْرِيُّ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوِيَةَ، وَقَالَ قَوْمٌ: سَهْمُهُمْ ثَابِتٌ، يُرَوَى ذَلِكَ عَنْ الْحَسَنِ، وَهُوَ قَوْلُ الزُّهْرِيِّ وَأَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وَأَبِي ثَوْرٍ، وَقَالَ أَحْمَدُ: يُعْطُونَ إِنْ احتَاجَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى ذَلِكَ. (1)

وفعل النبي ﷺ يظهر أن المسألة مما تعد محمودة للصنف الذي ذكرنا. عن يحيى بن أبي كثير: أن المؤلفة قلوبهم من بني أمية: أبو سفيان بن حرب، ومن بني مخزوم: الحارث بن هشام، وعبد الرحمن بن يربوع، ومن بني جُمَح: صفوان بن أمية، ومن بني عامر بن لؤي: سهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى، ومن بني أسد بن عبد العزى: حكيم بن حزام، ومن بني هاشم: سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، ومن بني فزارة: عيينة بن حصن بن بدر، ومن بني تميم: الأقرع بن حابس،

(1) معالم التنزيل، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، 63/4\_64، تحقيق: محمد عبد الله النمر، طبعة 1411هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع.

ومن بني نصر: مالك بن عوف، ومن بني سليم: العباس بن مرداس، ومن ثقيف: العلاء بن حارثة، أعطى النبي ﷺ كل رجل منهم مئة ناقه، إلا عبد الرحمن بن يربوع، وحويطب بن عبد العزى، فإنه أعطى كل رجل منهم خمسين.<sup>(1)</sup>

وهذا الذي فعله النبي ﷺ يعد من باب السياسة الشرعية، وهو من الأمور التي حث عليها الإسلام.

في مقابل ما ذهبنا إليه نقول: هل يجوز لأهل الكتاب أن يدعوا إلى شرائعهم بتأليف قلوب الغير وإدخالهم في دينهم؟

إن قضية حرية أهل الكتاب في الدعوة إلى دينهم فيها خلاف بين العلماء إلا أننا سنذكر ما عليه علماء الأندلس كالخزرجي مثلاً في رسالته لم ينكر على النصراني دعوته المعتصم بالله إلى دينه وإنما اكتفى بالرد على فحوى الرسالة ومضمونها، وكذا صنيع الباجي في رده على رسالة راهب فرنسا. إنا ما ذهب إليه هؤلاء يعكس في فعلهم روح الإسلام في إعطاء الكل حريته (التعبير)؛ وهذا حق فطري.

#### ب- احترام المشاعر الدينية

من الضوابط الأساسية لحرية المعتقد؛ احترام المشاعر الدينية، "فمن المعلوم أن للمعتقدات في النفوس حرمة لا تضاهيها حرمة، حتى إن أصحاب المعتقدات يضحون بأنفسهم في سبيل معتقداتهم"<sup>(2)</sup>، فقد نبه سبحانه وتعالى على هذه القضية بقوله: ﴿وَلَا تُسَبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكِ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(3)</sup> نهى الله سبحانه المسلمين عن سب آلهة المشركين التي يعبدونها من دون الله، مع

(1) - أحكام القرآن، 526\_525/2، لأبي بكر بن محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، ط الثالثة، 1424هـ/2003م، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت.

(2) - الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية، أبعادها وضوابطها، ص: 28، عبد المجيد النجار.

(3) - سورة الأنعام، الآية: 108

أنها باطلة؛ لئلا يكون ذلك ذريعة إلى سب المشركين إلا اله الحق سبحانه؛ انتصاراً لآلهتهم الباطلة، ومعاملة للمسلمين بمثل ما قالوا.. " وَقَالَ الْعُلَمَاءُ فِي الْآيَةِ: حُكْمُهَا بَاقٍ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَمَتَى كَانَ الْكَافِرُ فِي مَنَعَةٍ، وَخِيفَ أَنْ يَسُبَّ الْإِسْلَامَ، أَوِ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَوْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا يَجِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَسُبَّ صُلْبَانَهُمْ وَلَا دِينَهُمْ وَلَا كَنَائِسَهُمْ، وَلَا يَتَعَرَّضُ إِلَى مَا يُؤَدِّي إِلَى ذَلِكَ، لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ الْبُعْثِ عَلَى الْمُعْصِيَةِ" (1).

هذا أصل في تنظيم حرية المعتقد في المجتمع الإسلامي، وهو أصل عام يستوي فيه أهل المعتقدات والأديان من المسلمين وغيرهم، فالحرية في المجادلة بالحجة في عرض المعتقد ونقد مخالفه حق للجميع، وتقف هذه الحرية عند حد السباب و الشتيمة بالنسبة للجميع أيضاً، وهو ما أوضحه ابن عاشور في قوله: "وليس من السب (المنهي عنه) إبطال ما يخالف الإسلام من عقائدهم (أي غير المسلمين) في مقام المجادلة، ولكن السب أن نباشرهم في غير مقام المناظرة بذلك، ونظير هذا ما قاله علماؤنا فيما يصدر من أهل الذمة من سب الله تعالى أو سب النبي ﷺ بأنهم إن صدر منهم ما هو من أصول كفرهم فلا يعد سباً، وإن تجاوزوا ذلك عد سباً" (2). وهذا ميزان دقيق في التفرقة بين ما هو مناظرة تبسط لها الحرية، وبين ما هو شتيمة جارحة تدخل دائرة الممنوع.

إذا كانت حرية المعتقد تتحمل أن يقع تناول معتقدات الآخرين بالنقد الذي يهدف إلى بيان مكانم الضعف فيها، وبيان ما في حججها من تهافت، وما ينتهي إليه اعتناقها من بوار، وغير ذلك مما هو داخل ضمن الاحتجاج العقلي، فإنها لا تتحمل بحال أن يقع تناول تلك المعتقدات بما يجرح حرمتها في نفوس أصحابها خارج نطاق الاحتجاج العقلي، فتتأذى تلك النفوس جراء ذلك، لما ينال معتقداتها من مهانة.

"إن ما يجرح المشاعر الدينية أصناف من التصرفات، فمنها تناول المعتقدات بالتحقير والاستنقاص والشتيمة. ومنها تناول الرموز الدينية من أشخاص ومقدسات مختلفة بالتشنيع المادي

(1) \_الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمن من السنة وأحكام الفرقان، 61/7، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي

(2) \_التحرير والتنوير، 431\_ 430/7، الطاهر بن عاشور، دط، دار التونسية للنشر 1984م

والمعنوي سبابا وقذفا واتهما. ومنها الغمز واللمز والنبز في تلك الرموز بصفة مباشرة أو بصفة غير مباشرة عن طريق القص الأدبي والروايات والتمثيلات والرسوم وما شابه ذلك، فهذه التصرفات كلها من شأنها أن تجرح المشاعر الدينية بما هي استهتار بالمقدسات و نيل منها بما لا تتحمله النفوس المؤمنة بها لشدة حرمتها فيها، وشدة غيبتها عليها." (1)

"وإنما تسمح حرية المعتقد بالنقد ولا تسمح بما يجرح المشاعر لأن النقد فيه بيان لحقيقة المعتقدات في ذاتها قصد إظهار ما فيها من حق أو باطل ليتخذ السام منها موقفا بناء على ما يظهر له من ذلك الحق والباطل، فساحة التدافع في هذه الحال هي الحجة العقلية الواردة على مادة موضوعية مطروحة لنظر الجميع، وأما التحقير والشتيمة واللمز وما في حكمها فإنها ليست واردة على المعتقد كمادة موضوعية تدافعها العقول بالحجة، وإنما هي واردة على مشاعر المعتقدين للإيذاء والنكايه، وهو ما لا علاقة له بأن تفسح للعقول فرصة الاختيار تبعا لما يطرح من الحجج العقلية بالنقد الموضوعي، وإنما هو باب عريض من أبواب الفتنة بين الناس، ليس من شأنه إلا أن يؤدي إلى التهاج بينهم، فينفتح إذن باب واسع للاضطراب الاجتماعي، وهو المبرر لأن يقفل باب الحرية دونه." (2)

إن هذا الضرب من تناول المعتقدات بالعرض النقدي ليس إلا تعديا على المشاعر بما هو شتيمة وسباب وليس مجادلة ومناظرة، وهو بذلك يخرج عن دائرة حرية المعتقدات. وقد كان الحس الإسلامي العام صادقا في موقفه من مثل هذه التصرفات، فهذا الحس لم يثره ما جرت به أقلام كثيرة في نقد الإسلام في مجال المناظرة التي تستعمل الحجج العقلية، إذ قبول ذلك النقد بحجاج عقلي هادئ.

(1) الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية، أبعادها وضوابطها، ص: 29، عبد المجيد النجار.

(2) المصدر نفسه، ص: 29، عبد المجيد النجار.

## ب- المساواة في الفرص

إذا كان المجتمع الإسلامي يجوز لكل صاحب معتقد أن يعرض معتقده ويدعو إليه استناداً إلى مبدأ الحرية، فإن من القواعد التي تضبط تلك الحرية أن يكون بين الفرقاء العارضين لمعتقداتهم و الداعين إليها تكافؤ في فرص عرضهم ودعوتهم، بحيث يتساوى الجميع في الإمكانيات الممكنة من ذلك، من كان عارضاً منهم ومن كان معترضاً، ومن كان محتجاً ومن كان ناقداً للحجج.<sup>(1)</sup>

والمقصود بالمساواة في الفرص في هذا الشأن؛ أن يتساوى جميع المشاركين فيه متوفرين على ذات الشروط الممكنة من المشاركة فيه مما هو داخل في مجال الشروط الخارجية التي لا تتعلق بالإلتقان في العرض أو البراعة في الاحتجاج أو القدرة على الإقناع أو ما شابه ذلك مما هو عائد إلى قدرات مكتسبة من قبل أصحاب المعتقدات بجهودهم.<sup>(2)</sup>

إذا وقع خلل في تكافؤ هذه الفرص، بأن توافرت للبعض دون البعض، فإن ذلك يكون سلباً للحرية الدينية في بعدها الدعوي؛ "وذلك لما يفضي إليه هذا الحيف من خلل في تدافع الآراء، ومن فرصة للمقارنة بينها، واختيار ما يقع به الاقتناع منها، فحينما يتاح لصاحب معتقد ما مال يقوى به على الحركة من أجل عرض معتقده، وأبواق دعائية ينشر بها ذلك المعتقد، وتنظيمات ينظم من خلالها دعوته إليها، ولا يتوفر من ذلك شيء لغيره من أصحاب المعتقدات المغايرة، فإن ذلك يفضي إلى أن السامعين من أفراد المجتمع لا يستمعون إلا إلى دعوة واحدة لعلو صوتها، ويحرمون من الأصوات التي تنقدها وتعرض المخالف لها، وذلك ضرب من التفرير الذي تقف عنده هذه الحرية، إذ فيه تسويق للرأي الواحد وحجب لغيره مما من شأنه أن يهدر إمكان التمييز والحكم والاختيار"<sup>(3)</sup>.

(1) ينظر: الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية، أبعادها وضوابطها، ص: 25، عبد المجيد النجار.

(2) المصدر نفسه، ص: 25.

(3) الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية، أبعادها وضوابطها، ص: 25، عبد المجيد النجار.

## ج- الأمانة والموضوعية في العرض

"إذا أراد صاحب معتقد في المجتمع الإسلامي أن يعرف بمعتقده و يدعو إليه ، فإنه يكون بمقتضى تلك الحرية مطالباً بأن يعرض ذلك المعتقد بأمانة كما هو عليه في حقيقته التي استقر عليها و عرف بها، وذلك سواء من حيث بناؤه الفكري أو من حيث تاريخه أو من حيث آثاره، وإذا كان معتقداً جديداً فالأمانة تقتضي أن يكون ذلك بينا لدى السامعين، وأن يعرض هذا المعتقد الجديد بوضوح وتميز، وأما إذا داخل عرض المعتقد المدعو إليه، والذي هو مستقر في حقيقته معلوم بوثاقه وتاريخه تزييف وتلبيس، وإلحاق لما ليس منه به، وتجريد له من بعض ما فيه مع المحافظة على اسمه المعهود، فإن ذلك يكون خطأ تقف دونه حرية المعتقد في بعدها الدعوي؛ ز ذلك لما تنتهي إليه هذه الحرية من تلبيس خادع يزين ما قد يكون قبيحاً، ويستدرج السامعين بما قد يكون حقا إلى ما هو باطل، وفي ذلك ضرب من الاعتداء على حريتهم في الاختيار، تلك الحرية التي تقتضي أن يكون الاختيار وارداً على ما هو معروض على حقيقته لا على ما هو معروض بتزييف، فإذا ما داخل العرض تزييف كان ذلك مبرراً لمصادرة حرية العارض ضماناً لحرية السامعين."<sup>(1)</sup>

وينضوي تحت هذا القيد الضابط لحرية المعتقد "أن العارض لمعتقده على الناس إذا ما قام في سياق عرضه بنقد ما هو مخالف له من المعتقدات الأخرى ينبغي أن يكون أميناً في نقده، وذلك بأن يكون نقده مبنياً على تصوير تلك المعتقدات كما هي عند أصحابها دون تحريف فيها بزيادة أو نقصان أو تغيير مما من شأنه أن يشوه صورتها ويقبحها عند المخاطبين، فهذا التزييف المقصود به التبشيع هو مما تقف عنده حرية المعتقد كما وقفت عند التزييف من أجل التحسين لما في كل منهما من هدر للاختيار الحر بين المعتقدات الذي لا يتحقق إلا بإظهارها على حقيقتها سواء في سياق العرض أو سياق النقد."<sup>(2)</sup>

(1) المصدر نفسه، أبعادها وضوابطها، ص: 27 ، عبد المجيد النجار.

(2) الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية، أبعادها وضوابطها، ص: 27 ، عبد المجيد النجار.

وإذا كانت هذه الأمانة في عرض المعتقدات شرطاً في حرية المعتقد بصفة عامة فإنها تصير شرطاً مغلظاً حينما يتعلق الأمر بأمانة تربوية يعهد فيها المجتمع إلى من يعلم الناشئة ما يرتضيه من دين، فإن هذا المعلم ينبغي عليه أن يؤدي هذه الأمانة بالوقوف في تعليمه عند المعتقد الذي كلف بتعليمه كما هو عند من كلفوه، فإذا ما انحرف به إلى ما يرتئيه هو من تأويلات خاصة به في ذلك المعتقد، أو انحرف به إلى ما يغير حقيقته كما هي عند أصحابه بأي صورة من صور التغيير، فإن ذلك تكون به خيانة الأمانة مضاعفة، إذ قد جمعت بين خيانة الأمانة العلمية وخيانة أمانة التكليف، فيكون إذن الخط الحائل دون حرية المعتقد فيها أشد و أقوى لما في ذلك من اعتداء مضاعف على حرية الاختيار.

### ج- حفظ الكرامة الإنسانية:

الناس في نظر الإسلام سواسية كأسنان المشط، وهم أبناء العائلة الإنسانية، ويوفر الإسلام لهم جميعاً الحق في العيش والكرامة دون استثناء أو تمييز؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الصَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>(1)</sup>، والاختلاف الذي يوجد في أفراد العائلة الإنسانية من حيث اللون والجنس واللغة - آية من آيات الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِذَافَ الْأَسْتِخْمِ وَالْوَالِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(2)</sup>، وهذا الاختلاف ليس مدعاة للتنافر والتناكر، بل هو سبب للتعارف والتعاقد والتعاون على الخير والبر والتقوى؛ كما تحدت عنه القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَثْقَالُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>(3)</sup> لقد أوجب الإسلام على المسلمين أن يُراعوا الكرامة الإنسانية التي وهبها الله تعالى للإنسان فضلاً منه ورحمة، ولم يفرق فيها بين المسلم وغير المسلم، وهو يؤكد على أن الناس كلهم أبناء أب واحد وأم واحدة، كما نادى به الرسول ﷺ في خطبته لحجة الوداع مدوياً ومجلجلاً: "يا أيها الناس،

(1)- سورة الإسراء، الآية: 70

(2)- سورة الروم، الآية: 22

(3)- سورة الحجرات، الآية: 13

ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضلَ لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، أبلغتُ؟" (1).

إن الإنسان في نظر الإسلام مكرم، بصرف النظر عن أصله وفضله، دينه وعقيدته، مركزه وقيّمته في الهيئة الاجتماعية، فقد خلقه الله مُكْرَمًا، ولا يَمْلِكُ أحد أن يُجْرِدَه من كرامته التي أودعها في جِبَلَّتِه، وجعلها من فطرته وطبيعته، يستوي في ذلك المسلم الذي يؤمن بالقرآن كتاب الله وبمحمد بن عبد الله رسول الله ونبيه، وغير المسلم من أهل الأديان الأخرى، أو من لا دين له، فالكرامة البشرية حق مشاع يتمتع به الجميع من دون استثناء، وتلك ذروة التكريم وقمة التشريف. لقد قامت مبادئ الإسلام وتعاليمه وقيّمه كلها على احترام الكرامة الإنسانية وصونها وحفظها، وعلى تعميق الشعور الإنساني بهذه الكرامة، وما دامت الرسالة الإسلامية تتغيّأ في المقام الأول سعادة الإنسان وصلاحه، وتبتغي جلب المنفعة له ودرء المفسدة عنه، فإن هذه المقاصد الشريفة هي مُنتهى التكريم للإنسان بكل الدلالات الأخلاقية والمعاني القانونية للتكريم (2)، لقد أمر الإسلام أتباعه بالمحافظة على كرامة غير المسلمين ومراعاة مشاعرهم، ونهى عن جرح عواطفهم؛ فقال الرب - عز وجل -: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الْكُفْرَ ضَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ الْبُكْمَ وَالْهَنَا وَالْهَكْمَ وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (3)، وقال - عز وجل -: ﴿وَلَا تُسَبُّوا الْكُفْرَ يَكْفُرُونَ مِنَ كُفْرٍ فَابْسُؤُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكِ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (4)، نهي صريح عن النيل من الآلهة التي يعبدها المشركون من الوثنيين والبوذيين، وكل هذا صوتًا لكرامة الإنسان، وحفاظًا على حرّيته، واحترامًا لمشاعره؛ يقول الإمام القرطبي عند تفسير هذه الآية الكريمة: لا يَجِلُ لمسلم أن يَسُبَّ صُلْبَانَهُمْ، ولا دينهم، ولا كنائسهم، ولا يتعرّض إلى ما يؤدّي إلى ذلك؛ لأنه بمنزلة البعث على المعصية (5)، وحفظ الكرامة الإنسانية يتجلّى لنا في التعامل النبوي مع غير المسلمين حتى مع الأموات منهم؛ فعن جابر بن عبد الله

(1). مسند الإمام أحمد، رقم 23489، أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي.

(2). ينظر: الحوار من أجل التعايش؛ ص: 126-127. عبدالعزيز بن عثمان التويجري، الطبعة الأولى: 1419\_1998م، دار الشروق.

(3). سورة العنكبوت، الآية: 46.

(4). سورة الأنعام، الآية: 108.

(5). تفسير القرطبي 61/7.

ﷺ، قال: مرَّ بنا جنازة، فقام لها النبي ﷺ وقمنا به، فقلنا: يا رسول الله، إنها جنازة يهودي؟ قال: "إذا رأيتم الجنازة، فقوموا"<sup>(1)</sup>، وفي رواية: قال ﷺ: "أليست نفساً"<sup>(2)</sup>.

ومن هذا كله نحسب أنه ليس على وجه البسيطة دين ولا ملة ولا نظام أنصف مخالفه أعظم من الإسلام.<sup>(3)</sup>

### س\_عدم الإكراه:

هذا الضابط يرجعنا إلى المبحث الذي عرفنا فيه الحرية، وأشرنا فيه إلى أن هذا المفهوم، يفهم أحياناً على غير أساسه، كأن يرى الواحد أن من الحرية فعل ما شاء مادام بمقدوره فعله، وهذا يتنافى مع روح الحرية.

إن من الحريات التي صانها الإسلام في حق غير المسلمين: حرية الاعتقاد والعبادة، لم يجبر الإسلام الناس ولم يكرههم على الدخول فيه، بل ترك الحبل على غاربهم، ووكل الأمر إلى أنفسهم؛ فقال الله عز وجل -: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾<sup>(4)</sup>، وامتثالاً لهذه الآية الكريمة دأب المسلمون على دعوة الناس إلى الإسلام وعرضه عليهم من دون إكراه وإجبار، فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ يمر بعجوز نصرانية، ويعرض عليها الإسلام ويدعوها إليه قائلاً: أسلمي أيتها العجوز تسلمي، إن الله بعث محمدًا بالحق، قالت: أنا عجوز كبيرة والموت إلي قريب، فقال عمر ﷺ: اللهم اشهد، وتلا قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾<sup>(5)</sup>، يتحدث الأستاذ أحمد الحوفي في كتابه "سماحة الإسلام" عن هذه الحرية في الاعتقاد والعبادة التي أتاحتها الإسلام لغير المسلمين في

(1) صحيح البخاري، رقم: 1311

(2) صحيح البخاري، رقم: 1312

(3) ينظر: حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام، صالح حسين العابد، ص: 16، ط4، وكالة المطبوعات في البحث العلمي، وقزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1429هـ/2008م، \_ الرياض\_

(4) سورة البقرة، الآية: 256

(5) سورة البقرة، الآية: 256

المجتمع المسلم، "فالحرية الدينية، كفلها الإسلام لأهل الكتاب، فهم أحرار في عقيدتهم وعبادتهم وإقامة شعائرهم في كنائسهم"<sup>(1)</sup>.

والإسلام - وهو أرقى تصور للوجود وللحياة، وأقوم منهج للمجتمع الإنساني بلا مرأى - هو الذي ينادي بأن لا إكراه في الدين، وهو الذي يُبين لأصحابه قبل سواهم أنهم ممنوعون من إكراه الناس على هذا الدين<sup>(2)</sup>، "وتاريخ الإسلام الطويل شاهد على أن الشريعة وأهلها قد كفلوا لأتباع الأديان الذين يعيشون في ظل الإسلام البقاء على عقائدهم ودياناتهم، ولم يُرغم أحد على اعتناق الإسلام، ومعلوم لدى القاضي والداني أن هذا لم يكن موقف ضعف من دولة الإسلام، بل كان هذا هو مبدؤها، وضابطها حتى حين كانت في أوج قوتها أمة فتية قادرة، ولو أرادت أن تفرض على الأفراد عقيدتها بالقوة القاهرة، لكان ذلك في مقدورها، لكنها لم تفعل"<sup>(3)</sup>، وهناك شهادات من العلماء غير المسلمين ممن يُوثق بهم أن الإسلام ترك لغير المسلمين حرية الاعتقاد، تقول المستشرقة الإيطالية لورا فيشيا فاغليري في كتابها "دفاع عن الإسلام": "كان المسلمون لا يكادون يعقدون الاتفاقات مع الشعوب حتى يتركوا لها حرية الاعتقاد، وحتى يُحجموا عن إكراه أحد من أبنائها على الدخول في الدين الجديد، والجيوش الإسلامية ما كانت تُتبع بحشد من المبشرين اللحاحين غير المرغوب فيهم، وما كانت تضع المبشرين في مراكز محاطة بضروب الامتياز لكي ينشروا عقيدتهم، أو يدافعوا عنها، ليس هذا فحسب، بل لقد فرض المسلمون في فترة من الفترات على كل راغب في الدخول في الإسلام أن يسلك مسلكاً لا يساعد من غير ريب على تيسير انتشار الإسلام؛ ذلك أنهم طلبوا إلى الراغبين في اعتناق الدين الجديد أن يمثلوا أمام القاضي، ويُعلنوا أن إسلامهم لم يكن نتيجة لأي ضغط، وأنهم لا يهدفون من وراء ذلك إلى كسب دنيوي"<sup>(4)</sup>، لقد كفل الإسلام لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي حرية الاعتقاد وحرية العبادة، وحماية معابدهم وصوامعهم وبيعهم، وجعل هذا من أسباب الإذن للمسلمين في القتال: ﴿أَن لِّلَّذِينَ يِقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ وَأَن لِّلَّهِ عِلْمٌ نَّصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ\* الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِرْ

(1) - الحرية في الإسلام في مواجهة التطرف والإرهاب، ص: 79 جزين عمر، الطبعة الأولى 2018، الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي - الجيزة.

(2) - ينظر: في ظلال القرآن 1/ 291. سيد قطب

(3) - تلبس مردود في قضايا حياة؛ صالح بن عبد الله بن حميد ص: 13. دط، مكتبة المنارة، دت، مكة المكرمة.

(4) - حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام؛ صالح العايد ص: 32.

لِحَايَاهُمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَبِيعَ  
وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١﴾

وإن الإسلام لم يَقُمْ على اضطهاد مُخالفيه، أو مصادرة حقوقهم، أو تحويلهم بالكُره عن عقائدهم، أو المساس الجائر لأموالهم وأعراضهم ودمائهم، وتاريخ الإسلام في هذا المجال أنصع تاريخ على وجه الأرض<sup>(2)</sup>.

ومن المقرّر عند الفقهاء أنه لو أكره أحد على الإسلام، فإنه لا يصح إسلامه، قال في المغني: " وإذا أكره على الإسلام من لا يجوز إكراهه كالذمي والمستأمن، فأسلم، لم يثبت له حُكم الإسلام، حتى يوجد منه ما يدل على إسلامه طوعاً<sup>(3)</sup>، يترك الإسلام لغير المسلم حرية ممارسة العبادات التي تتفق مع عقيدته، ثم يأمر بالمحافظة على بيوت العبادة التي يُمارس فيها شعائره، ويحرم على المسلمين الاعتداء على بيوت العبادة أو هدمها أو تخريبها، أو الاعتداء على القائمين فيها، سواء في حالتي السلم والحرب، والوثائق التاريخية كثيرة في وصية الخلفاء لقادة الجيوش، وفي المعاهدات التي أبرمت في التاريخ الإسلامي، وعند الفتوحات، ومنها الوثيقة العمرية مع أهل بيت المقدس، والدليل المادي الملموس شاهد على ذلك ببقاء أماكن العبادة التاريخية القديمة لليهود والنصارى وغيرهم في معظم ديار الإسلام والمسلمين<sup>(4)</sup>.

إن الفتح الإسلامي اعترف أيضاً بالآخر ولم يُرغم أي واحد على الدخول في الإسلام، في حين عندما انتصر ملوك شبه الجزيرة النصارى أطبقوا على إبادة المسلمين وإحراق كتبهم وتراثهم، وتحويل مساجدهم إلى كنائس، إذ لم يبق في إسبانيا ولو كتاب واحد من ملايين الكتب التي ألفها واقتناها ونسخها علماء الأندلس وورّاقوها ونسّاخوها، أما الكتب التي هي بمكتبة الإسكوريال، فهي

(1) سورة الحج، الآية: 39-40

(2) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام؛ محمد الغزالي، دار التوزيع، القاهرة، ط 1، 1409هـ، (ص 6).

(3) المغني؛ ابن قدامة، 291/12

(4) ينظر: حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة؛ أحمد الريسوني، محمد الزحيلي، محمد عثمان شبير : 63، دط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2002م، الدوحة قطر.

مغربية الأصل قرصنها قرصان فرنسي وتسلط عليه الإسبان، فجعلوها في دير الإسكوريال، وقد أُتلف جُلُّها بالحرق وغيره<sup>(1)</sup>.

إن هذه الضوابط المقيدة للحرية الدينية إنما هي ضوابط شرعت من أجل حماية هذه الحرية كي تؤدي إلى الهدف المقصود، وهو تمكين الناس من أن يختاروا دينهم عن بصيرة، وأن يمارسوا شعائهم في اطمئنان، وأما إذا انفلتت الحرية الدينية من كل قيد فإنها سوف تؤدي إلى فوضى يغرر الناس فيها بعضهم ببعض، ويعتدي فيها البعض على مشاعر الآخرين، وتكون من ذلك فتنة اجتماعية كبيرة، من حيث إن الأديان ما جاءت إلا بما فيه خير الإنسان وسلامته وأمنه.

---

(1) ينظر: الإسلام دين الوسطية والفضائل والقيم الخالدة؛ عبد السلام الهراس، ص: 17. الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

### المطلب الثالث: نطاق الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية

بيننا في الفرع السابق أن الحرية الدينية ليست مطلقة إلى حد التسبب، وإنما تخضع لمبادئ وضوابط عدة، تحمي المجتمع الإنساني من الانحطاط الأخلاقي، وهذا ينقلنا إلى بيان نطاق الحرية الدينية في الشريعة، وتحديد مجالها، مما يقتضي توصيف الأحكام الدينية، ثم بيان مجال الحرية الدينية فيها.

ينقسم الحكم التكليفي عند العلماء إلى خمسة أقسام؛ وهي: "الواجب والمستحب والحرمة والكراهة والإباحة"، والأصل في الحكم الإسلامي هو الإباحة وليس المنع الذي لا يكون نافذاً إلا بدليل، وبذلك تكون الحريات هي أوسع الأحكام الخمسة، الأمر الذي يجلي عظمة الإسلام.

هذا من حيث اعتبار الحكم التكليفي، أما من حيث مراتب الأدلة فينقسم إلى: القطعي والظني، وتوصيفها كالآتي:

1- الأحكام القطعية: يقصد الأصوليون في عرفهم بالدليل القطعي: "ما لا يكون فيه احتمال ناشئ عن دليل"<sup>(1)</sup>. كآيات القرآنية الثابتة قطعاً ودلالاتها قطعية، والأحاديث المتواترة ذات الدلالة القطعية.<sup>(2)</sup>

(1) شرح التلويح على التوضيح 35/1، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (المتوفى: 793هـ) الناشر: مكتبة صبيح - مصر - ب.ت.  
(2) ليس كل ما ورد في القرآن والسنة الصحيحة قطعي؛ وإنما يحتمل أن يكون ظنياً بحكم تعدد فهم النص حسب دلالاته في اللغة العربية. مثل قوله تعالى "وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ" البقرة: 228، فلفظ "القرء" في اللغة العربية مشترك بين معنيين يطلق لغة على الطهر ويطلق لغة على الحيض، والنص دل على أن المطلقات يتربصن ثلاثة قروء، فيحتمل أن يراد ثلاثة أطهار، ويحتمل أن يراد ثلاث حيضات، فهو ليس قطعي الدلالة على معنى واحد من المعنيين، ولهذا اختلف المجتهدون في أن عدة المطلقة ثلاث حيضات أو ثلاثة أطهار. وهكذا يقال في نصوص السنة النبوية ولا فرق، فمنها ما هو قطعي الدلالة، ومنها ما هو ظني الدلالة.  
ومن أمثلة نصوص السنة قطعية الدلالة ما رواه ابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ "فَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ. رواه البخاري: 1503.  
فدلالة النص على فرضية زكاة الفطر واضحة في الحديث السابق المتفق عليه، ولهذا لم يختلف أحد من العلماء في فرضية زكاة الفطر  
ومن أوضح أمثلة نصوص السنة ظنية الدلالة وأشهرها ما رواه البخاري: 904، عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: نَادَى فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ انْصَرَفَ عَنِ الْأَخْزَابِ "أَنْ لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَيْتِي فَرِيضَةً" فَتَخَوَّفَ نَاسٌ فَوُتَ الْوَقْتُ فَصَلُّوا دُونَ بَيْتِي فَرِيضَةً، وَقَالَ آخَرُونَ: لَا نُصَلِّي إِلَّا حَيْثُ أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَإِنْ فَاتَنَا الْوَقْتُ، قَالَ: فَمَا عَنَّفَ وَاحِدًا مِنْ الْفَرِيقَيْنِ.

"وهذه الأحكام تغطي أركان العقيدة، وأصول الإيمان والإسلام، والمسائل الأساسية في الدين، سواء كانت في الاعتقاد والتوحيد والإيمان، أو في العبادات، وسائر الأحكام العملية القطعية كحل البيع وحرمة الربا، واشتراط الرضا في العقود والمعاملات، ووجوب الصلوات الخمس، والصيام، والزكاة، والحج، وتحريم القتل والزنا والسرقه وشرب الخمر، وتحديد عقوباتها المقدرة شرعا لها، وكذلك الكفارات المقدرة والأعداد الواردة في الكفارات والحدود، ويضاف إلى ما سبق الأحكام المجمع عليها، لأن المسائل المجمع عليها تصبح قطعية، كبطلان عقد زواج المسلمة بالكافر، وجواز عقد الاستصناع، واعتبار الجد كالأب في حق الميراث، وإن حصل اختلاف في التفاصيل، وخلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه".<sup>(1)</sup>

ومجموع هذه الأحكام تعرف بأنها معلومة من الدين بالضرورة، لأنها شائعة ومنتشرة بين المسلمين، ولا يوجد فيها مخالف ممن يعتد به، كمشروعية البيع والزواج، وحرمة الربا، وشهادة الزور، واليمين الغموس، وأكل مال اليتيم، وعقوق الوالدين، وسائر الكبائر.<sup>(2)</sup>

2- الأحكام الظنية، "وتشمل الأحكام الثابتة ظنا كأحاديث الآحاد، والأحكام التي دلالتها ظنية، وتشمل الآيات الكريمة التي تحتمل أكثر من معنى، كالعام، والمطلق والمشترك، وتشمل أيضا الأحاديث التي دلالتها ظنية كالسابق، مما يعرف في علم أصول الفقه بمباحث الكتاب والسنة، ويدرس في باب الدلالات أو تفسير النصوص، كالاختلاف في مقدار مسح الرأي في الوضوء، والاختلاف في معنى القرء في عدة المطلقة، والاختلاف في المقصود من خيار المجلس، وغير ذلك كثير".<sup>(3)</sup>

(1) الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية، أبعادها وضوابطها، محمد الزحيلي، ص: 397، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية \_ المجلد 27\_ العدد الأول\_ 2001م.

(2) ينظر: المستصفي من علم الأصول، أبو حامد الغزالي، 2 / 354، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الطبعة: الأولى، 1413هـ الناشر: دار الكتب العلمية.

(3) الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية، ص: 398، محمد الزحيلي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية \_ المجلد 27\_ العدد الأول\_ 2011

ويلحق بهذا القسم ما لا نص فيه أصلاً ولا إجماعاً، وهذا القسم يبحث فيه بالعقل ولوازمه كالقياس، والاستحسان، والاستصلاح أو المصلحة المرسلّة، والاستصحاب، والعرف، وشرع من قبلنا، مما يدخل في باب الاجتهاد، ويكون محلاً للاجتهاد ومجالاً له، وهذا باب واسع جداً، ومسائله لا تعد ولا تحصى، وتتبع التطور واختلاف الزمان والمكان، ويشمل القضايا المستجدة، والطوارئ في كل عصر حتى تقوم الساعة.<sup>(1)</sup>

### • نطاق الحرية الدينية في الأحكام القطعية:

"إن الأحكام القطعية لا مجال للاجتهاد فيها، ولا لإبداء الرأي، تطبيقاً للقاعدة الأصولية الفقهية "لا اجتهاد في مورد النص" أو "لا مسأغ للاجتهاد فيما فيه نص قطعي" وهذه الأحكام لا تقبل التأويل بصرفها عن معناها، ولا تقبل النسخ."<sup>(2)</sup>

ومجال الحرية الدينية في الأحكام القطعية محدود جداً في أمر واحد، وهو القبول أو الرفض، ولا مجال فيها للاجتهاد، والتغيير، والتبديل، ولا للزيادة، أو النقصان، والإنسان مخير إما بقبولها، واعتناقها، وتصديقها، فيكون مسلماً، وإما برفضها، وتكذيبها، والإعراض عنها، فيكون غير مسلم، ولا يوجد حل وسط فيها، ولا مساومة، ولا أنصاف حلول<sup>(3)</sup>؛ قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ مَّا جَاءَ مِنْ رَبِّكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَكَّبُونَ إِلَيْهَا أَسْفَىٰ عَذَابٍ﴾<sup>(4)</sup> والقول في الأحكام القطعية لا يتوقف عند هذا الحد وإنما يستثنى منها ما ثبت نسخه وإن كان قطعياً...

وتبقى الحرية الدينية في الأحكام القطعية مفتوحة وواسعة في الدعوة إليها حسب المبادئ

والضوابط السابقة.

(1) \_ ينظر: البحر المحيط، في أصول الفقه، بدر الدين بن محمد الزركشي، 197/6، الطبعة الثانية: 1413\_1992م، دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع، القردقة \_ الكويت.

(2) \_ الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية، ص: 398، محمد الزحيلي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الإقتصادية والقانونية \_ المجلد 27\_ العدد الأول\_ 2011

(3) \_ المصدر نفسه، محمد الزحيلي، ص: 398\_399.

(4) \_ سورة البقرة، الآية: 85

## • نطاق الحرية الدينية في الأحكام الظنية:

إن الأحكام الظنية في الثبوت أو في الدلالة أو في الثبوت والدلالة كثيرة، وهي مجال الرأي والاجتهاد، كما قرر الغزالي رحمه الله تعالى: (هو كل حكم شرعي ليس فيه دليل قطعي).<sup>(1)</sup>

وإن الحرية الدينية في الأحكام الظنية واسعة، حتى في مجال الاقتناع بها وعدمه، والالتزام بها وتركه، مع فتح الباب الكبير فيها للتفسير والتأويل، والاجتهاد والبيان، والقبول والرفض، وسواء في ذلك المسلم وغير المسلم في المجتمع الإسلامي، كما تبقى الحرية الدينية في الأحكام الظنية في الدعوة لها عند من يقتنع بها، ويتبناها.

ومن هذا كله نقول إن الإسلام له مذهب متميز، جوهره نطاق الحرية الانسانية يعني أن الانسان خليفة عن الله سبحانه في عمارة الوجود، ومن ثم فإن حريته هي حرية الخليفة، وليست حرية سيد هذا الوجود، إنه حر في حدود إمكاناته المخلوقة له، والتي لم يخلقها هو، هو حر في إطار الملابس والعوامل الموضوعية الخارجية التي ليست من صنعه، والتي قد يستعصي بعضها على تعديله وتحويره وتغييره، هو حر في إطار أشواقه ورغباته وميوله التي قد لا تكون دائماً ثمرات حرة وخالصة لحريته وإرادته، وإنما قد تكون أحياناً ثمرات لمحيط لم يصنعه، ولموروث ما كان له إلا أن يتلقاه.

(1) - المستصفى، 354/2، أبو حامد الغزالي.

## المطلب الرابع: حقيقة الدعوة إلى الحرية الدينية عند المسلمين

جعل الإسلام الحرية حقا من الحقوق الطبيعية للإنسان؛ لذلك قال العلماء إن: "الأصل في الإنسان الحرية وفي الأشياء الإباحة"<sup>(1)</sup>، فهذه القاعدة أصيلة في التراث الإسلامي، صار عليها النبي ﷺ وانتهجها عمر رضي الله عنه في تعامله؛ حيث قال: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أحرارا"<sup>(2)</sup>. فلا قيمة لحياة إنسان بدون الحرية، ولا يقوى آدمي على ممارسة أعماله والقيام بوظائفه دونها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾<sup>(3)</sup> والتكريم الإلهي للإنسان مؤسس على هذا الأصل (الحرية).

ومما يدل على تعظيم الإسلام لشأن الحرية وتقديسها أن جعل السبيل إلى ادراك وجود الله تعالى هو العقل الحر، بالإضافة إلى الإيمان بوجود تأثير قوى خارجية كالمعجزات ونحوها، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرِّشْكُ مِنَ الْغُرُوبِ﴾<sup>(4)</sup>. فالله عز وجل قد جعل الإيمان سبيلا للتححرر والانفكاك عن الظلم والتسلط والإستبداد ومن ثم فليس مستغربا أن تنحصر مهمة الانبياء في العمل على تثبيت هذه الحقيقة وتمثيلها في الواقع فكانت قولتهم جميعا، قال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِهِ﴾<sup>(5)</sup>.

ولعلنا ندرك في ضوء ما سبق أن الإيمان بالله يحيي النفس، ويحصن الفكر، ويعتق الروح ويحفظ القلب عن سلطان الطواغيت، ومن هنا قال الكواكبي<sup>(6)</sup>: "وكفى بالإسلام رقيا في التشريع

(1) الحريات من القرآن الكريم: حرية التفكير، والتعبير، والاعتقاد والحريات الشخصية. ص: 21 علي محمد محمد الصلابي، موقع:

<https://foulabook.com/ar/book/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B1%D9%8A%D9%85-pdf>

(2) إيضاح طرق الإستقامة في بيان أحكام الولاية والإمامة، ص: 177، يوسف بن عبد الهادي المقدسي الدمشقي الحنبلي، تحقيق ودراسة:

لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، الطبعة الأولى 1436 هـ 2011، مؤسسة دار النوادر، سورية.

(3) سورة الإسراء، الآية: 70

(4) سورة البقرة، الآية: 256

(5) سورة هود، الآية: 37

(6) الكواكبي (1849-1902م) عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود الكواكبي، ويلقب بالسيد الفراتي: رحالة، من الكتاب الأدباء، ومن رجال الإصلاح الإسلامي. ولد وتعلم في حلب، أسندت إليه مناصب عديدة. ثم حنق عليه أعداء الإصلاح، فسعوا به، فسجن، ساح سياحتين عظيمتين إلى بلاد العرب وشرقي إفريقيا وبعض بلاد الهند. واستقر في القاهرة إلى أن توفي فيها. الأعلام للزركلي، (3/298).

رقمها بالبشر إلى منزلة حصرها اسارة الانسان في جهة شريفة واحدة وهي الله وعتقها عقل البشر عن توهم وجود قوة ما، في غير الله من شأنها أن تأتي للإنسان بخير ما أو تدفع عنه شر ما".<sup>(1)</sup>

ومع ذلك جعل الله عز وجل سبيل الإيمان به هو الإقناع وجعل وظيفة النبي هي البيان وعدم الإجبار، فقال تعالى: ﴿فمن أظلم مما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن ومن يخاف وعيباً﴾<sup>(2)</sup>. ذلك أن أمر الاستجابة لهذا الخير من عدمه منوط بحرية الإنسان في الاختيار، قال تعالى: ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾<sup>(3)</sup>

إن الناظر في التاريخ الإسلامي يجده غنيا بالمواقف التي تدل على تسامح المسلمين وتطبيقهم للحرية على وجه العموم، وإن حصلت مخالفات في بعض الحقب حادت عن المنهج وانحرفت عن روح الإسلام.<sup>(4)</sup>

وسأذكر سردا سيميائيا مختصرا أذكر فيه بعض المواقف على سبيل المثال لا على سبيل الحصر، ومن ذلك:

## \_ حماية الاسلام للمعابد والاديرة والرهبان.

عندما وصل النبي ﷺ إلى المدينة مهاجرا من مكة وقع عقدا يؤاخي فيه بين المهاجرين والأنصار، ويؤمن فيه يهود يثرب على أموالهم وأولادهم، ويسمح لهم بإقامة شعائرهم الدينية على الوجه الذي يريدون، حتى عندما غدره بنو قنيقاع أخرجهم دون أن يأخذ صحفهم التوراتية<sup>(5)</sup>.

(1) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص:140، عبد الرحمن الكواكبي، مكتبة الإسكندرية. 2010م

(2) سورة ق، الآية: 45

(3) سورة الكهف، الآية: 29

(4) كثيرا ما نجد من يطعن في الاسلام باسقاطه أحوال الأمة وما آل إليها وضعها من تخريب وتدمير ويتهمون بذلك الإسلام على أنه دين سفك وإرهاب، هذا الاسقاط جاء بالخلط الحاصل بين تاريخ الإسلام وتاريخ المسلمين، وهذا الحكم لم يأتي من فراغ بل جاء انطلاقا من تأليفات من يحسبون عن الإسلام، وذلك بتناولهم تاريخ المسلمين باسم "تاريخ الإسلام"، ونجد ذلك واضحا في تمجيد التاريخ الذاتي، ومن هذا ساد انطباع في الوعي الجمعي للمجتمعات الأوروبية بأن الإسلام هو الذي يوجه سلوك المسلمين بكليته، وهي نظرة نمطية تنتهي إلى تحميل الإسلام المسؤولية عن سلبيات ترى من ماضي المسلمين وحاضرهم، ومن ثقافتهم وسلوكياتهم وتصرفاتهم...

(5) ينظر سيرة ابن هشام 188/2 وما بعد.

## \_ إباحة مؤاكلة أهل الكتاب:

ويتجلى الإقرار بالتنوع الديني في الإسلام، في إباحته مؤاكلة أهل الكتاب، يقول الله تعالى:

﴿... وَصَلِّمُوا الَّذِينَ أَتَوْا الْكِتَابَ حَلِّ وَصَلِّمُوا حَلِّ لَكُمْ...﴾<sup>(1)</sup>

## \_ إباحة الزواج من أهل الكتاب:

أباح الإسلام للمسلم أن يتزوج الكتابية ويتصاهر معهم قال تعالى ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ مَعْصُومِينَ غَيْرِ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَخَفِرِينَ  
أَخْذَانٍ﴾<sup>(2)</sup>

\_ فحوى وثيقة المدينة: وخصوصاً البند (25): حيث جاء فيها: "وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين،

لل يهود وللمسلمين دينهم مواليهم وانفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ الا نفسه واهل بيته."<sup>(3)</sup>

وهذا فيه ضمان للحرية الأساسية للأفراد، وعلى رأسها حرية الاعتقاد، فرعاية دولة الإسلام

لمواطنيها وحسن إدارتها لشؤونهم لا يؤثر فيها كون بعضهم غير مسلمين، وإنما للجميع البر وحسن  
الرعاية.

\_ فتح النبي ﷺ لمكة: لم يجبر أحداً اعتناق الإسلام، رغم تمكنه وانتصاره، ولكنه قال لهم: " اذهبوا

فأنتم الطلقاء"<sup>(4)</sup>

\_ معاملة النبي ﷺ لنصارى نجران: لما دخلوا مسجد الرسول ﷺ وقت الصلاة، وضربوا ناقوسهم

وصلوا إلى الشرق داخل المسجد النبوي، عز ذلك على الصحابة وأغاضهم، فقال لهم النبي عليه

السلام: "دعوهم"<sup>(5)</sup>.

(1)\_ سورة المائدة، الآية: 5.

(2)\_ سورة المائدة، الآية: 5.

(3)\_ سيرة ابن هشام 369/2.

(4)\_ المصدر نفسه 411/2.

(5)\_ سيرة ابن هشام، 224/2.

\_ إعطاء عمر بن الخطاب الأمان لسكان القدس "... على حياتهم وكنائسهم وصلبانهم، لا يضار أحد منهم ولا يرغم بسبب دينه"<sup>(1)</sup>.

\_ المسلمون حكموا اليونان طوال عدة قرون، ولم يتحولوا إلى الإسلام:

فهل صار اليونانيون مسلمين؟ هل حاول أحد مجرد إرغامهم على اعتناق الإسلام؟

على العكس، "لقد تبوأ اليونانيون المسيحيون أعلى المناصب في الإدارة العثمانية. كما عاش البلغار والصرب والرومان والمجر وشعوب أوروبا أخرى، في بعض الفترات، تحت حكم العثمانيين متمسكين بدينهم المسيحي. لم يرغمهم أحد على التحول إلى الدين الإسلامي، وبقوا جميعاً مسيحيين أتقياء كذلك ليس هناك من دليل مطلقاً على أية محاولة لفرض الإسلام على اليهود."<sup>(2)</sup>

هذه الأمثلة دليل حي على قدسية الحرية في الإسلام، وهي تعد أدلة عملية واقعية نزلها نبي الإسلام وصحابته ومن جاء بعدهم في المجتمع الإسلامي؛ الذي تشكل بأطياف من المسلمين واليهود والنصارى...

إذا كنا قدمنا الدليل على أصالة الفكر الإسلامي حول الحرية، فلا بد من تقديم أيضاً التصورات التي قدمها المسلمون حول هذا الموضوع حتى تكون بالنسبة لنا خلفية فكرية متنورة ومنطلقاً ننطلق منه إلى حيث نرسي قواعد المفاهيم المتقدمة في الحرية والتي كانت سبباً في الإشعاع الحضاري بالأندلس.

إن بزوغ شمس الحرية في الفكر الإسلامية تشكل في صورة مدرسة فكرية سميت بالقدرية<sup>(3)</sup>؛ فبين استواء هذه المدرسة على أصولها، وترجمة فلسفة أرسطو والهيئاته قرابة القرن

(1) تاريخ الأمم والملوك، الطبري 105/3.

(2) الشرق والغرب حوار لا مواجهة، د. إبراهيم أبو محمد، ص: 133\_134.

(3) القدرية: هي فرقة كلامية تنتسب إلى الإسلام، وتعدّ من أول الفرق الإسلامية المخالفة وقد ظهرت في بداية عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، وأول من أسسها غيلان الدمشقي وقد قتله الخليفة هشام بن عبد الملك بصلبه على أبواب الشام. وهم الذين ينقون قدر الله تعالى، ويقولون: إن الله تعالى لم يخلق أفعال العباد، ويجعلون العبد خالق فعل نفسه، ويقولون: إن الله تعالى لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه؛ (موسوعة الفرق والمذاهب - وزارة الأوقاف المصرية - ص: 521).

ونصف من الزمان، ما كان سببا ودليلا في القول إن المفاهيم الإسلامية عن الحرية تشكلت وأفرزتها طبيعة المجتمع، وخصوصيته الإسلامية، ولم تكن منقولة إلى هذا المجتمع من خارج حدوده.

فهذا المفهوم الذي تطرقنا إليه لم تنتصر له كل المذاهب الفكرية والعقدية، بل نجد مذاهبا ومدارس من حجرت عن هذا المفهوم، وأنكرت أن يكون الإنسان حرا خالقا لأفعاله وصانعا لمصيره،<sup>(1)</sup> وأخرى وقفت على أرضية الاختيار، وذهبت إلى حيث الحكم بحرية الإنسان وخلقه لأفعاله ومسئوليته عن نتائج هذه الأفعال.

إن هذا الموروث الديني والفكري في الشرق<sup>(2)</sup> تمخض عنه مجتمع وعى مفهوم الحرية وصدرها إلى بيئة جديدة وهي الأندلس

فمنذ بدايات الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الإيبيرية (الأندلس)، اتسمت معاملة المسلمين لغيرهم من أهل البلاد المفتوحة بالنبل والتسامح الذي نوه به غير المسلمين، من المؤرخين والمستشرقين. والتي أثمرت أفواجا ممن دخل في الدين الإسلامي تباعا برضا واختيار. والحقيقة أن المسلمين الأولين شربوا من معين الإسلام وارتووا منه مما انعكس إجابا على معاملاتهم وسياساتهم تجاه أفراد المجتمع الجديد.

قد هيأت الحضارة الأندلسية، منذ مراحلها الأولى، الإطار الأنسب للتفاعل الحضاري الإيجابي؛ فقد اندمج اليهود والنصارى، في جو من الحرية والسماحة وتكافؤ الفرص في المجتمع الأندلسي الجديد؛ يتعلمون ويتثاقفون، ويسهمون في البناء دون عائق أو عقدة، وهو الأمر الذي جعل الكثيرين منهم يحظون بمكانة عالية، ويتقلدون مناصب عليا في الإدارة والسياسة، فقد عاش

(1) هذه الفرقة تسمى الجبرية وقد أنشأت على يد صفوان بن جهم. سُمِّيَ الجبرية بذلك لأنهم يقولون: إن العبد مُجَبَّرٌ على أفعاله، ولا اختيار له، وأن الفاعل الحقيقي هو الله تعالى، وأن الله سبحانه أجبر العباد على الإيمان أو الكفر؛ (الملل والنحل للشهرستاني ج 1 ص: 87). ويرى الجبرية أن الناس لا اختيار لهم في أفعالهم، ولا قدرة لهم على أن يغيروا مما هم فيه شيئا، وإنما الأفعال لله سبحانه؛ فهو الذي يفعل بهم ما يفعلونه، وجعلوا هذا مطلقا في جميع أفعالهم، فإذا آمن العبد أو كفر فإن الإيمان أو الكفر الذي وقع منه، والطاعة أو المعصية، ليست فعله إلا على سبيل المجاز، وإنما الفاعل الحقيقي هو الله سبحانه؛ لأن العبد لا يستطيع أن يغير شيئا من ذلك؛ (مقالات إسلاميين - لأبي الحسن الأشعري ج 1 ص: 338).

(2) أقصد بالشرق هنا، جغرافية العالم الإسلامي.

الذميون الأمن والاستقرار في دولة الإسلام يتمتعون بحرية العقيدة والتعبد منذ الفتح الإسلامي لإيبيرية وقد مورس الحوار بين مختلف عناصر الشعب الأندلسي طوال عصور المسلمين في الأندلس في أزمنة السلم وأزمنة الحرب، وبين المنتصرين والمهزومين، ولعل حضارة وثقافة الإسلام في الأندلس هي الأعلى صوتاً وفعلاً في رسالتها الحوارية، وعلى مدى قرون عديدة.

والواضح أن الحكام لم يحاولوا إرغام الناس على دخول الإسلام؛ لأن هذا كان أسلوب المسلمين الذي ذبوا عليه في نشر الإسلام في كل بلد دخلوه؛ فلم يتدخل الحكام في شيء من عقائدهم، وترك لهم ما يرونه حق.

كانت معاملة المسلمين لسكان الأندلس الأصليين معاملة كريمة، بأن أبقوا عليهم كنائسهم وأديرتهم، ثم كفلت لهم الدولة حرية العقيدة، وحرية تأدية الطقوس والشعائر الدينية حسبما تقتضيه القواعد الكهنوتية، وكانوا يسمحون لأساقفتهم أن يعقدوا مؤتمراتهم الدينية، كمؤتمر أشبيلية النصراني الذي عقد في سنة 782م، ومؤتمر قرطبة النصراني الذي عقد في سنة 852م؛

فكان لهذا أثر عميق في نفوسهم<sup>(1)</sup> لم يكن حال النصارى في ظل المسلمين شديد الوطأة إذا هو قورن بما كانوا عليه من قبل، زد على ذلك أن المسلمين كانوا شديدي التسامح؛ فلم يضيقوا الخناق قط على أحد ما من الناحية الدينية، ولم يجحد النصارى جميلهم هذا، فكانوا راضين عنهم لتسامحهم واعتدالهم، وأثروا حكمهم على حكم القبائل الجرمانية والفرنجة؛ فأنعدمت الثورات أو كادت، طوال القرن الثامن للميلاد<sup>(2)</sup>.

وهذا كله راجع إلى رؤية الإسلام الذي اعتبر أن جو الحرية هو المناخ الطبيعي الذي تنمو فيه الملكات، وتتفجر فيه الطاقات والقدرات؛ لذلك أقر بحقوق الإنسان وحياته المختلفة قبل الآخرين بمئات السنين.. وإسلام الذي قرر وحقق الحرية في أسمى معانيها لا يريد بشراً أذلاء تطحنهم الأهواء والشهوات، وتكبلهم الأهوام والخرافات، بل يريد أشخاصاً أعزاء أحراراً أقوياء، يسيرون إلى ربهم،

(1) ينظر: فضل الحضارة الإسلامية والعربية على العالم، زكرياء هاشم زكرياء، ص. 397-398. دار نهضة مصر للنشر 1970م القاهرة.

(2) المسلمون في الأندلس، المسيحيون والمولودون، دوزي رينهارت ج. 1، ص 48. ترجمة وتعليق د. حسن حبشي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة

وهم متحررون من كل قيود العبودية للبشرية، ويسيرون على درب الحياة بعزائم صلبة ليعمروا الأرض...<sup>(1)</sup>

ولقد منح الإسلام الحقوق المدنية والحريات لكل أبناء الأمة، ولم يفرق بينهم، سواء بين الرجال والنساء، أو بين الأغنياء والفقراء، ولم يفرق في ذلك بين المسلمين وغير المسلمين. ومن ثم فهو دين لا يعرف العنصرية.. إنه دين العدالة والمساواة والحرية والسلام الاجتماعي والرحمة مع جميع الأجناس، وقد حرصت الشريعة الإسلامية على تحقيق الوحدة السياسية للأمة؛ بالحفاظ على الاستقرار الاجتماعي والسياسي، والحفاظ على التنوع والاختلاف، والانفتاح على الآخرين وقبولهم.. وقد جعل الإسلام حقوق غير المسلمين فرضاً دينياً، بحيث يحاسب المسلم على التقصير فيه<sup>(2)</sup>.

"إن الأحقاد الطائفية والحروب الدينية غريبة على البيئة المسلمة، وإسلام في ميدان الحياة العامة حريص على احترام شخصية المخالف له، ومن ثم لم يفرض عليه حكمه، أو يقهره على الخضوع لشرائعه، ولم يقم بمصادرة حقوقه أو تحويله بالكره عن عقائده أو المساس بأمواله وأعراضه ودمائه، بل ترك أهل الأديان وما يدينون؛ لأن الاختلاف سنة من سنن الوجود"<sup>(3)</sup>.

لقد حث الإسلام على التسامح مع غير المسلمين بصفة عامة، واليهود والنصارى بصفة خاصة، ولم ينه المسلمين من بر غير المسلمين؛ ما داموا في سلم مع المسلمين. والمسالون منهم هم الذين لم يقاتلوا المسلمين في الدين، ولم يخرجوهم من ديارهم، ولم يظاهروا على إخراجهم، ومن ثم لم ينه الله المسلمين عن برهم والإقساط إليه، والله يحب المقسطين. والبر هو الإحسان إليهم، وقيل: البر: أن تزيد له على ما يستحق فضلاً منك.

(1)\_ ينظر: موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي من نبع السنة الشريفة وهدى الخلفاء الراشدين، خديجة النبراي 336/2، نشر دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة بالقاهرة، ط الثانية، 1429هـ\_2008م.

(2)\_ ينظر: موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي من نبع السنة الشريفة وهدى الخلفاء الراشدين، خديجة النبراي 583/2.

(3)\_ الشرق والغرب حوار لا مواجهة، ص:146، د. إبراهيم أبو محمد.

والقسط: هو العدل، وأن تعطي الحق لأهله ولا تبخسه<sup>(1)</sup> يقول الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِصُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِصِينَ﴾<sup>(2)</sup>

أما غير المسلمين منهم الذين قاتلوا المسلمين في الدين، وأخرجوهم من ديارهم، وظاهروا على إخراجهم، فقد نهانا الله عن موالاتهم، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَهَلَاقُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(3)</sup>

ومما سبق وجدنا أن التراث الإسلامي شكل حمولة معرفية، ووزنا علميا، مبرزا حقيقة الدعوة إلى الحرية عند المسلمين، تنظيرا وتطبيقا؛ بداية بالرعيل الأول، ومرورا بالبيئة الأندلسية؛ التي فرخت نهضة على كل المستويات السياسية والفكرية ثم الإقتصادي..

(1) ينظر: الميثاق الإسلامي، ص: 111\_112، ط الثانية، نشر الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، والمركز العالمي للوسطية، 1429هـ\_2008م.

(2) سورة الممتحنة، الآية: 8.

(3) سورة الممتحنة، الآية: 9.

## المطلب الخامس: الرد على شبهات وادعاءات حول الإسلام

أثير عن الإسلام شبهات وافتراءات كثيرة، ليقزموا دوره في الحياة العامة؛ وهذا الإطلاق ليس على وجه العموم، فمن المستشرقين من طرح سؤالاً عن حسن نية أملاه عليه البحث العلمي، واعتبر هذا السؤال عند المسلمين شبهة.

أما جمهرة من المستشرقين فنيتهم فيها دخن تجاه مبادئ الإسلام مما جعلهم يثيرون شبهة قصد التشويش؛ ومن بين هذه الشبه:

### ■ شبهة انتشار الإسلام بالسيف

لقد ردد بعض المستشرقين<sup>(1)</sup> أن الإسلام اعتمد على السيف وحده في نشر الدعوة، أو أن المسلمين يكرهون غيرهم على الدخول فيه. وهذا غير صحيح، وآيات القرآن الكريم تنفي الإكراه في الدخول في الدين، كما قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تُمَيَّرَ الرَّشْدُ مِنَ الْغُرِّ﴾<sup>(2)</sup>.

أما القتال الذي أمر الله به فليس لإكراه الناس للدخول في الإسلام، وإنما لإزالة العراقيل عن الدعوة الإسلامية، وليس كما يقول بعض الذين تأثروا بالهجمة الاستشراقية، إن القتال في الإسلام إنما كان لرد العدوان فقط لا غير، أو لإزالة الفتنة عن المسلمين الموجودين في الدولة المقاتلة، وحاولوا تأويل التاريخ الإسلامي ليتحمل هذا القول، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾<sup>(3)</sup>.

"والآيات التي في القرآن لا يناقض بعضها بعضها، فإن آيات القتال نزلت على مراحل، فأول الإسلام كانوا مأمورين بالصبر منهيين عن القتال، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ

(1) - كروبرت بن و البابا بنديكت السادس عشر..

(2) - سورة البقرة، الآية: 256.

(3) - سورة البقرة، الآية: 190.

اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً<sup>(1)</sup>، ثم أذن لهم بقتال من قاتلهم – وكان هذا قبيل الهجرة بقليل- كما قال تعالى: ﴿أَعِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ضُلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ لِّذُنُوبِهِمْ لَقَدِيرٌ<sup>(2)</sup>﴾ ثم أمروا بقتال من قاتلهم كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ<sup>(3)</sup>﴾، ثم أمروا بقتال من يلهمهم من الكفار، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غُلُظَةً<sup>(4)</sup>﴾ ثم أمروا بقتال كافة المشركين – وكان هذا في آخر ما نزل من القرآن- كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا أَنْسَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُوا لَهُمْ وَأَقْعِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ<sup>(5)(6)</sup>﴾.

### ■ إباحة الرق

"الرق هو وضع قانوني يجرد الفرد تجريدا كاملا من حريته المدنية؛ فلا يجوز له إجراء أي عقد، ولا تحمل أي التزام، وينزع عنه أهلية التملك، ويجعله هو نفسه مملوكا لغيره، وينزله من بعض النواحي منزلة السلعة يتصرف فيها السيد كما يشاء."<sup>(7)</sup>

إن الإسلام لم يشرع الرق، وإنما شرع العتق، إن الإسلام صنع للرق ما لم يصنع غيره، ولو سارت الأمور إلى وجهتها وفق ما رسم، ما تعرضت أجيال غفيرة لهذا البلاء المبين، على أن الإسلام ما أقر قط حرب الخطف التي انتشرت في العصور القديمة والحديثة، والتي وسعت دائرة الاسترقاق، فالإسلام تعامل مع ظاهرة كانت مستفحلة في المجتمعات بطريقة تجعلها تضيق شيئا فشيئا دون أن يحدث ذلك أي أثر سيئ في نظام المجتمع الإنساني، بل بدون أن يشعر أحد بتغير في مجرى الحياة.

(8)

(1) \_ سورة النساء، الآية: 77.

(2) \_ سورة الحج، الآية: 39.

(3) \_ سورة البقرة، الآية: 190.

(4) \_ سورة التوبة، الآية: 123.

(5) \_ سورة التوبة، الآية: 5.

(6) \_ الحوار مع أهل الكتاب، خالد بن عبد الله القاسم، ص: 70.

(7) \_ الحرية في الإسلام، علي عبد الواحد وافي، ص: 20.

(8) \_ ينظر: الحرية في الإسلام، علي عبد الواحد وافي، ص: 20.

لقد حث الإسلام على حسن معاملة الرقيق فقد خفض جناح الرحمة، وشمله بعطفه؛ فأوجب على الموالي حسن معاملة عبيدهم وإمائهم، وأوصى أن ينزلوهم منزلة أفراد الأسرة. وقد وردت وصايا في كثير من آي الذكر الحكيم وأحاديث الرسول ﷺ، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِالْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَأَلِيمٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (1). فقد قرن الله تعالى في هذه الآية وجوب الإحسان إلى ملك اليمين وهو الرقيق - بوجوب عبادته وعدم الشرك به وجعلهما في منزلة واحدة.

لقد روى لنا التاريخ صورة مشرقة عن المساواة في المجتمع الإسلامي لدى الرعيل الأول من الصحابة، فهذا عمر بن الخطاب لما ذهب إلى القدس ومعه أبو عبيدة بن الجراح، فأتوا على مخاضة وعمر بن الخطاب على ناقه له، فنزل عنها وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة، فقال عبيدة: "يا أمير المؤمنين، أنت تفعل هذا، تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك، وتخوض بها المخاضة؟ ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك، فقال عمر: أوه، لم يقل ذا غيرك أبا عبيدة؛ جعلته نكالا لأمة محمد ﷺ، إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله." (2)

من خلال ما سبق يتبين لنا أن الإسلام جاء ليحرر الإنسان المستعبد في الأرض، ويرد إليه كرامته مهما تكن وظيفته في المجتمع، وينص على المساواة بين الجنس البشري عامة، ويلغي كل فكر هدام يقسم الإنسان إلى طبقتين: طبقة الجنس المتميز، وهم السادة وطبقة الجنس الحقير وهم العبيد.

(1) - سورة التوبة، الآية: 5.

(2) - مستدرک الحاكم، رقم الحديث: 207.

## مر الإسلام في القضاء على الرق بمرحلتين:

### 1\_ مرحلة التحرير الروحي:

ففي هذه المرحلة كرس الإسلام مبدأ الكرامة الإنسانية؛ وقال للسادة عن الرقيق: ﴿بعضكم من بعض﴾<sup>(1)</sup>، وأقر وحدة الأصل، والمنشأ والمصير: "الناس كلهم بنو آدم وآدم من تراب"<sup>(2)</sup>، وأنه لا فضل لسيد على عبد، وإنما الفضل للتقوى "ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا أعجمي على عربي، ولا أسود على أحمر، ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى"<sup>(3)</sup>.

وقال النبي عليه السلام "لا يقل أحدكم هذا عبدي، وهذه أمتي، وليقل فتاي، وفتاتي"<sup>(4)</sup>.

### 2\_ مرحلة التحرير الواقعي:

لقد كانت الخطوة السابقة تحريراً روحياً للرقيق؛ برد الإنسانية إليه من خلال المعاملة، فالإسلام بهذا قد مهد الطريق إلى ترسيخ المساواة وتحرير الإنسان من كل قيود الإسترقاق.

لقد سلك الإسلام مبدأ التدرج في رفع الرق، لأن حظر الرق من المجتمع دون سل مبدأ التدرج يفضي إلى تدمير المجتمع وإهياره، من الناحية النفسية والاجتماعية والاقتصادية..<sup>(5)</sup>

وعلى هذا الأساس رعا الإسلام خصوصية المجتمع في معالجته لهذه الظاهرة والحد منها، وسلك أسلوبين لتقويض الرق:

\_ تبديد الروافد أي إزالة الأسباب التي كانت تفضي إلى الاسترقاق واتخاذ العبيد، منها: الاستعباد القهري: وهو أخذ العبيد قهراً وبيعهم، فهذا محرم، قال الله تعالى في حديث قدسي: "ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر. ورجل باع حراً فأكل ثمنه..."<sup>(1)</sup>

(1)\_ سورة النساء، الآية: 25.

(2)\_ سنن الترميذي، رقم الحديث: 3955.

(3)\_ مسند إمام أحمد، رقم الحديث: 23536.

(4)\_ صحيح البخاري، رقم الحديث: 2414.

(5)\_ شهادات حول الإسلام، محمد قطب، ص: 41\_44، ط23، دار الشروق، 1422هـ/2001م، القاهرة.

\_ التحرير الفعلي: ويتمثل في تحرير الرقاب، قال تعالى: ﴿ومن قتل مؤمناً متعمداً فتحرير رقبة مؤمنة...﴾<sup>(2)</sup>

ومن هذا كله يتبين لنا منهج الإسلام في القضاء على الرق، دون رفض المجتمع لهذا التشريع الجديد.

(1) \_ صحيح البخاري، رقم الحديث: 2114.

(2) \_ سورة النساء، الآية: 92.

### المبحث الثالث: في الحرية السياسية

#### ■ المطلب الأول: الاسلام وحرية الرأي السياسي

- الفرع الأول: مفهوم السياسة
- الفرع الثاني: موقف الاسلام من حرية الرأي السياسي
- الفرع الثالث: أصول الحرية السياسية في الإسلام

#### ■ المطلب الثاني: الحرية السياسية في الفكر الأندلسي

#### ■ المطلب الثالث: نطاق الحرية السياسية عند المسلمين في

الأندلس

#### ■ المطلب الرابع: معالم الحرية السياسية وأبعادها

## الفرع الأول: مفهوم السياسة

السياسة في اللغة من مصدر ساس يسوس سياسة، ومادته في لسان العرب "سوس"، والسياسة فعل السائس يقال: هو يسوس الدواب إذا قام عليها وراضها، والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه، والوالي يسوس رعيته، وسوس له أمرا أي روضه وذلكه<sup>(1)</sup>.

قال الزبيدي: ومن المجاز "سست الرعية سياسة، أمرتها ونهيتها"<sup>(2)</sup>

وقال صاحب القاموس المحيط: "وفلان مجرب قد ساس وسيس عليه: أَدَّبَ وَأَدَّبَ"<sup>(3)</sup>.

والسياسة تأتي بمعان عدة: حسن الرعاية، القيام على الشيء بما يصلحه، وحسن الإدارة والتدبير. ولذلك يقال سائس الخيل: لمن يروضها ويعدها للعمل. وساس القوم: بمعنى تولى قيادتهم وإدارة شؤونهم. وقد ورد في الحديث: "كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ،..."<sup>(4)</sup>.

ويرجع المعنى الاصطلاحي القانوني إلى كلمة «politique» باللغة اليونانية القديمة ويقصد بها: "فن إدارة المدينة"، أو بمعنى: "فن حكم المجتمعات الإنسانية". وانصرف معنى السياسة إلى ممارسة السلطة في جماعة سياسية معينة.

لقد اتسع مدلول النظام السياسي باتساع نشاطه وأثره، بحيث أصبح يمتد ليشمل كل المجالات الحيوية الاقتصادية والاجتماعية الفكرية، لأن الدولة تشرف على تنظيم الاقتصاد وتوجيهه، كما تتدخل في نشاط الأفراد والتزاماتهم وحقوقهم على جميع الأصعدة. وبناء على ذلك

(1) - لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، مصر، ط1، دت، ج1، ص: 2149\_2150.

(2) - تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، المطبعة الخيرية، مصر، ط1، 1306هـ، ج4 ص: 169.

(3) - القاموس المحيط، الفيروز آبادي، تحقيق التراث في المؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005، ص: 551.

(4) - صحيح الإمام مسلم، رقم الحديث: 1842.

يعرف النظام السياسي بأنه: مجموعة القواعد والأجهزة المترابطة التي تبين نظام الحكم و وسائل ممارسة السلطة، وأهدافها ومركز الفرد والجماعة.<sup>(1)</sup>

وقد وضع ابن عابدين معنى السياسة في الفقه الإسلامي بقوله: "فالسياسة استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في الدنيا والآخرة". فالسياسة إصلاح أمور الرعية وتديبر أمورهم، وبعضهم جعل السياسة هي المحافظة على مقصد الشارع بدفع المفسد عن الخلق. ولعل من أحسن ما نقل عن الفقهاء المسلمين في هذا المجال ما نقله ابن القيم عن ابن عقيل الحنبلي قوله: "السياسة ما كان فعلا يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد"<sup>(2)</sup>.

ومن خلال أقوال الفقهاء يتبين أن السياسة لديهم تعني: الإجراءات والتدابير التي تصدر عن ولي الأمر من أجل تحقيق مصالح العباد، ودرء الفساد عنهم في دينهم ودنياهم. وعلى ذلك فالنظام السياسي الإسلامي: مجموعة القواعد والأحكام التي تنظم شؤون سلطة الأمة وعلاقتها بالأفراد، وما يتعلق باختيار الحاكم وحقوقه وواجباته، من أجل تحقيق مصلحة العباد وعصمتهم من الفساد.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، نجد ابن سينا (1037/980م) يعرف بدوره هذا المفهوم بحد يختلف في كنهه على ما ذهب إليه الفقهاء حيث قال: "هي حسن التدبير الذاتي والجماعي وإصلاح الفساد الذي هو طريق السعادة"<sup>(3)</sup>.

فالسياسة عند ابن سينا ليست حكرا على الملوك وعلى النخبة، وإنما هي لكل فرد من الرعية توافرت فيه الشروط، وهو بذلك قد جانب في تعريفه مفهوم الديمقراطية في عصرنا.

وفي ختام القول في هذه النقطة أن مدلول كلمة "سياسة" وظلالها في الفقه الإسلامي تدور حول الإصلاح وحسن التدبير، وقوة الإدارة، وتوجيه السلوك الإنساني الجماعي نحو الخير، وتوحيد الأمة ومقاومة الفساد ونفي الظلم، ووضع حد للفوضى، ووقف النزاع، وقطع دابر الخصومات،

(1) \_النظم السياسية، ثروت بدوي، ص: 3 وما بعدها، بتصرف، دار النهضة العربية 1962م.

(2) \_الطرق الحكمية، محمد بن أبي بكر ابن القيم، ص: 13، تحقيق محمد حامد الفقي، بيروت: دار الكتب العلمية، دت.

(3) \_دولة الشريعة - قراءة في جدلية الدين والسياسة عند ابن سينا-، ص: 57 دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1999.

وحماية مصالح الخلق، وتمكينهم من السعي على أقواتهم وتوفير الأمن لأنفسهم وأعراضهم وأموالهم. وليس كما يتبادر على ذهن الإنسان الغربي بأن السياسة معناها الخداع والظلم وطلب السيطرة، والحكم، وإيذاء الخلق، واستعمال الحيل لهزيمة الخصم، والتغاضي عن سلوك أي وسيلة لتحقيق الهدف<sup>(1)</sup>.

وقد أجمع الفقهاء على وجوب تنصيب إمام من أجل تنفيذ خطاب الشارع المتعلق بالمكلفين والذي لا يتم تنفيذه إلا بقوة وإمارة، مثل إقامة الحدود ورفع راية الجهاد والذب عن المسلمين وحماية ثغورهم، ووقف النزاع ورفع الخصومات وإقامة العدل بينهم، تأسيساً على فعل الرسول ﷺ وأصحابه من بعده.<sup>(2)</sup>

إن أهمية النظام السياسي تتجلى بتحقيق المقاصد الشرعية التي يقوم على رعايتها، وحفظها، والتي تنبثق من الوظيفة الكبرى للإنسان على وجه الأرض والتي خلق لها وأعد من أجلها. والتي تتلخص برعاية الوجود الإنساني وحفظ حياته ومقوماته، وما يتصل بذلك من حفظ النفس والنسل ودرء الاختلال والفساد عنها. ثم ينتقل واجب النظام السياسي بعد ذلك لتنظيم الجهد الإنساني وتطويره وتحسينه من أجل تحقيق مهمة الخلافة في الأرض والتي تتجلى في الإعمار، وسيادة العدل ونفي الظلم وتحقيق الرفاه الإنساني وفق ضوابط الشريعة ومقاصد الشارع الكريم بلا تفریط أو إفراط.

فتكون السلطة في الإسلام عبارة عن قوة موجهة لخدمة المنفعة الإنسانية العامة في الدنيا والآخرة. فالسلطة إذن وضعت لخدمة الإنسان وحفظ حياته وحفظ كرامته وإطلاق حريته وإرادته، وتوجيه طاقته وقواه لتكون موافقة لمقاصد خلقه وإيجاده.

(1) \_ ينظر: العودة إلى الذات، علي شريعتي، ص: 153، ترجمة إبراهيم الدسوقي، القاهرة: الزهراء لأعلام العربي، 1986م.

(2) \_ ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ص: 118 مكتبة ومطبعة محمد صبح وأولاده، 1971م.

كما أن السلطة لم تشرع في الإسلام إلا من أجل استخدام القوة لمقومة الاعتداء ونفي الظلم، ومواجهة من يستخدم القوة لاستعباد الجنس البشري وسلبهم حرياتهم وتقييد إرادتهم وهدر كرامتهم على مذابح النزوات الفردية والمصالح الفئوية.

## الفرع الثاني: موقف الإسلام من حرية الرأي السياسي

يقصد بحرية الرأي أن يكون للإنسان الحق في أن يفكر تفكيراً في جميع ما يكتنفه من شؤون وما يقع تحت إدراكه من ظواهر، وأن يأخذ بما يهديه إليه فهمه، ويعبر عنه بمختلف وسائل التعبير.

وقد أقر الإسلام هذا الحق في أوسع نطاق. "فمنح كل فرد الحق في النظر والتفكير وإبداء رأيه عن أي طريق شاء، بل إن الإسلام لم يكتف بممارسة هذا الحق فقط، بل إنه يأمر بها ويقدمها، ويعتبرها فريضة على كل مسلم..."<sup>(1)</sup>، يقول النبي عليه السلام: "كَلَّا، وَاللَّهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذَنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنَكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ"<sup>(2)</sup>

إن الحرية غاية سامية\_ كما تطرقنا إليها في المباحث السابقة\_، يتطلع إليها الإنسان، وهي أصل عام في الإسلام، تتفرع منه كل أنواع الحريات، بداية من حرية الاعتقاد، وحتى حرية اختيار الحاكم، مروراً بالحريات الشخصية كحرية التملك، والإقامة والتنقل، والتعلم، والعمل، وغيرها من الحريات.

وهي في المجال السياسي تعني حق الأمة في اختيار من يحكمها، وعدم استبداد الحكام بالمحكومين.<sup>(3)</sup> ففي أمر الاعتقاد\_ وهو أعظم الأمور عند الله\_، نجد القرآن الكريم قد نص بصورة مباشرة على حرية الاعتقاد، مع ترتيب الجزاء على ذلك الاختيار في الآخرة. قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾<sup>(4)</sup>، وقال عز وجل: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمَرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفَرْ﴾<sup>(5)</sup>. وقال سبحانه مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَمَرْنَا فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا، أَفَلَا تَتَذَكَّرُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(6)</sup>.

(1) \_ الحرية السياسية في الإسلام، أحمد شوقي الفنجرى، ص:64، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية، 1403هـ/1983.

(2) \_ رياض الصالحين، شرف الدين النووي، الحديث رقم: 13.

(3) \_ ينظر: فضاءات الحرية (بحث في مفهوم الحرية في الإسلام، وفلسفتها وأبعادها وحدودها، سلطان عبد الرحمان العميري، ص: 507. ط الأولى، المركز العربي للدراسات الإنسانية، 2013م./ ينظر: الحرية في الإسلام، عبد الواحد وافي، ص: 91.

(4) \_ سورة البقرة، الآية: 256.

(5) \_ سورة فصلت، الآية: 40.

(6) \_ سورة يونس، الآية: 99.

وإذا كان هذا في أمر حرية العقيدة والإيمان بالله عز وجل، فهو فيما دونه من الحريات أكثر تأكيداً ووجوباً. فالسياسة لا كما يعتقد البعض أنها كذب ومناورات وتضليل الناس بكلام معسول، كما ذهب إليه محمد عبده<sup>(1)</sup> بقوله: "أعوذ بالله من السياسة.. ومن لفظ السياسة.. ومن كل حرف يلفظ من كلمة السياسة.. ومن كل شخص يتكلم أو يتعلم أو يعقل في السياسة.. ومن ساس ويسوس وسائس..."<sup>(2)</sup> فهذا الاعتقاد مردود، كونه يقزم دور الإسلام وتعاليمه، ويعلمن الفكر سواء عن قصد أو عن غير قصد، لأن هذا المبدأ يوقعون في الفكرة المنسوبة إلى المسيح عليه السلام: "دع ما لله لله وما لقيصر لقيصر"<sup>(3)</sup>، والتي مفادها فصل الدين عن السياسة، وعن الحياة العامة للناس، وهذا يتنافى مع جوهر الإسلام الذي يجمع بينهما ﴿قُلْ إِنِ الْأَمْرُ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾<sup>(4)</sup>.

إن هؤلاء الذين يلعنون السياسة، ويذمون الاشتغال في حقها، أسقطوا فكر ماكيافيلي<sup>(5)</sup> الذي اتسم بالتلاعب في المجال السياسي والمؤسس على القاعدة "الغاية تبرر الوسيلة" اسقطوها على السياسة في نسختها الإسلامية.

(1) \_ محمد عبده (1849\_ 1905)، محمد عبده بن حسن خير الله، مفاتيح الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام. شارك في مناصرة الثورة العربية، فسجن ثلاثة أشهر للتحقيق، ونفي إلى بلاد الشام، سنة 1299هـ/1881م وسافر إلى باريس فأصدر مع صديقه وأستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة العروة الوثقى، من أشهر مؤلفاته: (الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية)، الأعلام للزركلي 253/6

(2) \_ الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، محمد عبده، ص: 121، مجلة المنار الإسلامي، الطبعة الثانية، 1323هـ.

(3) \_ انجيل مرقس، 12:17.

(4) \_ سورة آل عمران، الآية: 154.

(5) \_ نيقولا مكيافيلي: فيلسوف وسياسي إيطالي، يُلقب بـ «أبو النظرية السياسية الحديثة» التي تسمى المكيافيلية وتعني النفعية السياسية، ثم أصبحت تُستخدم كدلالة على الشر.

وُلِدَ «نيكولو دي برناردو دي مكيافيلي» في فلورنسا عام 1496م لأسرة نبيلة، لم يتلقَ تعليماً عاليًا ولكنه تلقف بقراءة الكتب الإغريقية والرومانية كما كان يفعل أبناء طبقاته في ذلك العصر.

عمل بالسلك الدبلوماسي لجمهورية فلورنسا لأربعة عشر عامًا، بدأت بسقوط عائلة «مديتشي» الحاكمة في ذلك الوقت، وحين عادت الأسرة للحكم تم عزله وسجنه ثم نفيه إلى الريف. وفي منفاه انعزل عن الحياة السياسية، ولكنه كان يرصد تحركات الفلاحين والعمال ويتحدث معهم عن أوضاع الحكم بشكل يومي، وهناك ألّف كتابه «الأمير» الذي تم نشره بعد وفاته بخمس سنوات، وهو هجوم بشدة إلى حدّ منعه وتحريم قراءته وحرق كل نسخه في روما عام 1559م، ولم يتم نشر فكره النفعي بعد ذلك بشكل مُوسّع إلا في القرن الثامن عشر حين ازدهر عصر النهضة. يعتبر فكر «مكيافيلي» أحد أهم أعمدة عصر التنوير الأوروبي. وقد ترك ما يقارب الثلاثين كتابًا، ولكن ظل كتاب «الأمير» هو الأشهر على الإطلاق.

تأتي أهمية كتاب «الأمير» التاريخية من كونه بداية من بدايات وضع أساس فكر سياسي إنساني بعيد عن الدين ودون تدخل من الكنيسة، وتعتبر مقولة مكيافيلي الشهيرة «الغاية تبرر الوسيلة» هي المبرر لكثير من الأفعال القمعية للنظم الحاكمة التي اتبعت أسلوبه في فرض السيطرة على الشعوب، ولكن على الجانب الآخر كان «مكيافيلي» حريصًا على وحدة إيطاليا، وطالب بأن تكون دولة وطنية حرة، خالية من

حتى الذين نظروا للسياسة الإسلامية نجدهم لم يوفوا حقها وحصروها في ثلاث: حق الأمة في اختيار الحاكم، وحق الأمة في مراقبته ومحاسبته، وحق الأمة في عزله. وهذه الثلاثة بلا شك داخلة في الحرية السياسية ولكنها لا تمثل روحها، ولا تكشف عن فلسفتها، لأن هناك جانباً إيجابياً لا بد من إدراجه في مفهوم الحرية السياسية، وهو فتح الآفاق الواسعة أمام الأمة لتنظم حياتها السياسية على أرقى مستوى وأعلى، وبناء أتعن الأنظمة وأنفعها،...<sup>(1)</sup>

إننا لا نقلل من أهمية الحريات الثلاث، لأهميتها وحضورها بقوة في التراث الإسلامي، فالشريعة الإسلامية اهتمت بهذه الأثافي وغرستها في نفوس الأفراد والجماعات، حكاما ومحكومين، فهي اشتملت على كم كبير من الدلالات التي توطن في النفوس استقلال إرادة الأمة في اختيار من يحكمها ويقوم بتدبير شئونها، وعلى حقها في مراقبة ومحاسبته على كبيرة وصغيرة، وعلى حقها في تحديد قرارات الأمة المتعلقة بحياتها السياسية.

فالناظر في القرآن الكريم يجد الرسل يصغون إلى آراء أقوامهم ومجادلاتهم، ويناقشون زعمهم بالحجة والبرهان دون كبت أو ترهيب، مراعين حرية التعبير السياسي.

فنوح عليه السلام الذي لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما؛ كان يستمع لقومه ويحاورهم فيجادلونه ويجادلهم: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَاءَنَا نَحْنُ فَأَكْثَرُ جِدَالِنَا﴾<sup>(2)</sup> ونبى الله هود عليه السلام يرد على جدال قومه فيناقشهم ويبادلهم أقوالهم بالحجة: ﴿أَجْمَلُونَ نِي فِي أَسْمَاءِ سَمِيَّتُمْوهَا أَنْتُمْ وَأَبْلُوكُمْ﴾<sup>(3)</sup>

الصراعات الإقطاعية القاتلة. لذا يُبرر بعض المحللين رؤيته التي تسمح باستخدام كل الوسائل في الصراع السياسي للوصول لهدف نبيل، بأنها نابعة من صراعات عصره الذي يختلف عن العصور الديمقراطية التالية له.

توفي «مكيا فيلي» بعدما دامه المرض بعد أيام من عودته إلى فلورنسا عام 1527م، حيث كان يأمل في الحصول على منصب سياسي بعد طرد عائلة «مديتشي» من فلورنسا مرة أخرى، وتم دفنه بكنيسة «سانتا كروتشي» التي كان ممنوعاً من دخولها في السنوات الأخيرة من حياته.

(1) ينظر: فضاءات الحرية، بحث في مفهوم الحرية في الإسلام وفلسفتها وأبعادها وحدودها، سلطان بن عبد الرحمن العميري ص: 509\_510، ط الأولى، المركز العربي للدراسات الإنسانية، 2013م.

(2) سورة هود، الآية: 32.

(3) سورة الأعراف، الآية: 71

وقد أمر الله عز وجل نبيه محمداً - ﷺ - بأن يجادل قومه بالتي هي أحسن. ومعروف أن الجدل بطبيعته يعني الأخذ والرد بين المتجادلين، وهو ما يتطلب ضمان حرية الرأي على أفضل وجه، وبأحسن أسلوب، قال تعالى: ﴿الْمَعْزِلَ وَالسَّابِقَ رَبًّا بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَاءَ لِقَوْمٍ بِالَّذِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(1)</sup>.

وليس أدل على حرية الرأي في الإسلام من قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي هي سمة هذه الأمة ومعيار خيريتها، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾<sup>(2)</sup>.

بل لعن الله وتعالى من كان يرى المنكر ولا ينهى عنه أو يسكت عليه من الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ كَاهُونِهِمْ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إِذِ ابْتِغَى بِنَايَ كَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

وقد كان أصحاب النبي ﷺ يجدون الحرية في إبداء آرائهم فيحاورونه ويشيرون عليه في ما ليس فيه وحي أو نص، فيستمع النبي ﷺ إليهم ويأخذ برأيهم. ومن أمثلة ذلك التزامه برأي الأغلبية منهم والعدول عن رأيه كما حدث في مسألة الخروج لملاقاة العدو خارج حدود المدينة في غزوة أحد، ومنه أيضاً أخذه برأي سلمان الفارسي في حفر الخندق.

وقد جاء في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ".<sup>(4)</sup>

فتلك النصوص من القرآن الكريم، والسنة المطهرة، تبين بجلاء أن الحرية عامة، والحرية السياسية خاصة، أصل من أصول الإسلام، وقاعدة من قواعده، إذ لا يمكن للإنسان أن يأمر

(1) سورة النحل، الآية: 125.

(2) سورة آل عمران، الآية: 110.

(3) سورة المائدة، الآية: 78.

(4) أخرجه أبو داود (1140) واللفظ له، وابن ماجه (1275)، وأحمد (11073).

بالمعروف وينهى عن المنكر إلا إذا آمن بالحرية والحق في إبداء رأيه، واعتقد أنه مأجور على فعله،  
وحينئذ يكون عنصرا فاعلا ومؤثرا في مجتمعه.

ولقد رأينا في الأخلاق السياسية للخلفاء الراشدين ما يؤكد هذا المعنى، فهي هو أبو بكر  
الصديق الخليفة الأول رضي الله عنه يرفع سقف الحرية لأعلى مستوى، فيطلب من الأمة في خطبة توليه  
الخلافة أن يُقَوِّمَوه إذا أخطأ قائلا: "أيها الناس؛ فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت  
فأعينوني، وإن أسأت فقوموني." (1)

وجاء تطبيق فقهاء وعلماء الإسلام الأوائل لقيمة الحرية برهاننا على الفهم الصحيح لهذه  
القاعدة من قواعد نظام الحكم في النظام السياسي الإسلامي. فقد عملوا بما فهموه من تلك  
النصوص وما تعلموه من المواقف الماثورة من حياة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده، فكانوا  
يبينون للمسلمين أحكام شريعتهم، ويصدعون بأرائهم في سلوك وأداء من يحكمهم.

ولم يكن ذلك المسلك في العصور الأولى للإسلام فحسب، حين كان العهد قريبا بزمان النبوة،  
والخلافة الراشدة، بل ظلت تلك سيرة العلماء العاملين المخلصين في كل العصور على امتدادها  
الطويل. فالتاريخ يحكي لنا عن أمثال الثوري والعز بن عبد السلام وكثيرين غيرهم من المتأخرين،  
وقد كانوا يواجهون في سبيل الحق الذي يصدعون به العنت والسجن بل والقتل أحيانا، وهم ثابتون  
على الحق لا يداهنون.

(1) - أخرجه عبد الرزاق في مصنفه 336/11

### الفرع الثالث: أصول الحرية السياسية في الإسلام

الحرية السياسية في الإسلام جزء لا يتجزأ من المنظومة الإسلامية، ومن ثم فهي لا تخرج عن طبيعة هذه المنظومة من حيث الأصول، فالمقصود بالأصول هنا لا كما يعتقد بعض المحدثين من الدارسين الذين يحصرّون الأصول في القرآن والسنة فقط، وإنما أحكام الإسلام تستمد كذلك من مصادر أخرى من أهمها "الإجماع" فالصحاباء رضوان الله عليهم قد انعقد إجماعهم على أحكام واضحة كل الوضوح في نظام الحكم و ما يرتبط به من حقوق وواجبات.

وفي ظل ما تطرقنا إليه يمكننا أن نقوم بتحديد المجالات التي تبلغها الحرية السياسية في الشريعة الإسلامية من خلال النظر في الأصول الكلية التي تقوم عليها، وهي ترجع إلى أصول عديدة منها:

#### الأصل الأول: الهيمنة والسيادة العليا للشريعة الإسلامية.

مفاد هذا الأصل أن يتم التحاكم إلى الشريعة وإلى مقاصدها، واستحضار قدسية الشريعة التي هي إرادة الله لا تعارضها هيمنة أخرى، وليس لأحد سيادة عليها، وكل سلطان خاضع لسلطانها، وحكما نافذ لا معقب له ولا معارض له ولا مستدرك عليه، وهو حكم ملزم لكل من دخل الإسلام، والرجوع إلى حكم الشريعة واجب على كل مسلم، بل هو أصل الإيمان، وهو مقتضى الإقرار بالإسلام ديننا والاتباع لكل ما جاء به النبي ﷺ. (1)

والأدلة عن هذا الأصل كثيرة من القرآن والسنة، منها قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصِيعُوا اللَّهَ وَأَصِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَإِنَّ خَيْرَ حَلٍّ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَلْوِيلًا﴾ (2)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِعْمَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (3)

(1) ينظر: فضاءات الحرية، بحث في مفهوم الحرية في الإسلام وفلسفتها وأبعادها وحدودها، سلطان بن عبد الرحمن العميري ص: 518.

(2) سورة النساء، الآية: 59.

(3) سورة الأحزاب، الآية: 36.

وقال النبي ﷺ: "لا طاعة لمخلوق في معصية الله عز وجل"<sup>(1)</sup>، وقوله ﷺ: "السمع والطاعة على المرء فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة"<sup>(2)</sup>.

فالتحاكم إلى هذا الأصل لا يعني تعطيل باب الإجتهد والجمود على حرفية النص وإنما باب الاجتهاد في الموضوع مفتوحة على مصرعيها، فعمر ﷺ عطل حد السرقة في عام المجاعة، وقال ارفعوا أيديكم عن السارق، فاجتهد ﷺ رغم وجود نص صريح في الباب، قطعي الثبوت والإثبات قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْصَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(3)</sup>.

والحقيقة أن ظاهر النص واضح، فلا إستثناء فيه ولا أعذار فيه ولا تعليق الحد على شرط، بل النص واضح بوجود قطع يد السارق والسارقة.

لكن عمر لم يفعل، وهنا تنجلي عبقرية الرجل في فهم جوهر النص قبل حروفه وجوهره قبل ظاهره ونظر إلى مغزاه لا إلى رسمه..

ففعل عمر يرجعنا إلى طرح السؤال الآتي: هل حقا لا يحق الاجتهاد مع ورود النص، ولو كان الاجتهاد ينصب في نفس مقصد النص؟

### الأصل الثاني: الأمة هي مصدر التشريع وصاحبة الحق والسلطة

إن إرادنا لهذا الأصل بعد الأصل: "الهيمنة والسيادة العليا للشريعة الإسلامية"، قد يستشكل على القارئ بطرحه السؤال التالي كيف يمكن الجمع بين هذين الأصلين، وهما متعارضين؟ والجواب نجده عند عباس محمود العقاد حينما قال: "لا تعارض بين القول إن الأمة مصدر السيادة وبين القول بأن القرآن الكريم والسنة النبوية هما مصدر التشريع، فإن الأمة هي التي تفهم الكتاب والسنة، تعمل بهما وتنظر في أحوالها لترى مواضع التطبيق ومواضع الوقف والتعديل، وتقر

(1) المسند، الإمام أحمد بن حنبل 1/131.

(2) سنن الترمذي، رقم الحديث 1707.

(3) سورة المائدة، الآية: 38.

الإمام على ما يأمر به من أحكام أو تأباه"<sup>(1)</sup>، فالشريعة ليست نصوصاً جامدة، وليست مدونة قانونية بحيث وضعت لكل فعل وحالة حكماً، وإنما المجال لا يزال فسيحاً للتفسير والتحديد والإضافة والتجديد عن طريق استخدام العقل الفردي والجماعي "الاجتهاد"<sup>(2)</sup>.

إن من حق الأمة تدبير الشؤون السياسية للدولة الإسلامية التي يجب ألا يستفرد به شخص واحد ولا يستبد به فرد، وإنما لا بد من اشراك الأمة فيها؛ فهذا حق للأمة صرح به الشرع وأوجبه عليها، فلا يحق لأحد سلبه منها أو التسلط عليه، أو الاستفراد به، وكذلك لا يجوز للأمة أن تقصر فيه أو تفرط في العمل به، فالأمة هي صاحبة الحق في تولية الحاكم، ولا يكون الحاكم شرعياً واجبة له الطاعة إلا بعد الحصول على رضا الأمة وقبولها ومبايعتها له، بموجب عقد البيعة.<sup>(3)</sup>

فالحاكم في التصور الإسلامي مجرد فرد من الأمة اختير ليقوم بمهام التدبير والسياسة نيابة عن الأمة، فلا يجوز له أن يستبد بكل الرأي ولا بالتصرف، وإنما يجب عليه أن يشرك الأمة عبر ممثلها في قراراته ويستشيرهم في تصرفاته؛ لأنه لا يملك حقاً مستقلاً، وإنما هو موكل من الأمة ومناب عنها.<sup>(4)</sup> فلا صوت غير صوت الأمة، ولا قرار غير قرارها، فهي الحاكمة الآمرة، حتى الحاكم يتم اختياره ممثلي الأمة، عن طريق أهل الحل والعقد، وهم أئمة المسلمين وفقهائهم ورؤساء عشائهم وأمراء أجنادهم وذوو الشوكة والمكانة والرأي فيهم، وهؤلاء هم الممثلون الحقيقيون للأمة، والمعبرون تعبيراً صادقاً عن أهدافها ورغباتها، فما ينتهي إليه رأي هؤلاء جميعهم أو معظمهم، هو ما ينتهي إليه رأي الأمة كلها لو أخذ رأي أفرادها عن طريق الاستفتاء العام.<sup>(5)</sup>

(1) الديمقراطية في الإسلام، عباس محمود العقاد، ص: 65، مؤسسة اقرأ، القاهرة، الطبعة الأولى، 1435هـ/2014.  
 (2) الحريات العامة في الدولة الإسلامية، راشد الغنوشي، ص: 121، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، أغسطس 1993م.  
 (3) ينظر: الحقوق والحريات السياسية في الشريعة الإسلامية، رحيل غرابية، ص: 188، المعهد العالي للفكر الإسلامي، الأردن، الطبعة الأولى، 1421هـ/2000م.  
 (4) ينظر: فضاءات الحرية، بحث في مفهوم الحرية في الإسلام وفلسفتها وأبعادها وحدودها، سلطان بن عبد الرحمن العميري، ص: 547.  
 (5) ينظر: الحرية في الإسلام، علي عبد الواحد وافي، ص: 97، ب، اقرأ، دار المعارف مصر 1962/304م.

وإما عن طريق الانتخاب الذي يعتبر حقا ذاتيا أو شخصا يتمتع به كافة مواطني الدولة، وهو من الحقوق الطبيعية التي لا يمكن نزعها من الأفراد لأنه يتم بعضويتهم في المجتمع وبصفتهم الأدمية.<sup>(1)</sup>

والمفكرون المسلمون على اختلاف مشاربهم وتباين مذاهبهم- عدا الشيعة الإمامية-<sup>(2)</sup> يتفقون على أهمية اختيار الأمة للحاكم الذي يرتضونه رئيسا لهم، وبطلان أي سبيل يسلمهم هذا الحق في الاختيار، قال أبو الحسن الأشعري: "الإمامة تثبت بالاتفاق والاختيار دون النص والتعيين"<sup>(3)</sup>

وقال الإمام أبو المعالي الجويني: "اتفق المنتسبون إلى الإسلام على تفرق المذاهب وتبيان المطالب على ثبوت الإمام، ثم أطبقوا على أن سبيل إثباتها النص والاختيار، وقد تحقق بالطرق القاطعة بطلان مذهب أصحاب النصوص فلا يبقى إلا الحكم بصحة الاختيار"<sup>(4)</sup>

وقال عبد القادر عودة: "تتعقد الإمامة عن طريق واحد مشروع لا ثاني له وهو الاختيار من أهل الحل والعقد"<sup>(5)</sup>

وقال عبد الوهاب خلاف: "إن العهد أو الاستخلاف لا يعدو أن يكون ترشيحا من السلف للخلف والأمة بعد ذلك صاحب القول فيمن تختاره إماما"<sup>(6)</sup>.

(1) ينظر: الحقوق والحريات السياسية في الشريعة الإسلامية، رحيل غرابية، ص: 183.

(2) الشيعة الإمامية، ترى أن تولية الحاكم أو الإمام يكون بالنص لا بالاختيار.

(3) الملل والنحل، أبو الفتح تاج الدين عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، ص: 103، تحقيق، محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت، سنة 1973م.

(4) غياث الأمم في التياث الظلم، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني، ص: 45، تحقيق مصطفى حلي، فؤاد عبد المنعم، دار الدعوة، الإسكندرية، مصر، 1400هـ.

(5) الإسلام وأوضاعنا السياسية، عبد القادر عودة، ص: 146، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م.

(6) السياسة الشرعية، ونظام الدولة في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية، عبد الوهاب خلاف، ص: 56، طبعة دار الأنصار، القاهرة سنة 1977م.

وقال سيد قطب: "إن الراعي لا يصل إلى مكانه إلا عن طريق واحدة: رغبة الرعية المطلقة واختيارها الحر"<sup>(1)</sup>. وقال أيضا: "يصبح حاكما باختيار المسلمين الكامل وحريةهم المطلقة لا يقيدهم عهد من حاكم ولا وراثة كذلك في أسرة، فإذا لم يرض المسلمون لم تقم له ولاية"<sup>(2)</sup>.

وقال أبو زهرة: "إن اختيار الخليفة السابق لخلفه ليس سوى اقتراح من مخلص للإسلام ولجماهير المسلمين أن يقرروا الاختيار أو يردوه"<sup>(3)</sup>.

ومن هذا كله نقول إن الأمة هي مصدر التشريع وصاحبة الحق، والسلطة؛ وإرادتها هي التي ينبغي الأخذ بها...

### الأصل الثالث: حق الأمة في مراقبة الحاكم ومحاسبته على أعماله

إذا كانت الأمة هي الفيصل في اختيار الحاكم فإنها أيضا مسؤولة عن مراقبته وتقويمه وتوجيهه إلى ما فيه الخير للأمة، كت تحقيق العدل والسهر على تنزيل المساواة.

وتقرير هذا الأصل راجع إلى القرآن والسنة والإجماع.

فالقرآن الكريم أوجب على المسلمين التناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل جعل الله تعالى علة كون الأمة الإسلامية خير الأمم بفضل تكليفها بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾<sup>(4)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(5)</sup>.

(1) الإسلام والسلام العالمي، سيد قطب، ص: 122، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية عشر، 1413هـ/1993.

(2) العدالة الاجتماعية في الإسلام، سيد قطب، ص: 103، دار الشروق، القاهرة، الطبعة السابعة، 1400هـ/1980.

(3) أحمد بن حنبل، حياته وعصره وأراؤه وفقهه، مجد أبو زهرة، ص: 149، دار الفكر العربي، القاهرة، د-ت.

(4) سورة آل عمران، الآية: 110.

(5) سورة آل عمران، الآية: 104.

والسنة قررت لنا الكثير من الأقوال والمعاني التي تفيد حق الأمة في توجيه الحاكم ونهيه وعدم موافقته على ظلمه، وتأمراً بتقديم النصيحة<sup>(1)</sup> للحاكم، ونصحه يكون بأمره بالخير ونهيه عن الشر، قال النبي عليه السلام: "الدين النصيحة"، قلنا لمن؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"<sup>(2)</sup>.

فهذا الحديث تضيي الشرعية على حق الأمة في مراقبة الحاكم ومحاسبته ومنعه من الظلم؛ لأن مسألة الحكم تخص الأمة بمجموعها، والسكوت عن الظلم والخطأ له نتيجة وخيمة وعاقبة سيئة على الظالم والساكت على الظلم في آن واحد.<sup>(3)</sup>

كما تقرر هذا الحق أيضاً بأقوال الخلفاء الراشدين أنفسهم وأعمالهم وإجماع المسلمين في ذلك العهد على جعل هذا الحق من أهم حقوقهم، وحرصهم على التمسك به والتصرف في حدود ما يبيحه لهم، وفي ذلك يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه في الكلمة التي ألقاها عقب مبايعته بالخلافة: "أما بعد فقد وليت عليكم ولست بخيركم... فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسدوني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم"<sup>(4)</sup>. ويقول في كلمة أخرى: "إنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن استقمتم فتابعوني، وإن زغت فقوموني"<sup>(5)</sup>.

ففي هاتين الكلمتين تسليم صريح بمبدأ مسؤوليته على أعماله أمام الأمة وأن لها الحق في مراقبته ومحاسبته على ما يبرمه في شئون الحكم، بل تسليم صريح بحقها في ألا تستجيب له وتعمل على تقويمه وتسديده إذا انحرف عن الجادة.<sup>(6)</sup>

(1) \_النصح يكون بالتي هي أحسن، لا بمنازعته، والتمرد عليه... وله شروط.

(2) \_صحيح مسلم، ج: 55/95.

(3) \_ينظر: الحقوق والحريات السياسية في الشريعة الإسلامية، رحيل غرابية، ص: 380.

(4) \_البداية والنهاية، ابن كثير، 6/ 305، 306. / تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الزمخشري، 406/2، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزليعي، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الطبعة الأولى، دار ابن خزيمة \_ الرياض \_ 1414هـ.

(5) \_صفة الصفوة؛ لابن الجوزي، ج1/ 260. عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي؛ ابن الجوزي، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار الكتب العلمية، 1989م.

(6) \_ينظر: الحرية في الإسلام، علي عبد الواحد وافي، ص: 105.

فهو ﷺ يقرر أنه تمت توليته من قبل المسلمين وباختيارهم ورضاهم وأن المسلمين هم أصحاب الحق في التولية وهم أصحاب السلطة الذين ينصبون الحاكم ثم يؤكد أنه جزء من هذا الشعب الذي ولاه وليس فوقه أو أعلى منه أو أن الحكم أعطاه شرف الاختصاص عن باقي أفراد الأمة وإنما هو جزء من هذا الشعب يخطئ ويصيب.

ويقرر أيضا في خطبته هذه، حق رقابة الشعب على الحاكم، فالشعب هو الرقيب على الحاكم الذي يجب ألا يغفل عن تصرفات الحاكم، وإنما يجب أن يبقى متيقظا حتى لا يجور الحاكم أو يظلم أو يستبد فهو يذكرهم بهذا الواجب الذي عليهم فإن رأوا الحاكم مصيبا من واجهم إعانتة وإن رأوه على باطل من واجهم تسديده ومنعه من التماذي في الباطل من خلال الاعتراض الذي يليق به..

ويقول عمر بن الخطاب ﷺ: "إنه لم يبلغ حق ذي حق أن يطاع في معصية الله. إني أعقل الحق من نفسي، وأتقدم وأبين لكم أمري، فإنما أنا رجل منكم، وأنا مسؤول عن أمانى وما أنا فيه"<sup>(1)</sup>. وحينما قال ﷺ في كلمة أخرى: "أيها الناس من رأى في اعوجاجا فليقومه"<sup>(2)</sup>، تقدم إليه رجل وقال: "لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا"، فرد عمر قائلاً: "الحمد لله أن كان في أمة عمر من يقوم اعوجاج عمر بالسيف"<sup>(3)</sup>.

وحينما أخذت طائفة من المسلمين على عثمان بن عفان ﷺ بعض أخطاءه في تصريفه لشؤون الحكم وإسناد وظائفه، تظاهرت عليه جموع منهم لمحاسنته على أعماله، فأذعن رضوان الله تعالى عليه لرغبتهم، ولم ينكر عليهم هذا الحق، وأبدى استعدادا كريما لإصلاح ما عسى أن يكون قد أخطأه التوفيق في إبرامه. وفي هذا يقول: "إنني أتوب وأنزع، ولا أعود لشيء مما عابه على المسلمون. وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: من زل فليتب ومن أخطأ فليتب، ولا يتمادى في الهلكة،

(1) كثر العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، رقم 44214، تحقيق: صفوت السقا، مؤسسة الرسالة، د-ت./ تاريخ الأمم والملوك، الطبري، 573/2.

(2) سبق تخرجه.

(3) نظام الحكم في الإسلام، عارف خليل أبو عيد، دار النفائس، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 1416هـ، ص: 271.

فإن من تمادى في الجور كان أبعد من الطريق...فأنا أول من أتعض. أستغفر الله مما فعلت و أتوب إليه. فإذا نزلت من منبري فليأتي أشرافكم فليروني رأيهم. فو الله لئن ردني الحق عبدا لأذلن ذل العبيد".<sup>(1)</sup>

ففي هذا كله دليل واضح على أن حق الأمة في مراقبة الحاكم ومحاسبته على أعماله كان حينئذ أمرا مقرورا ومفروغا منه، لأن الرعيل الأول علم أن صوت الحق يعلو ولا يعلى عليه، وكانوا شديدي الحرص على التمسك بهذا الأصل،...

فهذه الجرأة على النصح لم تقتصر فقط على بيئة الصحابة فقط؛ بل نجد شواهد عديدة في تاريخ المسلمين؛ لما بنى عبد الرحمن مدينته الخالدة الزهراء في الأندلس، تفنن في بنائها، وجعلها من أعاجيب المدن في العالم، وكان مما بناه فيها "الصرح الممرد" اتخذ لقبته قراميد من ذهب وفضة، حتى أنفق عليها من خزينة الدولة مالا عظيما... وكان في قرطبة عالمها الفقيه الجريء منذر بن سعيد قاضي الجماعة، فهاله انهماك الخليفة الناصر في بناء الزهراء، وما أنفقه من أموال لدولة عليها.. وكان الناصر يحضر صلاة الجمعة في المسجد الجامع، ويستمع إلى خطبة قاضيه منذر بن سعيد، فوقف يخطب الجمعة، وكان مما بدأه في تقرير الناصر على إنفاقه الأموال وانهماكه في بناء الزهراء.. أن تلا قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ وَإِنَّمَا بُصِشْتُمْ بِصِشْتُمْ جَبَّارِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْبِحُونَ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِالْعِلْمِ وَبِنِيرٍ وَجَنَاتٍ وَعَيْونَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ عَصِيْمٍ﴾<sup>(2)</sup>. ثم وصل بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾<sup>(3)</sup>. ثم أخذ يذم تشييد البنيان والإسراف في الإنفاق عليه، حتى خشع القوم وبكوا وضجوا، ثم التفت إلى الناصر وقال له أمام الجماهير الحاشدة يومئذ: ما ظننت أن الشيطان -أخزاه الله- يبلغ بك هذا المبلغ، ولا أن تمكنه من قيادتك هذا التمكين، نع ما آتاك الله وفضلك به على العالمين، حتى أنزلت منازل الكافرين؛ فاقشعر الناصر

(1) تاريخ الأمم والملوك، الطبري، 659/2.

(2) سورة الشعراء: الآيات: 128-135.

(3) سورة النساء: الآية: 77.

من قوله وقال: انظر ما تقول؟ كيف أنزلتني منازلهم؟ قال: نعم! أليس الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَصْقِرُونَ وَلِيُؤْتِيَهُمْ آتُونًا وَسُرًّا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ﴾<sup>(1)</sup>. فوجم الخليفة الناصر، ونكس رأسه مليا ودموعه تجري على لحيته خشوعا لله تبارك وتعالى، وندما على ما فعل.

ثم أقبل بعد انتهاء الخطبة والصلاة على قاضيه منذر بن سعيد فقال له: جزاك الله تعالى خيرا عنا وعن المسلمين والدين، وكثر في الناس أمثالك، فالذي قلت والله هو الحق، وقام من مجلسه ذلك وهو يستغفر الله تعالى، وأمر بأن ينقض سقف القبعة، وأن تكون قراميدها ترابا.

ولما أشار عليه رجل ممن كانوا حوله بعزله عن خطبة الجمعة، فرد عليه عبد الرحمن الناصر قائلا: "أمثل منذر بن سعيد في فضله وخيره و لمة يعزل؟ يعزل لإرضاء نفس ناكبة عن الرشد، سالكة غير قصد؟ هذا والله لا يكون، وإني لأستحي من الله ألا أجعل بيني وبينه عزوجل في صلاة الجمعة شفيعا مثل منذر في ورعه وصدقه". وما عزله حتى الموت.<sup>(2)</sup>

#### الأصل الرابع: مبدأ الشورى في شؤون السياسة

تعتبر الشورى أصلا من الأصول الأولى للنظام السياسي الإسلامي، فهي قاعدة من قواعد نظام الحكم في الإسلام، ولأهميتها أمر سبحانه وتعالى بها نبيه ﷺ، في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾<sup>(3)</sup>.

ولأهمية الشورى سميت بها سورة من القرآن الكريم، وفيها أثنى الله سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين الذين اتصفوا بجملة من الصفات، ومنها الشورى فيما بينهم، كما في قوله سبحانه:

(1) سورة الزخرف: الآيتان: 33-34.

(2) ينظر: تاريخ قضاة الأندلس، أبو الحسن عبد الله بن الحسن النباهي، ص: 70، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الأفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1403هـ/1983م.

(3) سورة آل عمران، الآية: 156.

﴿وَالَّذِينَ يَحْتَنِبُونَ كِبَاسَ الْعَيْثِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِنَّمَا مَا غَضَبُوا لَهُمْ يَغْفِرُونَ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾<sup>(1)</sup>.

فالنبي ﷺ لم يغفل عنها، مع كمال عقله، ورجاحة رأيه، وهو المؤيد بالوحي من الله سبحانه وتعالى، فهو الذي لا ينطق عن الهوى إن هو وحي يوحى، ومع هذا كله كان يشاور أصحابه، كما هو واضح من حديث أبي هريرة ﷺ قال: "ما رأيتُ أحدًا أكثرَ مشورةً لأصحابه من النبي ﷺ"<sup>(2)</sup>.

ومما يدل على عظم الشورى وأهميتها في الولاية، ما جاء في حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من بايع رجلا على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتل"<sup>(3)</sup>.

ومما شاور فيه النبي ﷺ أصحابه: الذهاب إلى العير يوم بدر كما في حديث أنس ﷺ، أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، قال: "فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقام سعد بن عباد، فقال: إيانا تريد يا رسول الله والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا"<sup>(4)</sup>.

واستشار الرسول ﷺ الناس في أسارى بدر حينما قال: "إن الله عز وجل قد أمكنكم منهم، قال: فقام عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه النبي ﷺ قال ثم عاد النبي ﷺ فقال للناس مثل ذلك فقام أبو بكر فقال يا رسول الله نرى أن تعفو عنهم وتقبل منهم الفداء قال فذهب عن وجه رسول الله ﷺ ما كان فيه من الغم قال فعفا عنهم وقبل منهم الفداء قال وأنزل الله عز وجل "لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ"<sup>(5)</sup>.

(1). سورة الشورى، الآيات: 37\_38.

(2). سنن الترمذي، رقم: 1714.

(3). صحيح البخاري، حديث رقم: 6443.

(4). صحيح مسلم، حديث رقم: 4597.

(5). مسند الإمام أحمد، حديث رقم: 13143.

وشاور النبي ﷺ عليا وأسامة فيما رمى به أهل الإفك عائشة فسمع منهما حتى نزل القرآن فجلد الرامين، ولم يلتفت إلى تنازعهم ولكن حكم بما أمره الله<sup>(1)</sup>.

وحدث عليه السلام على بذل المشورة في قوله: "إذا استشار أحدكم أخاه فليشُرْ عليه"<sup>(2)</sup>.

وحذر من الخيانة فيها في قوله عليه السلام "...ومن أشار على أخيه بأمرٍ وهو يرى أنّ الرشد في غيره، فقد خانهُ"<sup>(3)</sup>.

لقد وعى الصحابة أهمية هذا الأصل، في شؤون الحكم، وخاصة في الخطير منها. وفي التاريخ الإسلامي مئات من الأمثلة الدالة على حرصهم على العمل بهذا المبدأ القويم.

غير أنه يلاحظ في هذا الصدد أمران:

أحدهما: أنه لم تكن هناك للشورى مجالس خاصة مؤلفة عن طريق الانتخاب أو التعيين كما هو الشأن في مجالس الشورى والمجالس النيابية وما إليها في الأمم الحديثة؛ وإنما كان الخلفاء حينما يرون مقتضيا للاستشارة يستشيرون أحيانا من يثقون به ويطمئنون إلى رأيه وعلمه وتجاربه وكفايته؛ فيعلنون أحيانا أخرى عن اجتماع عام في المسجد أو في مكان ما، فيفد إليه عدد كبير من المسلمين، فيعرضون عليهم ما يودون الاستنارة بما يراه المجتمعون بشأنه.<sup>(4)</sup>

وثانيهما: أن الخليفة كان إذا اقتنع برأي عمل به ولو كان مخالفا لرأي من استشارهم؛ لأن الخليفة هو نفسه مجتهد، وله الحق في أن يستنبط الأحكام الشرعية من مصادرها، ويطبقها على ما يجد من القضايا. والمجتهد يجب عليه أن يعمل بما يهديه إليه اجتهاده ولا يجوز له أن يقلد غيره في الرأي. والخليفة من جهة أخرى مسؤول أمام الأمة عن نتائج أعماله كما سبق بيان ذلك. ولا يتفق مع

(1) - صحيح البخاري، حديث رقم: 6935.

(2) - صحيح البخاري، حديث رقم: 3747.

(3) - مسند الإمام أحمد، حديث رقم 8558.

(4) - الحربة في الإسلام، علي عبد الواحد وافي، ص: 108.

العدالة ولا مع المنطق في شيء أن يلزم الخليفة بالعمل برأي مخالف لرأيه ثم يحاسب على نتائج هذا العمل.<sup>(1)</sup>

ومن ثم حفظ لنا التاريخ حوادث كثيرة عمل فيها الخلفاء الراشدون برأيهم مع مخالفته لرأي الآخرين، و تحملوا تبعه أعمالهم. و أظهر مثال لذلك تصرف أبي بكر الصديق ﷺ في الحروب التي اشتهرت في التاريخ باسم حروب الردة. و هي الحروب التي أعلنها الصديق عقب وفاة الرسول عليه السلام على عدة قبائل من العرب ارتد بعضها عن دينه، وامتنع كثير منها عن أداء الزكاة مع بقائه على عقيدة الإسلام، فقد كان رأي الصحابة أنه لا طاقة للمسلمين بمحاربة هذه القبائل، وأنه لا تجوز محاربة من امتنع عن أداء الزكاة مع بقائه على عقيدة الإسلام، محتجين بقوله عليه السلام: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق"<sup>(2)</sup>. ولكن الصديق رأى أنه من الواجب محاربتهم جميعا حتى يرد للإسلام هيبتة، ويحفظ قدسية شعائره وأركانه، ولا يفتح ثغرة للاستهانة بتعاليمه. وقال في شأن من امتنعوا عن أداء الزكاة: "والله لو منعوني عناقا"<sup>(3)</sup> كانوا يعطونه رسول الله ﷺ لمحاربتهم عليه ولو وحدي ما استمسك السيف بيدي. لقد كمل الدين وتم الوحي -يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(4)</sup>، أو ينتقص وأنا حي؟"<sup>(5)</sup>.

وقضى بذلك على فتنة كانت تهدد الإسلام ونظمه و المجتمع الإسلامي بشر مستطير.

وقد وصف عمر ﷺ هذا الحادث فقال: "إني سأخبركم عني و عن أبي بكر إنه لما توفي رسول الله ﷺ ارتدت العرب ومنعت شاتها و بغيرها \_أي امتنعت عن دفع زكاة الأنعام\_. فاجتمع رأينا كلنا، أصحاب محمد ﷺ، أن قلنا له: يا خليفة رسول الله ﷺ كان يقاتل العرب بالوحي والملائكة يمدده الله بهم. وقد انقطع ذلك اليوم. فالزم بيتك ومسجدك فإنه لا طاقة لك بقتال العرب. فقال أبو بكر: أو كلكم

(1). المصدر نفسه، ص: 109.

(2). صحيح مسلم رقم: 23.

(3). هو الصغير من ولد المعز

(4). سورة المائدة، الآية: 3.

(5). فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني: رقم: 1388، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي المطبعة السلفية ومكتبتها -القاهرة- .

رأيه على هذا؟ فقلنا: نعم. فقال: والله لئن أخرج من السماء فتخطفني الطير أحب إلي من أن يكون رأيي هذا. ثم صعد المنبر فحمد الله وكبر وصلى على نبيه عليه السلام، ثم أقبل على الناس فقال: "أيها الناس! من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات. ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. أيها الناس أئن أكثر أعداؤكم وقل عددكم ركب الشيطان منكم مركبا؟ والله ليظهرن الله هذا الدين على الأديان كلها ولو كره المشركون. قوله الحق و وعد الصدق." بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق"، "كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين"، والله أيها الناس لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه واستعنت عليهم بالله و هو خير معين"<sup>(1)</sup>.

### الأصل الخامس: حق التمتع بالعدل

العدل في النظام الإسلامي مفخرة المفاخر.. يأتي في طليعة المبادئ الأساسية الراقية التي يقوم عليها، ليس في مجال القضاء وفض المنازعات فحسب، بل وفي كافة شئون الدولة والحكم والإرادة والسياسة. فهو مبرر وجود جميع المؤسسات والأجهزة، وأساس شرعية كافة القوانين والأحكام والقرارات، وهو مقصود و غاية كل شيء يتحرك في دولة ومجتمع الإسلام، فلا شيء في هذا النظام إلا وينطلق من العدل و ينشد تحقيقه.<sup>(2)</sup>

ومن السنن الإلهية في حياة البشرية أن الإنسان لا بد أن يعيش في مجتمع، وهذا المجتمع لا بد له من سلطة أمرة، أو حاكم يدبر شئونه و يسير أموره، وإذا كان علماء الشرع قد ذكروا واجبات الإمام بالتفصيل وعددوها، إلا أنهم يجمعون تلك الواجبات تحت كلمة واحدة هي: "العدل"، فالعدل هو الغاية العامة أو غاية الغايات من الحكم الإسلامي، وقل أن يتحدث رجال قانون أو باحثون في أمور الحكم والسياسة كما تحدث علماء الإسلام وباحثوه عن العدل وضرورة التزامه ووجوبه على الحكام وكل من تولى ولاية تتعلق بصالح الجماعة، وذلك لأن الأمر بالعدل ورد صريحا

(1). فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني؛ رقم: 6526،

(2). فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني؛ رقم: 6526،

في القرآن الكريم فحثت عليه الآيات الكثيرة و جعله الله غاية الحكم، كما أكدت الدعوة إليه الأحاديث العديدة، وأطبقت الآثار والأخبار على ضرورة التزمه و وجوب مراعاته.<sup>(1)</sup>

والنص على العدل في القرآن جاء مطلقا غير مقيد بزمان أو مكان خاص أو بأفراد معينين، كما أنه جاء بصيغة الأمر على سبيل الاستحسان، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾<sup>(2)</sup>. قال القرطبي: "فالله سبحانه وتعالى يأمر الحكام بإقامة العدل بين الناس في أحكامهم حتى لا تضيع الحقوق، وتنتفي الأمانة".<sup>(3)</sup>

وقال: "الأظهر في الآية أنها عامة في جميع الناس، فهي تتناول لولاية فيما وكل إليهم من الأمانات في قسمة الأموال ورد الظلمات، والعدل في الحكومات.. وتتناول من دونهم من الناس في حفظ الودائع و التحري في الشهادات وغير ذلك كالرجل يحكم في نازلة ما ونحوه".<sup>(4)</sup>

كما أن القرآن في جعله العدل كأساس من أسس النظام السياسي لم يتركه مهتما، بل بين القواعد التي تضمن تحققه و استمراره، من هذه القواعد:

- الرجوع في الحكم إلى دستور الأمة (الشرع الإسلامي) و عدم تجاوزه لأي اعتبار، قال تعالى ﴿إِذَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾<sup>(5)</sup>. وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمَعِيْمًا عَلَيْهِ فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَكَانَ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَىٰ

(1). النظريات السياسية الإسلامية، محمد ضياء الدين الرئيس، ص: 325، مكتبة التراث، القاهرة، الطبعة السابعة، د-ت.

(2). سورة النساء الآية: 58.

(3). الجامع لأحكام القرآن، 1/258، القرطبي.

(4). المصدر نفسه، 1/256.

(5). سورة النساء، الآيتان: 105\_106.

اللَّهُ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ<sup>(1)</sup>.

- التجرد من الهوى والشنان، وعدم الخضوع لاعتبارات النسب أو القرابة، أو العداة بينه وبين أي قوم آخرين أو غير ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ عَا قِرْبًا<sup>(2)</sup>﴾. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِ الْكَافِرِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ نَعَرْتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا<sup>(3)</sup>﴾. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ<sup>(4)</sup>﴾. فالمولى عز وجل يحذر النفوس الضعيفة التي تطبق ميزان العدل وتشهد بلحق على الآخرين، وأما إذا كانت القضية تمس أشخاصهم أو أقاربهم فسرعان ما يميلون عن العدل، ويزيغون عن الحق، وهذا الأمر يعلمنا بأن الميل في العدل، بسبب الغضب أو عاطفة القرابة، أو بسبب الخشية من إنسان ما، أو التودد إلى ذي سطوة يجب أن يبعد تماما من دائرة العدل عند مباشرته. وصمام الأمان في إبعاده تذكروا الله، واستحضار جلاله في القوامة على الناس والحكم فيما بينهم. وإذا كانت هذه هي صورة العدل المطلوبة في سياسة الإسلام حسبما جاء في كتاب الله، فإن آثار العدل ومباشرته في الحكم على نحو هذه الصورة توفر حتما: صيانة الأعراض من الاعتداء عليها، وصيانة النفوس من الاضطهاد والتعذيب، ومن تتبع الخصوصيات لها ومراقبتها، وعدم التفرقة في فرص المعيشة وتولي الوظائف العامة.<sup>(5)</sup>

فالعَد الذي يجب أن يتحلَّى به الحاكم لا يميل ميزانه الحب والبغض، ولا تغير قواعده المودة والشنان، العدل الذي لا يتأثر بالقرابة بين الأفراد ولا بالتباغض بين الأقسام فيتمتع به أفراد الأمة الإسلامية جميعا لا يفرق بينهم حسب ولا نسب ولا مال ولا جاه، كما تتمتع به الأقسام الأخرى

(1). سورة المائدة، الآيتان: 48\_49.

(2). سورة الانعام الآية: 151.

(3). سورة النساء الآية: 135.

(4). سورة المائدة الآية: 8.

(5). ينظر: حقوق الإنسان في الإسلام ورعايته للقيم الإنسانية، ص: 65، محمد البهي..

ولو كان بينها وبين المسلمين شنان، وتلك قمة العدل لا يبلغها أي قانون دولي إلى هذه اللحظة، ولا أي قانون داخلي كذلك.

فعلى الحاكم الاجتهاد في إقامة العدل والاستقامة وأن لا تأخذه في الله لومة لائم، فيكون حكمه وشهادته لوجه الله، دون تحيز أو محاباة ولو كان في ذلك الحكم وتلك الشهادة مس به شخصياً، أو إلحاق أذى أو مضرة بوالديه أو بأقربائه وأنسابه، ذلك أن صلة البر لا تكون بكتمان الحق ولا بإعانة هؤلاء على ما ليس لهم بحق، فالحق أحق بالتباعد وهو الحاكم على كل إنسان.<sup>(1)</sup>

ولقد حفلت السنة النبوية بأوامر العدل والثناء على الحاكم العادل، وأن الإمام العادل لا ترد دعوته، من ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "سبعة يُظلمهم الله في ظلم يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه: الإمامُ العادلُ، ..."<sup>(2)</sup>.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا تُردُّ دعوتهم الصَّائمُ حتى يُفطرَ والإمامُ العادلُ ودعوةُ المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الربُّ وعزتي لأنصرك ولو بعد حين"<sup>(3)</sup>

والعدل في النظام السياسي الإسلامي لم يكن نصوصاً مكتوبة وآراء نظرية وحسب، وإنما كان تطبيقاً عملياً فريداً من نوعه، حفلت بآثاره سيرة المسلمين الأوائل الذين انبنت على أكتافهم حضارة المسلمين الزاهرة، بدءاً من إمام المنصفين ورائد العدالة وقدوتنا المصطفى صلى الله عليه وسلم، وامتداد إلى عهود متأخرة من تاريخ هذه الأمة الراشدة. نذكر جملة منها إحياء لمعاني العدالة في حياة الناس وبعثنا لهمم في تحقيقها وإعادة نصب ميزانها من جديد بعد أن استفحل الظلم واستشرى البغي والعدوان بين الأفراد والجماعات البشرية المنتشرة على وجه البسيطة في هذا العهد المتأخر من الزمان.

(1) ينظر: العدالة الاجتماعية في الإسلام، ص: 105، سيد قطب.

(2) صحيح البخاري، حديث رقم: 629.

(3) أخرجه الترمذي، حديث رقم: 3598.

فالنبي ﷺ وهو القائد الأعلى للدولة الإسلامية كان يعمل على غرس تلك الفضيلة في نفوس أصحابه رضوان الله عليهم بالمواقف العملية، فعن عروة بن الزبير: إن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح، ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعون، قال عروة: فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله، فلما كان العشي قام رسول الله خطيباً فأتى على الله بما هو أهله، ثم قال: "فإنما أهلك الناس قبلكم: أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد..." (1)

وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ قدوة في عدله، فالعدل في نظره الذي يسعى لتطبيقه في الحكم هو إحدى أهم ركائز الخلافة الراشدة، و دعوة عملية للإسلام تفتح قلوب الناس للإيمان، وقد سار على ذات نهج الرسول ﷺ، فكانت سياسته تقوم على العدل الشامل بين الناس، فعن شريح القاضي ﷺ قال: لما توجه علي ﷺ إلى حرب معاوية ﷺ افتقد درعا له، فلما انقضت الحرب ورجع إلى الكوفة، أصاب الدرع في يد يهودي يبيعها في السوق، فقال له: يا يهودي، هذا الدرع درعي، لم أبع ولم أهب، فقال اليهودي: درعي وفي يدي، فقال علي: نصير إلى القاضي...

فتقدما إلى شريح، فجلس علي إلى جنب شريح، وجلس اليهودي بين يديه، فقال شريح: قل يا أمير المؤمنين، فقال: نعم، أقول: إن هذه الدرع التي في يد اليهودي درعي، لم أبع ولم أهب، فقال شريح: يا أمير المؤمنين بينة، قال: نعم قنبر والحسن والحسين يشهدون أن الدرع درعي، قال: شهادة الابن لا تجوز للأب، فقال: رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة".

قال اليهودي: أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه، وقاضيه قضى عليه؟ أشهد أن هذا الحق، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن محمداً رسول الله، وأن الدرع درعك، كنت راكباً على

(1) - صحيح البخاري، حديث رقم: 4053.

جملك الأورق وأنت متوجه إلى صفين فوقعت منك ليلاً، فأخذتها، فقال علي: أما إذا أسلمت فمري لك،...»<sup>(1)</sup>

هذه المواقف المشرفة في تاريخ الإسلام تدل على أن من أهم أهداف دولة الإسلام إقامة العدل والمساواة ورفع الظلم ومحاربه بجميع تلاونه، دون النظر إلى لسان الرعية وتشكيلاته العرقية، وأحواله الاجتماعية...

(1) كنز العمال، المتقي الهندي 25\_24/7..

## المطلب الثاني: الحرية السياسية في الفكر الأندلسي

المقصود بالحرية السياسية في هذه الحقبة<sup>(1)</sup>، ليس ما نفهمه منها اليوم، من تعددية حزبية، ومعارضة، وتنافس انتخابي، وبرلمان، ودستور ديمقراطي... إلخ، فلم يكن التطور التاريخي الذي بلغته الجماعة السياسية الإسلامية يتيح التفكير في شيء من ذلك، بل المقصود بها أمور أخرى مختلفة، من قبيل النزعة الوطنية، والدفاع عن الشورى، التي كانت علة الدعوى إلى إشراك العموم<sup>(2)</sup> في القرار السياسي...

ضربت الحضارة الإسلامية التي انتطلقت من معين الإسلام أروع الأمثلة في التسامح والتعايش بين الأمم والشعوب بمختلف الحضارات والثقافات والأديان والأجناس؛ وهذا ما اتضح من خلال تواجد المسلمين في الأندلس. وقبل التطرق إلى التلاحق الحضاري الحاصل بين المسلمين وغيرهم على مستوى سياسي. فلا بد لنا أن نقف وقفة مع الوضع في الأندلس قبل دخول المسلمين وأوضاع سكان شبه جزيرة الإيبيرية.

لقد خضعت شبه الجزيرة الإيبيرية لسيطرة مجموعة من الدول عليها؛ تعرضت إلى هجمات القبائل الجرمانية عندما كانت إحدى مقاطعات الإمبراطورية الرومانية خلال القرن الخامس الميلادي<sup>(3)</sup>، واستطاعت السيطرة على أراضي الإمبراطورية الغربية واسقاطها عام 476م و تم عزل أحد أباطرتها و هو الإمبراطور "رومولوس"<sup>(4)</sup>. وفي نفس القرن دخلت الوندال (Vandal) محتلة الأراضي الإيبيرية بقيادة ملكهم جنحريك سنة 411م واستمر حكمهم حتى عام 429م حتى تمكن القوط الغربيين من طردهم منها إلى الجنوب واضطراهم إلى عبور البحر المتوسط إلى الشمال الأفريقي من هنا سمي الجنوب الإسباني باسمهم "وندلوسيا" التي حرقها المسلمون إلى الأندلس<sup>(5)</sup>، وقد امتد نفوذ القوط الغربيين في ايبيريا على يد الملك ابوريك (467-484م) المؤسس الحقيقي

(1) - أي مدة تواجد المسلمين في الأندلس، والتي دامت ثمانية قرون من 711م إلى 1492م.

(2) - المقصود بالعموم ها هنا؛ من توافرت فيه الشروط المعهودة في هذا الباب.

(3) - ينظر: تاريخ الحضارات العام، ادوارد بروي، 18/3، ترجمة: أسعد داغر، منشورات عويدان، الطبعة الثالثة، بيروت.

(4) - ينظر: الروض المعطار في خير الأقطار، أبو عبد الله محمد بن محمد، الحميري، ص: 6، تحقيق: احسان عبا، الطبعة الثانية، لبنان- 1984م.

(5) - ينظر: جغرافية الأندلس وأروبا، ابو عبيدة بن عبد العزيز البكري، ص: 85، دار الارشاد، بيروت- 1968 م .

لدولتهم والذي اتخذ من طليطلة عاصمة ومركزا لحكمهم وقد استبد القوط في حكم البلاد وساسوا الشعب سياسة لا هواده فيها ولا رحمة فعانى سكان البلاد من الاضطراب والفوضى وفرض الحكام الجدد قيود الرق ورسوم التبعية على السكان وذلك بهدف منع الثورات ضد حكمهم ولقد ساءت أحوال الكثيرين من السكان وضائق معيشتهم وسادت الطبقية والفرقة فيما بينهم فانقسم المجتمع الإسباني إلى طبقات عدة<sup>(1)</sup>، وعندما فتح المسلمون بلاد الأندلس\_ التي كانت تعيش في ظلام وجهل دامس؛ الذي خلفه القمع الكنسي وقمع الدول التي احتلتها\_، طهروها من النظام الطبقي وأزاحوا الظلم عن الأفراد وكانوا حقا شمسا تطلع على بلاد إيبيريا، وهذا الفتح لم يكن احتلالا عسكريا بل كان حدثا حضاريا هاما ينجم عن موقف المسلمين، الذي طغى عليه التسامح مع سكان البلاد الأصليين، حتى أصبح اليهود والنصارى مساويين للمسلمين قادرين مثلهم على تقلد مناصب الدولة.

استعملت الدولة الإسلامية في الأندلس رعاياها من أهل الذمة في تولي الوظائف السياسية والإدارية، وأوكلت لهم العديد من المسؤوليات الهامة، وذلك بهدف إدماجهم في الحياة العامة، وتحسيسهم بقوة الانتماء في المجتمع والدولة، بغض النظر عن الديانة التي يعتقدونها، وتجاوز الحكام -أحيانا- الضوابط الشرعية، التي تشكل قيوداً أمام توليهم شؤون المسلمين وكان لابد من اشراك هؤلاء في ادارة الدولة، التي دأبت على الاستعانة بهم في وظائفها، من أجل أن تسود قيم التسامح وروح التفاهم وسط مجتمع شديد الاختلاف.

لقد استعانت الدولة الإسلامية باليهود فولوهم كبرى المدن وقربوا المتعلمين منهم فاستوزر عبد الرحمان الناصر(888\_912)، ومن بعده الحكم الثاني (929) الطبيب "حسداي بن شبروط (945\_970)، والمعاون على نقل كتاب "ديوسقوريدس" في العقاقير الطبية، ثم قرب الأمير حبوس إسماعيل بن النغيلة (993\_1056) وجعله مساعدا له، بعدما انهر ببلاغته وجزالة كتابته، ثم

(1) ينظر: في تاريخ اسبانيا، وات مونتغمري، ص: 26، ترجمة: محمد رضا، \_ القاهرة\_ سنة 1994م.

مسؤولاً عن جباية الضرائب في إمارته<sup>(1)</sup>. وكانت وظيفة تحصيل الضرائب يشغلها اليهود في غرناطة عندما كان آل النغريلة يتولون الوزارة.<sup>(2)</sup>

جنى إسماعيل بن النغريلة أموالاً كثيرة من هذه الوظيفة لكنه كسب معها كره كثير من اليهود في غرناطة، الذين وجدوه متسلطاً يأخذ منهم فوق ما يطيقون في سبيل أن يظهر قدراته في جمع الأموال للدولة، ويكسب بذلك ود حكام المسلمين.

وقد ذكر ابن بلقين مدى وفاء ابن النغريلة في وظيفته، وقال فيه "لم يكن له بد من مثله أن يجمع له من الأموال ما يدرك معها الآمال، ولم يكن له تسلط على مسلم في حق ولا باطل، ولأن الرعايا أكثرهم بتلك البلدة والعمال إنما كانوا يهوداً فكان يجبي منهم الأموال ويعطيه، فيلقي ظالماً منهم إلى ظلمة يأخذ منهم ما يملأ به بيت المال وإقامة أود المملكة أولى به منهم"<sup>(3)</sup>.

استطاع إسماعيل بن النغريلة بفضل حنكته ومهارته أن يتقلد الوزارة كأول يهودي نال هذا المنصب والمكانة السامية بالأندلس.

وقد عزا عبد الله بن بلقين تقريب الأمير حبوس لوزيره ابن النغريلة إلى ما عرف به من مداراته للناس<sup>(4)</sup>.

وأرجع رينهارت دوزي سبب تقريب حبوس ابن النغريلة إلى أنه لم يكن من اليسير على أمير غرناطة أن يجد له حاجباً، فالواقع أنه كان لا يستطيع أن يكل هذا المنصب الخطير إلى أحد البربراة العرب لأن القوم في تلك الأيام كانوا يميلون لأن يكون الوزير أديباً كبيراً حتى يضع الرسائل التي يبعث بها الأمير إلى غيره من الأمراء، وتلك الرسائل كانت تكتب في نثر مسجوع وبأسلوب بالغ الروعة، وكان

(1) \_ ينظر: اليهود في الأندلس، عبد المجيد بحر، ص:40، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970

(2) \_ TERRASSE H, La vie d'un royaume berbère du XIe siècle espagnole : L'émirat Ziride de Grenda, in melanges de la casa de velazquez, tome 1, 1965, page 79

(3) \_ التبيان، عبد الله ابن بلقين بن باديس، ص:68، تحقيق: أمين توفيق الطيبي، منشورات عكاظ، الرباط، 1995م.

(4) \_ المصدر نفسه، ص:68.

أمير غرناطة أشد القوم اهتماما بالكفاءات من هذا القبيل، كما أنه هو نفسه لا يستطيع أن يعهد بالوزارة إلى العرب الذين كانوا لا يرون عارا أن يخونوه أو يسقطوه.<sup>(1)</sup>

وباستوزار حكام المسلمين لليهود اطمأن المجتمع اليهودي بعدما اضطهدوا من طرف القوط؛ وانتقلوا من الجور إلى السماح بفضل سياسة المسلمين..<sup>(2)</sup>

والجدير بالذكر في هذا الموضوع أن الماوردي<sup>(3)</sup> قد أجاز تقليد أهل الذمة وزارة التنفيذ، وهي التي يتولى صاحبها تنفيذ أوامر الامام، وقد قال: "وَأَمَّا وَرَارَةُ التَّنْفِيدِ فَحُكْمُهَا أضعفُ وشروطها أقلُّ؛ لِأَنَّ النَّظَرَ فِيهَا مَقْصُورٌ عَلَى رَأْيِ الْإِمَامِ وَتَدْبِيرِهِ، وَهَذَا الْوَزِيرُ وَسَطٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّعَايَا وَالْوُلَاةِ يُؤَدِّي عَنْهُ مَا أَمَرَ، وَيُنْقِذُ عَنْهُ مَا ذَكَرَ، وَيُمِضِي مَا حَكَمَ، وَيُخْبِرُ بِتَقْلِيدِ الْوُلَاةِ وَتَجْهِيزِ الْجُيُوشِ، وَيَعْرِضُ عَلَيْهِ مَا وَرَدَ مِنْ مُهِمٍّ وَتَجَدَّدَ مِنْ حَدَثٍ مُلِيمٍ؛ لِيَعْمَلَ فِيهِ مَا يُؤَمَّرُ بِهِ، فَهُوَ مُعِينٌ فِي تَنْفِيدِ الْأُمُورِ، وَلَيْسَ بِوَالٍ عِلْمًا وَلَا مُتَقَلِّدًا لَهَا، فَإِنْ شُورِكَ فِي الرَّأْيِ كَانَ بِاسْمِ الْوَزَارَةِ أَحْصَى، وَإِنْ لَمْ يُشَارِكْ فِيهِ كَانَ بِاسْمِ الْوَاسِطَةِ وَالسِّفَارَةِ أَشْبَهَ، وَلَيْسَ تَفْتَقِرُ هَذِهِ الْوَزَارَةُ إِلَى تَقْلِيدٍ، وَإِنَّمَا يُرَاعَى فِيهَا مُجَرَّدُ الْإِذْنِ، وَلَا تُعْتَبَرُ فِي الْمُؤَهَّلِ لَهَا الْحُرِّيَّةُ وَلَا الْعِلْمُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَنْفَرِدَ بِوَلَايَةٍ وَلَا تَقْلِيدٍ، فَتُعْتَبَرُ فِيهِ الْحُرِّيَّةُ، وَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَحْكَمَ فَيُعْتَبَرُ فِيهِ الْعِلْمُ، وَإِنَّمَا هُوَ مَقْصُورُ النَّظَرِ عَلَى أَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَى الْخَلِيفَةِ. وَالثَّانِي: أَنْ يُؤَدِّيَ عَنْهُ..."<sup>(4)</sup>

لقد احتفظ النصارى بنظمهم الإدارية الخاصة بهم من قوانين وتشريعات فقد أشار المستشرق "فرانسيسكو خافيير سايمونيت" "أنه فيما يتعلق بالقوانين المدنية والسياسية فإن النصارى الإسبان احتفظوا في ظل الحكم الإسلامي بنوع من الحكومة الخاصة واحتفظ الناس

(1) ينظر: تاريخ مسلمي إسبانيا، رينهارت دوزي 22/3، ترجمة حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، 1963م

(2) ينظر: المستشرقون، نجيب العقيلي، 87/1، الطبعة الخامسة، دار المعارف القاهرة، د.ت.

(3) هو: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، الماوردي، الشافعي، ولد سنة ثلاث مائة وأربع وستون، وتوفي في ربيع الأول سنة خمس مائة وأربع مائة وقد بلغ ستا وثمانين سنة، وولي القضاء ببلدان شتى، ثم سكن بغداد، وله تصانيف عديدة منها: الأحكام السلطانية، وآداب الدنيا والدين، والنكت (وهو تفسير للقرآن الكريم)... 65/18. (سير أعلام النبلاء، الذهبي، بتصرف).

(4) الأحكام السلطانية، أبو الحسن علي بن محمد الورد البصري، ص: 56، تحقيق: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، سنة: 1432هـ/2006م.

بأحوالهم القديمة دون تغيير كبير واحتفظوا من الناحية القانونية بالقوانين الغوطية أو قانون التقاضي يخضعون لها في كل ماله علاقة بحكومتهم"<sup>(1)</sup>.

ويذكر عبد الواحد ذنون طه أن الأحوال الاجتماعية في بلاد الأندلس بعد الفتح الإسلامي تغيرت، فقد تمكن الإسلام من القضاء على الظلم والاستغلال فقد حمل الحرية والمساواة لجميع عناصر السكان في شبه الجزيرة الإيبيرية الذين تمكنوا من التخلص من قيود الطبقة النبيلة وتحكمها في مصائرهم وقد ترك المسلمون لأهل البلاد الأصليين ومنهم النصارى حق اتباع قوانينهم والخضوع لقضائهم والاستمرار في ممارسة شعائر دينهم و أن الجزية كانت تفرض على النصارى لقاء حمايتهم أما من دخل الإسلام منهم فأصبحوا يمتلكون كل الحقوق والامتيازات التي يمتاز به بقية المسلمين؛ كإسقاط الجزية مثلاً، لذلك سارع العبيد وأغلبية السكان الإسبان إلى اعتناق الإسلام.<sup>(2)</sup>

"وكان للنصارى في كل مدينة يسكنوها رئيساً وكان لهم قاضي من ملتهم يفصل بينهم في النزاعات والخصومات التي تقع بينهم يعرف بقاضي العجم"<sup>(3)</sup> وإذا اختصم ذمي مع مسلم فكان الاحتكام إلى قاضي الجند المسلم وهو الذي عرف بعد ذلك بقاضي الجماعة<sup>(4)</sup>.

لقد بدأت علاقات التعاون بين المسلمين وأهل الذمة تتشكل منذ وقت مبكر، من ذلك استعانة الأمير عبد الرحمن الداخل بأرطباس بن غيطشة في خدمته، وكان هذا الأخير إلى جانبه دائماً، وحتى في غزواته<sup>(5)</sup>.

إن أشهر من استخدم من أهل الذمة في عصر الإمارة هو قومس بن أنتنيان، الذي ساعد عبد الله بن أمية في الكتابة للأمير محمد بن عبد الرحمان، وعندما أصابت عبد الله علة منعه من

(1) \_ Francisco. J. simonet. historia de mozarabes de espana. Madrid.ediciones truner 1897. Tome (1) p.p 106\_107.

(2) ينظر: دراسات أندلسية، عبد الواحد ذنون، ص: 90\_91، دار المدار الإسلامي، الطبعة الأولى، 2004.

(3) \_ تاريخ افتتاح الأندلس، ابوبكر محمد بن عمر ابن القوطية، ص: 75، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب اللبنانية، بيروت، ط1، 1982.

(4) \_ المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقيا والأندلس والمغرب، ابو الياس احمد بن يحيى الونشريسي، 56/10، تحقيق محمد محي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983 م.

(5) \_ ينظر: فجر الأندلس، حسين مؤنس، ص: 447-459-460 \_ بتصرف. الشركة العربية للطباعة القاهرة والنشر 1959 م.

مزاولة عمله، كلف قومس بن أنتنيان بالخدمة مكانه، وخلفه في الكتابة.<sup>(1)</sup> ولا بد من الإشارة هنا إلى أن إقدام الحكام المسلمين على إشراك أهل الذمة في تسيير شؤون المسلمين، إنما هو محاولة منهم لفهم الواقع المحلي، وخصوصية المجتمع والبيئة الأندلسية، والتعبير عنه بهذا الشكل من التسامح، رغم ما في الأمر من تجاوز للقيود الشرعية.

لما أزال المسلمون في الأندلس أمير القوط، أقاموا على أهل الذمة والنصارى رئيساً منهم، ولقبوه "بقومس comes" الأندلس أو زعيم نصارى الذمة؛ فصار القمامسة من أهل البلاد، فكأنّ الفتح الإسلامي ردّ إليهم اعتبارهم من هذه الناحية. وكان يدير أمور الجماعات المسيحية الكبيرة في المدن والأرياف رجال من نصارى عجم الأندلس يسمون بالقمامسة، وهذا اللقب كان مقتصرًا على القوط. فقد جعله المسلمون مسؤولاً عن كل ما يتصل برعاياهم من النصارى، وأحاطوه بما يليق به من الاحترام. وكان أول القمامسة هو أرطباش.<sup>(2)</sup>

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن شبه الجزيرة الإيبيرية عرفت هذه الوظيفة بالرغم من الاختلاف في المضمون فكان المجلس الملكي يضم إلى جانب كبار موظفي البلاط والنبلاء والأساقفة ستة من قوامس العاصمة إلى جانب عدد من قوامس الأقاليم وكان القوامس هم الطبقة التي تلي طبقة الدوقات في السلك الإداري للدولة وبالرغم من أن هؤلاء الأخيرون يتولون الحكم في الولايات ويقودون الجيوش.<sup>(3)</sup>

إن عملية تعيين القومس في الأندلس كانت عن طريق السلطات الإسلامية التي كانت تنحصر سلطته وتتركز في المسائل المدنية الخاصة بالنصارى إلى جانب أنه كان يمثل حلقة الاتصال بين النصارى وبين المسلمين<sup>(4)</sup>، ولم تقتصر سلطة القومس في الأندلس على تنظيم المسائل الدينية فحسب وإنما كان يقوم بعملية جباية الضرائب أحيانا و مساعدة المسلمين في بعض الأحيان في

(1) ينظر: قضاة قرطبة، ص: 76، أبو عبدالله محمد بن حارث بن أسد القيرواني، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، 1966 م.

(2) فجر الأندلس، حسين مؤنس، ص: 447\_459، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة 1909 م

(3) ينظر: تاريخ النصارى في الأندلس، عبادة كحيل، ص: 85

(4) ينظر: تاريخ النصارى في الأندلس، عبادة كحيل، ص: 86

استقبال ملوك إسبانيا وسفرائهم فقد كان النصارى ينظرون إلى القومس باحترام فضلا عن تعيينه من قبل المسلمين وإذا كان هناك قومس إلى جانبه في المدن الأخرى غير قرطبة كان هؤلاء تختارهم الجماعة النصرانية في كل إقليم حيث ترك المسلمون لأهل البلاد اختيار قوامسهم في بعض الأحيان.<sup>(1)</sup>

لقد تمتع القومس في الأقاليم بسلطات واسعة قضائية و كان يعونه نصراني مسؤول عن القضاء فيقضون بين النصارى على وفق كتاب القوانين حيث تشير المصادر أن قومس قلمرية كان يتمتع بسلطات واسعة.<sup>(2)</sup>

إن الحكام تركوا نصارى الأندلس أحرارا ينظمون أمورهم على النحو الذي أرادوه ما داموا على الطاعة وفي الوقت نفسه يؤدون ما عليهم من الأموال وخاصة في عملية الفصل في قضاياهم وفقا للقانون القوطي القديم و هو النظام الإداري المدني أي أن القائمين بأمره كانوا مسؤولين عن كل ما يتصل بأمور رعاياهم فيما بين أنفسهم فقد كانوا يجمعون ضرائبهم ويؤدونها إلى بيت المال نيابة عنهم وهكذا وجد في الأندلس نظامان إداريان في آن واحد الأول للمسلمين والثاني للنصارى.<sup>(3)</sup>

"لقد احتفظ المسلمون في هذا النظام بالإكتفاء بحق تعيين القومس الأعلى، أي قومس الأندلس بينما اعطيت للنصارى حرية اختيار قومسهم الخاص بهم، وكان يعاون القمامسة موظفون آخرون أصغر منهم ينوبون عنهم في القرى الداخلة ضمن حدود ناحيتهم."<sup>(4)</sup>

والحقيقة أن هذا اللقب لم يظهر في النصوص إلا أيام عبد الرحمن الداخل، ولكن صورة الخبر الذي يتضمن هذا اللقب عند ابن القوطية تدل على أن الوظيفة كانت قديمة والجديد هو اللقب، وستستمر الوظيفة بهذا اللقب بعد ذلك<sup>(5)</sup>. تُركت للنصارى الحرية الواسعة في قضائهم

(1)\_ ينظر: الإحاطة، ابن الخطيب، 18/1

(2)\_ ينظر: تاريخ افتتاح الأندلس، ابوبكر محمد بن عمر ابن القوطية، ص: 57\_59.

(3)\_ ينظر: فجر الأندلس، ص: 447

(4)\_ دراسات أندلسية، عبد الواحد ذعون، ص: 91\_92

(5)\_ ينظر: فجر الأندلس، حسين مؤنس، ص: 447.

الخاص؛ فكان لهم قاض يعرف بقاضي النصارى أو العجم. فقد ترك الحكام نصارى الأندلس أحراراً ينظمون أمورهم على النحو الذي أرادوه، ما داموا على الطاعة يؤدّون ما عليهم من الأموال، فظلّوا يفصلون في أقضيتهم وفقاً للقانون القوطي القديم، وهو نظام مدني وإداري أيضاً؛ أي أنّ القائمين بأمره كانوا مسؤولين عن كل ما يتّصل بأمور رعاياهم فيما بين أنفسهم، كانوا يجمعون ضرائبهم، ويؤدونها إلى بيت المال نيابة عنهم، وظلّت علاقاتهم بكنائسهم وقساوستهم على ما كانت عليه قبل الفتح؛ فكانوا يشرفون على كنائسهم ويتولّون أمور قساوستها؛ أما في القضايا التي تقع بين المسلمين وغير المسلمين، فكان ينظر فيها قضاة المسلمين، ويحكمون فيها بشريعة الإسلام<sup>(1)</sup>.

لقد سمح المسلمون للنصارى في الأندلس بوجود مناصب أخرى إلى جانب القومس يتولاها رجال الدين مثل قاضي العجم \_ كما سبق ذكره\_ وصاحب المدينة أو حارسها ومستخرج خراج أهل الذمة الذي كان يمل إلى جانب عامل الخراج المسلم والأمين وهو على رأس كل نقابة والعريف الذي تميز بمهارته في حقول الصناعة.<sup>(2)</sup>

ولم يقتصر موقف المسلمين في الأندلس على الجوانب الإدارية والقضائية وإنما سعت الدولة الإسلامية إلى الاهتمام بالجوانب الدينية للنصارى فقد عامل المسلمون النصارى معاملة حسنة فقد ضموا لهم التنظيمات الدينية المتعارف عليها فيما بينهم حيث كان للنصارى ثلاث مطرنيات<sup>(3)</sup> "ابرشيات" رئيسه وعدد من الكنائس والأساقفة والأديرة الهامة، مثل: ديرسان خوان ديلانا وهو الذي أنشأه الإخوان الراهبان فوتو و فيلكس والذي يعد من أهم الأديرة في الأندلس.<sup>(4)</sup>

لقد ترك المسلمون للنصارى كنائسهم و سمح لهم بممارسة شعائهم وطقوسهم الدينية بكل حرية وسمح لهم بقرع النواقيس للصلاة، لقد نقل لنا ابن حزم الأندلسي مشهداً يروم على مدى الحرية التي اعطيت لغير المسلمين؛

(1). مصدر نفسه، ص: 447

(2). مصدر نفسه، ص: 461

(3). ينظر: تاريخ افتتاح الأندلس، ابوبكر محمد بن عمر ابن القوطية، ص: 74

(4). ينظر: أهل الذمة في الأندلس خلال الحكم الأموي، عبد المطلب مصطفى رجب، ص: 28، ماجيستر، كلية الاداب، جامعة اليرموك

1999م.

## اتيني وهلال الجو مطلع قبيل قرع النصارى للنواقيس<sup>(1)</sup>

ويصف شاعر آخر إحدى كنائس النصارى بقوله:

وقد فرشت بأضغاث آس وعرشت بسرور واستيناس  
 وقرع النواقيس يهيج سمعه ويرق الحميا يسرح لمعه  
 والقس قد برز في عبده المسيح متوشما بالزنابير أبداع نوشيح<sup>(2)</sup>

"لقد بلغ عدد الأديرة في الأندلس أيام الحكم الإسلامي أكثر من خمسة عشرة ديورا وقد سمح المسلمون ببقائها باعتبارها أماكن العبادة للنصارى فلم يهدم منها ما كان في المناطق التي فتحوها بل سمحوا لهم ببناء كنائس جديدة و ما يريدون من الأديرة التي كانوا يقرعون النواقيس فيها"<sup>(3)</sup>.

ويعد بناء الكنائس والأديرة من مظاهر التسامح والمساواة والعدالة من قبل المسلمين اتجاه النصارى واحترام المسلمين لمعتقداتهم والحرية الدينية للنصارى<sup>(4)</sup>.

"وقد سمح المسلمون بتجمع جاليات المستعربين النصارى في الأندلس حول الكنائس وانضوت تحت إدارة أسقف لغرض مزاوله حياتهم الدينية في طليطلة إبان الحكم الإسلامي ست أبرشيات في أقل تقدير داخل أسوار المدينة وأخرى مثلها في قرطبة حيث بلغ عدد كبير من الكنائس يؤدون فيها الشعائر الدينية كما كان في ظاهرها أديرة من أهمها دير أرملاط على طريق طليطلة وكانت الأديرة والكنائس مما يروق للشعراء ارتيادها"<sup>(5)</sup>.

كما سمح لهم بالعمل بقوانين الكنيسة الإسبانية القديمة، ولم يتدخل المسلمون في تنظيماتهم بل إنهم لم ينقلوا كرسي المطرانية الكبرى من طليطلة إلى العاصمة قرطبة فتركوه في طليطلة حرصا على مشاعر النصارى ولكن مجامع كنيسة قرطبة عقدت في قرطبة لتكون على

(1) طوق الحمامة في الألفه والآلاف، ابو محمد بن احمد ابن حزم، ص: 287

(2) نفع الطبيب، المقرئ، 25/2.

(3) حضارة العرب، غوستاف لوبون، ص: 1277

(4) ينظر: الإسلام في أسبانيا، عبد البديع لطفى، ص: 27، ط2، مكتبة النهضة المصرية، سنة 1969م، القاهرة.

(5) دراسات أندلسية، عبد الواحد ذنون، ص: 92\_93.

مقربة من العاصمة في الوقت التي كانت فيه مطرانية طليطلة تابعة لكنيسة روما فقطع العرب هذه العلاقة وجعلوا للنصرانية في الأندلس كيانا مستقلا وقد أبقى المسلمون على كل المؤسسات المسيحية دون أن يمسوها بأذى كالأديرة والمصليات العامة والخاصة كما احتفظ رجال الدين بملابسهم وأزيائهم وظلت الكنائس تؤدي وظائفها الاجتماعية إلى جانب وظائفها الدينية فتعقد فيها مراسيم الزواج ويعمد فيها المواليد وتسجل فيها المبيعات والعقود<sup>(1)</sup>.

كان موقف المسلمين من أهل الذمة في الأندلس بصورة عامة ومن النصارى بصورة خاصة يتسم بعقد معهم فقد ارتبط هؤلاء مع المسلمين بعقد الذمة وفي ظل هذا العقد عاشت المؤسسات في سلام واضح<sup>(2)</sup>.

ومن هذا كله نقر بحقيقة مهمة تمكننا من تحليل ديمومة أقلية المستعربين<sup>(3)</sup> في الأندلس، ودرجة التعايش المختلط فيها هي الصفة السياسية التي منحها الحكام المسلمون إلى المستعربين، والتي استطاع هؤلاء بفضلها الاحتفاظ بقوانينهم القوطية الغربية (El Fuero Juzgo) في المجال المدني، وبشرائع وطقوس الكنيسة الإسبانية القديمة في المجال المدني، كما تمتعت جالياتهم بحكم ذاتي كامل دون أن يتصادم ذلك مع القضاء الإسلامي<sup>(4)</sup>.

فقد أمن الحكام المسلمون. من بقي على دينه من مسيحيين أو يهود. على أرواحهم وأملاكهم، ومنحهم حرية العقيدة وإقامة الشعائر الدينية، كما تركت للنصارى الحرية الواسعة في قضائهم

(1) ينظر: نفع الطيب، المقري، 123/1

(2) المصدر نفسه، 255/1

(3) أطلق مصطلح المستعربين على النصارى وهم الذين أثروا البقاء على نصرانيتهم ومبادئهم القديمة ودخلوا في ذمة المسلمين وعهدهم وعاشوا في كنفهم وتحت حمايتهم وتعايشوا معهم وتعلموا لغتهم العربية حتى أجادوها وأنقنوا فنونها وعرفوا خفاياها وتكلموا بها. (أهل الذمة في الأندلس خلال الحكم الأموي، عبد المطلب مصطفى رجب، ماجيستر، كلية الآداب، جامعة اليرموك 1999م، ص: 26)

أضف إلى ذلك فقد عرف النصارى أيضا باسم مستعربين (بفتح الراء) على أن هذه التسمية قد مرت بمراحل عدة إلى أن استقرت فيذكر أن أذفونش السادس قد أطلق عليهم في قانونه (لسنة 1101م) اسم Muztarabes وكذلك أطلق عليهم أذفونش السابع في قانونه (لسنة 1118م) اسم Muztarabes وقد دعاهم أذفونش المحارب ملك أرغونة في قانونه العام (لسنة 1126م) باسم Muztarabes. (تاريخ النصارى في الأندلس، عبادة كحيلة، الطبعة الأولى، المطبعة الإسلامية الحديثة 1993م، ص: 82).

(4) ينظر: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، سلى خضراء الجيوسي، 270/1، الطبعة الثانية، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت 1999م.

الخاص، وتنظيم أنفسهم، بعدما كانوا يعانون الخسف والظلم الاجتماعي ويصادرون في حرياتهم ومعتقداتهم وأموالهم...

"شعر الأسباب بالفرق بين حكم المسلمين وحكم القوط، ورأوا من تسامح المسلمين وتفانيهم في نشر العدل بين الناس ما يثلج الفؤاد؛ فأحب الأسباب المسلمون محبة خالصة، ورأوا البون الشاسع بين الحضارة التي يحملها المسلمون، وما كان للقوط من الثقافة المتأخرة، وكانت أقرب إلى الهمجية. ولم يمض قرن حتى أخضعت القرى وكثرت المزارع، واتصل العمران، اتصال الشؤبوب<sup>(1)</sup>. وتزاحم الناس بالمناكب المدن، وأمست قرطبة عاصمة الخلافة الأندلسية كعواصم أوروبا اليوم؛ تنار بالمصابيح ليلاً، ويستضيء الماشي بسرجهما ثلاثة فراسخ لا ينقطع عنه الضوء، وأصبحت مبلطة أزقتها، مرفوعة قماتها، وهي أول مدينة كان لها ذلك في العالم، وقد غدت قرطبة عاصمة علم وصناعة وفن وتجارة."<sup>(2)</sup> ونتيجة لهذه السياسة الحكيمة ساد الاستقرار ربوع هذه البلاد، وانتشر العدل، وبدأ الأهالي من العرب وغير العرب يستغلون خصوبة الأرض في الزراعة وقرىها من شمال إفريقيا في التجارة. وإن قسماً كبيراً من الأهالي دخل الإسلام، واندرج في عداد أسر المولدين الكبيرة في بلاد الأندلس. ونتيجة لهذا التسامح المثالي، وبكافة الأبعاد، اتخذ هؤلاء المسيحيون أو أكثرهم (وكذلك اليهود) العربية لغة لهم، وأتقنوها وجعلوا يكتبون بها أفضل مما يفعلون مع لغتهم اللاتينية، ودرسوا العلوم الإسلامية. كما أنهم اتخذوا العادات الإسلامية، ومارسوا أفكار المسلمين وتقاليدهم في ملابسهم ومطاعمهم ومشاربهم، وتسمى كثير منهم بأسماء عربية، وأصبح يطلق عليهم اسم "المستعربين"، ونبع منهم أدباء وعلماء، ومنهم من وصل إلى أعلى مناصب الدولة. كانت الأندلس عطاء صادقاً لقرون من التعايش والتسامح، مما جعلها نموذجاً لحوار الحضارات وتعايشها.

ولقد رأينا من خلال ما سبق علاقة الإسلام والمسلمين مع الأديان الأخرى في الأندلس. رأينا روح التسامح الذي كان سائداً من قبل المسلمين الفاتحين للأقليات النصرانية واليهودية، منذ

(1) الشؤبوب: الدفعة من المطر وغيره.

(2) الإسلام والحضارة العربية، محمد كرد علي ص: 223\_224، مؤسسة هنداوي سي أي سي \_ المملكة المتحدة\_ 2017م.

بدايات الفتح الإسلامي للأندلس، حيث أثرت الثقافة العربية الإسلامية في الأقليات النصرانية. إذا كان الاستعراب يمثل تأثير الثقافة الإسلامية في غير المسلمين من الإسبان، فإن استمرار وجود هذه الأقلية المسيحية وسط المجتمع الإسلامي يدل على الطابع التعددي لهذا المجتمع دينياً واجتماعياً. وإنّ هذه التعددية دليل على تسامح الإسلام وقدرته على تمثيل الديانات المختلفة، وإعادة إفرازها في مشروع حضاري هو الثقافة الأندلسية الإسلامية.

### المطلب الثالث: نطاق الحرية السياسية عند المسلمين في الأندلس

احتلت الأندلس موقعا متميزا في العطاء الحضاري الإنساني، والعالمي، فمما لا يشوبه ريب، ولا يخامر شك أن دولة الإسلام في الأندلس قد أرست دعائم حضارة فاضلة، تعايشت فيها الأجناس والأديان، وتثاقفت فيها اللغات والثقافات، وانصهرت فيها الطاقات على تنوعها، فأثمرت مجتمعا حيا، ومتفاعلا، ومبدعا تحققت للإنسان فيه إنسانيته وكرامته، وكفلت له حريته وحقوقه، وضمن سعيه وعطاؤه، ولعل أبرز جوانب هذه الحضارة قيمة وإشراقا، ما يتعلق بمسألة التسامح الذي ساد الأندلس الإسلامية تجاه النصارى واليهود الذين كانوا يشكلون شريحة هامة من شرائح المجتمع الأندلسي، فقد عاش اليهودي والنصراني إلى جنب المسلم، حياة ملؤها التأزر والتعاطف والتراحم والمشاركة الفاعلة المثمرة، علميا، وسياسيا، وإقتصاديا...

لقد كانت البيئة الأندلسية استثنائية في كل جانب من جوانب الحياة العامة، بما فيه الجانب السياسي الذي اتسم بجو من الحرية، حتى وجد من الفقهاء من حذر بفرط هذه الحرية وتجاوزها الحدود الشرعية التي حددها الشرع، خصوصا لما استعان المسلمون بغيرهم من اليهود والنصارى في وظائف شديدة الحساسية،

ومن هنا نطرح سؤالاً تاريخياً نعرف به نظرة الشرع في الاستعانة بغير المسلمين في الاستوزار، ونسقطها على واقع السياسة في الأندلس وبذلك نكون قد حددنا نطاق الحرية السياسية عند المسلمين بالأندلس. والسؤال هو كالاتي:

ما نظرة الفقه الإسلامي في الاستعانة بغير المسلمين في وظائف الدولة؟ وهل راعى حكام المسلمين في الأندلس الجانب الشرعي؟ أم أنهم حكموا المصلحة في سياستهم؟

بعدما اتسعت رقعة الإسلام، اتسعت معها دائرة النوازل والمستجدات، التي تصدى لها الفقهاء بالدليل؛ فمن القضايا والنوازل التي طرحت على الفقهاء، نازلة الاستعانة بغير المسلمين في وظائف الدولة الإسلامية\_ كما رأينا في المبحث السابق مع صنيع حكام المسلمين في الأندلس الذين

استعانوا بالذميين على رأس الوزارات؛ وقد اختلف الفقهاء في هذه النازلة على ثلاثة آراء: معارض، ومؤيد بشروط، ومؤيد على الإطلاق:

**الرأي الأول:** ذهب إلى إبعاد أهل الذمة عن جميع الوظائف والولايات وإن صغرت، وعدم جواز توليتهم مطلقاً مهما كانت الحال حتى وإن استدعت الحاجة إلى ذلك، وممن انتصر إلى هذا الرأي: الجصاص من الحنفية والقرطبي من المالكية وأبو أمامة بن النقاش من الشافعية وابن قيم الجوزية وابن مفلح من الحنابلة، وابن حزم وغيرهم.<sup>(1)</sup>

واستندوا في هذا الرأي إلى أدلة من الكتاب والأثر، ففي الكتاب أن الله تعالى قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِضَائَةً مِّنْ كُفْرِكُمْ لَا يَأْتِيَنَّكُمْ حَتَبًا وَلَا كُفْرًا مَّا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْيَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِرُ كُهُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾<sup>(2)</sup>.

قال أبو بكر الجصاص: "نهى الله المؤمنين أن يتخذوا أهل الكفر بطانة من دون المؤمنين، وأن يستعينوا بهم في خواص أمورهم" ثم قال: "وفي الآية دلالة على أنه لا تجوز الاستعانة بأهل الذمة في أمور المسلمين من العملات والكتبة".<sup>(3)</sup>

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ آلِيَةٍ تُرَىٰ لَكُمْ إِلَّا تُنْكِرُونَ﴾<sup>(4)</sup>.

"وفي معنى لا تركبوا تأويلات:

- لا تميلوا إلى المشركين.
- لا تدنوهم.
- لا ترضوا بأعمالهم.

(1)- الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي، عبد الله بن إبراهيم بن علي الطريقي، ص: 365، ط2، إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية-1414هـ.

(2)- سورة آل عمران، الآية: 118

(3)- الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي، عبد الله بن إبراهيم بن علي الطريقي، ص: 365.

(4)- سورة هود، الآية: 113

- لا تداهنوهم.

- لا تلحقوا بهم." (1)

وهي أقوال غير متعارضة فيما يبدو، وإن اختلفت، لكنه اختلاف تنوع.

وقد اختلف في حقيقة الركون ما هي:

ف قيل: الركون: الميل الشديد، وقيل: الميل اليسير.

واستدلوا أيضا بقوله تعالى: ﴿بَلَا أَيْهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ

أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ﴾ (2).

قال الزمخشري: "لا تتخذوهم أولياء تنصروهم وتستنصروهم وتؤاخوهم وتصافوهم

وتعاشروهم معاشرة المؤمنين." (3).

وقد استدل بهذه الآية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على عدم جواز اتخاذ النصراني

كاتباً.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ

فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيَحْكُرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ الْمَكِينُ﴾ (4) قال ابن جرير: "وهذا نهي من

الله عز وجل المؤمنين أن يتخذوا الكفار أعواناً وأنصاراً وظهوراً".

وفي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تستضيئوا بنار المشركين ولا

تنقشوا على خواتيمكم عربياً".

وقد اختلف في معنى "لا تستضيئوا بنار المشركين":

(1) الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي، عبد الله بن إبراهيم بن علي الطريقي، ص: 369. (نقلا عن الزمخشري في الكشف عن

حقائق التنزيل، 619/1).

(2) سورة المائدة، الآية: 51

(3) الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي، عبد الله بن إبراهيم بن علي الطريقي، ص: 365، ط2، إدارة البحوث العلمية والإفتاء

والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية - 1414هـ.

(4) سورة آل عمران، الآية: 28

ف قيل: لا تستشيرهم و لا تأخذوا آراءهم، جعل الضوء مثلا للرأي عند الحيرة.

وقيل معناه: مباحثتهم و عدم مساكنتهم كما جاء في الحديث الآخر "أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين".

قال ابن القيم: وهذا هو الصحيح.

قلت: ما جاء في هذا الباب من قبيل الحربي أما من تنافت فيه هذه الصفة (الحربي) فالمجاورة والاحسان إليه مما دعت إليه روح الشريعة الإسلامية.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "قلت لعمر بن الخطاب إن لي كاتباً نصرانياً، قال: مالك؟ قاتلك الله، أما سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَةَ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾<sup>(1)</sup> ألا اتخذت حنيفاً؟ قال: يا أمير المؤمنين: لي كتابته وله دينه، قال: لا أكرمهم إذ آهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنهم إذ أقصاهم الله.

الرأي الثاني: "أن الأصل عدم جواز توليتهم، و قد يجوز عند الضرورة أو الحاجة الشديدة في الأمور غير الهامة، ويفهم هذا الرأي من كلام جماعة من العلماء، كابن الهمام من الحنفية حيث يقول: "ولا شك في منع استكتابهم - يعني أهل الذمة- وإدخالهم في المباشرة التي يكون بها معظما عند المسلمين..."<sup>(2)</sup>.

"فيفهم من عبارته أنه إذا لم يكن الذمي معظما بسبب الوظيفة جاز أن يتولاها، وكذلك ابن كثير الشافعي إذ يقول: "ولا يجوز استعمالهم - يعني أهل الذمة- في الكتابة التي فيها استتالة على المسلمين وإطلاع على دواخل أمورهم التي يخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب"<sup>(3)</sup>.

وبمفهوم المخالفة يجوز استعمال الذمي في الكتابة التي لا استتالة ولا خطر فيها.

(1) سورة المائدة، الآية: 51

(2) الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي، عبد الله بن ابراهيم بن علي الطريقي، ص: 366.

(3) المصدر نفسه، عبد الله بن ابراهيم بن علي الطريقي، ص: 366.

وكذلك أبو النجا شرف الدين الحجاوي إذ يقول: "ويكره أن يستعين مسلم بذمي في شيء من أمور المسلمين مثل كتابة وعمالة وجباية خراج وقسمة فيء وغنيمة وحفظ ذلك في بيت المال وغيره ونقله إلا لضرورة، ولا يكون بوابا ولا جلادا ولا جهبذا وهو النقاد الخبير ونحو ذلك، ويحرم توليتهم الولايات من ديوان المسلمين أو غيره".<sup>(1)</sup>

وعبارته توحى بکراهة الاستعانة بالذمي في الأمور العادية إلا لضرورة فتجوز، ولكن مطلقا توليته الولايات العامة.

وأما الاستثناء عند الحاجة في الأمور العادية، فإنني لم أظفر لهم بأدلة احتجوا بها هم، إلا أنه قد يستدل لهذا الاستثناء بما يلي:

أن المنع المطلق عند الضرورة أو الحاجة قد يترتب عليه وقوع ضرر و مشقة و حرج على الدولة الإسلامية، إذ ربما لا يوجد في المسلمين من فيه الكفاية لبعض الأعمال والمهمات فتحتاج إلى من يقوم بها، وفي مثل هذه الحالة ما من بد من استعمال غير المسلم "الذمي". إذ المشقة تجلب التيسير، وإذا ضاق الأمر اتسع؛ ولأن الوظيفة أمر تكليفي وعبء ثقيل، ولا سيما الوظائف الدنيوية العادية وشرفها محدود جدا، ثم إن التكليف هذا نوع من الإجارة واستئجار الذمي جائز بلا ريب.

**الرأي الثالث:** قال أصحاب هذا الاتجاه: إن هذه الأعمال لا ولاية فيها بل الموظف في هذه الولايات، "وسط بين الإمام ورعيته و ولاته، يؤدي عنه ما أمر، وينفذ عنه ما ذكر، ويمضي ما حكم، ويخبر بتقليد الولاية و تجهيز الجيوش، ويعرض عليه ما ورد من مهم، وتجدد من حدث ملم، ليعمل فيه ما يؤمر به، فهو معين في تنفيذ الأمور و ليس بوال علمها و لا متقلدا لها".<sup>(2)</sup>

قالوا: والعمل الذي يمنع من توليته الذمي أن يكون فيه إحدى الاختصاصات التالية:

#### ● مباشرة الحكم والنظر في المظالم.

(1) الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي، عبد الله بن إبراهيم بن علي الطريقي، ص: 366؛ (أخذا عن النجا شرف الدين الحجاوي في كتابه الإقناع في فقه الإمام أحمد، 52، 53/2. تصحيح عبد اللطيف السبكي، دار المعرفة، بيروت)

(2) الأحكام السلطانية، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، بالماوردي، ص: 27.

- الاستبداد بتقليد الولاة.
- قيادة الجيوش وتدبير الحروب.
- قبض الأموال من بيت المال وصرفها في جهاتها المستحقة.

فهذه الأمور ليست من صلاحيات الموظف التنفيذي؛ وهذا القول ذهب إليه الماوردي والقاضي أبو يعلى وبناء عليه فالذمي يجوز له أن يلي ما عداها.

ولهذا يقول الماوردي وهو يفرق بين الوظيفة التي يشترط لها الإسلام والتي لا يشترط: "فإن كانت عمالة تفويض تفتقر إلى اجتهاد روعي فيها الحرية والإسلام".

ومما سبق علمنا أن العلماء اختلفوا في مسألة تولية غير المسلمين في الحقل السياسي..؛ بين معارض ومؤيد بشروط ومؤيد، ومن هنا نطرح السؤال التالي: مناطق الحرية السياسية عند المسلمين في الأندلس؟

لقد عرفت البيئة الأندلسية حرية منقطعة النظير على كل الأصعدة، من بينها الحقل السياسي؛ حيث جعل حكام المسلمين في الأندلس أهل الكتاب متساون مع المسلمين في الوظائف، وذلك لمراعاتهم المصلحة دون النظر إلى كلمة الدين.

لقد تدرج يوسف ابن النغريلا (اليهودي) في مراتب وزارة الدولة الإسلامية بالأندلس خصوصا بعد موت حبوس وبعد نصرته لإبنه بادس على حساب ماكسن، والذي قربه بدوره مكافأة على صنيعه وجعله على رأس الوزارات.<sup>(1)</sup>

وهذه التجاوزات لحكام المسلمين في الأندلس، وإفراطهم في الحرية غاض ابن حزم الأندلسي وكتب قائلا: "إن أملي لقوي وإن رجائي مستحکم في أن يكون الله تعالى يسلط على من قرب اليهود وأدناهم وجعلهم بطانة وخاصة، ما سلط على اليهود وهو كلام الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا

(1) \_ المسلمون في الأندلس، رينهارت دوزي 220/3، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995م \_ بتصرف \_

تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ ﴿١﴾

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِضَانَّةً مِّنْ كُونِكُمْ لَا يَأْتِيكُمْ خَبَرًا لَّ مَا عَنِتُّمْ قَدَ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تُعْقِلُونَ﴾ (2)

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَالَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِرِّ سَبِيلِي وَابْتَغَاءَ مَرْضَاتِي تُسْرُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَالَةِ﴾ (3)

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا عَلَيْكُمُ هُزُومًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (4)

وقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (5) (6)

وعلى الرغم مما ورد في تلك الآيات من بيان شديد تضمن تحذيرا من موالاتة اليهود وتقريبهم فإن الحكام عرضوا عنه لاعتقادهم بالحاجة لاستخدام اليهود في جمع الضرائب وتسيير شؤون الحكم، ويضيف ابن حزم امتعاضه عن الوضع السياسي قائلا: "فمن سمع هذا كله، ثم أدانهم وخالطهم بنفسه من ملوك الاسلام فإنه إن شاء الله تعالى قمين أن يحيق الله عز وجل به ما أحاق بهم من الذلة والمسكنة والهوان والصغار والخزي في الدنيا سوى العذاب المؤلم في الآخرة." (7)

(1) - سورة المائدة، الآية: 25

(2) - سورة آل عمران، الآية: 118

(3) - سورة الممتحنة، الآية: 1

(4) - سورة المائدة، الآية: 57

(5) - سورة المائدة، الآية: 82

(6) - رسائل ابن حزم الأندلسي، 67/3، تحقيق احسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2 1987م.

(7) - رسائل ابن حزم الأندلسي، 67/3.

ويروي ابن بسام أبياتا لأحد شعراء<sup>(1)</sup> ذلك العصر، تلخص مدى تغلغل اليهود واتساع نفوذهم، وإطلاق يدهم في الحكم من خلال تحكم الوزير ابن النغريلا في حكام بني زيري في غرناطة، إذ يقول:

تحكمت اليهود على الفروج      وتاهت بالبغال وبالسروج  
وقامت دولة الأندال فينا      وصار الحكم فينا للعلاج  
فقل للأعور الدجال هذا      زمانك إن عزمت على الخروج<sup>(2)</sup>

(1) وهو عبد المجيد ابن عبدون، وأبو محمد عبد المجيد بن عبدون اليابري، وكنيته ابن عبدون الفهري أو ابن عبدون الأندلسي (. 1050-1135)، هو وزير أندلسي، وكان عالماً بالخبر والأثر ومعاني الحديث، أديباً، محرراً، مترسلاً، وشاعراً مجيداً. تصدر للوزارة وكتابة السر للأمير عمر المتوكل ابن الألفس أمير يابرة سنة 473 هـ، ولما سقطت دولة بني الألفس سنة 485 هـ، التحق بخدمة سير ابن أبي بكر أمير جيوش المرابطين، وفي سنة 500 هـ صار محرر سر بلاط علي بن يوسف المرابطي.

(2) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني، 331/2، تحقيق سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ/1995م.

## المبحث الرابع: في حرية الرأي والفلسفة

### المطلب الأول: ابن حزم فلسفته وحوارات

▪ الفرع الأول: حياته

▪ الفرع الثاني: فلسفته

▪ الفرع الثالث: حواراته

### المطلب الثاني: أبو الوليد الباجي فلسفته وحواراته

▪ الفرع الأول: حياته

▪ الفرع الثاني: فلسفته

▪ الفرع الثالث: حواراته

### المطلب الثالث: ابن باجة فلسفته وحواراته وحواراته

▪ الفرع الأول: حياته

▪ الفرع الثاني: فلسفته

▪ الفرع الثالث: حواراته

### المطلب الرابع: ابن رشد فلسفته وحواراته

▪ الفرع الأول: حياته

▪ الفرع الثاني: فلسفته

▪ الفرع الثالث: حواراته

### المطلب الأول: ابن حزم فلسفته وحوارات

- الفرع الأول: حياته
- الفرع الثاني: فلسفته
- الفرع الثالث: حواراته

## الفرع الأول: حياته

إن ما نعرفه من خلال كتب التاريخ أن ابن حزم ينتمي إلى بيت عز وشرف ورفعة.

وقد اختلف المؤرخون والدارسون في صحة نسبه إلى آل بيت رسول الله ﷺ، وإلى الأرومة العربية عموماً، وقد قال الجابري رحمه الله: "جرت العادة في المغرب والأندلس باتخاذ أشرف القوم نسبا لهم يربطهم بآل البيت، وقد سبق أن نسب ابن حزم إلى رجل فارسي اسمه "يزيد"، قيل عنه إنه من موالي يزيد بن أبي سفيان، وهو من الفاتحين الأول توفي سنة 18هـ هذا في حين أن الأبحاث الحديثة تقول عنه، أعني ابن حزم إنه خرج من أسرة من أهل اسبانيا الغربية كانت تقيم في لبلة، وكانت تدين بالنصرانية وظلت على نصرانيتها بعد الفتح الإسلامي أمداً غير قصير إلى أن اعتنق حزم الجد الإسلام في منتصف القرن الثالث الهجري".<sup>(1)</sup>

في مقابل هذا التوجه نجد جمهرة من المؤرخين يرون عكس ما ذهب إليه الجابري ومحمد طه الحاجري؛ فقد ذهب محمد أبو زهرة وأحمد شلبي إلى أن ابن حزم ترتبط عراقته بعهد عمر بن الخطاب، فجده الأقصى في الإسلام هو يزيد هو مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي المعروف بـ "يزيد الخير" الذي أسلم عام الفتح وأرسله أبو بكر قائداً لأحد الجيوش الأربعة التي اتجهت لفتح الشام، وكانت وجهته دمشق.<sup>(2)</sup>

"يزيد \_ جد ابن حزم\_ كان فارسياً، أصبح مولى لبني أمية... فهو فارسي النسب قرشي الولاء، فأول من دخل الأندلس من أسرة بن حزم هو خلف بن معدان، فقد جاء إليها في جيش الفتح مع موسى بن نصير سنة 93هـ، وقيل قدم إليها في معية عبد الرحمان بن معاوية (الداخل) سنة 138هـ"<sup>(3)</sup>.

ووفقاً للرأي الأخير فإن شجرة نسب ابن حزم هي كالآتي:

(1) \_ ينظر: ابن رشد سيرة وفكر، محمد عابد الجابري، ص: 25/ ينظر: ابن حزم: صورة أندلسية، محمد طه الحاجري، ص: 17، دار النهضة العربية \_ بيروت \_ 1982م.

(2) \_ انظر ابن حزم، حياته وعصره - آراءه وفقهية، محمد أبو زهرة، ص: 22، دار الفكر العربي \_ القاهرة \_ بتصرف. / موسوعة التاريخ الإسلامي، أحمد شلبي، 1/ 402، 406، ط 6، 1977م مكتبة النهضة المصرية، بتصرف.

(3) \_ ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، عبد الحليم عويس، ص: 45، ط 1، سنة 2010م الصحوة للنشر والتوزيع.

هو "علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي"<sup>(1)</sup>، وهذا ما أكده ابن حزم بقوله:

سما بي ساسان ودارا وبعدهم قريش العلى أعياصها والعنابس  
فما أخرت حرب مراتب سؤددى ولا قعدت بي عن ذرى المجد فارس<sup>(2)</sup>

أما عن ولادته، فقد ولد أبو مُحَمَّد بن حزم بقرطبة سنة 384هـ/994م، وعاش في الأندلس. ونشأ في تنعم ورفاهية، ورزق ذكاءً مفرباً، وذهناً سيالاً، وكُتُباً نفيسة كثيرة، وكان والده من كبراء أهل قرطبة؛ عمل الوزارة في الدولة العامرية التي حكمت الأندلس باسم الخليفة الأموي "هشام المؤيد"، وكذلك ورر أبو محمد في شبيبته، وكان قد مهّر أولاً في الأدب والأخبار والشعر، وفي المنطق وأجزاء الفلسفة، فأثرت فيه<sup>(3)</sup>.

وقد هيا له الله نساءً فضليات في القصر قمن على تربيته وتعليمه وقد قال ابن حزم في هذا الصدد: "وهن علمني القرآن، ورويني كثيراً من الأشعار، ودريني في الخط..."<sup>(4)</sup>، ثم بدأ يحضر مجالس والده الوزير، الذي كان يضم الأدباء والمفكرين والعلماء<sup>(5)</sup>، التي انعكست عليه إيجاباً بتكوين شخصية علمية متعددة المشارب.

لم تكن حياة ابن حزم كلها أفراح ومسرات وإنما لحقته المنغصات التي شكلت هي الأخرى جانباً من شخصيته، فمن الأحداث التي شهدتها ابن حزم زوال الدولة العامرية واستيلاء البربر على قرطبة عام 400هـ وتعاقب الفتن فيها؛ التي كانت سبباً في أذية أسرة ابن حزم. ومما زاد الأمر سوءاً لآل حزم وفاة الأخ الأكبر لابن حزم بالطاعون عام 401هـ، ثم وفاة أبيه عام 402هـ، ثم زوجته التي

(1) البداية والنهاية، ابن كثير 91/12.

(2) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، 246/1، إحسان عباس، الطبعة 1، 1960م، دار الثقافة، بيروت.

(3) سير أعلام النبلاء، الذهبي، 213-184/18.

(4) الرسائل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، 166/1، تحقيق إحسان عباس، الطبعة 2، سنة 1987، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

(5) ينظر: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي، 82/1، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي\_تونس.

فجع بموتها وكتبَ فيها مراثيه. كل ذلك ولم يبلغ العشرين من عمره حينها؛ وهذه الظروف جعلت ابن حزم يتحمل مسؤولية أسرته، وقد اضطر للنزوح إلى "المرية" عام 404هـ وكتب يصف حاله: "ما انتفعتُ بعيشٍ، ولا فارقتُ الإطراق والانغلاق منذ ذقت طعم فراق الأحبة... ولقد نغص تذكري ما مضى كلَّ عيشٍ أستأنفه. وإني لقتيل الهموم في عداد الأحياء، ودفين الأسمى بين أهل الدنيا"<sup>(1)</sup>.

هذا، وقد توفي ابن حزم -رحمه الله- عن عمر يناهز اثنتين وسبعين عاماً، حيث وافته المنية وهو مبعّد إلى بادية "لبلة" في الأندلس، عشية يوم الأحد لليلتين بقيتا من شعبان، سنة (456هـ)<sup>(2)</sup>. وفي رثائه لنفسه قال<sup>(3)</sup>:

كأنك بالزوار لي قد تبادروا	وقيل لهم أودى عليُّ بن أحمدٍ
فيا رُبَّ محزون هناك وضاحكٍ	وكم أدمعٍ تدرى وخذٍ مخدٍ
عفا الله عني يوم أرحل ظاعناً	عن الأهل محمولاً إلى ضيق ملحدٍ
وأترك ما قد كنت مغتبطاً به	وألقى الذي آنست منه بمرصدٍ
فوا راحتي إن كان زادي مقدماً	ويا نصبي إن كنتُ لم أتزودٍ

إن هذا الكم الهائل من المتغيرات والأحداث في المجتمع الأندلسي كانت سببا في شحذ قريحة ابن حزم وجعله ذو فكر وقاد، غزير العلم، موسعي النظرة، فلا تجد فنا إلا وقد طرقة وبرع فيه، وهذا ما شهد له علماء زمانه.

قال الحافظ الحميدي: "كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة متفنناً في علوم جمّة، عاملاً بعلمه زاهداً في الدنيا بعد الرئاسة التي كانت له ولأبيه من قبله في الوزارة وتديير الممالك، متواضعاً ذا فضائل جمّة وتواليف كثيرة في كل ما تحقق به من

(1) الرسائل، ابن حزم الأندلسي، 1/125.

(2) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، أبو القاسم ابن بشكوال 1/396، تحقيق: معروف بشار عواد، الطبعة 1، دار الغرب الإسلامي سنة 2010.

(3) ديوان ابن حزم الأندلسي، ابن حزم، ص:96، جمع وتحقيق ودراسة: صبحي رشاد عبد الله، الطبعة الأولى سنة 1410هـ\_1990م، دار الصحابة للتراث.

العلوم، وجمع من الكتب في علم الحديث والمصنفات والمسندات شيئاً كثيراً وسمع سماعاً جماً... وما رأينا مثله في ما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين"<sup>(1)</sup>.

وقال ابن العماد الحنبلي: "كان إليه المنتهى في الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل والنحل والعربية والآداب والمنطق والشعر مع الصدق والديانة والحشمة والسؤدد والرياسة والثروة وكثرة الكتب"<sup>(2)</sup>.

وقال أبو حامد الغزالي: "وجدت في أسماء الله الحسنى كتاباً لأبي محمد بن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه"<sup>(3)</sup>.

وقال أبو القاسم صاعد بن أحمد: "كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم، مع توسعه في علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار، أخبرني ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربعمئة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة"<sup>(4)</sup>.

وقال ابن خلكان: "كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة بعد أن كان شافعي المذهب فانتقل إلى مذهب أهل الظاهر وكان متفنناً في علوم جمة عاملاً بعلمه زاهداً في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله في الوزارة وتدير الملك متواضعاً ذا فضائل وتآليف كثيرة، وجمع من الكتب في علم الحديث والمصنفات والمسندات شيئاً كثيراً، وسمع سماعاً جماً، وألف في فقه الحديث كتاباً سماه كتاب الإيصال إلى الفهم، وكتاب الخصال الجامعة نحل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام والسنة والإجماع أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين رضي الله عنهم أجمعين، وله كتاب في مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض، وكتاب إظهار تبديل اليهود والنصارى التوراة والإنجيل وبيان ناقص ما بأيديهم من ذلك مما لا يحتمل التأويل وهذا معنى لم يسبق إليه، وكتاب التقريب بحد المنطق

(1) \_المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، الحميدي، (ترجمة ابن حزم)

(2) \_شذرات من الذهب في أخبار من ذهب، عبد العلي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي 299/3، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط،

ط1، سنة 1406هـ\_1986م دار ابن كثير.

(3) \_سير أعلام النبلاء، الذهبي، 187/18.

(4) \_المصدر نفسه.

والمدخل إليه بالألفاظ العامية، إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة، وكان له كتاب صغير سماه نقط العروس جمع فيه كل غريبة ونادرة"<sup>(1)</sup>.

وقال عنه صديق حسن خان: "كان متفنناً في علوم جملة عاملاً بعلمه زاهداً في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله في الوزارة وتديير الملك متواضعاً ذا فضائل جملة وتواليف كثيرة"<sup>(2)</sup>.

وقال ابن مفلح: "كان إليه المنتهى في الذكاء والحفظ وكثرة العلم وكان متفنناً في علوم جملة وله التصانيف الفاخرة في علوم شتى حتى في المنطق، وشرح المحلى في اثني عشر مجلداً، ومن طالع كتابه هذا وجد فيه تأدبه مع الإمام أحمد ومتابعته"<sup>(3)</sup>.

وقال العز بن عبدالسلام: ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل المحلى لابن حزم والمغني لابن قدامة"<sup>(4)</sup>.

وقال ابن بشكوال: كان أبو محمد أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والأخبار أخبر ولده أبو رافع الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربعمئة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة"<sup>(5)</sup>.

وقال عبدالواحد المراكشي: "نَبَدَ الوزارة واطرحها اختياراً، وأقبلَ على قراءة العلوم وتقييد الآثار والسنن، فنال من ذلك ما لم ينل أحد قبله بالأندلس، وكان على مذهب الإمام أبي عبد الله الشافعي أقام على ذلك زماناً ثم انتقل إلى القول بالظاهر وأفرط في ذلك حتى أربى على أبي سليمان

(1) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان؛ أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمي الإربلي، 3/325-330، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر 1972م، بيروت.

(2) أجد العلوم، الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق حسن خان القنوجي، 3/147-148، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1978م.

(3) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، تحقيق: عبد الرحمان بن سليمان العثيمين، 213/214، ط1، 1410هـ-1990م، مكتبة الرشد - الرياض.

(4) سير أعلام النبلاء، الذهبي 18/187.

(5) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ابن بشكوال، ص:395.

داود الظاهري وغيره من أهل الظاهر، وله مصنفات كثيرة جليلة القدر شريفة المقصد في أصول الفقه وفروعه على مهيعه الذي يسلكه ومذهبه الذي يتقلده وهو مذهب داود بن علي بن خلف الأصبهاني الظاهري ومن قال بقوله من أهل الظاهر ونفاة القياس والتعليل، بلغني عن غير واحد من علماء الأندلس أن مبلغ تصانيفه في الفقه والحديث والأصول والنحل والملل وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الأدب والرد على المخالفين له نحو من أربعمئة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة وهذا شيء ما علمناه لأحد ممن كان في مدة الإسلام قبله إلا لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري فإنه أكثر أهل الإسلام تصنيفاً فقد ذكر أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر الفرغاني في كتابه المعروف بالصلة وهو الذي وصل به تاريخ أبي جعفر الطبري الكبير أن قوماً من تلاميذ أبي جعفر لخصوا أيام حياته منذ بلغ الحلم إلى أن توفي في سنة 310 وهو ابن ست وثمانين سنة ثم قسموا عليها أوراق مصنفاته فصار لكل يوم أربع عشرة ورقة وهذا لا يتهيأ لمخلوق إلا بكريم عناية الباري تعالى وحسن تأييده له، ولأبي محمد بن حزم بعد هذا نصيب وافر من علم النحو واللغة وقسم صالح من قرض الشعر وصناعة الخطابة... وإنما أوردت هذه النبذة من أخبار هذا الرجل وإن كانت قاطعة للنسق مزيجة عن بعض الغرض لأنه أشهر علماء الأندلس اليوم وأكثرهم ذكراً في مجالس الرؤساء وعلى ألسنة العلماء وذلك لمخالفته مذهب مالك بالمغرب واستبداده بعلم الظاهر ولم يشتهر به قبله عندنا أحد ممن علمت وقد كثرت أهل مذهبه وأتباعه عندنا بالأندلس اليوم"<sup>(1)</sup>.

وقال جلال الدين السيوطي: "كان صاحب فنون وورع وزهد وإليه المنتهى في الذكاء والحفظ وسعة الدائرة في العلوم، أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم مع توسعه في علوم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار"<sup>(2)</sup>.

وقال عنه الذهبي: "الإمام الأوحدي، البحر، ذو الفنون والمعارف أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم"<sup>(1)</sup>.

(1) \_ المعجب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي (ص46-49) : تحقيق صلاح الدين الهواري، ط1، 1426هـ\_2006م، المكتبة العصرية صيدا\_بيروت\_.

(2) \_طبقات الحفاظ، جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، ص:435\_436، ط1، دار الكتب العلمية

وقال ابن كثير: "قرأ القرآن واشتغل بالعلوم النافعة الشرعية وبرز فيها وفاق أهل زمانه وصنف الكتب المشهورة يقال إنه صنف أربعمئة مجلد في قريب من ثمانين ألف ورقة وكان أديباً طبيباً شاعراً فصيحاً له في الطب والمنطق كتب وكان من بيت وزارة ورياسة ووجاهة ومال وثروة"<sup>(2)</sup>.

وقال الفيروز آبادي عنه: "إمام في الفنون، وزر هو بعد أبيه للمظفر وترك الوزارة وأقبل على التصنيف ونشر العلم..."<sup>(3)</sup>.

(1) سير أعلام النبلاء، الذهبي، 187/18.

(2) البداية والنهاية، ابن كثير 113/12.

(3) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ص: 146\_147، تحقيق محمد المصري، ط 1 1431 هـ. 2000 م، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.

## الفرع الثاني: فلسفته

اختلف الباحثون في إدراج انتاجات ابن حزم ذات الطابع الفلسفي في الحقل المعرفي الفلسفي، فذهب البعض إلى أن ابن حزم لم ينشئ فلسفة عقلية لأن التسليم بذلك يعارض ظاهرته، حتى انه عندما عرف الفلسفة لم يذكر إلا الجانب العملي منها، رغم كونه جاء بآراء فلسفية صحيحة، وأوجد نظاما فلسفيا في نظرية المعرفة ضاهى بها فطاحلة الفلاسفة؛ إلا أن ذلك لم يكن نابعا من شعور أووعي بما يقوم به<sup>(1)</sup>، ولهذا لا يعد في نظر هؤلاء فيلسوفا بالمعنى الدقيق للكلمة ولكن استخداماته وتطبيقاته الفلسفية تكشف عن إيديولوجية فلسفية، متجذرة في أعماله، كان يرى من الضروري على العالم الحق أن يكون على معرفة بالعلم والفلسفة<sup>(2)</sup>، وبالمقابل ذهب آخرون إلى عده من الفلاسفة<sup>(3)</sup>، فهو إلى جانب كونه عالما وشاعرا، فقيها ومنطقيا، ومتكلما فهو فيلسوف في آن واحد<sup>(4)</sup>، وعلى أية حال فنحن "إذا أتينا إلى الإمام الغزالي وابن حزم قبله، وإلى ابن رشد بعده، فإننا نرى أن ألتهم في الفلسفة كانت تامة او شبه تامة"<sup>(5)</sup>، ولذا فمن غير المعقول أن يتم ضم ابن حزم إلى دائرة الفلاسفة دون أن يكون له تعلم لمبادئها، واطلاع على ما كتبه أصحابها، وبعدئذ يمكنه أن يقدم إنتاجا فلسفيا ما. ومن ثمة فإن اطلاع أبي محمد على تراث الفلاسفة اليونان ثابت من خلال ما أورد عنهم في سائر كتبه وآثاره، كما أنه تلقى التعاليم الفلسفية والمنطقية على يد شيخه وأستاذه محمد بن الحسن المذحجي المعروف بابن الكتاني<sup>(6)</sup> (ت 420\_1030هـ). "والذي اشتهر بالتقدم في علوم كثيرة منها الطب والمنطق والكلام، وعنه اخذ ابن حزم المنطق والفلسفة"<sup>(7)</sup>، ولهذا نرى ابن حزم يذكره بإعزاز وافتخار مثنيا على تصانيفه معجبا بأرائه: "وأما الفلسفة فاني رأيت فيها...رسائل أستاذنا أبي عبد الله محمد بن الحسن المذحجي، مشهورة ومداولة وتامة الحسن

(1) تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، عمر فروخ، ص: 596، ط 1، دار العلم للملايين، 1966م \_ بتصرف.

(2) تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس محمد ابراهيم الفيومي، ص: 265\_267، ط 1، دار الجبل، 1997م، \_ بيروت. بتصرف

(3) لقب "الفيلسوف أطلقه جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، ص: 19، ط 1، 1987م، دار الطليعة، بيروت،

ومحمد أبو زهرة في كتابه ابن حزم، ص: 179...

(4) موسوعة أعلام الفلاسفة، روني أيلي ألفا، 16/1، مراجعة: جورج نخل، دار الكتب العلمية 1992 م، بيروت.

(5) تجديد في المسلمين لا في الإسلام، عمر فروخ، ص: 16، ط 2، دار الكتاب اللبناني، 1986م، \_ بيروت \_

(6) أشار إليه ابن حزم في الرسائل 315\_317\_318\_332

(7) جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الحميدي، ص: 35.

وفائقة الجودة وعظيمة المنفعة"<sup>(1)</sup>، إضافة إلى ذلك، اطلع ابن حزم على بعض الرسائل الفلسفية لسعيد بن فتحون الشهير بالحمار السرقسطي<sup>(2)</sup> وأما الفلسفة فاني رأيت فيها رسائل مجموعة وعيونا مؤلفة لسعيد السرقسطي المعروف بالحمار دالة على تمكنه من هذه الصناعة"<sup>(3)</sup>.

كما طالع كتب الحكماء ونفع بها منفعة عظيمة.<sup>(4)</sup>، يضاف إلى ذلك ما قرأه لأرسطو سواء في الفلسفة أو المنطق" والكتب التي جمعها أرسططاليس في حدود الكلام..<sup>(5)</sup>، وكتب أرسطو الثمانية في حدود المنطق"<sup>(6)</sup>، في حين مال آخرون إلى أن مطالعات ابن حزم لكتب الأوائل، وما احتوته من آراء وتصورات فلسفية وكلامية، ونقده لما تضمنته تلك الآثار، كان بمثابة الانعكاس الفكري، فأثر عليه؛ وكان بوابته للفلسفة ولهذا فإن "الأثر المنهجي الكلامي في فلسفة الكندي كان بوابته— أي ابن حزم — التي ولج منها إلى الفكر الفلسفي."<sup>(7)</sup>، ففي هذه الفقرة نلمس جانبا من حقيقة علميا تاريخيا، حيث نجد نقاط شبه عديدة بين الكندي وابن حزم : فالأول كان أول من روج للفلسفة بالمشرق، وكانت له محاولات التوفيق بين الدين والفلسفة ونشرها في الوسط الإسلامي المشرقي، وعلى هذا النهج صار ابن حزم في الأندلس، بل لعل "ابن حزم أول من تجرأ على تمجيد الفلسفة والتصريح بنفعها وثمرتها، كعلم ونهج غير مألوف، أو موثوق بالأندلس، فإلى جانب أنها كانت من الكبريت الأحمر وكان متعاطيا متهما بالزندقة، كان ابن حزم أول ممجد لها ولأستاذه محمد المذحجي بوصفه لرسائله الفلسفية بأنها ذات قيمة علمية كبيرة وعظيمة الفائدة"<sup>(8)</sup>.

(1). رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، ضمن الرسائل، ابن حزم، 185/2.

(2). هو سعيد بن محمد المعافري اللغوي، من أهل قرطبة، يكنى أبا عثمان، ويعرف بابن الحداد(1)، ولقبه بالحمار كل من "حاجي خليفة" صاحب كشف الظنون، و"بروكلمان" في تاريخ الأدب العربي. لقب بالحمار، قالوا: لصبره في الحرب، وكان شجاعا صاحب دهاء ومكر. (الترجمة العربية، بروكلمان 3 / 281، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة)

(3). رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، ضمن الرسائل، ابن حزم، 185/2.

(4). الرسائل، ابن حزم، 98/4

(5). الفصل، ابن حزم، 301/1.

(6). الرسائل، ابن حزم 98/4.

(7). نظرية الوجود لدى ابن حزم، عبد الراضي محمد عبد المحسن، ص: 24، ط1، 2006م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات \_ الرياض.

(8). الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف، سعد البشري، ص: 437-442، ط1، 1993م، طبع مركز الملك فيصل، \_ الرياض.

مهما يكن من أمر فإن ابن حزم قد توقد ذهنه وسالت قريحته في دراسة العلوم الفلسفية والمنطقية، وهي التي مهدت له تحكيم العقل في بعض المجالات، وتجاوز بذلك موقفه الظاهري الذي حرص عليه في باب التشريع خاصة، في حين غلب عليه المنحى المنطقي والفلسفي في بعض أبواب الإلهيات والطبيعات حتى أتهم من خصومه بأن فساد تفكيره وتخليطه في عرض القضايا سببه مطالعته لكتب الفلاسفة، قائلين له: "وما نرى هذه الأمور إلا من تعويلك على كتب الأوائل والدهرية، وأصحاب المنطق وكتب إقليدس والمجسطي وغيرهم من الملحدين"<sup>(1)</sup>.

بالرغم ما قيل عن ابن حزم في تبخيس جهوده في المجال الفلسفي إلا أنه سيظل فيلسوفاً ثاقب النظر، موسوعي النظر، فريد الطراز...

إن من الأمور التي تطرق إليها ابن حزم وخاض فيها بالمنهج العقلي الفلسفي قضية النفس وعلاقتها بالحياة.

إعتبرت مسألة النفس ضمن أهم المشاكل الميتافيزيقية العويصة التي شغلت بال الفلاسفة والعلماء قديماً وحديثاً. وقد ذكر الأشعري أن "الناس اختلفوا في الروح والنفس والحياة وهل الروح هي الحياة أم غيرها؟ وهل الروح جسم أم لا؟"<sup>(2)</sup> كما أشار شهاب الدين القسطلاني (ت 923هـ/1517م) إلى أن هذه المسألة قد كثر حولها اختلاف العلماء والحكماء قديماً وحديثاً، وأطلقوا أعنة النظر وخاضوا في غمرات ماهية الروح<sup>(3)</sup>، وتشير الأبحاث إلى أن أرسطو رفض موقف أفلاطون، وأنكر استقلالية النفس عن البدن، لأن الإنسان جوهر واحد الجسد مادته والنفس صورته، بحيث لا ينفصل أحدهما عن الآخر "فالنفس جوهر بمعنى صورة، أي ماهية جسم ذي

(1) البداية والنهاية، ابن كثير، 92/12.

(2) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، 28/1، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط 1، 1940، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

(3) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد الشافعي القسطلاني، (1/219)\_(7/213)، ط 7، 1323هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

صفة معينة"<sup>(1)</sup>، في حين اعتبرت الأفلاطونية المحدثة النفس أساساً لنظرية الفيض والصدور، ولعلها أكثر المذاهب أثراً في العالم لإسلامي<sup>(2)</sup>، وأما عند فلاسفة الإسلام فقد ذهب الكندي<sup>(3)</sup>، إلى أن النفس مستقلة عن البدن باعتبارها جوهرًا روحياً بسيطاً، وهو من جوهر الله تعالى، وإذا فارقت البدن إنكشفت لها الأشياء.

وإلى مثل ذلك ذهب أكثر الفلاسفة الإلهيين، من أن النفس جوهر روحاني خالص، منفصل عن البدن ومتميز عنه، وأنها تدرك وتعقل المفاهيم الكلية والعامّة.<sup>(4)</sup> بينما ذهب العلاف والأشعري والباقلاني، إلى أن الروح عرض مكونة من جوهر مادي، وهذا بناء على مذهبهم القائل بالجوهر الفرد، وأن الله يخلق الأجسام وأرواحها التي هي عرض لها، خلقاً مستمراً بلا انقطاع وذلك لأن العالم لديهم مؤلف من جواهر وأعراض لا تستمر آيين، وهكذا تُخلق النفس مثل الذرات وتندم في كل آن باستمرار. في حين ذهبت طائفة أخرى إلى أن النفس جسم طويل عريض عميق ذو مكان، وأنها تنفذ في الجسد نفاذ ماء الورد في جسم الورد، وهو رأي أكثر المتكلمين. أما جالينوس فمال إلى أن النفس مزاج متولد عن العناصر الأربعة وأنها خليط من الماء والتراب والنار والهواء. وبالمقابل أنكر ابن كيسان الأصم وجود النفس معتبراً أن النفس أو الروح ليست إلا هذا الجسد، ولا وجود لشيء آخر غيره، مدعيًا أنه لا يعرف إلا ما يشاهده بحواسه.<sup>(5)</sup> وكل هذه الآراء أشار إليها أبو محمد، وعرض لأدلتها<sup>(6)</sup> متسائلاً عن ماهية النفس وحقيقتها<sup>(7)</sup> وعن سبب عجزها عن معرفة حقائقها وأسرار ذاتها، وجهلها بنفسها على الرغم من توغلها في معرفة تاريخ الأمم الغابرة، "فهي لاتعرف حقيقة

(1) النفس، أرسطو، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني، مراجعة: جورج قنواتي، ك، 2، ف، 412، ب، 10، ص: 43، ط 2، 1962م، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

(2) نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام، علي سامي النشار، ص: 288-297، دارالنهضة العربية، ط 1966، طبع لجنة التأليف والنشر، القاهرة.

(3) الرسائل الفلسفية، الكندي، ص: 271-272، حققها وأخرجها محمد عبد الهادي أبو ريذة، ملتزم بالطبع والنشر دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد بمصر 1369هـ\_1950م.

(4) كالفارابي وابن سينا والغزالي ومسكويه وغيرهم: ينظر: الله والإنسان والعالم في الفكر الإسلامي، محمد جلال شرف، ص: 254، ط 1980، دار النهضة العربية بيروت.

(5) مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، 2/28-30، بتصرف.

(6) ينظر: الفصل، ابن حزم، 3/214.

(7) ينظر: الرسائل، ابن حزم، 4/312.

ذاتها، ولا محلها من الجسد، ولا تحريكها للأعضاء الجسدية ولا تتذكر أين كانت قبل حلولها من الجسد ولا من أين أقبلت... فيالك برهانا على عجز المخلوق ومهانتة وضعفه." (1)

كما عالج أبو محمد مبحث النفس من خلال منهجه المعهود، والقائم على بسط آراء المخالفين أولاً، ثم تنفيذها مع بيان رأيه المدعم بالأدلة والبراهين النقلية والعقلية.

أ- الدليل النقلية: إنتقد أبو محمد، ابن كيسان الأصم الذي أنكر وجود شيء إسمه النفس ولم يعترف إلابوجود الجسد. وقد أثبت ابن حزم وجود النفس لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمَلَائِكَةُ فِي عَمَزَاتٍ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ (2) "فصح أن النفس موجودة وأنها غير الجسد، وأنها الخارجة عند الموت" (3).

ب- الدليل العقلي: فإننا نلاحظ أي إنسان، يريد التفكير في حل مسألة عويصة، أو تذكر صورة ماضية يتخلى عن جسده معتمدا على نفسه فقط، بدليل أن هذا الشخص لا يشعر ولا يرى ولا يسمع من يحيطون به لإنشغاله بعملية التفكير أو التذكر، وحينئذ يكون رأيه وفكره أصفى وأكمل، "فصح أن الفعال العالم الذاكر المدبرالمريد هو غير الجسد، وأن الجسد موات فبطل قول ابن كيسان." (4) ثم شرع في الرد على جالينوس، رافضا فكرته القائمة على أن النفس مزاج، لأن هذا القول في نظره يعني أن العناصر الأربعة والتي هي موات، تساهم في تركيب الجسد، فإذا اجتمعت قام منها حي، وهذا ممتنع محال. "وأیضا فإن هذه العناصر الأربعة...كلها موات بطبيعتها، ومن الباطل الممتنع والمحال الذي لا يجوز البتة أن يجمع موات وموات وموات وموات فيقوم منها حي." (5) إضافة إلى تنفيده رأي القائلين بأن النفس عرض، وأنها هي الهواء الداخل الخارج الذي يتنفسه الإنسان حيث يستدل أبو محمد على إبطاله بقوله تعالى: ﴿اللَّائِي تَرَوْهُوَ الْأَنْفُسَ حَيْرَ مَوْتَهَا وَالتَّوَلَّىٰ لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا

(1). رسالة في معرفة النفس بغيرها وجهلها بذاتها، ابن حزم، ضمن الرسائل، 445/1\_446.

(2). سورة الأنعام، الآية: 93.

(3). الفصل، ابن حزم، 214/3.

(4). المصدر نفسه، 215/3.

(5). الفصل، ابن حزم، 216/3.

فيمسك التمر قضم عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى<sup>(1)</sup>، وهذا يعني أن العرض لا يمكن أن يتوفى، فيفارق الجسم الحامل له، ويبقى كذلك ثم يرد بعضه ويمسك بعضه، فهذا غير ممكن" ولا يمكن أن يظن ذو مسكة من عقل أن الهواء الداخل والخارج هو المتوفى عند النوم، وكيف ذلك، هو باق في حال النوم كما كان في حال اليقظة ولا فرق.<sup>(2)</sup> وأما النسيم الذي ذكره، فإنه يلزم عقليا من القول بأن النفس عرض أن تبدل نفس الإنسان ألف ألف نفس كل ساعة، لأن العرض عند هؤلاء لا يبقى وقتين، بل يتغير كل لحظة فيفنى ويتجدد عندهم أبدا. فروح الإنسان الآن ليست كروحه من قبل ولن تكون هي ذاتها من بعد." فالإنسان يبدل على قول الأشعرية أنفسا كثيرة في كل وقت، ونفسه الآن غير نفسه آنفا، وهذا حمق لاخفاء فيه.<sup>(3)</sup> كما أنه يرفض أن تكون النفس جوهرًا غير مادي ويرفض أن يكون الجوهر شيئًا غير جسي. "وذهب جمهور الأوائل والمتأخرون إلى إثبات شيء يسمونه جوهرًا ليس بجسم ولا بعرض وحده عندهم بالذات، غير قابل للمتضادات، قائم بنفسه لامتحرك ولا متمكن ولا طول له... ولا يتجزأ، وهذا شيء لا يقوم عندنا في الوهم."<sup>(4)</sup> أما الجوهر عند أبي محمد فجسم قابل للمتضادات "ورسم الجوهر هو أن نقول": إنه القائم بنفسه القابل للمتضادات، فإن النفس قائمة بنفسها تقبل العلم والجهل والشجاعة والجبن... وسائر المتضادات..."<sup>(5)</sup>.

إن منهج الذي خاض به ابن حزم في موضوع النفس وغيرها من المواضيع؛ تشهد مدى إطلاعه على توجهات فلاسفة الإغريق كما فيتاغورس، وأرسطو، وأفلاطون،... وتظهر أيضا مدى توقده فكره في معالجة إشكالات ميتافيزيقيا.

(1) \_ سورة الزمر، الآية: 42.

(2) \_ الفصل، ابن حزم، 216/3.

(3) \_ المصدر نفسه، 217/3.

(4) \_ حجة الوداع، ابن حزم، ص: 148، تحقيق: ممدوح حقي، ط 3، دار النهضة العربية 1996، بيروت.

(5) \_ الرسائل، ابن حزم، 145/4.

### الفرع الثالث: حواراته

كان من نتائج التعايش الطبيعي والدائم بين معتنقي الأديان السماوية الثلاث في الأندلس: أن المناظرات كانت وافرة جدًا بين المسلمين من جهة، واليهود والمسيحيين من جهة ثانية، وقد طالت هذه المناظرات مجال العقيدة بشكل خاص.<sup>(1)</sup>

وقد ظلت رقعة هذه المحاورات والمناظرات تتسع من قرنٍ إلى قرن، مع تفتق الحضارة الإسلامية في الأندلس - من جانب - وتوجس الأقليات اليهودية والمسيحية على خصوصيتها مع انتشار الإسلام، من جانب آخر.

لقد "شهدت قصورُ الأمويين، والعامريين (138 - 422هـ)، والطوائف (422 - 479هـ) ألوانًا من هذه المساجلات، قامت بين شعراء وأدباء؛ كابن العريف، وابن شهيد، والزبيدي، والقسطلبي، والطبني، وأبي العلاء صاعد"<sup>(2)</sup>، وقد صارت قصصها ووقائعها مادة طيبة لحركة الفكر الأندلسي.

وكانت هناك مساجلات أخرى الغرض منها الانتصار للرأي، ومقارعة الخصوم، سواء من خارج الدين الإسلامي أو من داخله، من أصحاب المذاهب الفقهية والكلامية الأخرى، ومساجلات ابن حزم، من أشهر المساجلات التي تعكس هذا النوع من المبارزة الفكرية، التي تُعقد لها المجالس، ويحضرها المثقفون من مؤيدين ومعارضين.

ولم يكن مجال هذه المناظرات التنافس والكسب فقط، كما أنها لم تكن لمجرد التسلية؛ وإنما كانت أسلوبًا من أساليب امتحان القدرة الفكرية والفنية، والظريف من هذه الامتحانات هي تلك التي يقوم بها العلماء بعضهم لبعض في المجالس العلنية، ويترك الأمر لنتائج هذه الامتحانات لمنح الألقاب العلمية، وقد كان لبعض المناظرات أثرٌ عظيم في تقرير مصير العلماء.<sup>(3)</sup>، وكانت هذه

(1) ينظر: مشروعية سكنى المسلمين في أرض استعادها المسيحيون، عبدالمجيد تركي، مجلة الاجتهاد، عدد 28، بيروت.

(2) ابن حزم صورة أندلسية، طه الحاجري، ص: 53، طبع ونشر: دار الفكر العربي، القاهرة.

(3) مقال: العلاقات بين العلماء، وديعة طه النجم، ص: 252\_257، عالم الفكر عدد 1، مجلد أبريل سنة 1970م.

المحاورات تقوم على أسس علمية رصينة، في أغلب الأحيان، يؤكد هذا ما قيل من أن متكلمي اجتماعا، فقال أحدهما: هل لك في المناظرة؟ قال: على شرائط: ألا تغضب، ولا تعجب، ولا تشغب، ولا تحكم، ولا تُقبل على غيري وأنا أكلمك، ولا تجعل الدعوى دليلاً، ولا تجوّز لنفسك تأويل آية إلا جوّزت لي تأويل مثلها، وعلى أن تُؤثّر التصادق، وتنقاد للتعارف، وعلى أن كلّاً منا يبني مناظرته على أن الحقّ ضالّته، والرشد غايته<sup>(1)</sup>

وكان القرن الخامس للهجرة في شبه الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا)، هو القرن الذي تألق فيه ابن حزم، وانبرى فيه للمناظرات مع ابن النغريلة (ويدعى صموئيل)، ثم ابنه يوسف.

لقد بدء ابن حزم سجالاته في البداية بإدانته لحكام قرطبة في تنصيصهم ابن النغريلة في منصب حساس في الدولة، ثم بعد ذلك اقتصرت حواراته وجدالته على أمور العقائد.<sup>(2)</sup>

"وقد توافرت لابن حزم في هذا السبيل أدوات البحث، فقد ناظر كثيراً من اليهود والنصارى، وكان له معهم مجالس محفوظة، وأخبار مكتوبة"<sup>(3)</sup>، "واطّلع على كتبهم، وعاشرهم عن كثب، وقد شحذ همّة ابن حزم لدراسة اليهودية، ومناقشتها بصفة خاصة: أنه عاصر ظروفًا بلغ فيها اليهود وتطاولهم على المسلمين في الأندلس حدًا لا يطيقه مسلمٌ غيور كابن حزم، وكان ذلك في الربع الثاني من القرن الخامس للهجرة"<sup>(4)</sup>.

ففي هذا الجو المشحون بالصراع، والذي يأخذ فيه كل فريق عدّته في البحث، ناقش ابن حزم اليهودية، وكتب فيها فصولاً في موسوعته "الفصل"، ثم أفرد رسالة في الردّ على اليهودي "يوسف بن النغريلة"، عرّفَتْ باسم "الرد على ابن النغريلة"، وقد كتب ابن النغريلة هو الآخر رداً على ابن حزم.

(1) المصدر نفسه.

(2) ينظر: مشروعية سكنى المسلمين في أرض استعادها المسيحيون، عبدالمجيد تركي.

(3) النخبة، ابن بسام 1/143.

(4) مقدمة إحسان عباس: الرد على ابن النغريلة، ص18، دار العروبة، 1960م، القاهرة.

"قام ابن حزم الأندلسي بدراسة العهد القديم عموماً، والأسفار الخمسة خصوصاً دراسة تحليلية نقدية، موظفاً فيها أسلوبه المنهجي الرصين"<sup>(1)</sup>، والذي أسس على ركزتين: نقد داخلي وخارجي<sup>(2)</sup>. فهو قام بدراسة نص التوراة ذاتها، والتعامل مع المعطيات المباشرة لهذا النص، بموضوعية بعيداً عن التعصب الأيديولوجي، والخلفية الإسلامية.

فالقاعدة التي وضفها ابن حزم في النقد والتمحيص واضحة أقرب إلى الحقيقة البديهية التي لا تختلف العقول حولها<sup>(3)</sup>، "وشرع يمحص وينقد سلسلة الرواة والذين نقلوها مع بيان حالهم، والظروف الداخلية التي مروا بها، وبيان ما كانوا عليه من كفر وردة"<sup>(4)</sup>.

"وقد أعد ابن حزم نفسه جيداً لتطبيق منهجه على نص التوراة التي كانت موجودة في أيدي يهود الأندلس على عصره، فقام بجمع ما أمكن من نسخ التوراة التي كانت مترجمة إلى العربية، وكذلك كتب الأنبياء الأخرى، والشروح، والتعليقات عليها، وإطلع على تاريخ اليهود السياسي والديني، ومع الإمام الكافي بجغرافية بلادهم، وكان كثيراً الإستفسار عن معنى غامض، أو مهم من علماء اليهود وكان يدخل مع بعضهم أحياناً في مناقشات شفهوية"<sup>(5)</sup>، فكتبه شاهدة على نشاطه في مجال المحاورات والمناظرات مع أصحاب الملل والنحل، من بين هذه الرسائل والكتب: رسالة يرد فيها على ابن النغيلة اليهودي؛ وقد إستهل ابن حزم في رسالته هذه بوصف الحالة التي آلت إليها الأندلس من ضعف وتفكك وفرقة فيقول: "اللهم إنا نشكوا إليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملتنا بدنياهم عن إقامة دينهم، وبعمارة قصور يتركونها عما قريب عن عمارة شريعتهم اللازمة لهم في معادهم ودار قرارهم، وبجمع أموال ربما كانت سبباً إلى إنقراض أعمارهم وعونا لأعدائهم عليهم، وعن حياطة ملتهم التي بها عزوا في عاجلتهم وبها يرجون الفوز في آجلتهم حتى إستشرق لذلك أهل القلة والذمة،

(1) منيخ نقد النص بين ابن حزم الأندلسي وإسبينوزا، محمد عبد الله الشرقاوي، ص: 19، كلية دار العلوم جامعة، دت، القاهرة.  
(2) منيخ النقد التاريخي عن ابن حزم نموذج من نقد التوراة اليهود، حامد الطاهر، ص: 611 حولية، العدد السادس، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الدوحة، 1408 هـ - 1988 م، بتصرف.  
(3) منيخ نقد النص بين ابن حزم الأندلسي وإسبينوزا، محمد عبد الله الشرقاوي، ص: 20.  
(4) "ابن حزم الأندلسي رائد الدراسات النقدية للتوراة"، أحمد الديبو، ص: 464، مج 23، العدد الثاني، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية سنة، 1428 هـ - 2007 م، سوريا، بتصرف.  
(5) منيخ النقد التاريخي عن ابن حزم نموذج من نقد التوراة اليهود، حامد الطاهر، ص: 612.

وإنطلقت ألسنة الكفر والشرك بما لو حقق النظر أرباب الدنيا لا اهتموا بذلك ضعف همنا، لأنهم مشاركون لنا فيما يلزم الجميع من الإمتعاض للديانة الزهراء والحمية للملة الغراء"<sup>(1)</sup>

واستمر ابن حزم في التحذير من التهاون في أمر أعداء الدين خاصة، "إن كان العدو من عصابة لا تحسن إلا الخبث مع مهانة الظاهر فيأنس المفتر إلى الضعف البادي، وتحت ذاك الختل والفتر والكيد والمكر، كاليهود الذين لا يحسنون شيئاً من الحيل، ولا آتاهم الله شيئاً من أسباب القوة وإنما شأنهم الغش، والتخابث والسرقعة على التطاول والخضوع مع شدة العداوة لله تعالى ولرسوله ﷺ"<sup>(2)</sup>، وتطرق ابن حزم إلى إغترار ابن النغريلة بالمنصب السياسي الذي كان يتمتع به حيث كان يشغل منصب وزير في دولة باديس بغرناطة مع ما توفر له من جاه وكثرة أموال<sup>(3)</sup>.

"وقد حكم ابن حزم على ابن النغريلة اليهودي بإباحة دمه وماله وأهله، وهذا بسبب ما أثاره هذا اليهودي من مسائل في كتابه الذي تطاول به على القرآن الكريم وذلك بإدعائه وجود تناقض فيه"<sup>(4)</sup>، يقول ابن حزم: "هذا الخسيس الزنديق المستبطن مذهب الدهرية في باطنه، المتكفن بتابوت اليهودية في ظاهره، حق الواجب عليه من سفك الدماء وإستيفاء ماله وسبي نسائه وولده، لتقدمه طوره وخلعه الصغار عن عنقه، وبرائته من الذمة الحاقنة دمه، المانعة من ماله وأهله"<sup>(5)</sup>.

قلت: إن إستباحة ابن حزم لدماء ابن النغريلة يوقعه في مخالفة أدبيات الحوار والمجادلة التي أصلها القرآن ووضع لها قاعدة: الجدل بالتي أحسن، فلربما كان دافع ابن حزم هي غبطته من النغريلة كونه تسلق في مناصب الدولة ودنوه من الأمراء، فهذا الأمر فقد ابن حزم بموت أبيه الذي كان من أعيان الدولة، ومنه قلنا إن الخلاف التي دارت رحاها بين ابن حزم وابن النغريلة؛ هو خلاف سياسي من الدرجة الأولى، فلو اقتصر الأمر على ما هو ديني وعلمي لما سلك ابن حزم هذا الأسلوب

(1) رسائل ابن حزم الأندلسي، ابن حزم، ج3، ص:41

(2) الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس، خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، ص:229، \_بتصرف\_

(3) رسالة ابن حزم الأندلسي في الرد على ابن النغريلة اليهودي، أحسن لحسانة، ص:70، ط 1، 1432 هـ - 2011م دار ابن حزم، لبنان\_

(4) المصدر نفسه، ص:69.

(5) رسائل ابن حزم الأندلسي، ابن حزم، ج3، ص:42\_43.

فهو المعروف بالموسوعية وقوة الدليل التي يقارع بها أدلة الخصوم، ويصغرها بقوة البرهان، فلا يحتاج إلى سلك هذا الأسلوب المليء بالتهديدات، البعيدة عن منهج النبوة وفطرة الإسلام.

وبعد أن ذكر ابن حزم بعضا من صفات ابن النغيلة شرع في الرد على شبهاته الثمانية التي أوردتها في رسالته وهي:

### الإعتراض الأول:

إن أول اعتراض رد عليه ابن حزم كان موضوع الآية الكريمة: ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾<sup>(1)</sup> قال ابن حزم: "قال هذا المائق الجاهل: فأنكر في هذه الآية تقسيم القائلين بأن ما أصابهم من حسنة فمن الله وما أصابهم من سيئة فمن عند محمد، وأخبر أن كل ذلك من عند الله، قال: ثم قال في آخر هذه الآية: ﴿مِمَّا أَصَابَكُمْ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِمَّا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكُمْ﴾، قال هذا الزنديق الجاهل، فعاد مصوبا لقولهم ومضادا لما قدم في أول الآية"<sup>(2)</sup>

"فرد عليه ابن حزم بأن الله تعالى ذكر في الآية الأولى أن ما يصيب الكفار من حسنة أو شر فمن الله تعالى، وليس منه ﷺ كما يدعي الكفار، ثم عاد فصحح قوله كما يفترى اليهودي بأن الذي يصيب الكفار من شر فمن النبي ﷺ، والحقيقة أن جهة الخطاب منفكة بين الآيتين، لأن الآية الأولى الخطاب فيها موجه للكفار، وتبين لهم أنه لا يقع شيء في الوجود من خير أو شر إلا بإرادته عز وجل أما الآية الثانية فالخطاب موجه إلى النبي ﷺ وتبين مسئولية الإنسان الفردية عن أفعاله"<sup>(3)</sup>.

### الإعتراض الثاني:

وكان مما إعترض به أيضا أن ذكر قول الله تعالى: ﴿أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْشَاهَا لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضَحْلَهَا وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ حَالَهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾<sup>(4)</sup>، قال: فذكر في هذه الآية أن دحو الأرض وإخراج الماء والمرعى منها كان بعد رفع سمك السماء وبعد

(1) سورة النساء، الآية: 78.

(2) رسائل ابن حزم الأندلسي، ابن حزم، ج3، ص: 43.

(3) الجدل الديني، خالد السيوطي، ص: 231، بتصرف.

(4) سورة النازعات، الآيات: 27\_32.

بنائها وتسويتها وإحكام ليلها ونهارها، ثم قال : في آية أخرى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَاءَ الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ أَلْمَ السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(1)</sup>، قال : فذكر في هذه الآية ضد ما في الأولى، وذلك أن هذه التسوية للسماء كانت بعد خلق ما في الأرض<sup>(2)</sup>.

وكان رد ابن حزم عن هذا الاعتراض بأن "الله تعالى بني السماء ورفع سمكها وأحكم الدور الذي به يظهر الليل والنهار، وأنه بعد ذلك أخرج ماء الأرض ومرعاها وأرسي الجبال فيها، وهذا هو مضمون الآية الأولى، أما الآية الثانية فذكر فيها عز وجل وعلى أن تسويته للسموات سبعا وتفريقه بين تلك الطرائق السبع التي هي مدار الكواكب المتحيرة والقمر والشمس كان بعد خلقه كل ما في الأرض، ويؤكد ابن حزم على وجوب التفريق بين سوي السماء ورفع سمكها، وبين سواهن سبع سماوات، وإنما أخبر تعالى أن تسوية السماء جملة وإختراعها كان قبل دحو الأرض، وأن دحو الأرض كان قبل أن تقسم السماء على طرائق الكواكب السبع، فالآيتان متفقتان يصدق بعضها بعضا"<sup>(3)</sup> ثم يورد ابن حزم ما تحويه التوراة من تناقض فيقول: "إن الله تعالى خلق إنسان مثله، ولم يكن انفرد عنه تعالى إلا بشيئين : علم الشر والخير، ودوام الخلود والحياة، وأن آدام صلوات الله وسلامه عليه أكل من الشجرة التي فيها علم الخير والشر، فلما خالفه عظم ذلك عليه، قال : هذا آدم أكل من الشجرة التي بها يكون علم الخير والشر فساوانا في ذلك، فإن أكل من شجرة الحياة حصل على الخلد فكان مثلنا لا فضل لنا عليه، فجعل يخرج من الجنة وفي يده سيف يزود به عن شجرة الحياة"<sup>(4)</sup>.

### الاعتراض الثالث:

ومما إعترض به أيضا قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ تَكْفُورٌ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ إلى منتهي قوله في الآية نفسها: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعٍ لَّيْلٍ مِّمَّا سَوَّاهُ لِلْسَّائِلِينَ﴾<sup>(5)</sup>، قال: " فذكر في هذه الآية خلق الأرض في يومين وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام، فهذه ستة أيام، ثم ذكر قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ

(1). سورة البقرة، الآية: 29

(2). رسائل ابن حزم الأندلسي، ابن حزم، ج 3، ص 46

(3). رسالة ابن حزم الأندلسي في الرد على ابن النغريلة اليهودي، أحسن لحسانة، ص: 74\_75.

(4). رسائل ابن حزم الأندلسي، ابن حزم، ج 3، ص: 47.

(5). سورة فصلت، الآيتان: 9\_10.

إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ كَخَانَ ﴿١﴾ إِلَى مُنْتَهَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمٍ مَبِينٍ﴾<sup>(1)</sup>، ثم ذكر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾<sup>(2)(3)</sup>.

ذهب ابن النغريلة بأن مجموع الآيات يفيد أن خلق السموات والأرض قد تم في ثمانية أيام "وجاء رد ابن حزم سهلاً وواضحاً وهو أن الله تعالى خلق الأرض في يومين، وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام، واليومان اللذان خلق فيهما السموات تمت في يومين من الأيام الأربعة التي قدر فيها تعالى أقوات الأرض، وليس هذا معضلاً لله تعالى، وبذلك يكون مجموع خلق السموات والأرض ستة أيام ومن المعروف أن اليوم المقصود في هذه الآيات ليس يوماً مساوياً لليوم المعروف على الأرض، الذي يقدر بأربعة وعشرين ساعة، وإنما هو حقبة زمنية لا يعلمها إلا الله، خاصة حيث يقول في كتابه العزيز: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾<sup>(4)</sup>، وفي آية أخرى ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾<sup>(5)</sup>، وهذا يدل على أن المقصود من اليوم معنى مجازي فالزمن نسبي يختلف باختلاف الأماكن في الكون الفسيح"<sup>(6)</sup>.

#### الإعتراض الرابع:

"ثم ذكر هذا الخسيس الجاهل ابن النغريلة قول الله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْصِقُونَ وَلَا يُؤْمِنُونَ لَكُمْ فَيَعْتَكِرُونَ﴾<sup>(7)</sup>، ثم قال في آية أخرى: ﴿يَوْمَ تَأْتِيكُمْ كُلُّ نَفْسٍ بِجَاسِرٍ لَهَا عَرِثًا نَفْسًا﴾<sup>(8)</sup>، قال: وهذا تناقض عظيم"<sup>(9)</sup>.

رد ابن حزم على الإعتراض بوجهين مختلفين:

"الوجه الأول: إقتصر في الوجه الأول بالنقل عن العلماء المتقدمين في توجيه معنى الآية من أن المنع من النطق المذكور في الآية، إنما هو في بعض مواقف يوم القيامة، وأن الجدل المذكور في الآية

(1) سورة فصلت، الآيتان: 11\_12.

(2) سورة ق، الآية: 38.

(3) رسائل ابن حزم الأندلسي، ابن حزم، ج 3، ص: 47.

(4) سورة الحج، الآية: 47.

(5) سورة المعارج، الآية: 4.

(6) ينظر: الجدل الديني، خالد السيوطي، ص: 234.

(7) سورة المرسلات، الآيتان: 35\_36.

(8) سورة يس، الآية: 65.

(9) ابن حزم الأندلسي، ابن حزم، ج 3، ص: 49.

الأخرى هو موقف آخر مما يتلو ذلك اليوم نفسه، ويستنتج ابن حزم من الآية أن اليوم الذي لا ينطقون فيه بعذر، إنما هو يوم إدخالهم النار، وهو أول اليوم التالي ليوم القيامة الذي هو يوم الحساب، وهو أيضا يوم جدال كل نفس عن نفسها.

الوجه الثاني: إعتبر ابن حزم أن النطق المنفي عنهم في الآية الأولى والمعدرة التي لم يؤذن لهم فيها، إنما ذلك فيما عصوا فيه خالقهم تعالى، كما جاء في قوله: ﴿وَتَكَلَّمْنَا أَيُّدِيَهُمْ وَتَشَقَّذُ أَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(1)</sup>، فلا عذر لكافر ولا لعاص ولا كلام لهم، وأما الجدل الذي ذكر الله تعالى حينئذ لكل نفس عن نفسها، فإنما هو في طلب الناس مظالمهم بعضهم من بعض، لأن جل وعلا لا يضيع شيئا<sup>(2)</sup>.

#### الاعتراض الخامس:

وفي الاعتراض الخامس قال: "ثم ذكر هذا الزنديق الجاهل قول الله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَرْشُهُ مِنْهُمْ وَلَا جِبَانُ﴾<sup>(3)</sup>، ثم قال في آية أخرى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الْكَافِرَ أَن سَأَلِ الْيَهُودَ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(4)</sup>، قال وهذا تناقض<sup>(5)</sup>.

وبنفس الطريقة والأسلوب، فند ابن حزم أقوال ابن النغيلة بشأن الآية الكريمة، فيقول: "لو فهم هذا المائق الجاهل أدنى فهم لم يجعل هذا تعارضا، أما قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ يُسْأَلُ عَرْشُهُ مِنْهُمْ وَلَا جِبَانُ﴾، فإن ما بعد هذه الآية متصلا بها قوله تعالى: ﴿فَبِأَىِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤَخِّدُهُمْ فِي الْوَأْوَاهِمْ وَالْأَقْفَامِ فَبِأَىِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَكُفُّونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتِ فَبِأَىِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾<sup>(6)</sup>، فصح بهذا النص أن هذا إنما هو في حين إيرادهم جهنم التي هي، إن شاء الله دار هذا الخسيس ذي الظهارة اليهودية والبطانة

(1) سورة يس، الآية: 65.

(2) رسائل ابن حزم الأندلسي، ابن حزم، ج 3، 49.

(3) سورة الرحمان، الآية: 39.

(4) سورة الأعراف، الآية: 6.

(5) رسائل ابن حزم الأندلسي، ابن حزم، ج 3، 50.

(6) سورة الرحمان، الآيات: 40-45.

الدهرية" (1)، وأما في قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الْكَبِيرَ أَرْسِيًّا إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ (2)، فإنما ذلك في أول وقوفهم يوم البعث وحين المسألة والحساب، فارتفع التناقض الذي لا مدخل له في شيء من القرآن ولا في كلام النبي ﷺ " (3).

ويقول ابن حزم رحمه الله: " لكن هذا الوقح المجنون ولو تدبر ما في كذبهم المفتريالذي يسمونه (التوراة) في السفر الثاني منه أن الله تعالى قال لموسى بن عمران: إني أرى هذه الأمة قاسية الرقاب، دعني لأعقب غضبي عليهم لأهلكهم وأقدمك على أمة عظيمة، ثم ذكروا أن موسى دعا ربه وقال في دعائه: تذكر إبراهيم وإسرائيل وإسحاق عبيدك الذين حلفت لهم بذلك، وقلت لهم سأكثر ذريتكم حتى تكونوا كنجوم السماء وأورثهم جميع الأرض التي وعدتهم بها ويملكونها أبدا، فحن السيد، ولم يتم ما أراد إنزاله بأتمته من المكروه" (4)، فينقد ابن حزم هذا الإدعاءات بقوله: " هذا نص الفصل عندهم، وهذه صفة لا يوصف بها إلا إنسان ضعيف النفس، وفيه البداء، وأنه تعالى لم يتم ما أراد أن يفعل، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا" (5).

#### الاعتراض السادس:

وفي هذا الاعتراض قال ابن حزم: " ذكر هذا الزنديق الجاهل قول الله تعالى مخاطبا نبيه عليه السلام: ﴿إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الْكَبِيرَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهَا لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ (6). قال هذا المجنون: فهذا محمد كان في شك مما إدعاء" (7).

يبين ابن حزم هذا الأمر وذلك بأن معنى " إن ها هنا الجحد فهي هنا بمعنى " ما " وهذا المعنى هو أحد موضوعاتها في اللغة العربية كما قال تعالى أمرا نبيه ﷺ أن يقول: ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (1)، بمعنى ما أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون" (2).

(1) دولة بني زيري ملوك غرناطة، اسماعيل العربي، ص: 102، ديوان المطبوعات الجامعية 1403 هـ/1982 م - الجزائر.

(2) سورة الأعراف، الآية: 6

(3) رسائل ابن حزم الأندلسي، ابن حزم، ج3، ص: 51.

(4) جهود ابن حزم في جدال اليهود، عماد جميل عبد الرحمان عبيد، ص: 135، رسالة ماجستير في العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة،

الجامعة الإسلامية، 1428 هـ/2007 م، فلسطين، غزة.

(5) سورة يونس، الآية: 94.

(6) رسائل ابن حزم الأندلسي، ابن حزم، ج3، ص: 53.

(7) المصدر نفسه، ج3، ص: 51.

### الإعتراض السابع:

"قال ابن النغيلة معقبا على قول الله في وصف العسل : ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابًا مُثْتَلِفًا أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(3)</sup> ، فقال : وكيف هذا وهو يؤذي المحمومين وأصحاب الصفراء المحترقة؟"<sup>(4)</sup>

فرد عليه ابن حزم ردا " ... بأن الله تعالى لم يقل : العسل شفاء لكل علة، وإنما قال تعالى: فيه شفاء للناس، وهذا لا ينكره إلا رقيق سلب العقل والحياء أو موسوس، لأن منافع العسل وشفائه في إسخان المبرودين وتقطيع البلغم وتقوية الأعضاء حتى صار لا يطبخ أكثر الأشربة إلا به ولا يعجن جميع اللعوقات إلا به، وما وصفه جالينوس وبقراط، وهما عميدا أهل الطب، طبخ شيء من الأشربة إلا به جملة، وما ذكرنا قط أن يطبخ شراب بسكر."<sup>(5)</sup>

### الإعتراض الثامن:

وفي الاعتراض الثامن والآخر طرح ابن النغيلة سؤالا في موضوع الآية الكريم: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مَبْرَأَ كَمَا﴾<sup>(6)</sup> ، "وقال: كيف يكون مباركا وهو يهدم البناء، ويهلك كثيرا من الحيوان؟"<sup>(7)</sup>

"فرد ابن حزم على هذا الإعتراض بأنه لولا شرب الماء لم يكن في الأرض حيوان أصلا لا إنسان ولا ما سواه، وأن عناصر جميع المياه الظاهرة على وجه الأرض والمختزنة في أعماقها، إنما هي من سواد القطر النازل من السماء، وأن الأمطار إذا كثرت غزرت العيون، وفقهت الأنهار وطفحت البرك، وإمتلأت الآبار، وسالت السيول، وتفجرت في الأرض الينابيع، أما إذا قلت الأمطار، وضعفت العيون ونقصت الأنهار، وجفت البرك والآبار، وإنقطعت السيول، وغارت الينابيع، خشنت الصدور، وفسد الهواء، وأنه لا حياة لشيء من النبات كله وجميع الشجر إلا بالماء النازل من السماء."<sup>(8)</sup>

ومن هذا كله نجد أن ابن حزم كان له إطلاع واسع بكتب الملل، وهذا أس أساس في العملية الحوارية.

(1) سورة الأعراف، الآية: 188.

(2) رسائل ابن حزم الأندلسي، ابن حزم، ج 3، ص: 53.

(3) سورة النحل، الآية: 69.

(4) رسالة ابن حزم الأندلسي في الرد على ابن النغيلة اليهودي، أحسن لحسانة، ص: 103.

(5) رسائل ابن حزم الأندلسي، ابن حزم، ج 3، ص: 55.

(6) سورة ق، الآية: 9.

(7) رسائل ابن حزم الأندلسي، ابن حزم، ج 3، ص: 56.

(8) رسالة ابن حزم الأندلسي في الرد على ابن النغيلة اليهودي، أحسن لحسانة، ص: 105\_106.

## المطلب الثاني: ابو الوليد الباجي فلسفته وحواراته

- الفرع الاول: حياته
- الفرع الثاني: فلسفته
- الفرع الثالث: حواراته

## الفرع الأول: حياته

هو سليمان بن خلف بن سعد<sup>(1)</sup>، بن أيوب بن وارث التجيبي التميمي الباجي، القرطبي البطليوسي، الذهبي الأندلسي القاضي المالكي، وكنيته أبو الوليد<sup>(2)</sup>.

فالتجبي نسبة إلى قبيلة تُجيب العربية، بطن من بطون كندة، سموها باسم جدتهم الأولى تجيب بنت ثوبان بن سليم بن رهاء من بني مذحج، وكان أهلها يسكنون حضرموت.

وكان عميرة بن أبي المهاجر، أتى ضمن جيش الفاتحين للأندلس، وأستقر ببطليوس<sup>(3)</sup>

وإزداد نسلهم هناك<sup>(4)</sup>. أما التميمي، بنسبة إلى بني تميم، بن مر بن طابخة وهو من أكابر بطون العرب<sup>(5)</sup>.

وأما الباجي فنسبة إلى باجة، وقد نسب أبو الوليد الباجي إليها بعد مغادرة أجداده مدينة بطليوسي وقام بها إلى أن بلغ سن ثلاثة وعشرين<sup>(6)</sup> 2. أما القرطبي فنسبة إلى قرطبة<sup>(7)</sup> 3 نسب إليها بعد انتقاله مع أسرته من باجة.

وأما البطليوسي فنسبة إلى بطليوس التي تعتبر أصل آبائه. وأما تلقيبه بالذهبي لاشتغاله بضرب ورق الذهب للغزل، وذلك بعد رجوعه من رحلته العلمية المشرقية سنة 439هـ/1047م<sup>(8)</sup>.

اختلف المترجمون في تاريخ ميلاد الباجي ومكان مسقط رأسه فهناك من يقول أنه ولد يوم الثلاثاء 15 من ذي القعدة 403هـ/27 ماي 1013م<sup>(9)</sup>. وهناك من يقول أنه ولد سنة 404هـ/1014م،

(1) ينظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، القاضي عياض، 802/2، تح: سعيد أحمد أعراب، دط. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1403هـ/1983م. سير أعلام النبلاء، الذهبي، 536/18.

(2) ينظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، القاضي عياض، 802/2

(3) بطليوس: مدينة من مدن الأندلس، تقع غرب قرطبة.

(4) ينظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، ص: 57\_56/2 تح: مصطفى السقا، ط3. عالم الكتب، 1403هـ/1983م، بيروت. الإكمال في دفع الأرتياب عن المؤلف والمختلف في السماء والكف والنساب، عبد الرحمان بن يحيى المعلي، ابن ماكولا، 214/1، ط2، درا الكتب الإسلامية، 1413هـ/1993م

(5) جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الظاهري، ص: 206، تح: عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف. دت.

(6) الفتح المبين في طبقات الأصوليين، عبد الله مصطفى المراغي، ص: 256، ط1، مكتبة المشهد الحسين، القاهرة، دت.

(7) مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، صفي البغدادي، 1078/3، تح: علي محمد الجاوي، ط1، دار المعرفة، 1373هـ/1954م، بيروت.

(8) ينظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، القاضي عياض، 804/2.

(9) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، 122/12.

وهو ما ذهب إليه ابن عساكر<sup>(1)</sup>، والرأي الصواب هو الذي ذهب إلي القول الأول؛ لأن شهادة أم الباجي أكدت على صحة القول، وكذلك ما رواه تلميذ الباجي أحمد بن زغلول حيث قال " رأيت تاريخ ميلاده بخط أمه وكانت فقيهة أنه سنة ثلاثة وأربعة مئة"<sup>(2)</sup>، وهذا يعتبر القول الفصل في هذا الموضوع تكفي شهادة أمه وهي مقدمة على الغير فضلا عن كونها فقيهة.

وذكر أبو علي الغساني وهو من الطلبة الملازمين للباجي حيث قال "سمعت أبو الوليد الباجي يقول مولدي في ذي القعدة سنة ثلاثة وأربعة مئة"<sup>(3)</sup> ويروي ابن بشكوال ويقول قرأت بخط القاضي محمد بن أبي الخير شيخنا رحمه الله قال "... وولد يوم الثلاثاء في النصف من ذي القعدة سنة ثلاثة وأربعة مئة"<sup>(4)</sup>.

أما في ما يخص مكان ميلاد أبو الوليد الباجي فلا خلاف بين علماء التراجم بأن أصل آباءه من مدينة بطليوس.<sup>(5)</sup>

ينتسب أبو الوليد الباجي إلى أسرة ذات مستوى عالي من العلم والتقوى والتدين. والده أبو سليمان خلف بن سعد، فقد كان عفيف كثير الصلاح والتعب والاعتكاف محبا للعلم وأهله، ولقد كان له نصيبا من العلم من خلال ملازمته حلقات العلم من أمثال حلقة ابن الشماخ والعالم الأندلسي أبي بكر الحصار،<sup>(6)</sup> حيث انه لفت انتباه هذا الخير صلاح ونباهة أبو سليمان فزوجه ابنته أم سليمان.<sup>(7)</sup>

(1) ينظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، 249/6، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، 1415هـ/1995م، دمشق.

(2) ينظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، 249/6.

(3) ينظر: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، قاسم خلف الأنصاري، ابن بشكوال، 202/1، تح: إحسان عباس، ط1، الدار العربية للكتاب، 1401هـ/1981م.

(4) المصدر نفسه، ابن بشكوال، 202/1.

(5) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، 536/18.

(6) أبو بكر الحصار: هو أبو بكر محمد بن موهب القبري التجيبي القرطبي المعروف بالحصار، فهو فقيه و عالم أندلسي اخذ عن أحمد بن ثابت و أحمد بن هلال، ثم تفقه بالقيروان على يد أبي محمد عبد الله بن أبي زيد، و أبي الحسن القابسي وغيره، و قد اشتغل في جل العلوم، و غلب عليه علم الكلام، و الجدل، و عند رجوعه إلى الأندلس أيام الدولة العامرية جرت بينه وبين فقهاء عصره مناظرات عديدة، كانت مواضعها تجول حول مسائل غير معروفة لدى الأندلسيين كمسألة الكرامات، و نبوات النساء، و بقاء الخضر حيا، وغيرها من الموضوعات الغربية، توفي سنة 406هـ/1015م. (اللباب في تهذيب، ابن الأثير، ص: 98، تح: إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، دط، دت،)

(7) ينظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، 249/6.

لقد بذل الباجي، جهودا كبيرة في خدمة القضاء والعلم، كثرت تصانيفه في أصول الفقه، والحديث وعلومه، واشتهر بالمناضرات الأصولية، وتعد إسهامات الباجي من أحسن وأنفس الاجتهادات، وقد حواها في كتبه، التي شاء الله أن يحفظها من الضياع، ويستفيد منها بعده الناس إلى يومنا هذا ومن مؤلفاته:

■ إحكام الفصول في أحكام الأصول:

■ الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل

■ الحدود في الأصول

وقد تحدث علماء زمانه عن نباهته، وفضله، وقد قال فيه ابن حزم: "لم يكن لأصحاب المذهب المالكي بعد القاضي عبد الوهاب<sup>(1)</sup> مثل أبي الوليد الباجي"<sup>(2)</sup>

وقال تلميذه القاضي أبي علي الصديقي: "ما رأيت مثل أبي الوليد الباجي، وما رأيت أحدا عاليا كسمته وهيئته، وتوقير مجلسه، ولما كنت ببغداد قدم ولده أبو القاسم أحمد، فسرت معه إلى شيخنا قاضي القضاة الشامي، فقلت له: آدام الله عزك، هذا ابن شيخ الأندلس، فقال: لعله ابن الباجي؟ قلت: نعم فأقبل عليه"<sup>(3)</sup>.

ووصفه الفتح بن خاقان بقوله: "بدر العلوم اللائح، وقطرها الغادي الرائح،..."<sup>(4)</sup>

أما القاضي عياض فقد قال فيه: "كان أبو الوليد رحمه الله، فقيها نظارا محققا، رواية محدثا، يفهم صيغة الحديث ورجاله، متكلمنا أصوليا، فصيحنا شاعرا مطبوعا، حسن التأليف، متقن المعارف، له في هذه النواع تصانيف مشهورة جليلة، ولكن أبلغ ما كان فيها الفقه وإتقانه، على طريق النظار البغدادي وحذاق القرويين، والقيام بالمعنى والتأويل، وكان وقورا بهيا مهيبا، جيد القريحة حسن الشارة"<sup>(5)</sup>

(1)\_ القاضي عبد الوهاب: هو أبو محمد عبد الوهاب بن نصر بن علي التغلبي البغدادي، ولد ببغداد سنة 362هـ وتوفي سنة 422هـ، أحد أعلام المذهب المالكي، (سير أعلام النبلاء، الذهبي، 430/17\_432)

(2)\_ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، 96/2، ط 1، تح: إحسان عباس، الدارالعربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1401هـ/ 1981م.

(3)\_ الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، قاسم خلف الأنصاري، ابن بشكوال، 202/1.

(4)\_ قلائد العقيان، ابن خاقان، ص: 215

(5)\_ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، القاضي عياض، 803/2.

## الفرع الثاني: فلسفته

رغم تحذير الباجي من قراءة المنطق والفلسفة إلا أنه ظل حبيس هذا الفكر ولم يستطع التخلص منه، وقد ينطبق عليه قول ابن العربي للغزالي: شرب الفلسفة ولم يستطع أن يتقيأها. لقد برز الباجي على أقرانه، وتقدم في علم الكلام الذي أخذه عن أبي جعفر السمناني بالموصل، يقول الصفدي في ترجمته للباجي: "وأقام بالموصل سنة يأخذ علم الكلام عن أبي جعفر السمناني، وبرع في الحديث، وبرز على أقرانه وتقدم في علم الكلام..."<sup>(1)</sup> وبرزه في هذا العلم ظاهر في مؤلفاته الأصولية؛ "كإحكام الفصول في أحكام الأصول"، و"الإشارة في معرفة الأصول" و"الوجازة في معنى الدليل".

وبناء على ما سبق فإن الباجي مع بروزه في هذا العلم إلا أنه حذر من القراءة في المنطق والنظر في كلام الفلاسفة لمن ليس لديه علم يقوى به على فهم فساده وضعيف شبيهه، أما من لديه القدرة على التمييز والمعرفة والنظر فهذا لا بأس به.

نصح أبو الوليد الباجي ولديه بعدم قراءة كتب المنطق والفلسفة لأنها في رأيه مبنية على الكفر والإلحاد والبعد عن الشريعة. وتزداد خطورة قراءة هذه الكتب عند أبي الوليد إذا لم يكن القارئ ذا قدرة على رد الشبهات وبيان فساد المقالات، ثم مخافة أن يندس إلى قلب أحد ما لا يكون عنده علم يدفع به الشبهات.<sup>(2)</sup>

ينتقد الباجي بشدة ممن ينتحل علم المنطق ويرغب فيقول مخاطباً ولديه: "ولم كنت أعلم أنكما تبلغان منزلة من الميز والمعرفة والقوة على النظر والمقدورة، لحضضتكما على قراءته وأمرتكما بمطالعتة، لتحققا ضعفه وضعف المعتقد له، وركاكة المغتر به، وأنه من أقبح المخاريق والتمويهات ووجوه الحيل والخزعبلات التي يغتر بها مَنْ لا يعرفها ويستعظمها من لا يميزها"<sup>(3)</sup>.

(1). الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي؛ خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي، 121/5، ط1، تج: أحمد الأرنؤوط و توكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، 1420هـ/2000م، لبنان.

(2). ينظر: النصيحة الولدية، أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، ص:25، ط3، تج: إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم، 1421هـ/2000م، بيروت.

(3). المصدر نفسه، أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، ص:26.

لا شك أن مهاجمة أبي الوليد الباجي لكتب المنطق والفلسفة مبنية على اختلاط هذين العلمين عند كثير من المفكرين المسلمين، خصوصا في المرحلة المتقدمة التي ترجم فيها المنطق إلى اللسان العربي، من جهة، والرغبة في عدم الإفصاح عن فضل المنطق والفلسفة مخافة أن ينبذ المجتمع صاحبه.

"إننا نعلم علم اليقين أن علم الكلام القديم توسل في فترة من الفترات بالمنطق الأرسطي باعتباره سلاحا صالحا للتوظيف في مجال الحجاج عن العقائد الإيمانية. دون توسع في مضمونه الذي يختلف جذريا عن مضامين العقائد الإسلامية. وقد اهتدى المتكلمون إلى أن المنطق الأرسطي وإن كان يتسم بنوع من الصرامة المنهجية فإن فائدته في مجال الاشتغال بقضايا أصول تبدو ضئيلة. وقد واجه المسلمون المنطق الأرسطي بالنقد والنقض قبل أن يتنكر له الفلاسفة الغربيون من أمثال ميل وراسل وغيرهما. وقد نتج عن نقد المتكلمين للمنطق الأرسطي التأسيس لمنطق إسلامي متميز".<sup>(1)</sup>

(1) قراءة في وصية أبي الوليد الباجي، عبد القادر بيطار، الجريدة الإلكترونية هسبريس، بتاريخ: 2010/12/10م

### الفرع الثالث: حواراته

لما قدم أبو الوليد الباجي إلى موطنه بالأندلس، بعد رحلته المشرقية التي دامت ثلاث سنوات؛ ظهرت عليه النباهة، والحنكة، وكان ريانا في علوم الشريعة، وعلم الحوار، والمناظرات، وكذا العقلية، فضلا عن ما كان يتمتع به من قدرات فكرية عالية، تؤهله للدخول في مناظرات علمية تكشف للناس الحق وتساعدهم على فهم الحقيقة.

لقد خاض الباجي العديد من المجادلات العلمية مع خصوم له سواء في "مرسية" مع أبي حفص عمر بن حسين الهوزاني كبير فقهاء أشبيلية<sup>(1)</sup> وغيرها من مدن الأندلس، فأقام عليهم الحجة، وأثبت البينة وعزز الدليل بما حباه الله من إمكانيات فكرية علمية تساعده على ذلك فاكسب سمعة كبيرة بين العلماء ورجال العلم، الأمر الذي دعاهم لإلحاح عليه لمقابلة أبي محمد ابن حزم<sup>(2)</sup> الذي لمع نجمه بالأندلس، عرف فضله وتفوقه العلمي، لما كان يتمتع به من غزارة علم، وقوة الذاكرة، وكثرة الإنتاج الفكري في مختلف العلوم والفنون<sup>(3)</sup>.

لما انتدب العلماء أبا الوليد لمناظرة ابن حزم لبي الدعوة وقبلها، بعدما عرف من أحواله الكثير، إرادة منه أن تكون هذه المناظرة سبيلا لوقف انتشار المذهب الظاهري، والرغبة في رد الاعتبار للأئمة الفضلاء الذين كانوا عرضا للسان ابن حزم، وهكذا التقى الرجلان بما يروقا سنة 439هـ/1047م، بحضور الوالي أبي العباس أحمد بن رشيق الكاتب<sup>(4)</sup>، وتحت رعايته جرت بينهما مناظرة في موضوعات متفرقة أصولية بصورة خاصة، تصب في مسألة نفي القياس، وإبطال الرأي وتعليل الأحكام، وما يترتب عن هذه القضايا من فروع فقهية، وحسب جمهور مترجمين مؤرخين أن ابن حزم خرج من هذه الجلسة مغلوبا بالحجج والبراهين التي أقامها عليه الباجي وجادله بها وأبرز هزيمته، وفي هذا الصدد يقول القاضي عياض: "فجرت لي معه مجالس كانت سبب فضيحة ابن

(1) ينظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، القاضي عياض، 826\_825/2.

(2) المصدر نفسه، القاضي عياض، 75/2.

(3) المصدر نفسه، القاضي عياض، 826\_825/2.

(4) ينظر: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، عبد الله بن أبي نصر محمد بن فتوح بن عبد الله بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي، ص: 122\_124، ط1، تج: بشار عواد وحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، 1429هـ/2008م، تونس.

حزم وخروجه من ميورقة" (1)، وقد كان على رأس أهلها، وكان من نتائج هذه المناظرة مغادرة ابن حزم للأندلس (2)، وقد قام المعتمد بن عباد على إحراق كتبه باشبيلية (3) والحقيقة أن هذه المناظرة العلمية على الرغم من فوائدها فإن المؤرخين لم يشيروا إلى الموضوعات والقضايا التي كانت محل المناقشة (4).

لقد خرج ابن حزم من ميورقة من غير أن يكون مغلوباً في الحجاج، لأنه فقد أنصاره ومؤيديه، ولم يعد الانتصار للحجة والبراهين، بل سار لمن هو أكثر عدداً من المؤيدين،

فالذي أخذ عن ابن حزم أنه يخالف المذهب المالكي، ويضرب بأقوال جمهور الفقهاء الذين يتخذون الرأي منهجاً فقهياً؛ ويروي المقري قائلًا: "ولما ناظر ابن حزم قال له الباجي: أنا أعظم منك همة في طلب العلم لأنك طلبته وأنت معان عليه، تسهر بمشكاة الذهب، وطلبته وأنا أسهر بقناديل السوق، فقال له ابن حزم: هذا الكلام عليك لا لك، لأنك إنما طلبت العلم وأنت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي، وأنا طلبته أرجو به علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة فافحمه." (5) والغريب في هذه المناظرة أن ابن حزم لم يفقد إنصافه اتجاه الباجي بل نعته بما هو أهل له.

لم يكتف الباجي بمقارعة ابن حزم في ظاهريته فقط؛ بل حاور وناظر علماء زمانه كل في تخصصه، ومن بين الحوارات التي دخل فيها الباجي هل النبي ﷺ كان يكتب رسائله إلى الأمصار بنسبه أم لا؟

(1) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، القاضي عياض، 805/2

(2) ينظر: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، الحميدي، ص: 123.

(3) تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، أبو زهرة، ص: 560\_562، دط، دار الفكر العربي، 1996م، القاهرة.

(4) مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم والباجي، عبد المجيد تركي، ص: 20، ط1، تح: عبد الصبور شاهين ومحمد عبد الحلیم محمود، دار الغرب الإسلامي، 1406هـ/1986م، بيروت.

(5) نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري، 77/2

جاء في حديث المقاضاة في صلح الحديبية الذي أخرجه البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: "لما اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة فأبأ أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قضاهم، على أن يقيم بها ثلاثة أيام فلما كتبوا الكتاب، كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، قالوا لا نفر لك بهذا، لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئاً، ولكن أنت محمد بن عبد الله..."، وكان أبو الوليد الباجي يقول بظاهر لفظ الحديث لن النبي ﷺ كتب بيده: "هذا ما قاضى محمد بن عبد الله" الأمر الذي أثار استياء علماء وفقهاء مدينة "دانية" وعلى رأسهم أبو بكر بن الصانع<sup>(1)</sup>.

فأنكروا إجازته على الكتابة على النبي الأمي وكفروه بتكذيب القرآن الكريم فهولوا أمره، وأخذت هذه المسألة طابع الفتنة وقبحوا عند العامة ما أتى به، حيث أنه كان يريد التعمد بمخالفة آراء العلماء، وإظهار نفسه تملقا للولادة والأمراء، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك، حيث أجازوا أنفسهم بإطلاق اللعنة عليه والتبرؤ منه، كما يظهر ذلك جلياً في أشعارهم التي تناولها بعض خطبائهم في الجمعة فوق المنابر تشنيعاً به، حيث قال عبد الله بن هند أن أبا الوليد الباجي "قد باع الدنيا بالأخرة"<sup>(2)</sup>.

وعلى أثر ذلك قام الناس بشكايته إلى أمير دانية؛ مما جعل هذا الأخير يقرر جمع علماء إمارته بأبي الوليد؛ لإقامة مناظرة علمية حول الموضوع ليتبين الأمر ويستظهر الحق، ويطلع على أدلة كل فريق فاحتجوا عليه بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ (3). وأستظهر أبو الوليد الباجي للأمير بقوله: "لا منافاة ولا تعارض بينما ذكره القرآن الكريم وما قررته من إجازة كتابة النبي الأمي، انطلاقاً من مفهوم الآية السابقة، ذلك لأن الله تعالى نفى عنه التلاوة، والكتابة بما قبل ونزول القرآن الكريم، والتقييد بالنفي ذلك، أو ما بعد تحقيق أمنيته وتقرير معجزته، أو من ارتياب أهل الكتاب، فليس فيه ما يحول دون معرفة الكتابة من غير

(1). ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، القاضي عياض، 827/2

(2). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، 540/18.

(3). سورة العنكبوت، الآية: 48.

تعليم أو معلم فتصير عن ذلك معجزة ثانية" (1)، فأفحمهم بما كان يتمتع به من معرفة أحكام الكتاب والسنة وإنزال الأصول والأدلة منازلها.

استحسن أمير "دانيه" إرسال هذه المسألة إلى جماعة من علماء الأمصار ليطلع على رأيهم ويتعرف عن المزيد فيها، وذلك تلبية لرغبة أبي الوليد الباجي.

لقد كانت أجوبة العلماء تحمل في طياتها الثناء عليه وإقرار بفضلته وعلمه، فضلاً عن تقرير من لم يعي ما ذهب إليه وتشجيع لخصومه من معاصريه، وقد قال عنه الحسن بن علي التميمي المصري: "وقفت على ما كتبه الفقيه لأجل شيخنا وكبيرنا الذي نفع إليه في المشكلات ونعتمد عليه فيما داهمنا من أمور الناس، ومعرفة توحيد خالقنا وصفاته التي بان بها عن جمع المخلوقات، أودام الله المسلمين توفيقه وتسديده، وما منا به عليهم منه من البصيرة والهداية من خطأ المخطئين، فلو نهضوا نحو الفقيه القاضي أبو الوليد ليتعلموا منه لكان بهم أخرى" (2).

وقال فيه أيضاً جعفر بن عبد الجبار: "وما يستدع ذلك من مثله لما وهبه الله من الفهم وكيف لا يكون كذلك وقد ارتحل إلى العراق، فقرأ على شيوخ أجلاء من أئمة السنة" (3).

وقال فيه عبد الله بن حسن البصري: "والفقيه القاضي أبو الوليد قد انتشرت إمامته، واشتهرت عدالته فلو سأل من حاول الرد وتضليل للفقيه القاضي من قدم من الشرق والغرب لا شهد الكل بإمامته وحفظه للحديث، ومعرفته للصحيح منه والسقيم وسائر علومه وأصول الدين وفروعه" (4).

كما أثني عليه أبو الفضل جعفر بن ناصر البغدادي قائلاً: "ولا يحل لأحد أن يعنف الإمام الباجي، إذ هو إمام في المشرق والمغرب لاسيما بالعراق وأن أكثر البلاد مفتقرة لعلمه بالصحيح من الحديث والسقيم" (5)، هذا "وقد كان للباجي فيما ذهب إليه السلف من شيوخه منهم أبو ذر الهروي

(1) الجامع لأحكام القرآن، أبو بكر القرطبي، 352/13.

(2) تاريخ دمشق، ابن عساكر، 250/2.

(3) المصدر نفسه، 249/2.

(4) المصدر نفسه، 250/2.

(5) المصدر نفسه، 250/2.

والسينماني وغيرهم ممن يقول بظاهر الحديث ويحتجون بجملة من الدلة: أي أن الرسول ﷺ لم يكتب قط كما ذهب العديد إلى ذلك بقولهم أن الرسول ﷺ " ما مات رسول الله حتى كتب وقرأ" قال مجاهد بن عبد الله فذكرته للشعبي فقال: صدق سمعت من يذكر ذلك<sup>(1)</sup>، رغم ذلك فإن جمهور العلماء والمحدثين على القول بمنع من أن يكون رسول الله ﷺ قد كتب حرفاً واحداً بيده، بل له كتاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل إلى الأقاليم، وأجاب الجمهور عن الحاديث الواردة في المسألة على أنها لا يحتج بها.<sup>(2)</sup>

وفي هذا الصدد صنف القاضي أبو الوليد الباجي رسالة في هذا الموضوع ينتصر فيها لرأيه ويبين وجوه المسألة ويفند أقوال المخالفين له في الرأي الذين رموه بالكفر والزندقة وسم هذه الرسالة ب: "تحقيق المذهب في أن رسول الله قد كتب"<sup>(3)</sup>

(1) الجامع لأحكام القرآن، أبو بكر القرطبي، 352/13.

(2) المصدر نفسه، أبو بكر القرطبي، 417/13.

(3) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، القاضي عياض، 805/2.

### المطلب الثاني: ابن باجه فلسفته وحواراته

- الفرع الأول: حياته
- الفرع الثاني: فلسفته
- الفرع الثالث: حواراته

## الفرع الأول: حياته

هو أبو بكر بن محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجة<sup>(1)</sup>.

"وقد أجمع كل من القفطي، وابن أبي أصيبعة، وابن خاقان، والخوانساري، وابن خلكان، والصفدي، وابن العماد، والمقري على هذا الإسم ولم يخالفهم في ذلك سوى ابن سعيد الذي ذكر أن اسمه هو: أبو محمد بن الحسين بن باجة"<sup>(2)</sup>.

أما كنيته فسمي بابن ماجة بتشديد الجيم على الأصح ثم هاء ساكنة، والباجة معنا الفضة بلسان الفرنجة.<sup>(3)</sup> ويطلق عليه رجال المدرسة اللاتينية في أوروبا العصور الوسطى اسم أفنيس .AVENNEPES

ليس هناك تاريخ دقيق للسنة التي ولد فيها ابن باجة وإن كان البعض يرجح أنه ولد في نهاية القرن الخامس الهجري في سرقسطة، فتاريخ ميلاد ابن باجة وطفولته لم يؤرخ لها بدقة كما ابن حزم.<sup>(4)</sup>

نشأ ابنُ باجةَ في مدينةِ سرقسطةِ الأندلسيةِ، ودرسَ على يدِ شيوخِها، وعلمائها علومَ الطبِّ، والفلسفةِ، والرياضياتِ، والأدبِ، والشعرِ، والطبيعيّاتِ، وحفظَ القرآنَ الكريمَ، ثمّ بدأَ حياتهَ العمليّةَ بالعملِ عندَ أميرِ المدينةِ آنذاك أبو بكر بن إبراهيم بن تيفلويت، وانتقلَ بعد ذلك للعيشِ في مدينةِ إشبيلية؛ بسببِ سقوطِ سرقسطةِ بيدِ ملكِ الأَرغونِ ألفونس الأول، حيثَ عملَ فيها في مهنةِ الطبِّ، وألّفَ عدداً من الرسائلِ في المنطقِ، ثمّ انتقلَ إلى المغربِ، ونالَ مكانتهُ كطبيبٍ بارِعٍ.<sup>(5)</sup>

تقلد منصب وزير لمدة عشرين سنة في فترة حكم أبو بكر بن ابراهيم المرابطي، وبعد سقوط سرقسطة غادرها إلى إشبيلية (513هـ)، وألّف فيها كثيرا من كتبه ثم قصد إلى غرناطة، ومن بعدها إلى فاس وهناك أحيكت ضده في بلاد المرابطين كثير من الدسائس والمكائد وتآليب الجمهور عليه

(1) عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، موفق الدين أبي العباس، بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، بابن ابن أبي أصيبعة، ج1، ص: 515، تحقيق ودراسة عامر النجار، ط1، 1969م، دار المعارف\_القاهرة.

(2) ابن باجة وأراؤه الفلسفية، زينب عفيفي، ص: 26، الطبعة الأولى 1430هـ/2009م، الناشر مكتبة الثقافة الدينية \_ القاهرة.

(3) وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج2، ص: 9.

(4) ابن باجة والفلسفة المغربية، عمر فروخ، ص: 24، ط2، 1371هـ/1952م، منشورات مكتبة منيمنة، بيروت، بتصرف.

(5) ينظر: ابن باجة والفلسفة المغربية، عمر فروخ، ص: 24، ط2، 1371هـ/1952م، منشورات مكتبة منيمنة \_ بيروت.

واستحكمت ضده العداوة، ولم يهنئ لإبن ماجة بالا، ولم يسعد كثيرا في حياته رغم قصرها، وكان كثيرا ما يتمنى الموت بسبب الضغوطات التي لمت به، بالإضافة إلى الوحدة العقلية حيث إنه لم يجد أنيسا يشاطره آراءه، وتوفي رحمه الله (533هـ) بعد أحداث كثيرة أثرت فيه.<sup>(1)</sup>

"ولعل كتابه الرئيسي الذي وصل إلينا خير تعبير عن حياة الاضطراب الذي عاشه ابن باجة وهو كتاب "تديبر المتوحد" والذي أوصى فيه بهجر المدن غير الفاضلة وإيثار حياة العزلة إن تعسرت تلك الهجرة، ولقد كان ابن باجة ينظر إلى نفسه أنه واحد في منفاه وسط مجتمعه."<sup>(2)</sup>

فقد ثقته في محيطه بعدما "بلي بمحن كثيرة وشناعات من العوام وقصدوا هلاكه مرّات وسلمه الله منهم"<sup>(3)</sup>، خصوصا حينما كاد له العديد من أقرانه المكائد كابن زهر والفتح بن خاقان، وجمهرة من الفقهاء الذين وجدوا أعماله الفلسفية كفرا وخروجا عن الإسلام.<sup>(4)</sup>

ومما قاله الفتح بن خاقان عن شخص ابن باجة في كتابه "قلائد العقيان"، قال: "الأديب أبو بكر الصائغ هو رمد جفن الدين وكمد نفوس المهتدين اشتهر سخفا وجنونا؛ وهجر مفروضا ومسنونا، فما يتشرع، ولا يأخذ في غير الأباطيل، ولا يشرع، ناهيك من رجل ما تطهر من من جنابة، ولا أظهر مخيل إنابة ولا استنحى من حدث، ولا أشحى فؤاده بتواري حدث ولا أقر بباريه ومصوره، ولا قر عن تباريه في ميدان تهوره، الإساءة إليه أجدى من الإحسان والهيمة عنده أهدي من الإنسان، نظر في تلك التعاليم، وفكر في أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم، ورفض كتاب الله الحكيم العليم، ونبذه وراء ظهره ثاني عطفه وأراد إبطال ما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه واقتصر، على الهيئة وأنكر أن تكون له إلى الله تعالى فيئة وحكم للكواكب بالتدبير واجترم على الله اللطيف الخبير، واجترأ عند سماع النهي واستهزأ بقوله تعالى: ﴿إِن الدّٰى فِرْعٰى عَلِيْہِ الْقُرْآنِ لِرٰكٰكٍ اِلٰرٰوٰعٰلٰہِ﴾<sup>(5)</sup>، فهو يعتقد أن للزمان دور و، الإنسان نبات له نور، جمامه تمامه، واختطافه قطافه، قد

(1) \_ ينظر: تاريخ الفلسفة في الإسلام، دي بور، ص: 248، ترجمة: محمد عبد الهادي أبوريدة، ط 2، 1368هـ/1948م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

(2) \_ ابن باجة الأندلسي، الفيلسوف الخلاق، كامل محمد عويضة، ص: 100، دت، دار الكتب العلمية، بيروت.

(3) \_ عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، موفق الدين أبي العباس، بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، بابن ابن أبي أصيبعة، ج 1، ص: 515.

(4) \_ ابن باجة الأندلسي الفيلسوف الخلاق، كامل محمد عويضة، ص: 100، بتصرف.

(5) \_ سورة القصص، الآية: 85.

معى الإيمان من قلبه فما له فيه رسم، ونسي الرحمان بلسانه فما يمر له عليه اسم، وانتمت نفسه إلى الضلال وانتسبت، ونفت ﴿اليوم تجزي كل نفس بما كسبت﴾<sup>(1)(2)</sup>.

الواضح من خلال هذه الاتهامات أن ابن خاقان أطلق سهامه على ابن ماجه بسبب فكره الفلسفي، حيث اتهمه بالخروج عن الدين، بدعوى تغليب العقل على النقل، وتركه العمل بالقران والسنة والعلوم الدينية، فأسلوب ابن خاقان في تناوله فكر وشخص ابن ماجه بعيد عن أدبيات النقد البناء، فهو بأسلوبه هذا زاد عن منهج التجريح في علم الحديث، وهذا غير مقبول في حق شخصية أمثال ابن باجة.

فرغم مقاله ابن خاقان عن ابن ماجه إلا أنه أنصفه في موسوعيته وتبحره في علوم شتى، وقد أجاد في موهبته في إقراض الشعر، ومن الأبيات التي أحبها وأنصفه فيها:

ايه يا برق قل حديثك عن نج      د، فحيا الاله عني نجدا  
قل وان كان ما تحدثه زو      را، فقد تبرد الاحاديث وجدا

والقفطي هو الآخر أنصفه في علمه وتبحره، قال: "وهو في الاداب فاضل لم يبيل احد درجته من اهل عصره في مصره".<sup>(3)</sup>

وقد قال فيه ابن أبي أصبعية "وأقبل على العلوم الشرعيّة فرأس فيها أو زاحم ذلك لكنه لم يلوح على أقواله ضياء هذه المعارف ولا قيد فيها باطنا شيئاً ألقى بعد موته، نهضت به فطرته الفائقة ولم يدع النظر والتنقيح والتقييد لكل ما ارتسمت حقيقته في نفسه على أطوار أحواله وكيفما تصرف به زمنه وأثبتت في الصنّاعة الذهنية في أجزاء العلم الطبيعي ما يدل على حُصول هاتين الصناعتين في نفسه صُورة ينطق عنها ويفصل ويركب فيها فعل المستولي على أمدها وله تعاليق في الهندسة وعلم الهيئة تدل على بروعه في هذا الفنّ.

(1) \_سورة غافر، الآية: 17.

(2) \_قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي، ابن خاقان ص: 931\_932، تحقيق حسين يوسف خربوش، ط 1، 1409\_1989 م، مكتبة المنار للطباعة والنشر والتوزيع.

(3) \_ابن باجة والفلسفة المغربية، عمر فروخ، ص: 26، بتصرف.

وَأَمَّا الْعِلْمُ الْإِلَهِيُّ فَلَمْ يُوجَدْ فِي تَعَالِيْقِهِ شَيْءٌ مَخْصُوصٌ بِهِ اخْتِصَاصًا تَامًا إِلَّا نَزَعَاتٌ تَسْتَقِرُّ مِنْ قَوْلِهِ فِي رِسَالَةِ الْوَدَاعِ وَاتِّصَالَ الْإِنْسَانِ بِالْعَقْلِ الْفِعَالِ وَإِشَارَاتٌ مَبْدُودَةٌ فِي أَثْنَاءِ أَقَاوِيلِهِ لِكِتْمَانِهَا فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ وَالِدَّلَالَةِ عَلَى نَزْوَعِهِ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ الَّذِي هُوَ غَايَةُ الْعُلُومِ وَمَنْتَهَاهَا وَكُلُّ مَا قَبْلَهُ مِنَ الْمَعَارِفِ فَهُوَ مِنْ أَجْلِهِ وَتَوَطُّئِهِ لَهُ وَمَنْ الْمَسْتَحِيلُ أَنْ يُنْزَعَ فِي التَّوَطُّئَاتِ وَتَنْفَصِلَ لَهُ أَنْوَاعُ الْوُجُودِ عَلَى كَمَالِهَا وَيَكُونَ مَقْصَرًا فِي الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ الْغَايَةُ وَإِلَيْهِ كَانَ التَّشَوُّقُ بِالطَّبَعِ لِكُلِّ ذِي فِطْرَةٍ بَارِعَةٍ وَذِي مَوْهَبَةٍ إِلَهِيَّةٍ تَرْقِيَّةٍ عَنِ أَهْلِ عَصْرِهِ وَتَخْرِجُهُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ".<sup>(1)</sup>

أما في الفلسفة فيعتبر ابن باجه أول فلاسفة الإسلام، ومن أكثرهم شهرة، وعده ابن خلدون في أكابر فلاسفة الإسلام في الأندلس، وفي الذين بلغوا الغاية في العلوم واختصوا بالشهرة والذكر دون سواهم.<sup>(2)</sup>

(1) عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، موفق الدين أبي العباس، بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، بابن ابن أبي أصيبعة، ص: 515

(2) ابن باجه والفلسفة المغربية، عمر فروخ، ص: 30، بتصرف.

## الفرع الثاني: فلسفته

اتسمت الحقبة التاريخية التي عاش فيها ابن باجة في الأندلس بالانشقاقات والصراعات بين ملوك الطوائف، وتحول السلطة إلى المرابطين، بعد أن أدت الخلافات بين الأمويين والبربر في الأندلس إلى تقويض وتقزيم الخلافة الأموية هناك، استتبع هذه الانهيارات في الأندلس ما سبقها من انهيار دولة العباسيين وقبلها الأمويين في المشرق، توالى هذه الانهيارات السلطوية بمجيء أمراء وحكام اتصفوا في غالبيتهم بالاعتماد على الفقهاء والمقلدين في تكريس سلطتهم، وذلك عبر توظيف هؤلاء الفقهاء في تسويغ السلطة السياسية وإضفاء المشروعية على الحاكم، وهي وجهة ترتب عليها اضطهاد الفلاسفة والتنكيل بهم وإطلاق شتى نعوت التكفير في حقهم.

فبموازاة مع توظيف الفقهاء، تم الاعتماد على المذهب الواحد ونشره في الأندلس وهو المذهب المالكي؛ حيث لعب هذا الأخير دوراً سلبياً في تطور الحركة الفلسفية؛ لأنه حد من الحرية الفكرية وازدهار السجلات بين المذاهب بما يغني الحياة العقلية ويدخل جمهوراً واسعاً في سجلات القضايا التي تثيرها.

فما سبق لا يعني أن بلاد الأندلس لم تعرف صحوة فلسفية؛ بل ظهرت حركات فكرية رغم الخناق، وكتب لها التمدد وخصوصاً المذاهب العقلية، التي جعلت العقل مقياساً للحكم على جميع القضايا، وهذا الأمر يشهد عليه فكر ابن باجة.

حاول ابن باجة من خلال الفكر الفلسفي أن يخلص الأندلس من أغلال الفقهاء وقبضتهم، وقد لُقّب بـ"أبو الفلسفة العقلانية العربية"، بسبب جهوده الحثيثة وتحليلاته الفكرية، وقد أشار ابن طفيل كثيراً لابن باجة، وذكره في قصته الرمزية "حي بن يقظان"، ففي مقدمتها أشار ابن طفيل إلى المهتمين بالمنطق والفلسفة في الأندلس فقال "ثم خلف من بعدهم خلف أحذق منهم نظراً، وأقرب إلى الحقيقة، ولم يكن فيهم أثقب ذهنًا، ولا أصدق رؤية من أبي بكر بن باجة، غير أنه شغلته الدنيا، حتى وافته المنية قبل ظهور علمه وبثّ خفايا حكمته."<sup>(1)</sup>

(1) \_إسلامية المعرفة، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، السنة العشرون العدد: 79، 1436هـ/ 2015.

وقد أطلق البعض عليه فيلسوف السعادة أو فيلسوف العقل؛ فهو أول من حاول تأسيس فلسفة إسلامية تخلو من المؤثرات المغرقة في الباطنية، وهو ما لوحظ عند قراءة رسالته الشهيرة "تديير المتوحد"، وقد قسّم ابن باجة الناس إلى ثلاث منازل: أولها، "المرتبة الجمهورية" وهؤلاء لا ينظرون إلا للمعقول، أما "المرتبة النظرية" فهؤلاء ينظرون إلى الموضوعات أولاً، وإلى المعقول ثانياً، ولأجل الموضوعات، و"مرتبة السعداء" وهم الذين يرون الشيء نفسه، وهي المرتبة الأعلى لدى ابن باجة؛ وهو نفس التقسيم عند ابن رشد عندما صنف طبقات المجتمع.

ومن أشهر ما ترك ابن باجة من مؤلفات المتضمنة لآراءه الفلسفية؛ رسالته الشهيرة "تديير المتوحد"، والمتوحد "نابت كعشب من تلقاء نفسه"<sup>(1)</sup>، وهو لم يكن كذلك إلا بالفعل المميز له وهو التديير؛ وهو الناظر أو الفيلسوف، ويشرح في رسائله معنى التديير بالقول "إن هذا اللفظ يدل في أكبر معانيه على مجموعة من الأعمال ترمي إلى مقصد معلوم، فلا يمكن أن يستدل بها على عمل مفرد، إنما على جملة أعمال تنجز على وتيرة واحدة بناء على خطة مرسومة للوصول إلى غرض معلوم."<sup>(2)</sup>

إن الفكرة المحورية في فكر ابن باجة أن السعادة الحقة لا تكون إلا بإدراك العقل لذاته، "وذلك بعد سلسلة عديدة الحلقات من الإدراكات المتدرجة وعندئذ يصبح العقل والمعقول شيئاً واحداً، وفي هذه الحال يدرك الفيلسوف ذاته خارج نطاق الزمن أي من وجهة نظر الأزل"<sup>(3)</sup>. "فيعلم أنه يتكون من جزأين أحدهما ينشأ في الزمن. وهو الجسم، والثاني شيء خالد وأزلي وهو العقل الذي يدرك بنفسه وينخرط عندئذ في سلك الأزل. وفكرة التطور والتدرج تسري في مذهب ابن باجة، وهي تنتهي عنده إلى نوع من التصوف العقلي الذي يوجد ما يماثله عند سبينوزا"<sup>(4)</sup>.

(1) تديير المتوحد، ابن باجة، ص: 46، تحقيق: ماجد فخري، دار النهار للنشر، 1968م - بيروت.

(2) تاريخ فلاسفة الإسلام، دراسة شاملة عن حياتهم وأعمالهم ونقد تحليلي عن آرائهم الفلسفية، محمد محمد لطفي جمعة، ص: 150، وكالة الصحافة العربية 2020م، جمهورية مصر العربية.

(3) ابن باجة الأندلسي الفيلسوف الخلاق، كامل محمد عويصة، ص: 119.

(4) المصدر نفسه، ص: 120.

كانت آراء ابن باجة معادية لآراء الصوفية، ويرى أن المشاهدة الصوفية التي تحدث عنها الغزالي وغيره من الصوفية ليست إلا ضرباً من الخيال والوهم الخاطئ، فالغزالي "ترك الإنسان خالي الوفاض، معدماً خلال مسيرته نحو الله: فبعدما أنكر إمكان المقاربة العقلانية وذلك بخلطه بين الفلسفة بمجملها وبين فلسفة أرسطو، فإنه يدعونا إلى المشاركة في تجربة غامضة هي تجربة المتصوفة: إشراق إلهي ومتوحد، مما قد لا يشكل امتداداً لخطوات العقل ومساعيه"<sup>(1)</sup>

فالغزالي ذهب إلى أن المشاهدة الصوفية هي غاية القصوى للإنسان، وهذا الذي عارضه ابن باجة بشدة، حيث إن الغاية القصوى عنده هو النظر العقلي المؤدي إلى السعادة. ويورد ابن باجة تعريفاً للعقل في إحدى رسائله فيقول: "العقل هو علم ماهيات الموجودات، والموجودات قسمان موجودات نعقلها ولا نقدر على إيجاد الموجود منها، وموجودات نعقلها ونقدر على إيجاد الموجود منها وذلك مثل الموجودات الصناعية"<sup>(2)</sup>.

ومن خصائص هذا العقل أنه متكثر بتكثر معقولاته، ولا يجوز افتراض واحدة العقل، لأننا إذا افترضنا أن العقل واحد، فسوف يترتب على ذلك شذائعات ومحالات منها "أن الأناسي الموجودين والذاهبين والغابرين واحد بالعدد، غير أن هذا مشنع وعسى أن يكون محالاً. وإن كان الأناسي الموجودون والذاهبون والغابرون ليسوا واحداً بالعدد، فهذا العقل ليس بواحد"<sup>(3)</sup>. فالعقل عند ابن باجة قسمين: عقل عملي، وعقل نظري.

"فالعقل العملي هو عبارة عن قوة النفس الناطقة التي تدرك المعاني وتوجهها إلى العمل، ويستمد هذا العقل تلك المعاني من التجربة، والتجربة إنما تكون بالإحساس والتخيل، لذلك اتصفت هذه المعاني بالجزئية فهي إذن حادثة بحدوث القوة المدركة لها فاسدة بفسادها"<sup>(4)</sup>.

(1) الإسلام والغرب، روجيه جارودي، ص: 95.

(2) نظر آخر يقوي تصور ما تقدم، ابن باجة، ص: 17، ضمن رسائل فلسفية لأبي بكر بن باجة، تحقيق: جمال الدين العلوي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب.

(3) رسالة اتصال العقل بالإنسان، ابن باجة، ص: 16، تحقيق: ماجد فخري، ضمن رسائل ابن باجة الإلهية، دار النهار، بيروت، 1968م.

(4) ابن باجة وآراؤه الفلسفية، زينب عفيفي، ص: 256.

ويرى ابن باجة أنّ الإنسان من خلال العقل العملي يستطيع أن يعقل الموجودات الصناعية التي له قدرة على إيجادها، وإنّ كماله أن يعقلها ويوجدتها، وبين أنّ وجودها يكون بإرادة الإنسان وأعضائه معاً، حيث إنّ أعضاء الإنسان لا تتحرك من ذاتها لعمل ذلك المصنوع وإنما تتحرك بإرادة الإنسان. ويوجد مثال المصنوع خارج الإنسان وهذا المثال خيال متخيل للقوة المتخيلة من النفس فيه عموم، ويزول هذا المثال ويحصل آخر، هكذا أبدأ كلما أراد الإنسان أن يصنع شيئاً يقيم في الخيال مثال ذلك المصنوع.<sup>(1)</sup>

فالعقل العملي إذن يبسط في القوة المتخيلة مثال المصنوع على مقدار ما يقصده من مقدار وهيئة، ثم تأخذ القوة المحركة للأعضاء من قوى النفس بما تحرك الأعضاء الحركات التي تدبرها، فتدبرها وتوجد ذلك المصنوع الذي مثاله في القوة المتخيلة. فالعقل إذن أولاً هو الصانع لذلك المصنوع لا الأعضاء التي تتحرك بالنفس ولا القوة المحركة للألات، بل العقل الذي يدبر تلك الحركات، ويأخذ القوة المحركة للأعضاء بإيجاد الحركات.<sup>(2)</sup>

إذن فالمصنوع يوجد أولاً في العقل ثم في القوة المتخيلة ثم بواسطة الأعضاء. وعن دور القوة المتخيلة في عمل العقل العملي يقول ابن باجة: "إنّ القوة المتخيلة في وقت إيجاد الشيء تستعين بالحس لتعرض فيها ما فعلته الأعضاء ليرى العقل هل ما تخيل في القوة المتخيلة في الحس على مثال القوة المتخيلة. وللعقل نحوان في ذلك: أحدهما أن يصور فيها مثال ما يراد إيجادها، والثاني أن يحصل فيها عن الحس ما تفعله الأعضاء المتحركة في ذلك الشخص الذي هو خارج النفس".<sup>(3)</sup>

أما العقل النظري: فهو عقل لا يوجد لدى سائر الناس بل لقلّة منهم. وهذا العقل ليس بمعديّ أصلاً ليخدم به الإنسان شيئاً ما بوجه ولا على حال، بل إنما هو معدّ ليكمل به ذلك المحرك الأول بالحقيقة، ويقصد ابن باجة بهذا المحرك الأول العقل بالفعل حيث يقول: "وهو الذي نعني

(1) نظر آخر يقوي تصور ما تقدم، ابن باجة، ص: 171\_172.

(2) المصدر نفسه، ص: 171.

(3) المصدر نفسه، ص: 172.

بقولنا: أفعال وفعلت، وهو المضمرة في قوله: "أقول لها وقد طارت شعاعاً"، فإنه في الإنسان ناقص".<sup>(1)</sup>

والعقل بالفعل هو أحد المراتب الأربع للعقل كما بينها ابن باجة وهي: العقل الهيولاني والعقل بالفعل والعقل المستفاد والعقل الفعال. "وكان يرى كالفارابي أنّ لكل عقل من هذه العقول وظيفة مزدوجة؛ فهو مادة من جهة وصورة من جهة أخرى، أي مادة للعقل الذي يليه وصورة للعقل الذي يسبقه، فهناك إذن نوع من التدرج في الوظائف العقلية لدى الإنسان، فالعقل المستفاد هو الذي يفيض من العقل الفعال وهو لدى ابن باجة مادة للصور العقلية التي تفيض عليه، ولكنه في الوقت نفسه صورة لعقل أدنى مرتبة منه وهو العقل بالفعل، وهذا الأخير مادة له لكنه من جهة أخرى صورة للعقل الهيولاني".<sup>(2)</sup>

من خلال ما سبق يتضح لنا أن ابن باجة يجعل العقل في المرتبة الأولى جاعلاً ما سواها في مرتبة أدنى.

لقد كان ابن باجة مخلصاً لاتجاهه العقلي إلى أبعد الحدود، فلقد أبدى لكل ما سواه نوعاً من اللامبالاة وعدم الاكتراث حتى لو كان ما سواه هم الأنبياء والرسل أنفسهم؛ كي لا يبقى غير العقل هادياً ومرشداً لمتوحدته.

(1) في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام، محمود قاسم، ص: 211 مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1949م

(2) مقال: العقل وممارسته الأيديولوجية في فلسفة ابن باجة، غيضان سيد علي، ص: 57، مؤمنون بلا حدود، اصدار 2015/10/03م.

### الفرع الثالث: حواراته

لقد تصدى ابن باجة للفكر الصوفي العرفاني بفكر عقلي برهاني، بحيث كرس جهود في نصرته مذهبه، والدفاع عنه في جل رسائله، التي كانت أشبه بمحاورات شخصيات طغت عليها الطابع العرفاني كالغزالي...

كانت آراء ابن باجة معادية لآراء الصوفية، ويرى أن المشاهدة الصوفية التي تحدث عنها الغزالي وغيره من الصوفية ليست إلا ضرباً من الخيال والوهم الخاطئ.

فالغزالي ذهب إلى أن المشاهدة الصوفية هي غاية القصوى للإنسان، وهذا الذي عارضه ابن باجة بشدة، حيث إن الغاية القصوى عنده هو النظر العقلي المؤدي إلى السعادة.

في رسالة، "تدبير المتوحد"، حرص ابن باجة على تمييز "التوحد" عن التصوف، وطريق المتصوفة. إذ إن التوحد عنده سلوك عقلي هدفه اكتساب المعرفة النظرية البرهانية الفلسفية، بحقيقة الكون ومركز الإنسان فيه.

أما ما يدعيه المتصوفة من كشف أو مشاهدة، فينكره ويعده ضرب من الخيال، ناتجة عن تجنيدهم لقوى النفس الثلاث: الحس المشترك، والمخيلة والذاكرة، بوساطة ما يسمونه رياضات ومجاهدات، فيركزون في ذهنهم على صورة واحدة، يرسمها لهم خيالهم، عن الموضوع الذي ينشغلون به، فيحضر هذا الموضوع في ذهنه في شكل صورة روحانية (أي: ذهنية، لا مادية) ناصعة مشبعة كأنها محسوسة.

ألف ابن باجة كتابه تدبير المتوحد ليقدم فيه الحل الفلسفي الخلفي الاضطراري لكل عاقلٍ كاملٍ وجد نفسه يصارع نتائج سابقه من الصوفية وحده في مدنٍ جاهلة ناقصة، لا تستند أفعال مواطنيها إلى العقل..

وفي الوقت نفسه، يشعر بأن الحل الذي يدعو إليه يُشابه وصف الصوفي الفرد لما يتفرد به من مقامات ومشاهدات، لذا يرفع عن نفسه شبهة التصوف بأن يهاجم النهج الصوفي في المعرفة، ويتمهم الصوفيين في أن إدراكهم العالم خداعٌ وظن، وأن سعادتهم هي من جنس الوهم.

يبدأ ابن باجة رسالته النقدية الموسومة "تدبير المتوحد" ببيان معنى التدبير وأنه يدل على "ترتيب أفعالٍ نحو غايةٍ مقصودة"<sup>(1)</sup>، يعني أن كل من فعل فعلاً يقصد به غاية يقصد بها تدبيراً. والتدبير مختص بالفكر، لذا فهو لا يوجد في المخلوقات إلا للإنسان.

وقد مارس الإنسان فعل التدبير بعمومٍ وبخصوصٍ، من مثال: تدبير المهن والقوى، وتدبير المدن وتدبير المنزل وغير ذلك..<sup>(2)</sup> فقوة العقل حاضرة بإتصالها بالإنسان لعلاقة بين العقل المستفاد والعقل الفعال.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد ابن باجة يقوم بحوار المنولوج، يستذكر مذاهب الصوفية ويرد عليهم بقوة المنطق والدليل، من غير التصريح بتوجهاتهم، وعلى هذا الأساس جعل الناس ثلاثة مراتب:

فالأولى الجمهور، والثانية النظار، والثالثة السعداء، فالمرتبة الأولى التي يدرك أصحابها المعقولات من خلال الصور الروحانية الخاصة، وهي الحس والحس المشترك والقوة المتخيلة وهي ذات نسبة للمادة غير متبرئة منها، وتستعمل في الصنائع المهنية والعملية.

وهي تمثل أساس الشرائع وعليها تقوم نصوص الملل، لأنها تسعى إلى مخاطبة الطبيعة الجمهورية العامة للناس الذين لم يرقوا إلى مستوى يخول لهم إدراك السعادة العقلية والمعنى الكلي الذي لا نسبة له للهيولى. ولما كان هذا الحال من المعرفة الجمهورية متصفاً بالجزئية والشخصية، كان من الطبيعي أن تبدو مخالفة لما هو مجرد وعقلي، وكان هذا هو أساس الصراع الدائر بين العقل والنقل، والفلسفة والشريعة. إن المرتبة الجمهورية ليست تنزع إلا للهيومي وتشتاق للذة المحسوسة ذات الوجود العيني الواقعي أو ممثلة لهم بما هو موجود، لذلك قال الفلاسفة أن الدين تمثيلات وتخيلات للحقائق، وذلك لما كان الجمهور من العسير عليه إدراكها، فجاءت الشريعة لتتناسب مع مستوى إدراك هؤلاء.

(1) تدبير المتوحد، ابن باجة، ص: 5، سراس للنشر، 1994 م، تونس.

(2) ينظر: تدبير المتوحد، ابن باجة، ص: 7.

وفي رسالته: "اتصال العقل بالإنسان" يقول ابن باجه حول ذلك: "فقد بان مما قلته أن هناك منازل ثلاثة: أولها المرتبة الجمهورية، وهي المرتبة الطبيعية، وهؤلاء إنما لهم المعقول مرتبطا بالصور الهيولانية ولا يعلمون إلا بها وعنهما ومنها ولها، ويدخل في هذه جميع الصنائع العملية"<sup>(1)</sup>.  
فالجماهير لا يفهم إلا بالصور الهيولانية لذلك "فهم ينظرون إلى الموضوع أولا وإلى المعقول ثانيا ولأجل الموضوع"<sup>(2)</sup>.

فمعرفة الجمهور حسب ابن باجة خيالية<sup>(3)</sup> قائمة على الصور الهيولانية، لا يتعداها بعقله، ويضرب ابن باجة مثالا بقوله: "والجمهور يرون خيال خياله، مثل أن تلقي الشمس خيالها على ماء، وينعكس ذلك إلى مرآة ويرى في المرآة الذي ليس له شخص"<sup>(4)</sup>.

فالجماهير إذن مستعدون لقبول الشرائع النقلية لأن إدراكاتهم لا تقع إلا على الخيال، وهذا مثال دقيق لابن باجة، فهم لا يرون إلا الخيال المنعكس على المرآة بعد أن انعكس على الماء، وهذا يجعل معارفهم بعيدة كل البعد عن المعقول لأن الشمس وهي تمثل هنا الكلي لا سبيل لهم لإدراكها نظرا لاستعدادهم للتخييلات فقط.

والحاصل من أقوال ابن باجه أن هذه المرتبة هي أبعد ما تكون عن العقل والسعادة الأزلية، بل هي بهيمية في شقاوة مع الحواس والخيالات التي لا تفيد.

أما المرتبة الثانية فيقول ابن باجة فيها: "والثاني المعرفة النظرية وهي ذروة الطبيعة إلا أن الجمهور ينظرون إلى الموضوعات أولا وإلى المعقول ثانيا ولأجل الموضوعات، والنظار الطبيعيون ينظرون إلى المعقول، أولا وإلى الموضوعات ثانيا..."<sup>(5)</sup>

فالمعقول ليس بريئا من التخييل ونسج صورا هيولانية، بل هو مرتبط به؛ لذا فأصحابها يرون المعقول عقلا بواسطة.

(1) رسالة اتصال العقل بالإنسان، ابن باجة، ص: 167

(2) رسالة اتصال العقل بالإنسان، ابن باجة، ص: 167

(3) هذا الجانب مهم في العملية الحوارية عموما، وفي تلقين المعارف خصوصا، إذ على المرء الذي تصدر لتلقين المعارف والتدريس أن يتفطن إلى أن مدارك الناس متفاوتة، على مستوى الحواس وعلى مستوى العقل والتخييل...

(4) رسالة اتصال العقل بالإنسان، ابن باجة، ص: 167

(5) المصدر نفسه، ص: 167

فكأن بتفسيره هذا يدرج المتصوفة في مرتبة المعقول التي تجعل وسيطا بين الذات العاقلة والعقل المجرد، فهؤلاء لم يصلوا إلى مرتبة "الروحانية الخاصة".

أما المرتبة الثالثة من تقسيم ابن باجة فهي مرتبة السعداء؛ "وأصحاب هذه المرتبة هم السعداء الذين يرون الشيء بنفسه وهي أعلى المراتب الثلاثة.. وهي الغاية القصوى وفيها يحدث الاتصال"<sup>(1)</sup>، ويقول ابن باجة يبين فضل هذه المرتبة، مصححا معتقد الحلول والعرفان الصوفية "فتأمل الآن أعزك الله وتثبت فيما أقوله وأطل التحديق فيه حتى تراه أظهر من طلعة الشمس عند الزوال وذلك أنه أشبه شيء بالضوء فكما أنا إذا لم يكن ضوء كنا نجد في بصرنا عى والعى سوء والفرق بين سعي البصر في الضوء وسعيه في الظلمة معلوم بنفسه فكذلك الجاهل ومن ليس عنده علم بالشيء ومعنى العلم بالشيء هو أن يكون عند العالم به معمول هو معقوله والقضاء على أشخاص ذلك المعقول في وقت يشبه السعي والقوة التي يرتسم فيها المعقول نسبة العين والعقل يشبه الابصار وهو الصورة المرتسمة في البصر وكما أن تلك الصور هي بالضوء فإن الضوء يوجد بها بالفعل وبه ترتسم في الحاسة فكذلك العقل بالفعل، فذلك العقل الذي ليس له شخص يصير شيئا ما ويرتسم في القوة، وكما أن هذه الصورة هي الهادية لا الضوء المفرد، كذلك هذا العقل بالفعل هو الهادي في الظلمة لما احتيج إلى الضوء لكن ذلك ليس بممكن إذ قوامها ووجودها هو بالضوء كذلك الحال في العقل بالفعل والعقل الفاعل النبة بينهما واحدة فذلك المعنى الذي في الصورة المحسوسة هو الضوء كذلك هذا في المعقولات هو الضوء بوجه ما على طريق التناسب"<sup>(2)</sup>.

يمكن تلخيص هذا النص بالقول إن الإنسان باستطاعته أن يصل أعلى مراتب الإدراك وهي مرتبة السعادة المتفتحة من اتصال الذات بالعقل الفعال.

يشبه ابن باجة هذه المرتبة بالضوء الذي هو أصل كل رؤية، فالواصلون إليها تحدث لهم المعرفة الكاملة، لأنهم يتصلون بأصل كل معرفة.<sup>(3)</sup>

(1) ابن باجة الأندلسي، الفيلسوف الخلاق، كامل محمد عويضة، ص: 225.

(2) رسالة اتصال العقل بالإنسان، ابن باجة، ص: 168.

(3) ينظر: ابن باجة الأندلسي، الفيلسوف الخلاق، كامل محمد عويضة، ص: 226.

والواصلون إلى هذه المرتبة هم العلماء الذين تتبدى لهم أشياء كثيرة لا يراها الجاهل الذي لا يصل إلى المرتبة، فحجب عنه العقل الفعال الذي هو أصل المعقولات ويشبه ابن باجة ذلك بالضوء الذي ترى العين، وإذا حجب عنا الضوء لم تعد ترى شيئاً.<sup>(1)</sup>

الذي يصل إلى هذه المرتبة هو العالم، أما الجاهل فليس بوسعه أن يصل إليها فالعالم أشبه ما يكون بالمبصر في الضياء، والجاهل أشبه ما يكون بالمبصر في الظلمة.

يبدوا من خلال ما سبق، أن مرتبة السعداء هي حال أو أحوال عقلية ونفسية ووجودية لا صلة لها ولا نسبة لها بأحوال الجمهور، كما أنها علم لا صلة له بالعلوم المتداولة في الطبيعة.

(1) المصدر نفسه، ص: 227.

### المطلب الرابع: ابن رشد فلسفته وحوارته

- الفرع الأول: حياته
- الفرع الثاني: فلسفته
- الفرع الثالث: حواراته

## الفرع الأول: حياته

هو أبو الوليد، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن رشد. ويلقب بالحفيد تمييزاً له عن جده أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد. فقيه مالكي، وفيلسوف، وطبيب من أهل الأندلس. وتحديداً من قرطبة.<sup>(1)</sup>

ولد سنة خمسمائة وعشرين من الهجرة الموافق لعام مائة وستة وعشرون بعد الألف ميلادياً (520هـ/1126م) وعرف عند الغربيين باسم (أفروس) Averroes.<sup>(2)</sup>

عني بكلام أرسطو وترجمته إلى العربية وزاد عليه زيادات كثيرة اتهم بالزندقة والإلحاد فنفي إلى مراكش وأحرقت بعض كتبه، ومات فيها سنة 595 هـ ودفن بقرطبة.<sup>(3)</sup>

ينتسب أبو الوليد محمد بن رشد الأندلسي إلى أسرة عريقة في بلاد الأندلس، عكس ما ذهب إليه البعض أنه ينتسب إلى بني إسرائيل؛ إن مراد هذا الكلام هو حدث نفيه من طرف الخليفة الموحي المنصور إلى قرية "أليسانا"؛ ذات الأغلبية اليهودية، ولكن حقيقة هذا الإدعاء إنما أطلق لتبرير نفيه..<sup>(4)</sup>

قلت: لو كان ابن رشد يجد حرجاً في نسبه لعمد لاتخاذ لنفسه نسباً يبعد عنه الشبه؛ كما كان شائعاً في الأندلس إذ كان المستعربون يغيرون أنسابهم لتتناسب مع البيئة الإسلامية، كتغيير

(1) تاريخ قضاة الأندلس، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النُّبَاحي المالقي الأندلسي، ص: 95، ط الأولى سنة: 1948م، دار الكاتب المصري

القاهرة / ابن رشد سيرة وفكر: دراسة ونصوص، محمد عابد الجابري، ص: 24 ط الخامسة: 2015م، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت.

(2) موسوعة الفلسفة الإسلامية "جدل الأصالة والمعاصرة"، 9/2، بتصرف، إشراف وتحرير، عامر عبد زيد الوائلي و شريف الدين بن

دوبه، ط الأولى: 2016م، دار الروافد الثقافية - بيروت لبنان.

(3) موسوعة الفلسفة الإسلامية "جدل الأصالة والمعاصرة"، إشراف وتحرير، عامر عبد زيد الوائلي و شريف الدين بن دوبه، 10\_9/2، ط

الأولى: 2016م، دار الروافد الثقافية - بيروت لبنان.

(4) ينظر: ابن رشد سيرة وفكر: دراسة ونصوص، محمد عابد الجابري، ص: 25.

اسم "ألبيير Albert" إلى عبد البر<sup>(1)</sup> ، أو ايجاد نسب ينتهي إلى بيت رسول الله كما قيل عن نسب ابن حزم...<sup>(2)</sup>

كان والده أحمد بن رشد قاض قرطبة آنذاك وقد نشأ ابن رشد وسط بيئة زاخرة بالعلم والفضيلة كان عالماً مسلماً ترك بصمته في العديد من التخصصات وهو فقيه وقاض القضاة في زمانه، بالإضافة إلى ممارسته لمهنة الطب وهو ذاته الفيلسوف.<sup>(3)</sup>

عاش ابن رشد في مراكش حتى وفاة عبد المؤمن بن علي وخلفه على عرش المغرب ولده أبو يعقوب يوسف علماً أن ابن رشد كان معروفاً من أسر الموحدين فقد رحل أول مرة إلى مراكش سنة 548هـ، وكان هذا تلبية لدعوة عبد المؤمن المعروف بأول ملوك الموحدين.<sup>(4)</sup>

لقد استفرغ ابن رشد جهده في كتب أرسطو التي كانت فيما بعد مرجعاً لعلماء المسلمين في سجلاتهم وحواراتهم.

لقد، " تصدى \_ ابن رشد \_ لنقد المتكلمين باسم العقل والنقل و درس الفقه والطب والكلام والشعر والفلك والفلسفة والرياضيات إضافة إلى أنه عاصر ابن طفيل صاحب كتاب "حي بن يقضان"؛ وهو الذي قام بتقديمه إلى الخليفة أبي يعقوب وكلفه بتفسير كتب أرسطو وشرحها بدراسة معمقة كما لخص ابن رشد مذهب أرسطو بإطناب حتى لقب باسم "الشارح" وهو اللقب الذي أطلقه عليه دانتى في كتابه "الكوميديا الإلهية" .<sup>(5)</sup>

"تولى ابن رشد منصب القضاء في إشبيلية سنة 1169م ثم نقله الخليفة إلى قرطبة سنة 1171م وبعد وفاة الخليفة أبي يعقوب يوسف، خلفه ابنه يوسف المنصور فلقي ابن رشد في بادئ

(1) \_ الظاهر أن الامام حافظ المغرب والأندلس المسمى بأبي عمر يوسف بن عبد الله النميري، قد غيروا له اسمه ليتلائم مع البيئة الأندلسية، فهو من المستعربين كما ظهر من لقبه الذي صحف من "البير" إلى ابن عبد البر (والله أعلم)

(2) \_ وقد سبق أن نسب ابن حزم إلى رجل فارسي اسمه " يزيد" قيل عنه أنه من موالى يزيد بن أبي سفيان (ابن رشد سيرة وفكر، محمد عابد الجابري ص:25).

(3) \_ موسوعة الفلسفة الإسلامية "جدل الأصالة والمعاصرة"، 10/2.

(4) \_ المصدر نفسه، 10/2.

(5) \_ موسوعة الفلسفة الإسلامية "جدل الأصالة والمعاصرة"، 10/2.

الأمر مكانة ورفعة عنده إذ قربه إليه الأمير..<sup>(1)</sup>؛ رغم دنوه من السلطان كان دائما يتوجس خيفة من العلماء والفقهاء أن يكيدوا له كيدا، وهذا الخوف لم يأتي من فراغ بل علق في ذهنه الصراع الحاصل بين المرابطين والموحدين، فقد "عاش قسما من تلك الأحداث في طفولته وشبابه، وبقيت عالقة في ذاكرته كتجربة جديرة بالاعتبار واستخلاص الدرس."<sup>(2)</sup> إذ كان ابن رشد يخشى خصومه من العلماء والفقهاء الذين كانوا يتألبون على الفلاسفة بالإطاحة بهم وإبعادهم والسبب في ذلك استعادة المكانة التي كانوا عليها أيام المرابطين.

لقد حصل ما كان متوقعا عند ابن رشد إذ سرعان ما نقم عليه المنصور بسبب خصومه، هذا من جهة، وعزوف الخليفة الجديد (المنصور) عن الفلاسفة والتحجير عليهم من جهة ثانية، وهذا ما جعل الخليفة المنصور يوجه لابن رشد تهمة الكفر والضلال وبذلك نفي إلى قرية "اليشانة" ذات الأغلبية اليهودية،<sup>(3)</sup> وتم حرق جل كتبه الفلسفية.

وقيل في سبب نبذه من طرف الخليفة "إن حسّاد ابن رشد دسوا عليه أناسًا من تلاميذه يستلمونه شرح الكتب الفلسفية، فشرحها لهم ونقلوها عنه كأنها من رأيه وكلامه، وأشهدوا عليها مائة شاهد ثم رفعوها إلى الخليفة، وطلبوا عقابه لانحلال عقيدته، فنكبه وألزمه أن ينزوي في قرية اليشانة (لوسينا) بجوار قرطبة ولا يبرحها."<sup>(4)</sup>

ظل في تلك القرية إلى أن "عاد ورضي عنه المنصور في آخر حياته واستدعاه بعد ذلك إلى مراكش مرة أخرى وأعادته إلى ما كان عليه من مجد حتى وفاته سنة 1198م وله من العمر اثنتان وسبعون سنة، وهي نفس السنة التي توفي فيها الخليفة المنصور"<sup>(5)</sup>.

(1) \_المصدر نفسه 10/2.

(2) \_ابن رشد سيرة وفكر: دراسة ونصوص، محمد عابد الجابري، ص: 27.

(3) \_ينظر: ابن رشد، عباس محمود العقاد، ص: 20، د.ط، مؤسسة هندی للتعليم والثقافة، سنة: 2012م، القاهرة.

(4) \_ابن رشد، عباس محمود العقاد، ص: 23\_24، \_بتصرف\_.

(5) \_موسوعة الفلسفة الإسلامية "جدل الأصالة والمعاصرة"، 10/2.

تفوق ابن رشد على أهل زمانه بفضل تفننه في فنون كثيرة، وأبدع فيها حتى شهد بنبوغه أهل زمانه: " وضعه دانتي بين العلماء الذين يكرمهم... " (1) \_رغم نفوره من دينه\_ قال فيه ابن الأبار (2): "لم ينشأ بالأندلس مثله كمالا وعلما وفضلا، وكان متواضعا، منخفض الجناح، يقال عنه: إنه ما ترك الاشتغال مذ عقل سوى ليلتين: ليلة موت أبيه، وليلة عرسه، وإنه سود في ما ألف وقيد نحو من عشرة آلاف ورقة، ومال إلى علوم الحكماء، فكانت له فيها الإمامة. وكان يفزح إلى فتياه في الطب، كما يفزح إلى فتياه في الفقه، مع وفور العربية، وقيل: كان يحفظ ديوان أبي تمام والمتنبي" (3). جمع ابن رشد بين رفعة العلم ونبل التواضع؛ وقد قال فيه ابن الأبار: "كان على شرفه أشد الناس تواضعا وأخفضهم جناحا" (4)

وكان هذا الخلق منه مطمع الطامعين في تواضعه وفي كرمه. "دخل إليه أبو محمد الطائي القرطبي، فتلقاه قائما كعادته في لقاء زائريه، فقال الشاعر:

قد قام لي السيد الهمام قاضي قضاة الوري الامام  
فقلت قم بي ولا تقم لي فقلما يؤكل القيام (5)

قال ابن أبي أصيبعة (6) " كان أوحد في الفقه والخلاف، وبرع في الطب، وكان بينه وبين أبي مروان بن زهر مودة، وقيل: كان رث البزة، قوي النفس، لازم في الطب أبا جعفر بن هارون مدة، ولما كان المنصور صاحب المغرب بقرطبة، استدعى ابن رشد، واحترمه كثيرا، ثم نقم عليه بعد -يعني

(1) \_الإسلام في الغرب، روجيه غارودي، ص: 119، ترجمة محمد مهدي الصددي، ط الثانية 1421هـ/2001م، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان\_بيروت\_.

(2) \_هو الإمام العلامة البليغ الحافظ المجود المقرئ مجد العلماء أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر القضاعي الأندلسي البلبسي الكاتب المنشئ، ويقال له: الأبار وابن الأبار. ولد سنة خمس وتسعين وخمسمائة ( سير أعلام النبلاء، 336/23).

(3) \_سير أعلام النبلاء، شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، 308/21، تحقيق: بشار عواد معروف و هلال السرحان، ط الأولى سنة: 1404هـ/1984م، مؤسسة الرسالة بيروت.

(4) \_ابن رشد، عباس محمود العقاد، ص: 21

(5) \_نفس المصدر، ص: 21

(6) \_أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس، موفق الدين، أبو العباس الخزرجي، لقبه ابن أبي أصيبعة، الطبيب المؤرخ، وُلِدَ في دمشق سنة 596هـ.

لأجل الفلسفة- وله " شرح أرجوزة ابن سينا " في الطب، و "المقدمات" في الفقه، كتاب "الحيوان"، كتاب "جوامع كتب أرسطوطاليس"، "شرح كتاب النفس" كتاب "في المنطق"، كتاب "تلخيص الإلهيات" لنيقولائوس، كتاب "تلخيص ما بعد الطبيعة" لأرسطو، كتاب "تلخيص الاستقصات" لجالينوس، ولخص له كتاب "المزاج"، وكتاب "القوى"، وكتاب "العلل"، وكتاب "التعريف"، وكتاب "الحميات"، وكتاب "حيلة البرء" ولخص كتاب "السمع الطبيعي".<sup>(1)</sup>

وله كتاب "تهافت التهافت"، وكتاب "منهاج الأدلة" أصول، وكتاب "فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال"، كتاب "شرح القياس" لأرسطو، "مقالة في العقل"، "مقالة في القياس"، كتاب "الفحص في أمر العقل"، "الفحص عن مسائل في الشفاء"، "مسألة في الزمان"، "مقالة فيما يعتقد المشاءون وما يعتقد المتكلمون في كيفية وجود العالم"، "مقالة في نظر الفارابي في المنطق ونظر أرسطو"، "مقالة في اتصال العقل المفارق للإنسان"، "مقالة في وجود المادة الأولى"، "مقالة في الرد على ابن سينا"، "مقالة في المزاج"، "مسائل حكمية"، "مقالة في حركة الفلك"، كتاب "ما خالف فيه الفارابي أرسطو (2)".

(1) سير أعلام النبلاء، شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، 308/21.

(2) المصدر نفسه 308/21.

## الفرع الثاني: فلسفته

إن الدارس لمواقف ابن رشد الفلسفية يجد نفسه أمام هامة فكرية كبيرة، كان له الفضل في حفظ الفلسفة اليونانية وعلى رأسها فلسفة أرسطو، وكان شارحا ومفسرا لها حتى لقب بـ "الشارح الكبير"، عالما بأحوال مجتمعه يسائر إيقاعه ويحترم خصوصيته، إلا أن هذا المنهج أثر على آراءه التي اتصفت أحيانا بالمرابحة في المكان؛ إذ يصعب على المرء أن يحدد معالم فلسفته ومذهبه، وكان كثيرا ما يتحصن بفلسفة أرسطو في برهنته على مسائل فكرية؛ ولاشك في هذا التواري وعدم الإفصاح عن حقيقة قناعته؛ مرده إلى وجسه من مكائد علماء عصره في تجريحه ونبذه عن الساحة العلمية والفكرية.

لقد استطاع ابن رشد أن يربط بين الإيمان والفلسفة؛ أو كما يسميه "الحكمة والشريعة"، وهذا راجع عنده إلى قابلية الإيمان للتعقل في الشريعة الإسلامية؛ أي من الإمكان الإستدلال على قضايا إيمانية بأدلة عقلية، وبالتالي دراستها تحت ما يسمى بفلسفة الدين<sup>(1)</sup>.

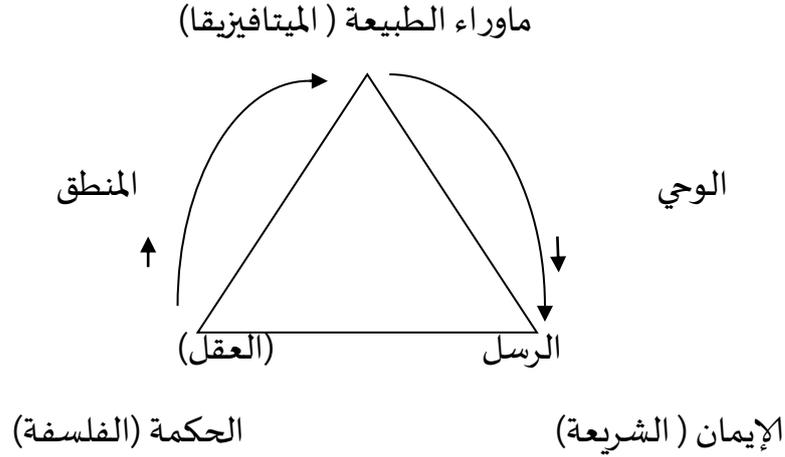
إن الفلسفة والدين عند ابن رشد مبنية على عدم التضاد بين ما هو ديني وما هو عقلي، فكل منهما يؤكد الآخر ويشهد له، وهذا عين المعنى في قوله: "وإذا كانت هذه الشريعة حقا، وداعية إلى النظر المؤدي إلى معرفة الحق، فإننا -معشر المسلمين- نعلم على القطع أنه لا يؤدي النظر البرهاني إلى مخالفة ما ورد به الشرع، فإن الحق لا يضاد الحق؛ بل يوافقه ويشهد له"<sup>(2)</sup>. ومن ثم كانت الحكمة عنده هي صاحبة الشريعة والأخت الرضية، فهما فطريين وغريزيين في الإنسان. قلت: إن العقل والشرع يتأسسان على قواعد ثلاث يشتركان فيه، وهي: فطرية الإيمان والتأمل (حي بن يقظان نموذجاً)، وقابلية الإيمان للتعقل، وتأسيس النظر الملكي على النظر الملكوتي؛ هذه الأثافي

(1) - يكون بهذا المنهج أقرب إلى منهج المتكلمين (المعتزلة والأشاعرة) من جهة، وفلسفة الرواقيين من جهة أخرى؛ ودمجه لهذه الأنساق يكون سابقا إلى دراسة قضايا الإيمان في وعاء فلسفي، ولذلك نقول أن الغالب على الظن أن كانط أخذ عنه هذا المنهج وطوره فيما يسمى عنده بفلسفة الدين.

(2) - فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، أبو اليد بن رشد، ص: 49، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، ط الأولى 1433هـ/2012م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة مصر.

الثالث يؤكدان إمكانية الجمع بين الإيمان والفلسفة، إذ يخرجان من مشكاة واحدة، غايتهما الوصول إلى خالق الكون من خلال فعل التأمل في مخلوقاته سبحانه.

يمكن التمثيل لما سبق برسم يبين منطق الجمع بين الحكمة والشريعة:



من خلال هذا الرسم يتبين لنا تكامل النظر الشرعي والنظر الفلسفي في معرفة الموجودات الدالة على وجود الله، فالاعتقاد يفضي دائما إلى الاستدلال العقلي، والاستدلال العقلي يفضي بدوره إلى ترسيخ الإيمان؛ فلا الروح تفكر بمعزل عن العقل، ولا العقل يفكر بمعزل عن الروح، كلاهما ينشدان غاية واحدة هي معرفة الحق، وقد قال أبو حامد الغزالي: "اعلم أن العقل لن يهتدي إلا بالشرع، والشرع لا يتبين إلا بالعقل؛ فالعقل كالأس والشرع كالبناء ولن يغني أس ما لم يكن بناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن أس، وأيضا فالعقل كالبصر والشرع كالشعاع ولن يغني البصر ما لم يكن شعاع من خارج، ولن يُغني الشعاع ما لم يكن بصر"<sup>(1)</sup>.

وفي هذا الموضوع نجد رونييه ديكارتر R.descartes يقول: "يلزمي أن أشرح بإيجاز: مم تتألف كل المعرفة التي نملكها الآن؟ وإلى أي درجات الحكمة وصلنا؟ الدرجة الأولى لا تشتمل إلا على تصورات بلغ من وضوحها بذاتها أن أصبح اكتسابها ميسورا دون تأمل؛ والدرجة الثانية تشمل على

(1) معارج القدس في مدارج معرفة النفس، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ص: 57، ط، الثانية: 1975، دار الافاق الجديدة \_ بيروت.

كل ما تدلنا عليه الحواس...أما الوحي الإلهي فإني لا أضعه بينهما؛ إذ إن هدايته ليست على الدرجات، وإنما يرفعنا دفعة واحدة إلى إيمان لا يتزعزع"<sup>(1)</sup>.

إن فلسفة ابن رشد تقوم بالأساس على أنساق عقلية تحاول تفسير قضايا الدينية في بعدها الميتافيزيقية، كقضية قدم العالم، والروح، ، وقضية العلم الإلهي،... فالذي حمله على فتح باب العقل والمنطق في مثل هذه المواضيع؛ القاعدة التي وضعها لنفسه القائلة بقابلية "الإيمان للعقل" فهذه القاعدة حملته، على تفحص ومناقشة ونقد التجربة الدينية مع إقامة أطر حوارية مع المفردة الدينية بغية تحليلها وربطها بالرؤية الوجودية للكون والحياة ويكون بذلك قد أطلق العنان للعقل دون التمييز بين ما يقبل القياس وما لا يقبل القياس؛ وهذا النهج يمكن استكناهاه بجلاء في ثلاث كتب هما: "تهافت التهافت" و"فصل المقال" وضميمته، التي كانت عبارة عن ردود على صاحب كتاب "تهافت الفلاسفة" للإمام الغزالي وكتاب "مناهج الأدلة في عقائد الملة".

لقد ذهب ابن رشد إلى وجود نوعين من الحقائق: الأول يستوجب العلم به من خلال البرهان الفلسفي، وهو مناط أهل العلم والعقل في نظره، والثاني يناسب العامة، ومن ثم فقد ضرب الله تعالى لهم أشباه هذه الحقائق وأمثالها؛ ليكون ذلك مدعاة للعامة لتصديقها، "والسبب في انقسام الشريعة إلى ظاهر له أهله وهم العامة وأشباههم، وباطن له أهله وهم ذوو البرهان، هو أن الناس مختلفون في الفطر والعقول؛ ولهذا تختلف استعداداتهم وقدرهم ووسائلهم إلى فهم وإدراك ما جاءت به الشريعة من المعتقدات"<sup>(2)</sup>؛ فالباطن عنده هو المحصلة النهائية للمعاني العقلية التي لا ينالها إلا أهل البرهان الفلسفي الذي يمثله الخاصة لا العامة، وهذا الأمر يعبر عن مضمون فلسفة الدين؛ لأن الأخيرة تنظر للنص نظرة عقلية لا للنيل منه، ولكن لمحاولة فهمه على أسس ومنهجية جديدة.

تعد قضية التأويل المدخل الحقيقي لفهم الدين عند ابن رشد، وهي القضية التي كان حريصا على عدم التصريح بها لغير الراسخين في العلم؛ لأنه استخدم عقله في فهم الدين بطريقة

(1) مبادئ الفلسفة، رونيه ديكرت، ص: 34، ترجمة عثمان أمين، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1960.  
(2) قانون التأويل، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ص: 8، دار النشر عزت العطار الحسيني، سنة 2007 مصر.

فلسفية، بحيث يستقر النص قراءة عقلية قادته في أغلب الأحيان إلى فهمه فهما بعيدا عما تعارف عليه العامة.

وهذا التفاوت في الفطر والعقول الذي جعل الناس طوائف، "يجر حتما إلى اختلاف التعاليم التي يجب أن يؤخذ بها كل فريق: فلجمهور وأشباههم، من الجدليين الذين لا يُطيقون الوصول إلى التآويل الصحيحة، والإيمان بظواهر النصوص الشرعية، وماضرب لهم من رموز وأمثال"<sup>(1)</sup>. و"للعلماء أهل البرهان؛ الإيمان بالمعاني الخفية التي ضربت الأمثال والرموز لتقريبها للعقول، وذلك بتأويل هذه النصوص"<sup>(2)</sup>.

"ويجب مع هذا كله أن نُحافظَ على أن يكون كل نوع من هذين التعليمين لطائفته الخاصة، وعلى ألا يختلط أحدهما بالآخر؛ لأنَّ جعل الناس شرعًا واحدًا في التعليم خلاف المحسوس والمعقول"<sup>(3)</sup>؛ ولذا "يحرم أن يتكلم مع الجمهور في علم لله على النحو الفلسفي"<sup>(4)</sup>، وإلا كان ذلك بمنزلة إعطائهم ما هو سم لهم، وإن كان غذاءً للآخرين.

فالناس حسب ابن رشد متفاوتة في المدارك والأفهام، وقسم الناس إلى ثلاثة أقسام:

- "الخطابيون: وهم الجمهور الغالب الذي يصدق بالأدلة الخطابية.
- أهل الجدل: ومنهم رجال علم الكلام، وهم الذين ارتفعوا عن العامة، ولكنهم لم يصلوا لأهل البرهان اليقيني، وقد يكونوا جدليون بالطبع والعادة.
- البرهانيون: أو أصحاب التآويل اليقيني"<sup>(5)</sup>.

فمثل هذه المواضيع لا تثار إلا مع الطبقة الثالثة حتى لا ينجم أثر عكسية على عامة الناس.

لقد تعددت المواضيع التي تناولها ابن رشد بالدراسة الفلسفية العقلية ذات البعد الميتافيزيقي؛ منها ما تعرض لها في معرض الشرح للفلسفة اليونانية، ومنها ما كان ردا على من ينكر

(1) بين الدين والفلسفة في رأي ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط، محمد يوسف موسى، ص: 87، دن ط الناشر مؤسسة هنداوي، سنة 2017.

(2) المصدر نفسه، ص: 87.

(3) الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد، ص: 79، تحقيق د. محمود قاسم، القاهرة، طبعة مكتبة الأنجلو المصرية، 1955.

(4) فصل المقال، ابن رشد، ص: 84.

(5) فصل المقال، ابن رشد، ص: 84\_85.

دور العقل في تحليل الماوراء الطبيعة كما صنع مع الامام الغزالي رحمه الله في كتابه تهافت التهافت...؛ فمن الموضوعات والقضايا التي أولى لها الاهتمام البالغ بالبرهنة والحجاج؛ موضوع وجود الله، وقدم العالم، وعلم الله، ومعضلة الروح، و...

### • وجود الله

إن أصل فلسفة بن رشد تنطلق ابتداء من العقل، وتجعله جوهر النظر والبرهان، فالعقل هو خاصية الإنسان الأساسية. والإنسان \_ في نظره \_ أشرف الموجودات في هذا العالم، لأنه هو "النظام بين الموجودات المحسوسة الناقصة، أعني التي تشوب فعلها أبدا القوة وبين الموجودات الشريفة التي لا تشوب فعلها قوة، أصلا وهي العقول المفارقة، ووجب أن يكون كل ما في العالم إنما هو من أجل الإنسان وخادم له إذ كان الكمال الأول الذي كان بقوة في الهيولي الأولى إنما ظهر فيه"<sup>(1)</sup> "ومن هنا أعطى ابن رشد العقل الإنساني أداة لالتقاط الحقيقة، والبحث عنها ووسيلة لفهمها والبلوغ إليها، ومن الخطأ الذي لا تقدر عواقبه الوخيمة أن نعرض عنه، لأنه الوسيلة التي تدرك بها حقائق الدين والطبيعة، والوسيلة التي تدرك بها أسى سعادة يمكننا الحصول عليها زيادة على كونه المميز لنا عما سوانا من الكائنات، ولولاه لما كان لنا علم بوجودنا وما نصبوإليه من سعادة وكمال"<sup>(2)</sup>

من خلال هذا النسق العقلي قدم ابن رشد براهين على وجود الله؛ قال: "إن الأدلة على وجود الصانع تنحصر في هذين الجنسين: دلالة العناية، و دلالة الاختراع.

يقوم دليل العناية على أن يفكر الإنسان جيدا وينظر فيما يحيط به من حماية وعناية ربانية ونعم لا تعد ولا تحصى، وقد خلق الله من أجله أكثر الموجودات. بل وجميع ما في السماوات وما في الأرض؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَسَخَّر لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ ؛ وهذا هو المقصود بالنظر الملكي؛ وينبني هذا الدليل على مبدأين: الأول أن جميع الموجودات هاهنا موافقة لوجود الإنسان،

(1) \_ تلخيص كتاب النفس، ابن رشد، ص: 124، تحقيق: الأهواني، دن ط، دار النهضة المصرية، سنة 1950م

(2) \_ المشكلات الفلسفية عند ابن حزم والبصري وابن رشد (رؤية عقلية لمشكلات فلسفية)، بركات محمد مراد، ص: 116، سلسلة كتاب المجلة

والثاني، كون هذه الموافقة ضرورية من قبل فاعل قاصد لذلك مريد؛ لأنه ليس من الممكن أن تكون هذه الموافقة بالاتفاق أو المصادفة<sup>(1)</sup>.

وهذا الدليل الذي يقدمه ابن رشد دليل عقلي؛ لأنه يثبت وجود الله تعالى من خلال صنعه وعنايته بالكون، وهذا ما أمر به القرآن، فقد قال سبحانه: ﴿أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء﴾<sup>(2)</sup>. يقول ابن رشد: "فإن الشريعة الخاصة بالحكماء هي الفحص عن جميع الموجودات؛ إذ كان الخالق لا يعبد بعبادة أشرف من معرفة مصنوعاته التي تؤدي إلى معرفة ذاته سبحانه على الحقيقة، الذي هو أشرف الأعمال عنده وأحظاها لديه"<sup>(3)</sup> وقد عضد ابن رشد على هذه الموافقة بين الإنسان والموجودات والعناية الإلهية بالعديد من الآيات الكونية كالشمس، والقمر، والحيوان، والنبات، والجماد وغيرها كثير، وهذه الموجودات بقاؤها محفوظة شيء مقصود ضرورة، وليس اتفاقاً<sup>(4)</sup>.

أما دليل الاختراع على النظر الدقيق في الموجودات والمصنوعات التي تدل لاعلى وجود الخالق فحسب بل على قدرته وجلال عظمته ووحدانيته كأثر يدل على المؤثر وصفة تدل على الصانع الحكيم، يقول ابن رشد: "ولذلك كان واجباً على من أراد معرفة الله حق معرفته أن يعرف جواهر الأشياء؛ ليقف على الاختراع الحقيقي في جميع الموجودات؛ لأن من لا يعرف حقيقة الشيء لم يعرف حقيقة الاختراع"<sup>(5)</sup> وقد استدلل ابن رشد على دليله هذا بالعديد من الآيات كدليل واضح على التوفيق بين الفلسفة والدين، من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء﴾<sup>(6)</sup> وقوله سبحانه: ﴿فلينظر الإنسان مم خلق، خلق من ماء خافق﴾<sup>(7)</sup>

(1) الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد، ص: 150، تحقيق د. محمود قاسم، القاهرة، طبعة مكتبة الأنجلو المصرية، 1955.

(2) سورة الأعراف، الآية: 185.

(3) الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد، ص: 150.

(4) تلخيص ما بعد الطبيعة، ابن رشد، ص: 160، تحقيق د. عثمان أمين، الطبعة الثانية، 1958م، القاهرة. بتصرف.

(5) الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد، ص: 151.

(6) سورة الأعراف، الآية: 185.

(7) سورة الطارق، الآية: 6.

وقوله: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الْإِبْلِ كَيْفَ خَلَقْتُمْ﴾<sup>(1)</sup> وعلى هذا فإن هذا الدليل تم استنباطه من القرآن الكريم للتأكيد على إثبات وجود الله<sup>(2)</sup>.

يرى ابن رشد أن لكل دلالة من الدلتين السابقتين جماعة من الناس تفهمها وتختص بفهمها وإدراكها، ويجعل الدلالة الأولى (العناية) طريقة الجمهور لأنها حسية، كما يجعل دلالة الثانية (الاختراع) خاصة بالعلماء والخواص فهم أصحاب الفكر والنظر البرهاني.

من خلال ما سبق نطرح سؤالاً منهجياً وهو كالاتي: هل ابن رشد يقدم العقل على النص في دراسته لموضوعات الماورائية؟ أم يكون منطلقه النص، والعقل تبعاً له، موظفاً مقدمات عقلية لتأكيد ما في النص؟

إن الحكم على دقة منهج ابن رشد في تقديم وتأخير العقل على النص يكاد يكون مستحيلاً، بسبب منهجه المتصف بالكر والفر، والذي قلنا عنه منهج المراوحة في المكان؛ إذ لا يستطيع الدارس الجزم بحقيقة منهجه انطلاقاً من تناوله لموضوع واحد من الموضوعات التي خاض فيها بفعل التفلسف.

إذا رجعنا إلى الدوافع التي حملت ابن رشد على الجمع بين الحكمة والشريعة، نجد أن الأمر الرئيس الذي جعله يقدم على هذا الفعل هو قابلية الإيمان للتعقل؛ إذا كان هذا هو الدافع الذي جعل ابن رشد يقول بالجمع، نفهم إذن من خلاله أن النص المؤطر لفعل الإيمان هو الأصل ومقدمات عقلية تبعاً له، وهذا المنهج نجده حاضراً في حديثه عن وجود الله وعلمه، أما سوى ذلك فنجده يطرق باب التأويل ليغلب العقل والمنطق كما في مبحث البعث والميعاد...

(1) سورة الغاشية، الآية: 17.

(2) الله كتاب في نشأة العقيدة، عباس محمود العقاد، ص: 232، مصر، ط دار المعارف، 1947م..

## • قدم العالم

يقصد بالقدم "هو الموجود الذي لا أول لوجوده والحدث هو الموجود بعد العدم، والحادث هو الواقع وهو أيضا حقيقة متحركة منسوبة إلى الزمان وتدل على ما يرى وما لا يرى. والواقعي ضد الوهيمي والخيالي من جهة وضد الضروري من جهة أخرى، كذلك فإن الحادث أو الواقع غير الحق والواجب. وهنا فرق بين الحدوث الزماني والحدوث الذاتي، فالزماني هو كون الشيء مسبقا بالعدم زمانيا، وأما الذاتي هو كون شيء مفتقرا في وجوده إلى الغير"<sup>(1)</sup>.

فقضية قدم العالم أو حدوثه تعتبر من القضايا التي ثار العجاج حولها بين القائلين بالقدم وهو مذهب فلاسفة اليونان ومن شرب من معين مدارسهم، والقائلين بالحدوث وهو مذهب بعض مفكري الإسلام.

لقد ذهب ابن رشد إلى القول بقدم العالم، وبذلك حذى حذو الكندي وابن سينا، وفصل القول في ذلك في كتابيه تهافت الفلاسفة وفصل المقال، إذ قال في كتابه الأخير:

"وأما مسألة قدمه أو حدوثه، فإن الاختلاف فيها عندي بين المتكلمين من الأشعرية وبين الحكماء المتقدمين يكاد يكون راجعا للاختلاف في التسمية، وبخاصة عند بعض القدماء؛ وذلك أنهم اتفقوا على أن هاهنا ثلاثة أصناف من الموجودات: طرفان وواسطة بين الطرفين، فاتفقوا في تسمية الطرفين واختلفوا في الواسطة.

فأما الطرف الواحد فهو موجود وجد من شيء غيره، وعن شيء أعني عن سبب فاعل ومن مادة، والزمان متقدم عليه ... وهذه هي حال الأجسام التي يدرك تكوُّنها بالحس، مثل تكوُّن الماء والهواء والأرض والحيوان والنبات وغير ذلك، فهذا الصنف من الأصناف اتفق الجميع من القدماء والأشعرية على تسميتها محدثة.

(1) \_دراسات في الفلسفة الإسلامية، عبد اللطيف محمد العبد، ص: 27، ط الأولى 1979م\_1418هـ، مكتبة النهضة المصرية.

وأما الطرف المقابل لهذا فهو موجود لم يكن من شيء، ولا عن شيء ولا تقدمه زمان، وهذا أيضاً اتفق الجميع من الفرقتين على تسميته قديماً، وهذا الموجود يُدرك بالبرهان، وهو الله تبارك وتعالى، وهو فاعل الكل ومُوجده، والحافظ له سبحانه وتعالى قدره.

وأما الصنف من الوجود الذي بين هذين الطرفين، فهو موجود لم يكن من شيء ولا تقدمه زمان، ولكن موجود عن شيء أي عن فاعل، وهذا هو العالم بأسره، والكل منهم متفق على وجود هذه الصفات الثلاث للعالم، فإن المتكلمين يسلمون أن الزمان غير متقدم عليه أو يلزمهم ذلك؛ إذ الزمان عندهم شيء مقارن للحركات والأجسام.

وهم أيضاً متفقون مع القدماء على أن الزمان المستقبل غير متناهٍ، وكذلك الوجود المستقبل، وإنما يختلفون في الزمان الماضي والوجود الماضي؛ فالمتكلمون يرون أنه متناهٍ، وهذا هو مذهب أفلاطون وشيعته، وأرسطو وفرقته يرون أنه غير متناهٍ كالحال في المستقبل، فهذا الموجود الآخر الأمر فيه بَيِّن؛ إنه قد أخذ شهياً من الوجود الكائن الحقيقي ومن الوجود القديم، فَمَنْ غلب عليه ما فيه من شبه القديم على ما فيه من شبه المحدث سماه قديماً، وَمَنْ غلب عليه ما فيه من شبه المحدث سماه محدثاً.

وهو في الحقيقة ليس محدثاً حقيقياً ولا قديماً حقيقياً؛ فإن المحدث الحقيقي فاسد ضرورة، والقديم الحقيقي ليس له علة. ومنهم مَنْ سماه محدثاً أزلماً وهو أفلاطون وشيعته؛ لكون الزمان متناهياً عندهم من الماضي<sup>(1)</sup>.

يرى ابن رشد ماهية المحرك الأول أي الإله، وماهية عقول الأفلاك هي أنها فكر تتجلى في الوحدة العقلية لوجودها والوصف الإيجابي الوحيد الذي نصف به الذات الإلهية هو أنها عقل

(1) \_فصل المقال، ابن رشد، ص: 60\_61.

ومعقول معا فالموجود فيه وهو عين الوحدة والوجود ليس زائدين بل هما موجودة في الذهن فقط شأنهما شأن سائر الكليات"<sup>(1)</sup>.

فإين رشد بهذا الطرح يكون قد خالف المتكلمين من حيث أنهم يقولون بالحدوث وبالخلق من العدم وينفي ذلك ويقول بوجود العالم من الأزل وعدم حدوثه.

### • علم الله

إن "...العلم الإلهي من إحدى المسائل الرئيسية في فلسفة ابن رشد، فمن حيث ترتيب الموجودات يحتل الله اشرف المراتب، وهو فعل محض حسب المصطلحات أرسطو وذات عاقلة لها صفاتها الخاصة التي تختلف نسبتها إليها عن نسبة الصفات الإنسانية إلى ذات الإنسان، فالعلم إحدى الصفات الإلهية، وهو شيء واحد مع الذات في نظر ابن رشد، وقد طبق هذا الفيلسوف مبدأه المشهور الخاص بالتفرقة بين عالم الغيب وعالم الشهادة على صفة العلم."<sup>(2)</sup>

لقد حذى ابن رشد حذو فلاسفة المشائين<sup>(3)</sup> في موضوع "علم الله"، معتقدا أن الله يعلم كليات الأشياء لا الجزئيات؛ بدعوى تنزيهه سبحانه. رافضا بعض آراء الفرق الإسلامية التي عالجت المسألة كالمعتزلة والاشاعرة، كما رد على الغزالي في اتهامه الفلاسفة أن الله يعلم الكليات فقط، ويضع قاعدة لدراسة العلم الإلهي أن الله عالم بالأشياء جميعها، لكن علمه لا يمكن أن يوصف كلي أو جزئي، لأن هذا الوصف ينطبق على الإنسان وحده.<sup>(4)</sup> ولم يكن ابن رشد الفيلسوف الإسلامي الوحيد الذي نهج هذا النهج فاعلم فلاسفة الإسلام ينزهون الله عن صفات الموجودات ويفرقون بينه وبينها إذا ما أرادوا الخوض في أعماق الماورائيات.<sup>(5)</sup>

(1) \_المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد، محمد عمارة، ص: 55، الطبعة الثانية، دت، دار المعارف \_ القاهرة\_

(2) \_نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها عند القديس توماس الالكوييني، محمود قاسم، ص: 127، مط: الانجلو المصرية، دت.

(3) \_هم أتباع أرسطو، ويكونون مدرسة متميزة في الفلسفة الإسلامية، ومن بين أعلام هذه المدرسة الفارابي وابن سينا وابن رشد...

(4) \_الجوانب الفلسفية في كتابات ابن السيد البطليوسي، حسن عبد الرحمن علقم، ص: 185\_186، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان

الأردن، ط 1، 1988م/1408هـ\_بتصرف\_

(5) \_أصل الإنسان وسر الوجود، فلسفة العقول، باسمة كيال، ص: 97، ط 1، منشورات دار ومكتبة الهلال بيروت، 1983م\_بتصرف\_

"دافع ابن رشد عن الفلاسفة فيقول إن الغزالي قد نسب إليهم إنكار معرفة الله للجزئيات، وهذا مخالف لما يرون والذي أرادته الفلاسفة حقا هو إن الله يعلم الجزئيات بعلم مختلف عن علمنا، فعلمه علة لها وعلمنا معلول." (1)

"فالحال في العلم القديم مع الموجودات خلاف الحال من العلم المحدث مع الوجود، وذلك أن وجود موجود علة وسبب علمنا والعلم القديم علة وسبب للموجود" (2)، "ولا يصح إن يكون العلم القديم على صورة العلم الحادث ومن اعتقد هذا فقد جعل مع الإله أنسانا أزلما، والإنسان إليها كائنا فاسدا." (3)

"ويضاف إلى ذلك أن علم الله لا يصف بالصدق والكذب، بل الذي يصف بالصدق والكذب هو العلم الإنساني فالله فعل محض وعلة، ولذلك لا يقاس علمه على علم الإنساني فمن جهة لا يعقل غيره من حيث هو غيره، فهو علم غير منفعل ومن جهة ما يعقل الغير من حيث هو ذاته، هو علم فاعل وإذا اوجب تعلق علمه بهذه الموجودات، فإما أن يتعلق بها على نحو تعلق علمنا بها، وإما أن يتعلق بها على وجه اشرف من تعلق علمنا بها، وتعلق علمه بها على نحو تعلق علمنا بها مستحيل، لأن العلم الصادق هو الذي يطابق الموجود، فان كان علمه اشرف من علمنا، فعلم الله لا يتعلق من الموجود بجهة اشرف من الجهة التي يتعلق علمنا بها، فللموجود إذن وجودان: وجود اشرف ووجود أخس، وجود الأشرف هو علة الأخس، وهذا هو معنى قول القدماء إن الباري تعالى هو الموجودات كلها، وهو المنعم بها والفاعل لها." (4)

(1) الفلسفة الإسلامية، نظلة أحمد الجبوري، ص: 321، ط 1، مط جامعة بغداد، 1411 هـ/ 1999 م.  
 (2) المنهج النقدي في فلسفة ابن رشد، عاطف العراقي، ص: 90، ط2، الناشر: دار المعارف 1984م \_ القاهرة.  
 (3) نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها عند القديس توماس الالكويني، محمود قاسم، ص: 152.  
 (4) المنهج النقدي في فلسفة ابن رشد، عاطف العراقي، ص: 94.

ومن هذا كله نقول إن العقل يمثل ركيزة أساسية في فلسفة ابن رشد، فالعقلانية تمثل الصبغة الأساسية التي يتصف بها مذهبه واتجاهه الفلسفي في الفكر الإسلامي خاصة والفكر الإنساني عامة. وعلى الرغم من اهتمام كل المفكرين والفلاسفة السابقين له بالعقل والعقلانية، إلا أن أهمية العقل عنده تأتي من كونه قد اتخذ منه موقفا متميزا، وفاعلا ومكملا للشرع، وبذلك تكون مدرسته الفلسفية مزيج بين الأرسطية والرواقية<sup>(1)</sup>، وكذا المدارس الكلامية..

---

(1) الرواقية: مذهبٌ فلسفيٌ هِلنستيٌّ أنشأه الفيلسوفُ اليونانيُّ زينون السيشومي في أئينا ببيدايات القرن الثالث قبل الميلاد. تندرج الرواقية تحت فلسفة الأخلاقيات الشخصية التي تُستمدُّ من نظامها المنطقي وتأملاتها على الطبيعة.

### الفرع الثالث: حواراته

لم تسجل لنا كتب التاريخ حوارات ابن رشد مع أعلام العلم والمعرفة، باستثناء اللقاء الذي جمعه بشيخ الصوفية الإمام محيي الدين ابن عربي (560\_638هـ)؛ وقد أورده هذا الأخير في كتابه "الفتوحات المكية". فالغالب على أسلوب ابن رشد في كتابته إيراد مذاهب الغير في كتبه ثم يقوم بالرد عليها بمقارعة الأدلة على شكل حوار بينه وبين مخالفه؛ فالقارئ لنص "تهافت التهافت" مثلاً يجد ابن رشد يروم فيه الرد على كتاب الغزالي "تهافت الفلاسفة" على اعتبار أن كتاب الغزالي كان عبارة عن دعوى ضد فيلسوف قرطبة في حوار له حجة الإسلام وقد سلك في هذا الحوار طريقة الاختصار والإيجاز وهي الطريقة نفسها التي سلكها في التلاخيص والمختصرات والشروح على ارسطو حيث يأتي بكلام الغزالي ويعيد تهذيبه وشرحه بأسلوبه قبل أن يرد عليه وأحياناً يستطرد في على المسألة المثارة ويبدل بتعليقات أو توضيحات. ويصرح ابن رشد منذ البداية بأن الغرض من تأليف الكتاب هو "أن نبين مراتب الأقاويل المثبتة في كتاب التهافت لأبي حامد في التصديق والإقناع، وقصور أكثرها عن مرتبة اليقين والبرهان".<sup>(1)</sup>

إن النص الرشدي هو حوار صريح لأبي حامد الغزالي، ورد مباشر على كتابته تهافت الفلاسفة، فحواره هذا له طابع جدلي عقلي ضمن به المسائل التي كانت موضوع الرد وهي مقسمة الى مسائل في الالهيات والطبيعيات (الماوراء الطبيعية). فالملاحظ في أسلوب الحوار الرشدي أنه لم يستند إلى إيديولوجية معينة، وإنما حكم جانب الحكمة والفلسفة؛ هذا الشكل من الحوار في زمن ابن رشد يمكن وصفه بثورة "ياهوسية"<sup>(2)</sup> في أخلاق الحوار حيث جعل جميع المعارف تدور في فلك العقل. كما أن هذا الحوار كان صدمة لأصحاب التقليد والتعصب للرأي الواحد.

(1) تهافت التهافت، ابن رشد، ص: 105، إشراف محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية الطبعة الثالثة 2008، بيروت - لبنان.  
(2) ياهوسية: نسبة إلى يان هوس، (gen hus) مولود باسم يان هوسنيك في نحو (1372 - 6 يوليو 1415)، يلفظ أحياناً جون هوس أو جون هاس، ويشار إليه في النصوص التاريخية باسم يوهانس هوس أو يوهانس هاس، كان لاهوتياً وفيلسوفاً تشيكيًا، ترأس جامعة تشارلز، وأصبح مصلحاً كنسيًا وملهمًا للبهوسيتية، وهو سلف هام للبروتستانتية وشخصية رئيسية في الإصلاح البوهيمي. وكان أيضًا مصلحًا للغة التشيكية المكتوبة. بعد جون ويكلييف، منظر الإصلاح الكنسي، يعتبر هوس المصلح الكنسي الثاني، إذ عاش قبل لوثر وكالفين وزوينغلي. أثرت تعاليمه بشكل قوي على دول أوروبا الغربية، وسريعًا في الموافقة على طائفة دينية بوهيمية مقومة، وبعد أكثر من قرن، على مارتن لوثر. كان هوس أستاذًا ورئيسًا وكاهنًا في جامعة تشارلز في براغ.

إن الحوار الحاصل بين ابن رشد والغزالي من خلال كتابه تهافت التهافت يسلط الضوء على عدة إشكالات منها: إشكال العلاقة بين الحكمة والشريعة، وهو الإشكال الذي وقف عنده ابن رشد بنوع من الاستفاضة في كتابه "فصل المقال". "فهذا الحضور الوافر في المتن الرشدي هو ما يؤكد روجيه ارنالديز حيث يرى أن معركة ابن رشد مع الغزالي اتسعت في "تهافت" وتأكدت فقادت ابن رشد إلى معالجة قضايا الفلسفة الكبرى جميعها"<sup>(1)</sup>. كما "نشير إلى إشكال آخر حظي باهتمام كبير من طرف الباحثين إشكال التأويل"<sup>(2)</sup>، حيث يقدم ابن رشد نقدا مباشرا للغزالي بخصوص سؤال التأويل، "وذلك راجع إلى جعل الغزالي هذه المسألة في متناول العامة، وهذا ما يرفضه ابن رشد ويجعله مقتصرًا على من كان ربانا من أهل العلم؛ لأن هناك نصوص لا تفهم في ظاهرها، بل يجب تأويلها، وهذه هي مهمة العالم الذي يؤهله طبعه لهذه المعرفة. فطباع الناس ليست متساوية في اكتساب المعرفة أو ما يسميه بالتصديق فمن الناس من يكتسب المعرفة بالأقوال البرهانية، وهي المسلمات الفلسفية، أي باليات التفكير النظري التجريدي، ومنهم من لا يقبل عقله هذه البراهين ويكتفي بالأقوال الجدلية التي يكسب بها المعرفة، ومنهم من يصدق بالأقوال الخطابية. هذا الاختلاف في اكتساب المعرفة مُراعى من جهة شريعتنا الإلهية، فقد دعت الناس من هذه الطرق إلى التصديق، وهذا صريح في قوله تعالى: ﴿الْمَعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَاءَ لَكُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِرِينَ﴾<sup>(3)</sup> (4).

فأهمية هذا الحوار تجعل من تاريخ الفلسفة تاريخا للأفكار وليس تاريخا ايدولوجيا تهيمن عليه لغة التكفير والافتتال الطائفي بين المذاهب، إنه حوار بين قائمتين من قامات الفكر الفلسفي الإسلامي، لا تفاضلية بينهما؛ "هذه الحقيقة تقلب الرؤية المتداولة في تاريخ الفكر الإسلامي عن العلاقة بين ابن رشد والغزالي، على أنها علاقة طلاق بائن؛ فالعلاقة بين الفيلسوفين ليست قطيعة

(1) ينظر: بيبين مثابتن منزلة الغزالي في فلسفة ابن رشد، محمد مساعد، ص: 352، ط الأولى 2014، الشارقة الإمارات العربية المتحدة.

(2) مقال: نظرية التأويل بين الغزالي وابن رشد، محمد مزوز، نشر: مؤسسة مؤمنون بلا حدود، أبريل 2014، المغرب.

(3) فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، ابن رشد، ص: 96، المشرف على المشروع، محمد عابد الجابري، الطبعة الخامسة، سنة 2011، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان.

(4) سورة النحل، الآية: 125.

بالغة منتهائها، كما أراد لها تاريخ بكامله أن تكون، بقدر ما هي علاقة استمرار تحكمها قطيعة لا يعوزها الاستمرار"،<sup>(1)</sup> فالناظر في حوار ابن رشد يجد أسلوباً راقياً يحكمه العقل والمنطق بعيداً عن التعصب وبعيداً عن الحوار الأجوف الذي لا ثمار له ولا غاية؛ فهذا الأسلوب نراه على وجه الخصوص في جوابه الذي قدمه: هل العالم أزلي أم غير أزلي وهل فاعل أو لا فاعل له، فقال ابن رشد: "فهجوم الغزالي مردود عليه"<sup>(2)</sup> وذلك لسببين:

"أولاً: أن الغزالي لم ينظر في كتب الفلاسفة مباشرة وإنما نظر من خلال كتب ابن سينا فلقه القصور في الحكمة.

أما السبب الثاني: فهو أن الغزالي لم يكن هدفه فهم الفلسفة لأجل الفلسفة، وإنما كانت له غاية أخرى وهي الدفاع عن علم الكلام ونصرة المذهب الأشعري خاصة."<sup>(3)</sup>

إن ابن رشد بهذا المنهج قد أسس لأخلاقيات الحوار والمناقشة، وهذا ما أكده الجابري في مقدمته لكتاب "تهافت التهافت"، حيث حصر أربعة مبادئ قامت عليها أخلاق الحوار عند ابن رشد<sup>(4)</sup>:

(1) \_ الاعتراف بحق الاختلاف وبالحق في الخطأ: يؤكد ابن رشد على أهمية التأكد من قول الآخر وفحصه على جهة الأمانة العلمية، وضرورة الاعتراف بالجميل لمن استفدنا منهم، وحتى إن أخطؤوا فخطأ العالم مغفور لأن هدفه هو بلوغ الحق ومعرفته.

(2) \_ ضرورة فهم الرأي الآخر في إطاره المرجعي الخاص به: يحاول ابن رشد أن يؤكد على أن من أخلاق الحوار عدم نزع النص من سياقه دون تدليل وإشارة إلى سياقه، أي وضع قول في الشروط والظروف التي قيلت فيها.

(1) \_ يبين ماثبتين منزلة الغزالي في فلسفة ابن رشد، محمد مساعد، ص: 20. \_ بتصرف.

(2) \_ تهافت التهافت، ابن رشد، إشراف محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، ص: 307\_308.

(3) \_ مقدمة محمد عابد الجابري لكتاب "تهافت التهافت"، ص: 21.

(4) \_ مقدمة محمد عابد الجابري لكتاب "تهافت التهافت"، ص: 79\_80.

(3) \_ التعامل مع الخصم من منطلق التفهم والتزام الموضوعية: شرط الحوار عند ابن رشد يقتضي أولاً حضور الحجة في الحوار لإقناع الخصم، ثم على المتحاور أن يجهد نفسه في طلب الحجج لخصومه كما يجهد نفسه في طلبها له، لقول الحكيم (أرسطو) " على الرجل أن يأتي من الحجج لخصومه بمثل ما يأتي به لنفسه".

(4) \_ الاعتقاد في نسبية الحقيقة العلمية وفي إمكانية التقدم العلمي : مادام ابن رشد يستحضر الأدلة الشرعية في بناء أفكاره، فإنه يعترف بنسبية الحقيقة على اعتبار مصدر الحقيقة المطلقة هو الله، والعصمة يمنحها الله لمن يريد ( الأنبياء). إذن، من ثم ضرورة الاعتراف بالخطأ وبالتالي نسبية المعرفة المتوصل إليها من طرف الإنسان مع الاعتراف له بحق الخطأ.

## الفصل الثالث: التجربة الحوارية في الأندلس ودورها في النهضة الأوروبية

### المبحث الأول: أوروبا القرون الوسطى

- المطلب الأول: أزمة الفكر الأوروبي في العصور الوسطى
- المطلب الثاني: وسائل قمع الكنيسة للفكر في القرون الوسطى
- المطلب الثالث: العلماء المضطهدون من الكنيسة

### المبحث الثالث: الحرية الحوارية في الاندلس ودورها في الاصلاح الديني بأروبا.

- المطلب الأول: حرية الحوار في الأندلس وتأثيرها في أوروبا
  - المطلب الثاني: الحركة الإصلاحية في أوروبا
    - الفرع الأول: عوامل قيام الحركة الإصلاحية في أوروبا
    - الفرع الثاني: أعلام الحركة الإصلاحية في أوروبا
- أ\_ يان هوس Gen hus (1373\_1415م)
- ب\_مارتن لوثر Martin luther(1483\_1546م)
- ج\_ أولريخ زوينجلي Zwingli ulrich (1484\_1531م)
- د\_ جون كالفن Gean calvin (1509\_1564م)

### المبحث الأول: أوروبا القرون الوسطى

- المطلب الأول: أزمة الفكر الأوروبي في العصور الوسطى
- المطلب الثاني: وسائل قمع الكنيسة للفكر في القرون الوسطى
- المطلب الثالث: العلماء المضطهدون من الكنيسة

## المطلب الأول: أزمة الفكر الأوروبي في العصور الوسطى

لقد تهيأ للكنيسة في العصور الوسطى سلطان واسع النطاق، ممدود الرحاب، روحيا بحكم وظيفتها، وسياسيا بسبب ضعف الملوك والأباطرة؛ وأحكمت قبضتها على الإنسان فكرا واعتقادا...<sup>(1)</sup>

فقد أدى ضعف أباطرة الرومان ثم انهيار الإمبراطورية الرومانية في الغرب سنة 476 م إلى ازدياد سلطة الكنيسة، وارتفاع شأن البابا في أوروبا.<sup>(2)</sup>

فالطغيان والتسلط الكنسي لم يكن المتضرر الأول منها طبقات الشعب الكادحة، بل كان أكثر الناس تضررا من ذلك هم الملوك والأباطرة. فإن كانت الكنيسة قد زعمت أن المسيح عليه السلام قد أعطى قيصر وحكمه شرعية الوجود، حين وضعت على لسانه هذه الكلمات: "أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله"<sup>(3)</sup>، وفسرتها بترك القانون الروماني يحكم العالم المسيحي بدلاً من شريعة الله؛ إلا أن الواقع كان مغايراً تماماً لذلك.

فقد ادعت الكنيسة لنفسها سلطة دنيوية أو زمنية Temporal كما يسمونها في التاريخ الأوروبي، وكانت تطلب وتمارس سلطانا، وتقبض بيد من حديد على زمام العالم المسيحي، وهو ما جعل الملوك والأباطرة يطأطئون رؤسهم، معلنون أنهم خاضعون لسلطانها.

يقول ول ديورانت: "وبلغت هذه السياسة البابوية ذروتها حين وضع ليو الثالث التاج على رأس شارلمان، ولم يعترف لشخص ما أنه إمبراطور على الغرب إلا إذا مسحه أحد البابوات."<sup>(4)</sup>

هذه الشرعية الموسعة أخذها البابا من البيان الذي أصدره، والذي قال فيه: "إن ابن الله أنشأ الكنيسة بأن جعل الرسول بطرس أول رئيس لها، وإن أساقفة روما ورثوا سلطات بطرس في

(1) ينظر: قصة الصراع بين الدين والفلسفة، توفيق الطويل، ص: 10، ط الثالثة، دار النهضة العربية سنة 1979 م، بتصرف.

(2) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، سعيد عبد الفتاح عاشور، ص: 45، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ببيروت، بتصرف.

(3) إنجيل مرقس، 12: 17-12.

(4) قصة الحضارة، ول وايريل ديورانت، 353/14، ترجمة محمد بدران، دار الجيل للطباعة والنشر، تونس.

تسلسل مستمر متصل، ولذلك فإن البابا ممثل الله على ظهر الأرض يجب أن تكون له السيادة العليا والسلطان الأعظم على جميع المسيحيين، حكاما كانوا أو محكومين.<sup>(1)</sup>

ولكي يستطيع رجال الدين أن يكون لهم تلك السلطة على الملوك والأباطرة أنفسهم فقد كانوا سابقين لعصرهم في ناحية مهمة وهي الناحية التنظيمية، إذ كونوا مؤسسة تنظيمية مركبة تركيباً عضوياً دقيقاً، من القاعدة العريضة الممتدة في كافة الأصقاع والأقاليم إلى قمة الهرم المتمركزة في روما، وهذه الميزة أكسبتهم نفوذاً مستمراً لا يقبل المنافسة وجذوراً عميقة يصعب اقتلاعها.<sup>(2)</sup>

إضافة إلى ذلك كان البابوات هم الذين يتولون تتويج الملوك والأباطرة، كما كان في إمكانهم خلع الملوك وعزلهم بإرادتهم المحضة، ولم يكن باستطاعة أحد الانفلات من ذلك، ومن رفض الرضوخ فإن حكمه غير شرعي، ومن حق البابوية أن تعلن الحرب الصليبية عليه وتحرم أمته.

"ولذلك فشل الكثير من الأباطرة والملوك المتمردين على الكنيسة في مواجهتها، كما أن العالم الغربي المسيحي لم يستطع التخلص من قبضة الكنيسة إلا بعد الثورة الداخلية التي قادها المصلحون الكنسيون، والتي أدت إلى إضعاف الهيكل التنظيمي والسلطة المركزية وتشتيت ولاء الأفراد."<sup>(3)</sup>

فالأمر لم يتوقف عند السيطرة عن زمام الحكم والسياسة، بل تعدى إلى السيطرة عن برامج التعليم، و احتكرت لنفسها تأويل الكتاب المقدس، وحرمت على غيرها الخوض فيه؛ أدانت كل من جاهر بحقيقة لم تقرها من قبل، ومن لم يذعن لها تحيق به اللعنة.

(1) قصة الحضارة، ول وإبريل ديورانت، 14/353

(2) ينظر: العلمانية نشأتها وتطورها وأثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، سفر الحوالي، ص: 124، دت، دار الهجرة، بتصرف.

(3) المصدر نفسه، ص: 124.

حتى الجامعات لم تسلم من بطش الكنيسة، حيث حولتها إلى معاقل للاستبداد و أوكار للرجعية حيث أدركت أن في خروج هذه الحركة التعليمية من قبضتها تعريضا لسلطانها وتعاليمها للخطر والنقد.<sup>(1)</sup>

"ويكفي أن نعرف أن البابوية تمسكت بمبدأ موافقة الأسقف على الطلبة الذين يتقدمون للحصول على درجة الدكتوراه في القانون من بولونيا بإيطاليا، أما باريس فقد ظهر هذا التدخل في التوحيد بين وظيفتي رئيس الجامعة و رئيس أساقفة باريس، بمعنى أن الأخير أضحي مشرفا على شؤون الجامعة."<sup>(2)</sup>

وكان من المنتظر أن تنتصر الجامعات الأوروبية لحرية الفكر - خاصة وأن الذي مهد لنشأتها بطرس أبيلارد 1142م صاحب الدعوة إلى تحرير العقل الأوربي- وتقي دعائها عدوان خصومها، "ولكن الكنيسة كانت إذ ذاك تحتكر العلم وتهيمن على شئونه فسارت الجامعات في ركابها، وأخذت تتلقى الأوامر والتعليمات من رجالها وتلقن طلابها ما يبيحه هؤلاء، وتحبس عنهم ما يحرمونه، ومن هنا نشأت سياسة "التعليم السلمي" الذي جرت عليه الجامعات، وأصبح أساتذة هذه الجامعات لا يعنون بالحقيقة بقدر ما يعنون بالاستجابة لطاعة الكنيسة واعتناق ما تقره من آراء."<sup>(3)</sup>

هيمنت الكنيسة إذن في شخص البابا على كل ميادين البحث العلمي، وفرضت عليها ما تراه حقا، وعملت على فرض آرائها بالقوة مستندة في ذلك على سلطانها الديني والدينيوي.

وحسبك دلالة على ذلك أن تفسيرات الكنيسة لنصوص العهد القديم وخاصة فيما يتعلق بقصة الخلق أدت إلى استبعاد "علم طبقات الأرض، وعلم الحيوان، وعلم الأنثروبولوجيا من ميادين

(1) ينظر: قصة النزاع بين الدين والفلسفة، توفيق الطويل، ص: 48، دت، الناشر: مكتبة الاداب بالجماميز، مصر .

(2) أوروبا العصور الوسطى، سعيد عاشور، ج2، ص: 247.

(3) قصة النزاع بين الدين والفلسفة، توفيق الطويل، ص: 48.

البحث الحر، وأصبحت الحقيقة -في نظرهم- هي التي تكون في ظاهر نصوص الإنجيل، كما أن تأويلها الحر كفيل في بمعرفة الناس الوجه الصحيح فيما يبحثون." (1)

وقد أدى هذا النهج إلى القول بأراء علمية غير صحيحة مثل القول بدوران الشمس حول الأرض، ورفض الاعتقاد بأن الجانب المواجه لموطننا من الأرض معمور بالخلائق، والاعتقاد بأن أمراض المسيحيين مردها إلى الشياطين. ومادامت أسباب الأمراض فوق طبيعته فعلاجها من جنسها أي فوق الطبيعي. هذا وقد اعترضت الدوائر الأكليريكية على التطعيم منذ القرن الثاني عشر. (2)

وبالإضافة إلى هذا فإن "الكيمياء اعتبرت فنا شيطانيا خبيثا. وقد أدان البابا المشتغلين بها عام 1317م. و قد سجن روجر بيكون 1292م مدة طويلة لمجرد ميولاته العلمية. (3)

لقد نصب رجال الدين أنفسهم مصدرا ومرجعا في كل أمور الدين و الدنيا، و كل من خالف توجهاتهم يعد مهترقا يستحل دمه، حتى الإنجيل كانت تحرم أي تفسير من جهة أو شخص لا ينتمي إلى جسم الكنيسة، فأوصدت الأبواب أمام آراء غيرهم، ولم تكتف بذلك بل اضطهدت المخالفين، وقمعت المارقين، وأقامت من أجل هذا محاكم التفتيش التي استخدمت كل أساليب القهر والتعذيب، والتي تكشف عن وحشية لا يعرف لها مثيلا، ولذلك اعتبرت من أشنع الوصمات في تاريخ البشرية.

"كانوا يضيقون ذرعا بأية معرفة عدا معرفتهم، لا يثقون بأي فكر لم يصححوه ويراقبوه فنصبوا أنفسهم للحد من العلم، الذي كانت غيرتهم منه بادية للعيان، وكان أي نشاط عقلي عدا نشاطهم يعد في نظرهم نشاطا وقحا." (4)

(1) المصدر نفسه، ص: 31.

(2) المصدر نفسه ص: 31، بتصرف.

(3) المصدر نفسه ص: 31، بتصرف.

(4) معالم تاريخ الإنسانية، ولز، 905/3، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، ط 3، لجنة التأليف والترجمة والنشر، سنة 1972م، وقد أخذ هذا النص من كتاب مغالطات لمحمد قطب.

كان الأوروبيون بين الحين والآخر يظهرون التمرد لكن الكنيسة كانت لهم بالمرصاد بأساليب القهر والقمع. لقد عالت الأصوات بين الفينة والأخرى تنديدا لفعل الكنيسة، ولكن سرعان ما يخبو هذا الصوت نتيجة ردع الكنيسة له وقمعه.

وهكذا يتبين لنا أن الكنيسة أحكمت سيطرتها، وفرضت رقابتها على كل منافذ الإشعاع للتقدم والمعرفة، وأعاقت كل فكر، وأوقفت كل تقدم، وأوصدت الأبواب التي من شأنها أن تزيد المعرفة وتساعد على الرقي والحضارة.

ولذلك كانت أوروبا في تلك العصور في ظلام دامس، وجهل سائد، وكان الفكر العقلي خاملا، والبحث العلمي راكدا وذلك بفعل التعصب المقيت والتزمت البغيض، وبسبب تلك العقبات التي وضعتها الكنيسة في وجه العلم والعلماء.

## المطلب الثاني: وسائل قمع الكنيسة للفكر في القرون الوسطى

حاصرت الكنيسة العقول الحرة وحاولت جاهدة أن تحجر عليها وتصفدها بوسائلها المتنوعة والمتعددة، ولم تعترف بالحرية الفكرية إلا تلك التي تدور في فلكها وتوافق هواها وتبدأ من عندها وتنتهي إليها؛ فما وافق أمزجة الباباوات كان حريةً فكريةً وإبداعاً، وما خالفها كان هرطقة وتمرداً وخروجاً عن جادة الصواب واستحق الحرمان والقتل والإحراق البيئيء المؤلم بالنار...

فمن الوسائل التي استخدمتها الكنيسة لتحكم قبضتها على الفكر المخالف لها:

### • الحرمان:

تعرف الموسوعة الكاثولوكية الحرمان الكنسي PRIVATION، على النحو التالي: "تميز الأسقف الرومانية بين ثلاثة أنواع من الحرمان الكنسي: الحرمان الأصغر، ويقع على شخص سبق له التواصل مع أحد يقع تحت عقوبة الحرمان الكنسي.

والحرمان الكبير الذي يعلنه البابا في تلاوته حكماً على أحدهم، والحرمان الأكبر وهو الطرد أو العقاب على جرائم أخطر، ويقع حصراً بأمر من البابا. عند إعلان حكم كهذا، فإن البابا يرتدي بزة خاصة ودثاراً وعباءة بنفسجية، كما يضع عمامته ويحاط بأثني عشر كاهناً يرتدون الأردية الكهنوتية ويمسكون شموعاً مضاءة. يأخذ البابا مكانه على الكرسي أمام المذبح أو في مكان آخر مناسب، ثم ينطق بحكم الطرد الذي ينتهي نصه بهذه الكلمات: "وذلك لأننا باسم الرب الأب العظيم، وباسم بطرس المبارك، أمير الرسل وجميع القديسين، وبما لنا من سلطة ممنوحة للربط وللحل بين السماء والأرض، ... " ثم يلقي الأسقف الإثنا عشر شموعاً التي يحملونها على الأرض ويبعثون بإشعار خطي إلى الكهنة والأساقفة المجاورين يتضمن اسم المحروم وسبب طرده وذلك بغية ألا يتواصلوا معه" (1)

فالقانون الكنسي كما جاء في الموسوعة الكنسية يتضمن عددا من العقوبات التي توقع على كل من يخرج على نظامها، وهذه العقوبات كانت تتراوح بين الإيقاف المؤقت، وبين الفرز أو القطع أو الفصل من عضوية الكنيسة، وكانت لكل مخالفة عقوبتها المناسبة، وكانت عقوبة الحرمان أو الفرز شيئا رهيبا بالنسبة لأهالي العصور الوسطى، وكانت الكنيسة تحذر أعضاءها من مخالطة المحرومين، والتعامل معهم، ولذلك كان المقطوع من عضوية الكنيسة يجد نفسه وقد نبذه الجميع وتجنبوه. وفي بعض البلاد كان مثل هذا الإنسان يحرم كافة الحقوق الشرعية، ويعتبر خارجا على القانون العام أي أنه كان ينبذ من المجتمع البشري كله في هذه البلاد.

هذا فضلا عن حرمانه من المشاركة في الأسرار الكنسية والطقوس المسيحية، ولذلك كان الاعتقاد السائد بين الناس أن الحرمان يعني حرمان المرء من السعادة الأبدية وأنه يمضي بموته إلى العذاب الأبدي.

فيذا صدر هذا الحكم من الكنيسة أبعده المحروم "من كل اتصال قانوني أو روعي بالمجتمع المسيحي، فلا يستطيع أن يقاضي، أو يرث، أو يعقد عقدا صحيحا من الوجهة القانونية ولكمنه يجوز لغيره أن يقاضيه، ويحرم على أي مسيحي أن يؤاكله، أو يكلمه، وإلا حق عليه الحرمان الأصغر." (1)

ومن الأشخاص الذين صدر في حقهم الحرمان؛ ملك فرنسا (روبرت الثاني 996\_1031م) لما تزوج ببرثا ابنة عمه \_ لأنهم كانوا يعدونها ساحرة\_ تركه جميع رجال حاشيته، وجميع خدمه تقريبا، وكان الخادمان اللذان بقيا عنده يلقيان في النار ما يتبقى من طعامه بعد كل وجبة من وجبته حتى لا تدنسهما هذه البقايا. (2)

(1) \_البابوية وسيطرتها على الفكر الأوروبي، في العصور الوسطى، أحمد علي علي عجيبة، ص: 1، ط1، 1412هـ/1991م، مكتبة المهتمدين الإسلامية.

(2) ينظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، مج 4، ج 3، ص: 261.

وكانت الكنيسة في الحالات القصوى تضيف إلى الحرمان عقوبة اللعنة، وهي عقوبة ذكر فيها بعناية كل ما يتصل بهذه العقوبة.<sup>(1)</sup>

ولم تكن قرارات الحرمان التي تصدرها الكنيسة خاصة بالأفراد فقط، وإنما شملت أيضا مجتمعات بأكملها.

يقول ول ديورانت "وكان آخر ملجأ للكنيسة هو حق البابا في أن يصدر قرار تحريم على أية بقعة من العالم المسيحي أي أن يمنع إلى أجل جميع الخدمات الدينية أو الكثرة الغالبة منها".<sup>(2)</sup>

#### • محاكم التفتيش:

تسمى باللاتينية Inquisitio Haereticae Pravitatis ومعناها الحرفي: التحقيق في البدع الهرطوقية، وهي محكمة كاثوليكية نشطت خاصة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، مهمتها اكتشاف مخالفي الكنيسة ومعاقبتهم. وضعها البابا غريغوري التاسع لقمع جرائم البدع والردة وأعمال السحر في جميع أنحاء العالم المسيحي من القرن الثالث عشر إلى السادس عشر.<sup>(3)</sup> وهي واحدة من أخطر الوسائل التي استخدمتها السلطات الكنسية لإحكام قبضتها ولمحاربة الفكر ووقمعه.

"وفي البداية كان الأمر موكولا للأساقفة لكي يعلنوا الحرب على من كانت تعتبرهم الكنيسة من وجهة نظرها هراطقة و منحرفين".<sup>(4)</sup>

"في سنة 1162م كتب لويس السابع (1137-1180م) ملك فرنسا إلى البابا اسكندر الثالث (1159-1181م) بأن المانويين<sup>(1)</sup> في فنلاندرز باتوا يستوجبون كالوباء يجي استئصاله قبل أن

(1) المصدر نفسه، مج 4، ج 5، ص 47\_48. بتصرف

(2) المصدر نفسه، مج 4، ج 5، ص:48.

(3) \_ Le Petit Robert \_ (édition 1993)

(4) \_ المسيحية في العصور الوسطى، جاد المنفلوطي، ص: 39، الجزء الثاني من سلسلة تاريخ المسيحية، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية سنة 1977م.

يستشري شره، و إني أهيب بك أن تخولوا صلاحيات كاملة لكبير أساقفة (ريمز) لمعالجة الموقف في حزم بالغ لتحطيم من يتمردون ضد الله في قسوة بالغة. و إن تهاونتم في الأمر فإن هذا سوف يؤدي إلى ضرر بالغ يلحق بالكنيسة قد لا تحمد عواقبه".<sup>(2)</sup>

"و بالفعل تحرك البابا اسكندر الثالث و عقد مجمعا في تورز سنة 1163م برئاسة شخصيا وقرر المجتمعون تكليف الأساقفة والأمراء الإقطاعيين باتخاذ أقصى درجات الحيطة والشدة في مطاردة المانويين – وغيرهم- الذين انتشروا في أوروبا و بخاصة في بلغاريا وجنوب فرنسا".<sup>(3)</sup>

ثم بدأت التحذيرات البابوية تأخذ شكلا آخر ضد هؤلاء الخارجين، وذلك بالحث على حمل السلاح ضدهم و اقتلاع جذورهم.

"فعندما انعقد مجمع اللاتيران سنة 1111/9م برئاسة البابا اسكندر الثالث طلب إلى السلطات العلمانية معاقبة المانويين والألبجزيين لأنهم باتوا يروجون لأرائهم جهارا، كما أصدر المجمع ضد هذه الجماعات قرارا بالحرمان واللعنة، واستنفر المجمع السلطات لحمل السلاح وشن حرب ضد شرورهم".<sup>(4)</sup>

وقد وجدت السلطات الكنسية تهاون الأساقفة وعدم جديتهم في القبض على أصحاب هذه الحركات والتابعين لها.

ومما زاد في صعوبة اكتشاف هؤلاء المهترقين أن القانون المعمول به حتى ذلك الوقت كان لا يسمح بتعذيب المتهمين والمشكوك في أمرهم لحملهم على الاعتراف الذين تفوقوا عليهم في العلم والذكاء والقدرة على النقاش والحوار. وعندما استبدت الحيرة برجال الكنيسة لم يجدوا حلا لهذه

(1) \_ المانوية: نسبة إلى ماني الفرسي الذي ولد سنة 215م، وأعدم في 277، ادعى ماني النبوة وأعلن أنه أتى بديانة جديدة، واعتبر نفسه البارقليط الذي بشرت به الكتب المسيحية...انتشر مذهب المانوي في اوروبا وكانوا يسمون بالكاتاريين، أو الالييجنسيين. (الملل والنحل للشهرستاني، ج 1، تحقيق محمد سيد كيلاني، مكتبة الحلبي سنة 1976م.)

(2) \_ محاكم التفتيش، نشأتها وتطورها، إسحاق عبيد، ص: 39، ط1، دار المعارف، 1978م.

(3) \_ المصدر نفسه، ص: 40.

(4) \_ المصدر نفسه، ص: 40. بتصرف.

المشكلة غير الالتجاء إلى ما يعرف في تاريخ القانون بالمحاكمة عن طريق وضعهم في محنة Trial by ordeal للتأكد من براءته إذا اجتازها أو عدم براءته إذا فشل في اجتيازها.<sup>(1)</sup>

فمن أساليب التي كانوا يقومون بها لإظهار المشتبه به عن حقيقته، أنهم كانوا يضعون كرة ملتهبة أو قطعة من الحديد، في يدي المتهم ليسير بها لمسافة تسع خطوات فإذا تقيحت يده فهذا دليل على إدانته.<sup>(2)</sup>

إضافة إلى الكرة الملهبة التي توضع في اليد، كانت المحكمة تضع أيضا أيدي المتهمين في ماء مغلي حتى يصل إلى معصمه، أو كتفه طبقا لخطورة الجرم المرتكب، ثم يقيدون بعد ذلك؛ وفي اليوم الثالث يأتي القسيس ليفحص الأيدي هل تقيحت أم لا؛ فإذا تقيحت اليد فالمتهم مذنب ظهرت معالم ذنبه، وإن لم توجد يعد بريئا.<sup>(3)</sup>

وهكذا ظهرت محاكم التفتيش البابوية في النصف الأول من القرن الثاني عشر، ونظمت كأداة تحقيق مستديمة تحت إدارة رجال الدين المسيحي. وبهذا الأداة نصبت الكنيسة نفسها لمهاجمة الضمير الإنساني بالنار والحديد، وكان كبار رجالها يقفون في مئات الساحات في أوروبا ليراقبوا أجسام أعدائهم تحترق بالنار.

ومن هذا كله يبقى السؤال المحير هو: هل غابت عن عقول الأساقفة والرهبان القائمين على هذه المحاكم وصايا المسيح، عليه السلام، بالرحمة والمحبة والتسامح مع الآخرين؟

الجواب: لم تغب عن عقولهم رحمة المسيح ومحبته وتسامحه، ولكنهم كانوا يستندون في بطشهم وتعذيبهم هذا لنصوص من الكتاب المقدس الذي أجازوه لأنفسهم بتفسيره وفهه دون غيره، وإن لم نقل بتحريف الكتاب المقدس وتغيير نصوصه ليخدم مآربهم في الإحراق والتعذيب واضطهاد كل مخالف؛ "لأن الإيمان متى اشتد، ارتفع فوق كل احتمال للجدل، واعتقد أهله أن كل من

(1) \_محاكم التفتيش، رمسيس عوض، ص: 7، دت، دار الهلال.

(2) \_المصدر نفسه، ص: 7، بتصرف.

(3) \_المصدر نفسه، ص: 7، بتصرف.

يخالفهم في الرأي، مصيره جحيم يصلى فيه شقاء أبدياً، لأن الإيمان متى كان متزمتاً متعسفاً أغرى أصحابه باضطهاد كل من لا يدين بدينهم ويساير نزعاتهم، لا يحدُّ من غلوهم في الاضطهاد، إلا حاجتهم إلى السلطة".<sup>(1)</sup>

ومن النصوص التي كانوا يستندون إليها لتبرير أفعالهم من إحراق و تعذيب الهراطقة؛ ما جاء في الكتاب المقدس "... فلا تستجب له ولا تُصعِ إليه ولا يُشفق قلبك عليه ولا تترأف به ولا تستر عليه، بل حتماً تقتله، كُنْ أنت أول قاتليه ثم يعقبك بقية الشعب، أرجمهُ بالحجارة حتى يموت".<sup>(2)</sup>

وجاء أيضاً في إنجيل يوحنا: "إن كان أحدٌ لا يثبت فيّ، يُطرحُ خارجاً كالغصن فيجفُّ، ثم تُجمعُ الأغصانُ الجافَّةُ وتُطرحُ في النار فتحترق".<sup>(3)</sup>

لقد "صاغ القديس أوغسطين مبدأ الاضطهاد لهداية الأجيال التالية، وأقامه على أساسٍ من الكتاب المقدس، فاستند إلى كلماتٍ فاه بها المسيح في مثل من أمثاله التي كان يسوقها لحوارييه إذ قال ما معناه: (أجبروهم على اعتناق دينكم).... وتمشياً مع هذا المنطق، سلم أوغسطين بمعاقبة الملحد بالنفي والجلد وفرض الغرامات، ووضع للكنيسة دستوراً تلتزمه إزاء كل حركة إحادية، فمضت الكنيسة بعد هذا جاهدة في تحقيق هذا الدستور".<sup>(4)</sup>

فالأمر لم يتوقف عند آيات الإنجيل، والمبادئ التي صاغها القديس أوغسطين التي تسوغ الاضطهاد، بل تعدى ذلك إلى تأصيل أفعال الكنيسة على مستوى الفلسفي، كما فعل القديس توما الأكويني ونظر له في كتاب "مجله اللاهوت" والذي يصنف بأنه المرجع الأساسي في المنهج الكاثوليكي الحاضر... ومن أهم ما يتناوله القديس توما في كتابه ضرورة قتل الهراطقة إذ يقول: "فيما يتعلق بالهرطقة، هناك شيئان يجب أخذهما في الاعتبار: واحدة تقع على الهراطقة، والأخرى تقع على الكنيسة؛ ما يقع عليهم هو الإثم والخطأ الذي بمقتضاه لا يستحقون أن يفصلوا من الكنيسة

(1) قصة الاضطهاد الديني في الإسلام والمسيحية، توفيق الطويل، ص: 62، ط1، دار الفكر العربي، 1947م.

(2) سفر التثنية، 13: 8 – 10.

(3) إنجيل يوحنا، 6: 15.

(4) قصة الاضطهاد الديني في الإسلام والمسيحية، توفيق الطويل، ص: 59.

فحسب، ولكن أن يُستأصلوا من الدنيا بالموت. في الواقع، إن محاولة إفساد العقيدة التي تؤدي إلى حياة الروح، لأكبرُ ذنباً من تزييف النقود التي لا تفيد إلا الحياة الدنيا. وبالتالي، إذا ما كان المزيّفون أو المجرمون يُعاقبون فوراً بالموت عن استحقاقٍ وبفضل العدالة، فمن البديهي أن يتمّ معاملة الهرطقة، ما أن تثبت عليهم التّهمَةُ، لا باستبعادهم عن الكنيسة فحسب وإنما بقتلهم بكل الحق... "و"أما إذا عاد الشخص مرّةً أخرى إلى الهرطقة، فذلك يوضّح زعزعة إيمانه. لذلك إذا ما رجع عنها ثانية فيؤخذ للعقاب مع عدم استبعاد عقوبة الموت."<sup>(1)</sup>

### ● احتكار الكنيسة تفسير نصوص الكتاب المقدس

يعد هذا العامل من العوامل التي عجلت بالإصلاح الديني، والتي كانت سببا في الضغوطات الدينية والذهنية والنفسية للناس.

لقد كانت اللغة اللاتينية هي اللغة الرسمية للإكليروس<sup>(2)</sup> وكان الكتاب المقدس قبل حركة الإصلاح مكتوبا باللغة اللاتينية والتي تسمى الفولجاتا<sup>(3)</sup> وكان عامة الشعب لا يعرفون اللاتينية، وبالتالي لا يفهمون الكتاب المقدس .

كان الناس يصلون بلغة لا يفهمونها ويرددون تراتيل الكنيسة بلغة لا يفهمونها، ومن هنا جاءت الحاجة إلى ترجمة الكتاب المقدس باللغات الأوروبية المحلية حتى يفهم الناس كتبهم المقدس ويقوموا صلاة يفهمون معناها ويحيون شعائر يفهمون مضامينها. ولكن الكنيسة وقفت لتلك المحاولات بالمرصاد ومنعتها فقتلت من استطاعت الوصول إليه ممن قاموا بالترجمة وحكمت عليه

(1) \_الإلحاد وأسبابه الصفحة السوداء للكنيسة، إنريكو ريبوني، ص: 80\_81، ترجمة د. زينب عبد العزيز، ط1، 2004، دار الكتاب العربي.

نقلًا عن (مجمّل اللاهوت) للقديس توما الاكويبي ج2 المسألة 11، الهرطقة، البندان 3+4.

(2) \_الأكليروس: كلمة يونانية المقصود بها أصحاب الرتب الكهنوتية "رجال الدين" وتكون وظيفتهم خدمة شعب الكنيسة وقيادتهم لمعرفة الله من خلال الأنجيل والأبائيات في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

وفي الكنيسة توجد رتب كهانوتية: أولها رتبة الشماسية، والقسيسية وأخيرًا رتبة الأسقف، والأخيرة هي الرتبة التي يخرج منها بابا الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بعد إجراء القرعة الهيكلية.

وفي رتبة الأسقفية ثلاث درجات تصاعديّة هي (الأسقف- المطران- البطريرك) (<https://www.albawabhnews.com/2933107>)

(3) \_الفولجاتا: هي الترجمة الشعبية للكتاب المقدس، باللغة اللاتينية، التي قام بها القديس جيروم (347- 420 م) حيث رأى أن الترجمة اللاتينية القديمة، التي ظهرت في القرن الثاني الميلادي لغتها صعبة؛ ففكر في عمل ترجمة شعبية، تكون أكثر سهولة، عرفت بترجمة الفولجاتا

(. <https://www.albawabhnews.com/3304608>)

بالهرطقة وحاربت مَنْ لم تستطع الوصول إليه وشوّهت سمعته، ومنعت بل حرّمت قراءة ترجمة الكتاب المقدس التي وضعها.

ففي عام 1390م ألقى يان هوس Gen hus مواعظه الكنسية باللغة التشيكية بدلا من اللغة اللاتينية. اعتبرت الكنيسة ذلك بدعةً وهرطقةً لا تُغتفر، وإتهام القس يان هس بالهرطقة. فهرب من مدينة براج. وعند انعقاد مجمع "كونستانس"، قام الملك بمنح "هس" تصريحاً بالسفر ليدافع عن نفسه ويشرح وجهة نظره للمجمع. لكن هذا "التصريح بالمرور" لم يكن إلا فخاً منصوباً له. فما أن وصل إلى مدينة انعقاد المجمع حتى تم القبض عليه وسجن في "نوفمبر" 1414م. وتبعت هذه الواقعة محاكمةً من محاكم التفتيش الشهيرة والتي انتهت بإدانة "يان هوس" لإصراره على عدم التخلي عن رأيه. وتمّ حرقه حياً في السادس من شهر يوليو عام 1415<sup>(1)</sup>.

(1) ينظر: الإلحاد وأسبابه الصفحة السوداء للكنيسة، إنريكو ريبوني، ص: 87\_88.

## المطلب الثالث: العلماء المضطهدون من الكنيسة

رفعت الكنيسة شعار التسامح يوم كانت كانت منبوذة من طرف السلطة الرومانية، وصرحوا بأن المعتقد الديني أمر اختياري، لا سبيل إلى إكراه الناس عليه؛ ولكن سرعان ما غيرت منهجها من اليسر والتسامح إلى البطش والترهيب.

لم تكد الكنيسة تنتهي من صراعها الميرير والطويل الذي خاضته ضد ملوك وأباطرة أوروبا على مدى العصور الوسطى حتى افتعلت صراعا آخر، لكن هذه المرة لم يكن سياسيا ولا عقائديا، و إنما صراع مع العقل الأوروبي المتحرر من قيود الكنيسة، الراض للهرطقات والخرافات التي كانت تتبناها، وتدافع عنها منذ أن استتب لها الأمر و أضحت القوة الدينية والسياسية الأولى في أوروبا.

لقد جعلت الكنيسة الكتاب المقدس نهاية حدود العلم والمعرفة، وتجاوز ما جاء فيه، يعرض صاحبه للترهيب و الاضطهاد. ووظفت في توجيهها هذا كل أساليب القمع والتخويف. \_ وقد سبق لنا الحديث عن وسائل التي وظفتها الكنيسة لقمع المخالفين في المبحث الثاني من هذا الفصل\_ وأيدتها الدولة بأجهزتها، وكل هذا من أجل فرض رقابتها على "آراء الناس في الكون وظواهره وأسراره، ثم شرعوا في سياسة محددة لقهر الفكر، وكبح العقل، وأخذ المسيحيون يبشرون بنظرية، مؤداها أن الخلاص لا سبيل إليه إلا عن طريق الكنيسة الكاثوليكية وحدها، والذين لا يعتقدون بصحة نظرياتهم، تحقيق بهم اللعنة الأبدية لا محالة، فأفضى هذا الاعتقاد إلى الاضطهاد والتنكيل بكل من جنح عما اعتمدته الكنيسة من آراء."<sup>(1)</sup> ، لأن الكنيسة " ادعت أنها وجدت عن طريق الوحي الإلهي، جوابا لكل مسألة من المسائل القديمة المتعلقة بأصل الخلق، وطبيعتهم، ومصيرهم، فقاومت الكنيسة بذلك عن البحث في العلل الطبيعية، وضحت بكل ما أنتجه العلم اليوناني، من تقدم خلال سبعمائة عام."<sup>(2)</sup>

(1) قصة الاضطهاد الديني في الإسلام والمسيحية، توفيق الطويل، ص: 78.

(2) قصة الحضارة، ول ديورانت، مج 4، ج 12، ص: 158.

فالفكر لا يحارب إلا بفكر؛ هذا ما فقته الكنيسة ولم تغفل عنه، وجعلته وسيلة أضافتها إلى وسائلها، وهذا ما جسد في شخصيتين تعدان من أقوى الشخصيات نفوذا وعلمًا في المؤسسة الكنسية بل في العالم المسيحي؛ القديس أوغسطين وتوما الأكويني .

لقد صاغ القديس أوغسطين مبادئ الاضطهاد، لكونه أوسع آباء الكنيسة نفوذاً، وأعلامهم صوتاً، إذ كانت تجتمع عند شروحات النصوص فكل من خالفها عوقب بالنفي والجلد، وفرض الغرامات، ووضع للكنيسة دستوراً بمثابة سياج تحد حدود كل فكر؛ وكان يستند في فعله إلى ماجاء عن يسوع المسيح لحواريه: "أجبروهم على اعتناق دينكم" . فصرح في كتابه "تعليقات على سفر التكوين" بأن ليس في الوسع التسليم برأي لا تؤيده الكتب المقدسة، لأن سلطانها أقوى من كل سلطان أمر به العقل البشري ، وكان لموقف هذا القديس أبلغ الأثر في عرقلة النظر العقلي ووقف التقدم العلمي؛ ومنذ هذا الوقت أصبح الكتاب المقدس أساس العلم ومصدره.<sup>(1)</sup>

أما القديس توما الأكويني فقد حاول التوفيق بين مذهب أرسطو وتعاليم الكتاب المقدس، حيث عمل على جعل سلطة العلم وسلطة الدين في انسجام ووافق، وكان ينزع إلى البرهنة على أن الحقائق التي نزل بها الوحي الإلهي، تسير منطق العقل، ومن ثم تكون قوانين المادة والعقل وطبيعة الإنسان، وقوانين منطقها متضمنة في المسيحية، ويقرر أيضاً بأن الحقائق التي يقدمها الإيمان، لا يقوى العقل على التدليل عليها، ففي استطاعة العقل أن يتصور وحدة ماهية الله، لكنه لا يستطيع أن يدرك تثليث الأقانيم.<sup>(2)</sup>

فالظاهر من خلال فلسفة توما الأكويني، أنه استقى مبادئها العامة من فكر ابن رشد وخاصة في قضية التوفيق بين الشريعة والحكمة...

لقد مارست الكنيسة جنادل التعذيب في حق العلماء الذين خالفوا تفسيراتها للكون؛ فمن هؤلاء المضطهدين نذكر:

(1) ينظر: قصة الاضطهاد الديني في الإسلام والمسيحية، توفيق الطويل، ص: 81.

(2) المصدر نفسه، ص: 85، بتصريف.

• هيباثيا الإسكندرية (370\_415م)

قام مجموعة من رهبان الكنيسة المسيحية في عام 415م بقتل هيباثيا ابنة نيون الإسكندري الذي كان مُديراً لمكتبة الإسكندرية. "وقد كانت هيباثيا آخرَ أكبر عالمة رياضيات وفلسفة في مدرسة الإسكندرية آنذاك، وقد تَمَّتْ عملية القتل بناءً على توجيهاتٍ وأوامر من أسقف الإسكندرية "سيريل" الذي جعلته الكنيسة البابوية قديساً فيما بعد "وبعد إعدامها بلا محاكمة، قام الجنأُ بسحب جثتها داخل الكاتدرائية وتولّى الرهبان تقطيع جسدها. وكانت حُجَّةُ المسيحيين في النيل منها أنها كانت مدرسة رياضياتٍ بارعةً وتمثّل تهديداً ضد انتشار المسيحية بسبب تعليمها العلوم وفلسفة الأفلاطونية الجديدة. ويمثّل مقتلها نقطة تحولٍ كبرى إذ غادر العديدُ من العلماء مدينة الإسكندرية متّجهين إلى الهند أو فارس ولم تُعدّ الإسكندرية بعدها تمثّل مركز الإشعاع العلمي في العصر القديم".<sup>(1)</sup>

ومضت الكنيسة في تيار الاضطهاد هذا تطارد من تعتبرهم مخالفين هراطقة ونفهم، ومصادرة أملاكهم، وهدم بيوتهم، وسلب حقوقهم وحتى إحراقهم.

• بيتر أبيالار (1079\_1142 م)

"طالب بتحرير العقل من كل قيد، واعتباره الحَكَمَ الذي يفصل في كل رأي، ويعرض بالمناقشة الحرة حتى لحقائق الوحي المنزل، وتعاليم الكنيسة، وبهذا أقام البحث اللاهوتي على أساس منطق العقل، ورفض كل مالا يتماشى مع منطق دعوته، فسخر من آلام المسيح لقاء رحمة الله وغفرانه، وعزا تألمه إلى حبه لله، ورغبته في أن يرد الناس إلى طاعته ... ووضع كتاب عارض فيه آباء الكنيسة، وعقيدة التثليث في الأقانيم، فأولها تأويلا يساير العقل".<sup>(2)</sup>، اتهم ابيالار بالهرطقة عام 1121 م، وأحرقت كتبه وسجن، ولكنه عاد إلى مواصلة بحثه في حدود منهجه العقلي، فحوكم عام 1141 م، وأصدر البابا بشأنه حرمانا مع تعاليمه، وإلزامه الصمت.<sup>(3)</sup>

(1) الإلحاد وأسبابه، الصفحة السوداء للكنيسة، إنريكو ريبوني، ص: 69.

(2) قصة الاضطهاد الديني في الإسلام والمسيحية، توفيق الطويل، ص: 87.

(3) المصدر نفسه، ص: 88، بتصرف.

• روجر بيكون (1220م\_1292م)

يعرف أيضاً باسم Doctor Mirabilis أي "المعلم المذهل" باللاتينية.<sup>(1)</sup>

في القرن الثالث عشر "نهضت في أوروبا دعوة جديدة، لم تكن مألوفة عند أهلها، وهي الالتجاء إلى التجربة، واستقاء العلم من معينها، وعدم الركون إلى الكتب والمراجع."<sup>(2)</sup> صاحب هذا الاتجاه التجريبي، هو: "روجر بيكون 1292 م الذي دعا للثورة على الجهل، والتمرد على حكم السلطات والدعوة إلى التجربة العلمية. وقد أفضت به دراسته للغة العربية، إلى الإعجاب بتراث أهلها، والنفور من طريقة الجدل الأرسطاطاليسية، ومهاجمة الاعتماد على التأمل العقلي وحده، وبهذا أبطل المنهج النظري ونزع إلى الاحتكام إلى التجربة في كل معرفة نستقيها من الطبيعة، واهتدى إلى الكثير من المخترعات وعرف الروح العلمي الصحيح، ومال إلى الكشف عن أضاليل السحرة، واشتد في حملاته على معاصريه من الفرنسيين والدومنيكان والعلمانيين على السواء ... حوكم بتحريم كتاباته مع حبسه في غرفته، فلبث سجيناً من عام 1277 م إلى أن مات سنة 1292."<sup>(3)</sup>

• جاليليو جاليلي: (1564م\_1642م)

هو أحد علماء الفلك الأكثر شهرة في تاريخ إيطاليا، وقد أجرى العديد من الاختبارات العملية والتجريبية أثبت من خلالها صحة نظرية كوبرنيكوس وذلك عن طريق رصده للكواكب باستخدام "التليسكوب" وأثبت دوران الأرض حول الشمس على خلاف الاعتقاد الكنسي القائم على أن الأرض ثابتة لا تتحرك، وأنها مركز الكون. كما استطاع أن يثبت أن هنالك كواكب تدور حولها، وأن عددها يزيد عن سبعة كواكب على خلاف الاعتقاد الكنسي السائد آنذاك والذي كان يحصرها في سبعة كواكب فقط، فثارت ثائرة الكنيسة وأعلنت هرطقة وكفر وإلحاد جاليليو، مستندة إلى أن أقواله تخالف ما ورد في الكتاب المقدس.

"وأجبرته لجنة المحكمة على الرجوع في رأيه بأن عرضت عليه أولاً وسائل التعذيب المستخدمة إذا ما أصر على رأيه، وكانت أعمال "جاليليو" قد أُدينَت ووضعت في كشف الممنوعات

(1)\_[https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D9%88%D8%AC%D8%B1\\_%D8%A8%D8%A7%D9%83%D9%88%D9%86\\_](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D9%88%D8%AC%D8%B1_%D8%A8%D8%A7%D9%83%D9%88%D9%86_)

(2)\_ قصة الاضطهاد الديني في الإسلام والمسيحية، توفيق الطويل، ص: 88

(3)\_ المصدر نفسه، ص: 89

منذ عام 1616م . وقد أمضى بقية حياته مُعتقلاً في منزله إذ أن شهرته العالمية قد سمحت له بتفادي العواقب الوخيمة، فكانت عملية اعتقاله في منزله هي الوسيلة الوحيدة لتفادي عمليات التعذيب الرسمية التي تمارسها اللجنة، خصوصاً بعد أن صدر الحكم عن محكمة التفتيش بسجنه وتعذيبه بشدة مما اضطره للتراجع عن نظرياته العلمية، وأعلن أمام البابا "أربان الثامن" تراجعاً وتوبته عما قاله. وقال في إعلانه هذا: "أنا غاليليو، وفي السبعين من عمري، سجينٌ جاثٍ على ركبتيّ، وبحضور فخامتكم، وأمامي الكتاب المقدس، الذي ألسُّه الآن بيدي أعلن أنني لا أشاع، بل ألعنُ وأحتقرُ خطأ القول وهرطقة الاعتقاد بأن الأرض تدور"<sup>(1)</sup>.

لقد غدت قضية جاليليو "رمزا يعني بذاته التعارض ما بين الكنيسة والعلم، قضية دفعت بسمتها القطيعة الرسمية، ما بين الإيمان والعقل، ولكون هذه القضية عنصراً من الطراز الأول في ترسانة الإلحاد أو معاداة الأكليروس، فقد ختمت بطابعها الضمير الكاثوليكي، وعلى نحو أسوأ بصفتها خطيئة أصلية ثانية."<sup>(2)</sup>.

(1) بين العلم والدين، أندروديكسون وايت، ص: 79\_80، ترجمة: إسماعيل مظهر، ، 1930، دار العصور، مصر.

(2) الكنيسة والعلم، تاريخ الصراع بين العقل الديني والعقل العلمي، جورج مينوا، ص: 28، ترجمة: موريس جلال، مراجعة جمال شحيد، ط1 2005 ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع.

المبحث الثالث: الحرية الحوارية في الاندلس ودورها في الاصلاح الديني بأروبا.

- المطلب الأول: حرية الحوار في الأندلس وتأثيرها في أروبا
- المطلب الثاني: الحركة الإصلاحية في أروبا
  - الفرع الأول: عوامل قيام الحركة الإصلاحية في أروبا
  - الفرع الثاني: أعلام الحركة الإصلاحية في أروبا
    - أ- يان هوس Gen hus (1373\_1415م)
    - ب- مارتن لوثر Martin luther (1483\_1546م)
    - ت- أولريخ زوينجلي Zwingli ulrich (1484\_1531م)
    - ث- جون كالفن Gean calvin (1509\_1564م)

## المطلب الأول: حرية الحوار في الأندلس وتأثيرها على أروبا

استطاعت الأندلس أن تشكل في تاريخ الإنسانية نموذجا حيا وملموسا للتلاقح بين الثقافات والحضارات والأديان، فضلا عن تأسيسها لمشروع حوار متقدم ومعرفي. لقد هيا الإسلام مبادئ التحوار الحضاري وحدد منهجه القويم باتخاذ اللين منهجا في المحاورة، وهذا ما جسده المسلمون في الأندلس في محاوراتهم ومجادلتهم فيما بينهم، وبين ممثلي الديانات الثلاث المتواجدة في الأندلس.

لقد أظهر المسلمون مقدار احترام الإسلام والمسلمين للرأي الآخر. وهذا الملمح يعد بحق رافدا من روافد الحضارة الإسلامية التي عرفت التعددية في العقائد والمذاهب والأفكار والرؤى، وكما هو معروف في الإسلام فإن الاختلاف سنة من سنن الله في الكون. ولعل أكبر ثمار الحوار الديني ما توصل إليه المسلمون عقليا، وما أقر به بعض علماء أهل الكتاب المنصفين فيما بعد من أن كثيراً من عقائد أهل الكتاب السائدة آنذاك تفتقر للبرهان المقبول. وقد اعترف بذلك بعض علماء النصرانية. ونجد تلك الاعترافات مبثوثة في مؤلفاتهم الجدلية، فيذكر الصفي بن العسال في كتابه: الصحاح في جوانب النصائح "أن العقائد النصرانية غير برهانية وينقل عن بولس الرسول مقولته المشهورة: "لم أبشركم بحكمة الكلام لئلا يتعطل صلب السميع"<sup>(1)</sup>. وفي هذا القول الأخير يبين العقائد النصرانية لا تصمد أمام الجدل العلمي.

لقد بلغ من معرفة علماء المسلمين المشتغلين بعلوم الكلام والفلسفة درجة عظيمة في ميدان الجدل حتى أصبح عند الإمام جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمرو بن أبي بكر المعروف بابن الحاجب المتوفى عام (ت646هـ) علما بذاته، يؤلف فيه كتاب مستقل عنوانه: "منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل" وهو كتاب في غاية الإتقان والبحث العقلي، وتدوير الأدلة النقلية لتطابق الفكر والعقل. أو كتاب علم الجدَل في علم الجدَل "لنجم الدين سليمان بن عبد القوي

(1) - الصحاح في جوانب النصائح، ونزح سبيل في تخجيل محر في الانجيل، الصفي أبي الفضائل بن العسال، ص: 21، ط جرجس مرقس

الطرفي (ت716هـ) كما كشف الجدل الديني عن براعة المسلمين في علم المنطق، نجد مصداق ذلك لدى فقهاء وعلماء شرعية مثل؛ ابن حزم والباجي، اللذين اشتهرا كفلاسفة وعلماء في المنطق. والحق أن المرء لتصيبه الدهشة من تمكن علماء المسلمين من الجدل المنطقي، وهم الذين لم يتوسعوا في دراسة المنطق اليوناني أو الفلسفة اليونانية، ومعرفتهم الواسعة بعقائد أهل الكتاب. ومن أمثلة ذلك ما نجده عند القرافي (ت648هـ) ولو أنه من علماء المشرق الإسلامي، في كتابه القيم: (الأجوبة الفاخرة في الأسئلة الفاجرة) كما أن معرفة المشرق الإسلامي لأهل الكتاب تكشف للمراقب عن تفوق المجادل المسلم على مستوى المؤلفات والرسائل الجدلية، أو على مستوى المناظرات الشفاهية. مثال ذلك كتاب: (عيون المناظرات) لأبي على عمر السكوني (ت: 717 هـ) الذي يحوي عددا من المناظرات مع اليهود والنصارى تنتهي كلها بإفحامهم، وانقطاعهم عن الحجج الديني، وأحيانا باعتناق بعضهم الدين الإسلامي.

وأوضحت المجادلات الدينية كثيرا من الصراعات الفكرية التي تحاور فيها علماء المسلمين فيما بينهم، وفي أحيان تقاتلوا بشأنها وعانت منها الأمة الإسلامية بأسرها، وتبين أن مرد تلك الصراعات تأثر علماء المسلمين بما عليه الطوائف غير المسلمة. مثال ذلك القول بقدوم القرآن وتشدهم في ذلك. والمعتزلة يخافون من أن يضاهي القول بقدوم القرآن كلمة الله ادعاء النصارى قدم المسيح، لأنه كلمة أيضاً<sup>(1)</sup>. وأثبتت تلك المجادلات الدينية الإسلامية مع أهل الكتاب مقدار ما ساهم به فكر بعض الفرق الإسلامية مثل الأشاعرة والمعتزلة والماتردية من جهود فكرية وفلسفية للمنافحة عن الإسلام والمسلمين.

وساهمت المجادلات الدينية التي استمرت طويلا بين علماء المسلمين ونظرائهم من اليهود والنصارى في نشأة علم الكلام الذي شهد قبولا من قبل بعض المسلمين وغيرهم من علماء أهل

(1) ينظر: تاريخ الرسل والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري محمد أبو الفضل إبراهيم، 531/8، (حوادث سنة 218)، دار المعارف، القاهرة.

الكتاب، بل وفوق هذا يمكن القول إن المجادلات الدينية كانت أساساً متيناً في نشأة ما أطلق عليه مؤخراً أسم "علم مقارنة الأديان" ولا شك أن ابن حزم الأندلسي من مؤسسي هذا العلم.

وعند تناول للحوار بين المسلمين، وغيرهم من أرباب الديانات الأخرى، إنما نسعى إلى إثبات أن ذلك الحوار والجدل أديا إلى بروز ظاهرة أخرى لا تقل عن الأولى في الأهمية وهي ظاهرة "الاحتكاك الثقافي" وهو احتكاك أدى إلى تفاعل حضاري بين الأندلس والدول الأوروبية المجاورة. حيث تم تبادل الزيارات العلمية بينهما، وقامت الوفود من الطرفين بزيارات متبادلة. وتم أيضاً تبادل الرسائل التي يحرص أن يقول فيها كل طرف الحجج القوية لتأييد ما يذهب إليه. مثال ذلك الرسائل التي بعث بها راهب فرنسي إلى المقتدر بن هود(ت474هـ) حاكم سرقسطه يدعوه إلى اعتناق النصرانية، وتكررت رسائل ذلك الراهب مما دعا بالمتقدر إلى الطلب من القاضي أبي الوليد الباجي (ت 474هـ) أن يتولى كتابة الرد، خصوصاً أن القاضي الباجي له مؤلف مشهور في الرد على أهل الكتاب ومحاجتهم عنوانه، ( السراج في علم الحجاج) ومثل هذا رد الخزرجي على أحد القسيسين. وقد تطرقنا إلى الباجي ورسالته في معرض ذكر شروط الحوار.

وفي القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي حيث بدأ الضعف والسقوط يأخذ بالممالك الإسلامية، نشطت المجادلات الدينية من الجانب النصراني، وأخذت المناظرات الشفاهية أو المكتوبة شكل تخصص دقيق، أجتهد له القوم، فتخصصوا في الدراسات العربية والإسلامية، وكانوا دائماً يرددون مقولة مؤداها أنهم إنما يدرسون الثقافة العربية لينقلوا العلوم والفلسفة اليونانية والهلنستية التي ترجمها علماء العرب في الشرق من اللغتين اليونانية والسريانية إلى اللغة العربية، لذا فهم يستعيدون علومهم من العرب. وتمكن الرهبان النصارى من تأسيس حلقات العلم الديني لإعداد جيل من الفقهاء يستطيعون مقارعة حجج المسلمين واليهود على السواء. وكان من ثمره تلك الجهود العلمية أن قصد الأندلس أحد علماء تلك الحلقات، وهو بطرس المكرم Pierre Le Venerable، وهو فرنسي من الرهبانية البندكتية، ورئيس دير كلوني، من أجل التزود من العلوم

العربية والإسلامية، وعندما رجع إلى ديره أخذ يصنف المؤلفات الجدلية للرد على العلماء المسلمين واليهود<sup>(1)</sup>.

كما أنجز توما الأكويني Thomas d'Aquin (ت 1274م) من الرهبان البندكتيين<sup>(2)</sup> دراسة ضخمة بعنوان: "خلاصة ضد الكفار" وكان يهدف من وراء كتابه أن يصبح مرجعاً للمبشرين النصراري العاملين بين المسلمين. وكذلك فعل رايموندو مارتيني R.Marini وكتب كتاباً عنونه "خنجر الإيمان" وكان رايموندو مارتيني يهدف من وراء كتابه إلى الرد على المسلمين واليهود على حدٍ سواء<sup>(3)</sup>.

"وصنف المبشر النصراني ريموند لول R. Lull الذي قُتل في شمال أفريقية عام (1314م). كتاب "الزنديق" وأدراه على شكل رواية أبطالها يهودي ونصراني ومسلم. وتحتوي تلك الرواية على أخطاء كثيرة. ثم ألف رواية أخرى عمادها مناظرة بين ريموند النصراني وعمر المسلم، حيث أدار مناظرة بين الاثنين انتصر فيها لريموند. والحق أن ريموند لول أمضى سنوات غير قليلة من عمره يبشر بالنصرانية بين أظهر المسلمين، ولكن لم يحالفه الحظ. وبأت محاولاته بالفشل، والحقيقة الغربية التي تستحق التوقف عندها أن كل المؤلفين السابقين، وكل المجادلين من علماء اليهودية والنصرانية اعتمدوا استفاد من المؤلفات الفلسفية والعملية لكل من: الغزالي، وأبن رشد، وابن سينا، وابن باجه، وابن طفيل، وابن عربي التي ترجمت إلى اللاتينية وكانت الأساس القويم للنهضة الأوروبية فيما بعد"<sup>(4)</sup>.

يتضح من خلال استعراض أدبيات الجدل الديني الإسلامي في الأندلس أن كتابات ومناظرات العلماء المسلمين الجدلية يغلب عليها أمران: الأول يتمثل في الدفاع عن الدين الإسلامي عقدياً وشريعة ونبوة دفاع علمي دقيق، وبأسلوب هاديء ضد حجج المجادلين من أهل الكتاب. الأمر الثاني

(1) ينظر: المستشرقون، نجيب عقيقي، 122/1، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1964م.

(2) البندكتيين: هو نظام ديني كاثوليكي من مجتمعات رهبانية مستقلة تحترم دور القديس بنديكت. ضمن النظام، يحافظ كل مجتمع فردي والذي قد يكون ديراً أو كنيسة على استقلالته الخاصة، بينما توجد المنظمة ككل لتمثيل مصالحها المتبادلة.

[https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%87%D8%A8%D9%86%D8%A9\\_%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%86%D8%AF%D9%83%D8%AA%D9%8A%D8%A9](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%87%D8%A8%D9%86%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%86%D8%AF%D9%83%D8%AA%D9%8A%D8%A9)

(3) ينظر: المستشرقون، نجيب عقيقي، 128/1\_131.

(4) المصدر نفسه، 117\_16/1.

يتلخص في المحاولات الناجحة لنقص العقائد الدينية اليهودية والنصرانية، وكانت المحاورات تتم في الغالب بصورة كتابية، وبمعنى تأليف المسائل والردود. وفي أحيان أخرى تتم المحاورات في شكل مناظرة بين عالمين يشهدا نفر من أتباع أديان المتناظرين.

وأهم القضايا التي استأثرت باهتمام الأطراف المتحاورين هي ما يلي: دحض حجج أهل الكتاب المتعلقة بمذاهبهم المتعددة، ومن ثم البرهنة على بطلانها. وبيان فساد مذاهب النصرانية المتعلقة في القول بفكرة الاتحاد والحلول. والبرهنة النقلية والعقلية من كون التوراة والإنجيل محرفين لا يشبهان ما أنزل على النبيين موسى وعيسى عليهما السلام. والخلوص إلى إثبات نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، والمقارنة الشرعية والنقلية والعقلية بين عديد من الشعائر الإسلامية وما يقابلها في النصرانية واليهودية، والخلوص إلى أن الشعائر في الديانتين اليهودية والنصرانية قد دخلها كثير من الزيادة والنقصان، وأصبحت لا تتواءم مع الشرع الإلهي والعقل الإنساني.

ومنه نقول: إن التجربة الأندلسية أثبتت أنه إذا ما توافرت الأجواء الصحيحة والتسامح فإن الدين لا يشكل عقبة أمام نهضة على كل المستويات، وأن الدين لا يصبح كما يقول البعض سببا من أسباب التقهقر؛ كونه أفيون الشعوب كما قال ماركس. فالجدل الديني كما اتضح من التجربة الأندلسية، جدل قائم على قبول الرأي والرأي الآخر، وعلى فتح باب الخيار أمام المتجادلين وغيرهم، وعدم إجبارهم على قبول ما لا يرضون، أو التقليل من شأنهم، ولم يرد في المصادر ما يشير إلى أن المتجادلين والمحاورين من أتباع النصرانية أو اليهودية قد تعرضوا للضرب أو السجن، ناهيك عن القتل. وهذا هو الحوار والجدل المطلوب الآن.

لقد تلقف الأوروبيون منهج المسلمين في التعامل مع دينهم، وتبين لهم مقدار الظلم الذي تمارسه الكنيسة عليهم، وفهموا أن الحرية الحوارية والفكرية مصدر كل نهضة..

بدأ الأوروبيون يفهمون وضعهم المنحط، وسبب تخلفهم بعدما ترجموا القرآن الكريم في أواخر القرن العاشر، وظهر بعدها مباشرة من يحمل لواء التغيير كإيان هوس الذي طرح سؤالاً لماذا تقدم المسلمون وتأخرنا نحن؟

ليأتيه الجواب من الكنيسة نفسها بأن كل من تعامل على الدين، ووظف عقله، وجرى لسانه على أساسه يقطع ويتهم بالهرطقة، ثم فهم من جاء بعده أن الكنيسة كانت تقمع كل حركة علمية لسبب واحد وهو ابقاء عروش الكنيسة مهيمنة على العقل المسيحي الأوروبي. قارن مفكروا أوروبا ، أنفسهم بالمسلمين المتقدمين على كل مستوى، ووجدوا أن سبب نهضتهم تكمن في سماحة دينهم المخول لهم كل الحريات المعرفية، ليرفعوا شعارا \_ بعد استوعابهم للفرق الحاصل بينهم \_ التمرد على المؤسسة الكنسية بغية الإصلاح...

فحضارة الإسلام في الأندلس إذن كان لها أثر كبير في الحضارات الأخرى في ميدان الفلسفة والعلوم؛ الذي انتشر عبر أنساق حوارية، فقد انتقلت الفلسفة وكثير من العلوم كالتب والطب والفلك إلى الغرب عن طريق الحضارة الإسلامية، وترجم الغرب كتب كثيرة للعرب والمسلمين، بل كانت الجامعات الأوروبية تدرس كتب ابن رشد وغيره، في وقت كانت أوروبا تعيش حالة من الظلام والجهل والخرافات والأوهام، ففتحت أوروبا عينها للعلم عن طريق الحضارة الإسلامية. إن الأمر الذي يكاد يجمع عليه الباحثون الأوروبيين أن أوروبا أفادت من علاقاتها بالإسلام وأهله في مواطن اللقاء كلها، وإن النهضة الأوروبية لم تحدث في القرن السادس عشر كما هو شائع، بل بدأت قبل هذا منذ القرن العاشر بفعل الشروع بحركة الترجمة والنقل عن العربية عبر الأندلس وصقلية<sup>(1)</sup>

(1) \_ تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، أبو زيد شلبي، ص: 327، مكتبة وهبة، 1422هـ/2012م، القاهرة.

## المطلب الثاني: الحركة الإصلاحية في أوروبا

الفرع الأول: عوامل قيام الحركة الإصلاحية في أوروبا

الفرع الثاني: أعلام الحركة الإصلاحية في أوروبا

ج- يان هوس Gen hus (1415\_1373م)

ح- مارتن لوثر Martin luther (1546\_1483م)

خ- أولريخ زوينجلي Zwingli ulrich (1531\_1484م)

د- جون كالفن Gean calvin (1564\_1509م)

## الفرع الأول: عوامل قيام الحركة الإصلاحية في أوروبا

إن العوامل التي أدت إلى قيام الحركة الإصلاحية في أوروبا كثيرة سنقتصر على بعضها، ونذكر منها:

### • ترجمة القرآن في القرن الثاني عشر الميلادي:

جذب القرآن الكريم القساوسة والرهبان بأسلوبه وطريقة عرضه لأُمور العقيدة والشريعة. فدعوا إلى ترجمته أولاً قبل دراسته ومناقحته بعد ذلك. والذي يفسر لنا ذلك كله أن أول من دعا إلى ترجمة القرآن الكريم هو الراهب "بيتر المحترم"<sup>(1)</sup> رئيس دير "كلوني" في فرنسا سنة 1143م، وأن اللذين قاما بهذه الترجمة هما الراهبان "روبرت"<sup>(2)</sup> و"هرمان"<sup>(3)</sup>

يقول محمد صالح البنداق: "أول ترجمة للقرآن الكريم باللغات الأوروبية كانت باللاتينية، وقد تمت بإيعاز وإشراف رئيس دير كلوني في جنوب فرنسا الراهب بطرس المبجل وهذا اسمه وكان ذلك سنة 1143م، وعلى يد راهب انجليزي يدعى روبرت الرتيبي، وراهب الماني يدعى "هيرمان"<sup>(4)</sup>.

وظلت هذه الترجمة مخطوطة في نسخ عدة، تتداول في الأديرة مدة أربعة قرون إلى أن قام "ثيودور بيبلياندر" بطبعها في مدينة "بال" في سويسرا في 11 يناير سنة 1543م، وسميت هذه الترجمة ترجمة "بيبلياندر" وتميزت بمقدمة لـ"مارتن لوثر" وفيليب ميلانختون".

(1) \_بيتر المحترم (1092\_1156م): راهب لاهوتي من رهبان البندكية، فرنسي، ولد في العام 1092م قرب Auvergne وسط فرنسا، نشأ في دير قريب من "سوكسيلانج" Sauxilanges تابع لدير كلوني في سنة 1109م، التحق «بيتر» بعد ذلك بدير فزليه، Vazelay وأقام فيه عشر سنوات، وفي سنة 1122م عين رئيساً لدير كلوني لسعة اطلاعه وفي فترة رئاسته للدير عمل على إصلاحه وإصلاحاً واسعاً، وأداره وجماعة كلوني بحزم، لكن أهم وأكبر خدمة قدمها للدير المسيحية بعامه هي دعوته لترجمة القرآن إلى اللاتينية، توفي سنة 1156م. (المستشرقون، نجيب العقيلي (1/112)

(2) \_ روبرت أوف تشستر Robert of chester : أحد المكلفين من قبل "بيتر" المحترم بترجمة القرآن ينسب روبرت إلى تشستر التي تلقى فيها العلم، دخل الرهبانية البندكية، ثم قصد الأندلسي، وعين أسقفاً على "بامبلونة" سنة 1143م، وتثقف بالثقافة العربية، ولا سيما بالعلوم الرياضية والفلكية منها، اختير مستشاراً لصقلية، حاول بيتر المحترم أن يصرفه هو وهرمان عن العلم، ولم يفلح في ذلك، حيث تابعا نشاطهما معاً في العلم، فترجما كتاب "الجبر والمقابلة" لـ"الخوارزمي" في خمسة فصول سنة 1135م، فكانت ترجمتها له ولكتاب الكيمياء من بعده فاتحة العلوم المنظمة في أوروبا. تميز نشاط "روبرت" بترجمة كتب الكيمياء والفلك، وصنف رسائل عدة، وعاون على إدخال حساب المثلثات. (المستشرقون، نجيب العقيلي، (1/113).

(3) \_ الألمانوس هرمان الزلماطي Hermann Alemanus (ت1172م): شارك إلى جانب روبرت، في ترجمة القرآن إلى اللاتينية، تقلب في مناصب كنسية عدة رفيعة المستوى، حيث عين رئيساً لشماسة "سربا بيلونا"، ثم راعياً لكنيسة "شيني" (1141.1143م)، ثم أسقفاً على "أستورجيه". من أنشطته العلمية: نقل إصلاح "المجسطي للمجريطي" وعلم الأخلاق، وبعض الرسائل في الكيمياء، وصنف كتاب البلاغة والشعر لـأرسطو، مستفيداً من شرح الفارابي، وتلخيص ابن رشد للشعر. (المستشرقون، نجيب العقيلي، (1/113\_114).

(4) \_ المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، محمد صالح البنداق، ص: 95، ط 2، منشورات دار الآفاق الجديدة، 1403هـ/1983م، بيروت.

وبعد هذه الترجمة تفتتق قرائح مفكري الكنيسة، بالتفكير في إصلاح الكنيسة الكاثولوكية، وسمعت أصوات داعية إلى التغيير، لأنهم قارنوا بين القرآن والإنجيل، فوجدوا اختلافًا، فحاولوا تهذيب تفسيراتهم فيما بعد لمواكبة روح القرآن.

#### • تدهور حالة رجال الدين

" لقد سلم المؤرخون أن البابوية خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر، والجزء الأول من القرن السادس عشر، وصلت إلى أدنى درك خلقيا وروحيا. كانت بابوية دنيوية...، وكانت مركزا لبلاط عاجز عن تقديم قيادة روحية، وإرشادات كنسية، وحقا كان هذا البلاط يغوص منحدرًا إلى أدنى درك في القيم الأخلاقية."<sup>(1)</sup> فانغمس رجال الدين في ملاذات الدنيا جعل المسحيون يشككون في صحة دينهم، وصحة نسبهته إلى الرب.

#### • ازدهار حضارة الأندلس

مع احتكاك أوروبا بالعالم الإسلامي، سواء عن طريق الأندلس وصقلية أو أثناء الحروب الصليبية، أصيب المجتمع الأوروبي بالصدمة لما وجدوه من تقدم كبير في المجتمعات الإسلامية وللجوة الحضارية الكبيرة التي تفصلهم عن العالم الإسلامي، لذلك فقد عمد الأمراء والملوك على سد هذه الفجوة من خلال إرسال بعثات تعليمية إلى الجامعات العربية في الأندلس حتى اعتمدت جميع مراكز التعليم في أوروبا على قرطبة وإشبيلية وطليلة وغرناطة. حيث كان الطلاب يشدون الرحال إليها ويقضون السنوات الطوال في الدراسة والتتبع، والاطلاع على مؤلفات المسلمين فيها، وكان رواد الغربيين القادمين إلى الأندلس في بعثات طلابية شديدي الإعجاب والشغف بكل ما يستمعون إليه من علوم في جو من الحرية لا يعرفون له مثيلا في بلادهم. ففي الوقت الذي كان فيه علماء الأندلس يتحاورون في حلقاتهم العلمية ومؤلفاتهم عن دوران الأرض وكرويتها، وحركات الأفلاك والأجرام السماوية، كانت عقول الأوروبيين تمتلئ بالخرافات والأوهام عن هذه الحقائق، و كانت الكنيسة تفرض رقابتها على العلم والعلماء.

(1) \_ تاريخ الكنيسة، جون لوريمير، 35/4، ترجمة: عزرا مرجان، ط 1، دار الثقافة 1990م، القاهرة.

وهذا الاحتكاك الذي أدى إلى الانبهار، وحب التغيير سببه البعثات الطلابية التي كانت تأتي من كل أصقاع أوروبا إلى الأندلس، وكان ممن حضى شرف الدراسة في الأندلس "الراهب الفرنسي (جربرت دي اورياك) الذي وفد إلى الأندلس في عصر الخليفة الحكم المستنصر (350-366 هـ / 961 - 976 م)، ودرس على أيدي العلماء المسلمين الرياضيات والفلك والكيمياء، وحينما عاد إلى وطنه بعد أن بلغ من العلم مبلغاً خيلاً لعامة فرنسا إذ ذاك أنه ساحر.<sup>(1)</sup>" فقد كان من أوائل المهتمين بالثقافة العربية، والمضمون التجريبي للعلم، وقد تربع بعد ذلك على عرش البابوية في روما تحت اسم سيلفستر الثاني (390 - 394 هـ / 999 - 1003 م)، وكان له الدور البارز في نشر علوم العرب في أوروبا، وهو أول من ادخل التعليم الديني ودافع عنه على أسس تقدمية.<sup>(2)</sup>

كما أرسلت إلى الأندلس بعثات ذات طابع رسمي من قبل حكومات بعض الدول الأوروبية، وأخذت هذه البعثات تتوالى على الأندلس بأعداد متزايدة سنة بعد أخرى، حتى بلغت سنة 312 هـ / 924 م، في عهد الخليفة الناصر زهاء سبعمائة طالب وطالبة<sup>(3)</sup>. "وكانت إحدى هذه البعثات من ألمانيا، ففي سنة 313 هـ / 925 م أرسل ملك ألمانيا اوتو الكبير، الراهب (جون) إلى قرطبة مبعوثاً إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر وأثناء مكوثه فيها لمدة ثلاث سنوات تعلم العلوم والثقافة العربية، وحمل معه المخطوطات العلمية العربية"<sup>(4)</sup>. "وتوجهت بعثته من فرنسا برئاسة الأميرة (إليزابيث) ابنة خال الملك لويس السادس ملك فرنسا. وبعث فيليب ملك بافاريا إلى الخليفة هشام المؤيد (366 - 399 هـ / 976-1009 م) بكتاب يطلب منه ان يأذن له بإرسال بعثة من بلاده إلى الأندلس للاطلاع على مظاهر التقدم الحضاري فيها والاستفادة منها، فوافق الخليفة هشام، وجاءت بعثة هذه الملك برئاسة وزيره المدعو (ويلميون) الذي يسميه العرب وليم الأمين<sup>(5)</sup>". "وقد تألفت هذه البعثة من

(1) حضارة الإسلام واثراها في الترقى العالمي، جلال مظهر، ص: 497، كتبة الخانجي، 1974م، القاهرة.

(2) تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، خليل ابراهيم السامرائي، ص: 477، دار المدار الاسلامي، 2004، بنغازي.

(3) ينظر: شمس العرب تسطع على الغرب، زغيريد هونكه، ص: 477، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، منشورات المكتب التجاري، د.ت. بيروت.

(4) ينظر: انتقال الطب العربي إلى الغرب، محمود الحاج قاسم، ص: 27، دار النفائس، 1999م، دمشق.

(5) دراسات في تاريخ الفكر العربي، خليل ابراهيم السامرائي، ص: 386، دار الكتب للطباعة والنشر، 1986م، الموصل.

(215) طالباً وطالبة وزعوا على جميع معاهد الأندلس لينهلوا من مواردها الثقافية، وتذكر الروايات بان ثمانية من أفراد هذه البعثة اعتنقوا الدين الإسلامي ومكثوا في الأندلس ورفضوا العودة إلى بلادهم، ومن ضمن هؤلاء الثمانية ثلاث فتيات تزوجن بمشاهير من رجال الأندلس في ذلك الوقت، وأنجن عدداً من العلماء كان منهم عباس بن مرداس الفلكي<sup>(1)</sup>.

وسار ملوك آخرون من أوروبا على هذا النهج، فقد أوفد ملك ويلز بعثة برئاسة ابنة أخيه كانت تضم ثمانية عشرة فتاة من بنات الأشراف والأعيان، وقد وصلت هذه البعثة مدينة اشبيلية برفقة النبيل (سفيلك) رئيس موظفي القصر في ويلز الذي حمل رسالة من ملكه إلى الخليفة هشام المعتد بالله الذي خلع عام 422 هـ / 1030م وكان هدف هذه البعثة كما تقول الرسالة: "فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة فأردنا ولأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يسودها الجهل من أربعة أركان..."<sup>(2)</sup>. وقد استقبل خليفة الأندلس البعثة أحسن استقبال، ورد على رسالة ملك ويلز، وقد حظيت هذه البعثة باهتمام رجال الدولة الذين قرروا ان يتم الإنفاق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين<sup>(3)</sup>

#### • التقارب السياسي والعلاقات الدبلوماسية

سعت العديد من الدول الأوروبية على توطيد العلاقات مع الدول الإسلامية في الأندلس لاسيما في عصر الخلافة الأموية، في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي اجتمعت في شخصه مواهب عدة أهلته لان يكون حاكماً ناجحاً، فهو سياسي مرن وقائد شجاع وإداري صلب، تمكن من خلق نظام قوي ومتين داخل الأندلس، وتحقيق سمعة سياسية في الخارج، أهلته لان يكون موضع إعجاب وتقدير الشخصيات المعاصرة له والتي سعت إلى صداقته وإقامة علاقات ودية معه<sup>(4)</sup>.

(1) - أوروبا ترسل بعثاتها إلى الأندلس، سليم طه التكريتي، ص:90، مجلة الوعي الاسلامي، العدد 37، 1968م، الكويت.

(2) - أوروبا ترسل بعثاتها إلى الأندلس، سليم طه التكريتي، ص:90

(3) - ينظر: دراسات في تاريخ الفكر العربي، خليل ابراهيم السامرائي ص:386-387.

(4) - الدولة العربية في اسبانيا، من الفتح حتى سقوط الأندلس، ابراهيم بيضون، ص:307، ط 3، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1986\_1406هـ، بيروت، بتصرف.

"وكانت الدولة البيزنطية في مقدمة الدول الساعية إلى توطيد العلاقات مع الأندلس، وقد عاصر الخليفة الناصر من أباطرة بيزنطة الإمبراطور قسطنطين السابع المشهور عنه اهتمامه بالعلوم والآداب وكتب الأقدمين، وقد وصلت سفارتين من الدول البيزنطية إلى الأندلس كانت الأولى سنة 336 هـ/ 947م، حيث بالغ الناصر في تزيين بلاطه والاحتفال بالسفراء"<sup>(1)</sup>

ومن نتائج هذه السفارات دخول المؤلفات المهمة إلى الأندلس ككتاب الحشائش في الطب والصيدلة لديسقوريدس وكتاب هروشيث في التاريخ الذي يحوي أخبار الروم في العصور القديمة، وقد استعانت الخلافة الأندلسية بالدول البيزنطية من أجل ترجمة هذين الكتابين<sup>(2)</sup> ونقل أكثر من مائة سارية وتحف غريبة استخدمت في بناء وتزيين مدينة الزهراء<sup>(3)</sup>.

ومن هذا كله نقول: إن ازدهار حضارة الأندلس على كل الأصعدة؛ الفكرية، والإقتصادية،... جعل نخبة من المثقفين يقارنون بين سلطة الكنيسة، والدين الإسلامي، حيث وجدوا أن الكنيسة تحرم على عامة الناس تفسير الكتاب المقدس، في حين المسلمون لهم الحرية الكاملة في تفسير كتابهم، وعرضه على الواقع، فتوصلوا إلى التيقن من أن العائق الذي يعوق نهضتهم، هي مطرقة رجال الدين وسندان تفسيرات البابا لشريعتهم، وهذا الذي جعل العقل الأوروبي يتوقد...

(1) \_ العبر وديوان المبتدأ والخير، ابن خلدون، 4/142، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، 1979م، بيروت.

(2) \_ ينظر: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس (دراسة تاريخية، عمرانية أثرية في العصر الإسلامي)، السيد عبد العزيز سالم، 2/206، الناشر مؤسسة شباب الجامعة، دت، الإسكندرية..

(3) \_ ينظر: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، خليل إبراهيم السامرائي، ص:175.

## الفرع الثاني: أعلام الفكر الإصلاحية في أوروبا

ثار العقل الأوروبي على المسيحية لما احتكوا بمسلي الأندلس، لأنهم عرفوا الحق، ومقدرا ظلم الكنيسة في بلدنهم بأنفتاحهم هذا، فالحق يعرف بضده؛ هذا الأمر هو الذي مهد لميلاد فكر جديد في أوروبا، وبالتالي ظهور أعلاما ينافحون عن الحق، وينادون بالتغيير وإصلاح المؤسسة الدينية، ومن بين هؤلاء الأعلام:

أ\_ يان هوس (Gen hus)، (1373\_1415م)

هو مصلىح ديني تشيكي، ولد في هوسينك Husinec ببوهيميا Bohemia، درس في جامعة براغ (prague)، وتقلد منصب أستاذ فيها، وأصبح رئيسها بعد أن انفصل القسم الألماني عنها ليؤسس جامعة ليبزغ (leipzig)، عين كاهنا سنة 1401م. وبفضل زواج الأميرة أنا (Anna)، ابنة شارل الرابع، ملك بوهيميا، من رتشارد الثاني، ملك إنجلترا، بنت الدولتان علاقات مميزة. فذهب طلبة بوهيميون ليدرسوا في أكسفورد وعادوا إلى براغ حاملين معهم أفكار وتعاليم جون ويكلف (Jhon wycliffe)، اطلع هوس على أعمال ويكلف وتأثر به تأثرا عميقا على الرغم من أنه لم يتفق معه في كل شيء.<sup>(1)</sup>

"اتفق هوس مع ويكلف على أن المسيح وحده رأس الكنيسة وأن الكتاب المقدس المرجعية الوحيدة. هاجم هوس موضوع بيع صكوك الغفران وانتقد الرهبنة وحياة البذخ في الأديرة"<sup>(2)</sup>، وتناقضات الكنيسة، ذلك أنهم يحرمون البذخ الديوي وهم منغمسون في حياة القرف، وبدأ هوس يفضح هذه التناقضات.

بعد هذا التمرد الذي قام به هوس نظرت إليه الكنيسة على أنه يقوض سلطتها، و يفسد إيمان الناس، وينشر فكرا ثوريا، مما سارعت إلى قمعه، ولكن الملك، والشعب احتج على ذلك لما رأوا في هوس من صلاح، وبعد هذا الرد الشعبي نصح الملك هوس بالتواري عن الأنظار ريثما تهدأ الأمور.

(1) \_ينظر: مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، القس عيسى دياب، ص: 37، ط 1، الناشر: مدرسة اللاهوت المعمدانية العربية، سنة 2009، \_ لبنان .

(2) \_المصدر نفسه، القس عيسى دياب، ص: 38،

وكتب في هذه المرحلة معظم مؤلفاته، من بينها كتاب " الكنيسة " الذي تناول فيه غطرسة القسيسين وبذخهم وانسياقهم وراء العجل الذهب الذي يقصد به الدنيا.

في سنة 1414م انعقد مجمع كونستانس لتسوية موضوع الانقسام البابوي، ورأى حينها الامبراطور الروماني سيجسموند هذه المناسبة سانحة لتسوية الخلافات في بوهيميا بين هوس والكنيسة، فدعا الملك هو إلى المجمع ووعدته بالأمان على حياته، فلبى هوس طلب الملك إلى كونستانس. ولكن ما حصل لم يكن في الحسبان؛ إذ اتهم هوس بتبني تعاليم ويكلف وسيق إلى السجن وأحرق فيما بعد بجانب بحيرة كونستانس سنة 1415م.<sup>(1)</sup>

وبعد موت هوس انتشرت تعاليمه في أوروبا، واستقبلها كثير من المثقفين على أن آراءه هي التي ستخلصهم من قيود الكنيسة إذا ما تبنتها فئة عريضة من المجتمع الأوروبي.

أ\_ مارتن لوثر Martin Luther (1483\_1546م):

ولد مارتن لوثر في العاشر من نوفمبر سنة 1483م، في أيزيبين وهي بلدة صغيرة في مقاطعة سكسونيا بألمانيا.<sup>(2)</sup>

بعدما أنهى مارتن دراسته الثانوية في مدرسة القديس جورج بمدينة ايزناخ، التحق بجامعة إرفورت Erfurt، ودرس فيها القانون، وحصل منها على درجته الجامعية سنة 1504، ثم حول مسار حياته ودخل الدير الأوغسطيني في إرفورت ليصبح راهبا، وقد طبق الرهبنة بكل دقة، واحتفل بدخوله في سلك الكهنه، ثم عين مدرسا للفلسفة في مدرسة ويتنبرج سنة 1508م، واستمر في دراسة اللاهوت التي أهلته لتدريس " الكتاب المقدس "<sup>(3)</sup>.

(1) \_المصدر نفسه، القس عيسى دياب، ص: 38،

(2) \_ ينظر: أوروبا في مطلع العصور الحديثة، عبد العزيز محمد الشناوي، ص: 372، ط 4، مكتبة الأنجلو المصرية، 1982م، القاهرة. أصول التاريخ الأوروبي الحديث، فشر هيرت، ص: ترجمة: 98، زينب عصمت راشد، أحمد عبد الرحمان مصطفى. مراجعة: أحمد عزت عبد الكريم. دار المعارف. 1965م، القاهرة.

(3) \_ ينظر: المصلح مارتن لوثر، حياته وتعاليمه، القس حنا جرجس الخضري، ص: 31\_35.

وقد خول له وفاءه للكنيسة أن يكون على رأس وفد مرسل إلى روما سنة 1510م، فلما قام بما أنيط له، صدم للمشاهد التي رآها هناك من انحلال الأخلاق لدى رجال الدين ومن بينهم البابوات، وانغماسهم في حياة البذخ والتبذل والملذات.<sup>(1)</sup>

وفي سنة 1512م منح درجة الدكتوراه في اللاهوت، وفرغ وقته للتدريس والوعظ، وقد استطاع أن يجذب الانتباه خاصة وأنه استطاع أن يكون لنفسه بعض الآراء التي يخالف في الكنيسة...<sup>(2)</sup>

ثم سنحت له الفرصة لإظهار هذه الآراء وإعلانها بشكل حاسم وذلك حينما جاء " حنا تتزل Johann Tetzel" إلى ألمانيا لبيع صكوك الغفران.

"وكانت ممارسة بيع صكوك الغفران قد انتشرت في كل الكنائس الأوروبية كوسيلة لجمع المال، وكانت الحملة الخاصة لجمع صكوك الغفران بالقرب من ويتنبرج هي التي استفزت مارتن لوثر ليتخذ الخطوة الدرامية الأولى تجاه الإصلاح"<sup>(3)</sup> خاصة وأن تتزل المكلف ببيع صكوك الغفران قد انزل في عدة مآخذ إذ أمسك بالصكوك في يده ولوح بها في الهواء وقال مخاطبا الفلاحين السذج الذين التفوا حوله إنهم إذا ما أسهموا عن طواعية واشتروا صكوك الغفران فإن كل تلال مدينة أنابورج ستتحول إلى كتلة هائلة من فضة صافية، وأنه ما أن يسمع رنين العملة في الصندوق حتى تكون روح من دفعت الأموال من أجله في طريقها إلى الجنة<sup>(4)</sup>، وبلغ الأمر مداه حين قال مخاطبا الجماهير إن الرجل إذا ارتكب الخطيئة مع العذراء المباركة نفسها فإن هذه الصكوك كفيلا بمحو ذنوبه، ومنحه غفرانا تاما.<sup>(5)</sup>

(1) \_ أوروبا في مطلع العصور الحديثة، ص: 372.

أصول التاريخ الأوروبي الحديث، فشر هيربرت، ص: 98، ترجمة: زينب عصمت راشد، أحمد عبد الرحمان مصطفى. مراجعة: أحمد عزت عبد الكريم. دار المعارف. 1965م، القاهرة.

(2) \_ أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، أحمد علي عجيبة، ص: 59، ط 1، دار الافاق العربية، 2004م، القاهرة.

(3) \_ تاريخ الكنيسة، جون لوريمير، ج 4، ص: 113.

(4) \_ ينظر: أصول التاريخ الأوروبي الحديث، فشر هيربرت، ص: 10، ترجمة: زينب عصمت راشد، أحمد عبد الرحمان مصطفى. مراجعة: أحمد عزت عبد الكريم. دار المعارف. 1965م، القاهرة.

(5) \_ ينظر: أوروبا في مطلع العصور الحديثة، عبد العزيز محمد الشناوي، ص: 372\_374.

دفعت هذه القضية مارتن لوثر إلى الضجر والتمرد على الكنيسة سنة 1517م، انتهز فرصة تجمع الأهالي في كنيسة ويتنبرغ، وعلق على بابها احتجاجاً يتضمن خمسة وتسعون بنداً، ضد صكوك الغفران، ودعا كل من يريد مناقشته من العلماء، وذاع هذا الأمر في أصقاع البلاد المسيحية؛ وهذا الحدث تمخض عنه ميلاد مبادئ مسيحية جديدة أكثر انفتاحاً على العلم وهي التي ستحتضنها كنيسة باسم البروتستانت.<sup>(1)</sup>

بدأ موقف مارتن لوثر بشأن صكوك الغفران، وتحديده للبابا، بلفت انتباه السلطات العليا في الكنيسة، وفي عام 1518 تم استدعاؤه إلى أوغسبورغ للقاء المندوب البابوي الكاردينال توماسو دي فيو (Tommaso de Vio)، والمعروف باسم (Cajetan)، الذي كان يحقق في الأمر. حاول دفع مارتن لوثر إلى التراجع، لكنه رفض التراجع بأي شكل من الأشكال. في عام 1519، سافر مارتن لوثر إلى لايبزيغ من أجل خلاف آخر، هذه المرة مع يوهان إيك (Johann Eck)، اللاهوتي الذي انتقد في وقت سابق خمسة وتسعون أطروحة. كانت المواجهة قضية مشحونة للغاية، أجريت أيضاً في كتيبات مطبوعة ونصوص ساخرة مرتبطة بها كتبها مؤيدون، حيث دافع مارتن لوثر مرة أخرى بقوة عن موقفه.<sup>(2)</sup>

بدأ لوثر في اتخاذ عدة خطوات عملية لتنفيذ الإصلاح فوجه في سنة 1519م الدعوة إلى حكام ولايات الألمانية من الأمراء ومن إليهم كي يتزعموا هذه الحركة الإصلاحية<sup>(3)</sup>، ووضع في سنة 1520م ثلاث رسائل تسمى (الرسائل العظمى في حركة الإصلاح الديني) كانت الرسالة الأولى عبارة عن نداء وجهه باللغة الألمانية إلى قادة الفكر من غير رجال الدين في ألمانيا، حثهم فيه على الشروع في إصلاح الكنيسة بأنفسهم دون الاعتماد على رجال الكنيسة وكان عنوان هذه الرسالة: (إلى هيئة النبلاء المسيحيين من الأمة الألمانية بصدد إصلاح العالم المسيحي).<sup>(4)</sup>

(1) \_المصدر نفسه، ص: 374، بتصرف.

(2) \_ينظر: تاريخ الكنيسة، ج 4، جون لوريمير، ص: 119.

(3) \_ينظر: أوروبا في مطلع العصور الحديثة، عبد العزيز محمد الشناوي، ص: 377.

(4) \_ينظر: المصلح مارتن لوثر، حياته وتعاليمه، حنا جرجس الخضري، ص: 101.

وكانت الرسالة الثانية وقد وضعها باللغة اللاتينية عنوانها: ( حرية الرجل المسيحي)، وجهها إلى البابا ليو العاشر على أنها نداء للسلام.<sup>(1)</sup>

أما الرسالة الثالثة فقد وضعها باللغة اللاتينية أيضا ووجهها إلى رجال الفقه الديني، أظهر فيها ضعف البابوية، وتدهور أخلاق رجال الدين، ووضع عنوانا لها: (مقدمة عن الأسر البابلي الكنسي).<sup>(2)</sup>

وكانت أهم مبادئ لوثر التي طعم بها رسائله هي كالاتي:

- إخضاع رجال الدين للسلطة المدنية.
- ليس للبابا الحق في احتكار تفسير الكتاب المقدس.
- إباحة الزواج للقسس.
- عدم إنشاء أديرة جديدة، وإلغاء عدد من الأديرة وتحويل نزلاتها إلى الحياة المدنية، ثم أعلن إلغاء الديرية والرهينة، وقد تزوج لوثر سنة 1525م، بإحدى الراهبات وتدعى كاترية بورا، وكان زواجه هذا تطبيقا عمليا وتدعيما لهذا الإلغاء.<sup>(3)</sup>

يظهر من خلال مبادئ التي اعتمدها لوثر في إعلانه للإصلاح، أن جوهرها مستمدة من روح الإسلام الذي شاع في أوروبا وتأثر بها عدد كبير من القسيسين والمفكرين، فلوثر نفسه قال كلمة يفهم منها مصدر استمداده وروح جوهره، حيث قال: نحن كلنا هوسيين؛ نسبة إلى أستاذه يان هوس، وهوس نفسه تأثر بحضارة الأندلس وحاول تنزيل ما يراه نقاط نهضة وسبب في التحول، ولكن سرعان ما قمعته الكنيسة الكاثولوكية ليخبو صوته.

إن اصرار لوثر وإعلانه التمرد على الكنيسة الكاثولوكية، أيقض مضجع البابا والقسيسين وأرسلوا له مفاوضات \_ كما سبق الإشارة إليه \_ ليتراجع عن أفكاره، ولكن دون جدوى، مما حمل

(1) \_ المصدر نفسه، حنا جرجس الخضري، ص: 105، بتصرف.

(2) \_ المصدر نفسه، جرجس الخضري، ص: 103، بتصرف.

(3) \_ المصدر نفسه، جرجس الخضري، ص: 103، بتصرف.

"إيك" - مفاوضه\_ على السفر إلى روما ناقلا تمرد لوثر إلى البابا، وأصدر في حقه مرسوما بابويا (Exsurge Domine) في 15 يونيو 1520، الذي هدد بطرد هذا الخصم المثير للقلق.<sup>(1)</sup>

رغم هذا الحجر على فكر لوثر، إلا أنه ظل يأخذ طريقه نحو الذيوع والانتشار، وأطلق على أنصار هذه الحركة بـ "بروتستانت" وتعني الإحتجاج.

وبسبب هذا كله وصف مارتن لوثر بأنه الفلاح السكسوني<sup>(2)</sup>، الذي تدين له حركة الإصلاح الألماني بقيامها وصفاتها<sup>(3)</sup>؛ فهو مخلصهم من قبضة الكنيسة وبطش البابوات واستغلال القسيسين...

### ب\_ أولريخ زوينجلي Zwingli Ulrich (1484\_ 1531م)

أولريخ زفينغلي Zwingli Ulrich، مصلح بروتستنتي سويسري. ولد في فيلددهوس Wildhaus بالقرب من سانت غول بسويسرا. نشأ في وسط تتصارع فيه المصالح السياسية والمدنية، وقد رباه عمه تربية كاثوليكية. غادر زفينغلي منطقتة الجبلية ليتابع دراسته في المدن الكبيرة: فيينا وبال وبرن. فتعلم في جامعة فيينا، وحاز على درجة الأستاذية في الفنون عام 1506، وتخصص أيضا في اللاهوت، وألم بالفلسفة، ثم تم ترسيمه قسيساً كاثوليكياً، وعين في مركز غلاريس للكهنة. رحل فيما بعد إلى آينسدلن Einsiedeln ليصبح واعظاً في دير القديسة مريم، الشهير بصوره العجائبية، الذي كان يحج إليه كل أهالي سويسرا وألمانيا الجنوبية. وفي عام 1514 تعرّف زفينغلي على عالم الحركة الإحيائية والفلسفة الإنسانية الهولندي الجنسية ديزيديريوس إراسموس Erasmus<sup>(4)</sup>، وارتبط معه بعلاقات وطيدة وصار من أتباع المذهب الإنساني humanism.

(1) - ينظر: أوروبا في مطلع العصور الحديثة، عبد العزيز محمد الشناوي، ص: 378.

(2) - الساكسون أو شعب الساكسون هي: مجموعة من الشعوب الجرمانية المبكرة، استخدم الاسم في أواخر الإمبراطورية الرومانية للإشارة إلى غزاة الساحل الجرمني، وأيضاً إلى كلمة شبيهة بـ"فايكنغ" اللاحقة.  
(<https://ar.wikipedia.org>)

(3) - ينظر: أصول التاريخ الأوروبي الحديث، فشر هربرت، ص: 98.

(4) - إيرازموس باللاتينية 1466 - (Desiderius Erasmus Roterodamus) \_ 1536 م هو: فيلسوف هولندي، من رواد الحركة الإنسانية في أوروبا، ومن الخدمات التي أسداها للتعليم علاوة على نشره الكتب التربوية اتصاله المباشر بالطلبة والمراسلات الشخصية وقد تناول في

وقد عمل على تجويد معرفته باللغة اليونانية، وتعلّم أيضاً العبرية. فدرس طبعة العهد الجديد التي أصدرها إراسموس، ونسخ رسائل القديس بولس الرسول، ومال مع إراسموس والآباء الشرقيين إلى تأويل مجازي للعهد القديم؛ فتبنى برنامج الدعاة الإنسانيين لإصلاح الكنيسة.<sup>(1)</sup> "ثم عين واعظاً في أينسيدلن، وترامت شهرته في الخطابة، وبرز اسمه بروزاً واضحاً قويا في الأوساط الدينية والسياسية ولاجتماعية في المقاطعة وتبوأ مكاناً عالياً."<sup>(2)</sup>

اتخذ الإصلاح الديني في سويسرا مظهراً يختلف نوعياً عن مظهره في ألمانيا، فبينما عارض لوثر كسر الأيقونات في (كنائس فيتمبرج)، كانت الأصنام تتساقط في هياكل (زيورخ) في حضرة زوينكلي، وبينما أثر لوثر أن يبقى متحداً مع كنيسة وأن ينقها من كل ما هو مضاد لكلام الله، فإن زونجلي تجاوز ذلك فرجع إلى الأزمان الرسولية واجتهد في أن يرد الكنيسة إلى حالتها الأصلية محدثاً تغييراً تاماً فيها.

وبينما توجه لوثر في إصلاحه إلى محاربة العنصر اليهودي في العقيدة، فإن زونجلي ركز جهده على محاربة العنصر الوثني الذي جعل من القديسين أنصاف آلهة نتيجة القول بإله غير متناه، ويتفق زونجلي مع لوثر في قبول اللاهوت الأساسي للكنيسة، القائم على أساس التسليم بوجود إله ثلاثي التوحد، والقول بهبوط آدم وحواء من الجنة، وتجسد وولادة العذراء، وكانت أهم المبادئ التي نادى بها زونجلي متفقاً فيها مع لوثر: "أن الكتاب المقدس يجب أن يكون هو القائد والمعلم، وألح على زواج الإكليروس، وهاجم عزوبة رجال الدين، وصكوك الغفران."<sup>(3)</sup>

"وأكد على أنه لا أساس للسلطة الروحية التي يطلق عليها اسم الكنيسة في الكتاب المقدس، وفي تعاليم المسيح، وأنكر عقيدة المطهر، وقال إنها خرافة"<sup>(4)</sup>

مؤلفاته معظم مظاهر التربية وقضاياها الهامة مثل الطريقة والمحتوى وأداب الطفولة وتعليم اللغة. كان يكتب باللغة اللاتينية. (https://ar.wikipedia.org)

(1) \_ ينظر: تاريخ الكنيسة، جون لوريمير، ج 4 ص: 163\_164.

(2) \_ أوروبا في مطلع العصور الحديثة، عبد العزيز محمد الشناوي، ص: 462.

(3) \_ أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، أحمد علي عجيبة، ص: 64.

(4) \_ المصدر نفسه، أحمد علي عجيبة، ص: 64.

## جـ. جون كالفن ( 1509 \_ 1564 م):

ولد جان كالفن سنة 1509م في مدينة نويون الواقعة شمال باريس. كان والده جيرار سكرتيرا للأسقف إضافة إلى تقيده وظائف أخرى هامة. درس مرحلة الابتدائية، في نويون، وفي سن الثانية عشرة ذهب إلى جامعة باريس حيث درس الآداب واللاهوت وحصل على الإجازة ثم الماجستير، انكب على دراسة المصلحين الألمان، وصار يميل إلى مبادئ المذهب اللوثري، حصل على وظيفة في الكنيسة دون الدخول في الإكليروس، ثم اضطر بعدها إلى تركها سنة 1534م، واضطر إلى مغادرة فرنسا لأملكها فرنسوا الأول كان قد أسرف إسرافا بعيدا في اضطهاد البروتستانت داخل فرنسا، وتنقل كالفن بين مدن سويسرا، وإيطاليا، وستراسبورغ في ألمانيا.<sup>(1)</sup>

"كان الإصلاح اللوثري قد لقي مؤيدين من الطبقة المثقفة في فرنسا، لكن من دون الانفصال عن الكنيسة الكاثوليكية أو إعلان العداء عليها، وكان كالفن قد أحاط نفسه بعدد من هؤلاء؛ أمثال جاك لوفافر ديتابل (1455\_1536)، ونيكولا كوب الذي انخب سنة 1533 رئيسا لجامعة باريس..."<sup>(2)</sup>

وكان من أهم التعاليم التي دعا إليها كالفن:

- الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد لكل تعليم عن الله وللعقيدة الصحيحة
- لا يحدث شيء في الكون أو بين البشر إلا أن يكون بأمره. هذا الاعتقاد في تعليم كالفن "عقيدة التعيين السابق". هذه العلامة المميز للاهوت الكالفيني.
- الخلاص بالإيمان وحده،
- في الأسرار المقدسة، يهيء الله لندركه، ويرشدنا إلى ذاته في العناصر المادية نفسها.<sup>(3)</sup>

(1) \_ ينظر: مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها ، القس عيسى دياب، ص: 68، ط 1، الناشر: مدرسة اللاهوت المعمدانية العربية، سنة 2009، \_ لبنان. / ينظر: أوروبا في مطلع العصور الحديثة، عبد العزيز محمد الشناوي، ص: 497. / ينظر: أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، أحمد علي عجينة، ص: 65.

(2) \_ مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها ، القس عيسى دياب، ص: 69.

(3) \_ أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، أحمد علي عجينة، ص: 65.

من خلال هذ المبادئ التي دعا إليها كالفن نجد اتفاقا بينه وبين لوثر، ووزوينجلي، إلا أن مذهب كالفن كتب له بالانتشار والذيع، إلى درجة لقب بـ"المصلح الدولي الوحيد"، صحيح أن لوثر هو الذي قام بأعظم مواجهة درامية مع روما... إلا أن كالفن هو الذي نظم وعزز جهد الإصلاح ليتسع انتشاره ويصل إلى ما وراء حدود جنيف وسويسرا نفسها، واستطاع أن يجعل من جنيف المدرسة الكبرى لعقيدة الإصلاح البروتستانتية.

"كانت الكلفينية إذن أكثر أشكال الإصلاح البروتستانتية في فرنسا، وشكلت الجمهورية الهولندية، وقبلها الإسكتلندية ديانة قومية لهم، وقبلتها المقاطعة البروتستانتية في سويسرا الشرقية، واعتناقها معظم المجريين الذين خرجوا على روما، وحتى في إنجلترا كان لها أثر بارز."

## الخاتمة

يعد الحوار من أرقى وسائل التواصل مع الآخرين، وهو فن من فنون الاتصال الهادف مع الغير، ولا يحسن هذا الفن إلا أهل الحكمة والخبرة والثقافة العالية، ولا يتفطن إلى ثماره ووقعه إلا من صاحب كتب التاريخ واستنطقها.

فالحوار، هو السبيل الوحيد للتواصل والتفاهم بين الناس، وأهم وسائل التعارف والتألف بينهم، ومنهج من مناهج الدعوة والإصلاح في المجتمع، ونسق ناجح في التأثير في الآخر، فردا أو جماعة، ويؤدي إلى التقارب والالتقاء.

وظهر لنا جليا دور الحوار من خلال ما طرقتنا إليه بالدراسة من حيث مبادئ الدين، ومن حيث واقع البيئة الأندلسية.

وسنجدل نتائج الدراسة فيما يلي:

- أن الإسلام دعا إلى الحوار، ووضع له شروطه
- أن الحوار ضرورة حضارية ووسيلة من وسائل الدعوة إلى الله.
- أن التعددية والاختلاف سنة من سنن الله في كونه، وبالتالي لا يمكن أن يجتمع الناس جميعا على رأي واحد كما أنه من المستحيل أن تؤمن البشرية جمعا.
- من خلال الحوار والمناقشة يستطيع علماء الإسلام الرد على مزاعم تقصم الدين، وإبراز قيم ومبادئ السمحة للدين الإسلام.
- أن الحوار هو سبب تفتق علوم جديدة تفرد بها المسلمون في الأندلس.
- أن اول خطوة قام بها المصلحون في أوروبا الدعوة إلى مناقشة ما في الإنجيل وشرحه
- أن أوروبا أفادت من علاقاتها بالإسلام وأهله في مواطن اللقاء كلها.
- إن النهضة الأوروبية قامت بسبب الحرية الحوارية في الأندلس.

- إن الفكر النهضوي الأوروبي نما على أكتاف الحضارة الأندلسية، التي تعد المؤسس لمعظم العلوم التي قامت عليها الحضارة الغربية.

كان للغنى الثقافي والفكري الذي عرفته الأندلس في القرن الحادي عشر الميلادي أثره الواضح على السجلات والحوارات التي دارت بين أصحاب الأديان في الأندلس، والتي اتسمت بالحدة والتقريع اللفظي.

ومن هذا كله يظهر لنا أن الحوار هو أول أئفية للتغيير، وأنه يعكس روح التسامح الديني الذي يكفله الإسلام لغير المسلمين عامة ولأهل الكتاب خاصة، إذ يعطيهم حق الدفاع عن عقائدهم والمجادلة عنها وتبيان مواقفهم واعتراضاتهم.

## لائحة المصادر والمراجع

### القرآن الكريم.

- أبجد العلوم، الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق حسن خان القنوجي، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق 1978م.
- ابن باجة الأندلسي، الفيلسوف الخلاق، كامل محمد عويضة، دت، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن باجة وأراؤه الفلسفية، زينب عفيفي، الطبعة الأولى 1430هـ/2009م، الناشر مكتبة الثقافة الدينية \_ القاهرة \_
- ابن باجة والفلسفة المغربية، عمر فروخ، ط2، 1371هـ/1952م، منشورات مكتبة منيمنة \_ بيروت \_
- ابن حزم الأندلسي رائد الدراسات النقدية للتوراة"، أحمد الديبو، مج 23، العدد الثاني، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية سنة، 1428 هـ 2007 م، \_ سوريا \_ بتصرف.
- ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، عبد الحليم عويس، ط الثانية 1409هـ\_1988م، شركة سوزلر للنشر القاهرة.
- ابن حزم صورة أندلسية، طه الحاجري: طبع ونشر: دار الفكر العربي، القاهرة.
- ابن حزم: صورة أندلسية، محمد طه الحاجري، دار النهضة العربية \_ بيروت \_ 1982م.
- ابن حزم، حياته وعصره- آراءه وفقهه، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي \_ القاهرة.
- ابن رشد سيرة وفكر، محمد عابد الجابري، ط الخامسة: 2015م، مركز دراسات الوحدة العربية \_ بيروت \_.
- ابن رشد، عباس محمود العقاد، د.ط، مؤسسة هنادي للتعليم والثقافة، سنة: 2012م، القاهرة.
- ابن هشام: السيرة النبوية
- الإتقان في علوم القرآن، الحافظ ابي الفضل جلال الدين عبد الرحمان بن ابي بكرالسيوطي. تحقيق مركز الدراسات القرآنية. دت . مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، احمد علي الملا.
- أثر الكنيسة على الفكر الأروبي، أحمد علي عجيبه، ط 1، دار الافاق العربية، 2004م، القاهرة.
- الأحاديث المختارة، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهبش، ط1، 1410هـ، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.
- الأحكام السلطانية، أبو الحسن علي بن محمد الوردي بن حبيب البصري البغدادي، تحقيق: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، سنة: 1432هـ/2006م.
- أحكام القرآن، لأبي بكر بن محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، ط الثالثة، 1424هـ/2003م، دار الكتب العلمية، لبنان \_ بيروت.

- أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص ، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، بيروت، دار احياء التراث العربي، 1405هـ.
- الأحكام الكبرى (وثائق في قضاء أهل الذمة مستخرجة من مخطوطة الكتاب)، أبو الإصبع عيسى بن سهل الأندلسي تحقيق محمد بن عبد الوهاب خلاف، المركز العربي، بيروت.
- الأحكام في اصول الاحكام ابن حزم. نشر زكريا علي يوسف \_ القاهرة\_ د.ت
- أحمد بن حنبل، حياته وعصره وأراؤه وفقهه، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، د-ت.
- إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد الغزالي، ط الأولى: 2005 دار ابن حزم بيروت \_لبنان
- أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.
- أخرجه الترمذي.
- ادب الاختلاف في الإسلام، طه جابر فياض العلواني. المعهد العالمي للفكر الاسلامي. سلسلة قضايا الفكر الاسلامي العدد.2. 1987
- ادب البحث والمناظرة، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق سعود بن عبد العزيز العريفي، ط الاولى 1426هـ دار عالم الفوائد
- أدب الحوار الفكري، عبد اللطيف الأرنؤوط، ط: 1425هـ/2004م.
- أدب الحوار في الإسلام، محمد سيد طنطاوي، ط الأولى 1997، دار النهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- أدب الحوار، محمد حسن بخيت، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر 16\_ 17 أبريل 2005 م ( -- / 8\_9 ربيع الأول 1426 هـ) الجامعة الإسلامية بغزة - كلية أصول الدين.
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد الشافعي القسطلاني، ط7، 1323هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- أوروبا في مطلع العصور الحديثة، عبد العزيز محمد الشناوي، ط 4، مكتبة الأنجلو المصرية، 1982م، القاهرة.
- أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الاولى 1419هـ\_ 1998م
- الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي، عبد الله بن ابراهيم بن علي الطريقي، ط2، إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، \_ المملكة العربية السعودية\_ 1414هـ.
- الإسلام دين الوسطية والفضائل والقيم الخالدة؛ عبد السلام الهراس، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.
- الإسلام في أسبانيا، عبد البديع لطفي، مكتبة النهضة المصرية، سنة 1969م، \_ القاهرة\_
- الإسلام في الغرب (قرطبة عاصمة الروح والفكر) روجيه جارودي، ترجمة محمد الصدر، دار الهادي، بيروت، 1411هـ.

- الإسلام في الغرب، روجيه غارودي، ترجمة محمد مهدي الصدد، ط الثانية 1421هـ/2001م، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان\_بيروت.
- الإسلام والآخر، أسعد السحمراني، دط، دار النفائس، 2005م.
- الإسلام والحضارة العربية، محمد كرد علي ص: 223\_224، مؤسسة هنداوي سي أي سي \_ المملكة المتحدة\_2017م.
- الإسلام والسلام العالمي، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية عشر، 1413هـ/1993.
- الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، محمد عبده، مجلة المنار الإسلامي، الطبعة الثانية، 1323هـ
- الإسلام وأوضاعنا السياسية، عبد القادر عودة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م
- إسلامية المعرفة، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، السنة العشرون العدد: 79، 1436هـ/2015.
- أصل الإنسان وسر الوجود، فلسفة العقول، باسمة كيال، ط 1، منشورات دار ومكتبة الهلال بيروت، 1983م.
- أصول التاريخ الأروبي الحديث، فشر هيربرت، ترجمة: زينب عصمت راشد، أحمد عبد الرحمان مصطفى. مراجعة: أحمد عزت عبد الكريم. دار المعارف. 1965م، القاهرة.
- أصول الحوار وأدابه في الإسلام، صالح بن عبد الله بن حميد، ط: الأولى 1415 هـ \_ 1994م دار المنارة\_جدة.
- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الطبعة الثانية – 1985 الشركة التونسية للتوزيع- تونس.
- اضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق مكتب البحوث والدراسات. ط 1415هـ\_1995م. دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ط التاسعة 1393هـ\_ 1973 دار الكتاب العربي بيروت\_لبنان.
- الأعلام، خير الدين محمد بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، ط 15، دار العلم بالملايين.
- الأعياد في مملكة غرناطة. أحمد مختار العبادي مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الخامس عشر، 1970م.
- الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، مكتبة ومطبعة محمد صبح وأولاده، 1971م.
- الإكمال في دفع الازتياب عن المؤلف والمختلف في السماء والكنى والنساب، عبد الرحمان بن يحيى المعلمي، ابن ماكولا، ط2، درا الكتب الإسلامية، 1413هـ/1993م
- الإلحاد وأسبابه الصفحة السوداء للكنيسة، إنريكو ريبوني، ترجمة د. زينب عبد العزيز، ، ط1، 2004، دار الكتاب العربي.
- الأمثال في القرآن. الشريف منصور بن عون العبدلي، ط الاولى 1406. عالم المعرفة\_جدة.
- انتقال الطب العربي إلى الغرب، محمود الحاج قاسم، دار النفائس، 1999م،\_دمشق.

- انجيل مرقس.
- انجيل يوحنا.
- الأندلس العربية: إسلام الحضارة وثقافة التسامح، محمد سيف، www.raialyoum.com
- أهل الذمة في الأندلس خلال الحكم الأموي، عبد المطلب مصطفى رجب، ماجيستر، كلية الآداب، جامعة اليرموك 1999 م.
- أوروبا ترسل بعثاتها إلى الأندلس، سليم طه التكريتي، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 37، 1968 م، الكويت.
- إيضاح طرق الإستقامة في بيان أحكام الولاية والإمامة، يوسف بن عبد الهادي المقدسي الدمشقي الحنبلي، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، الطبعة الأولى 1436 هـ/2011 م، مؤسسة دار النوادر، سورية.
- الباوية وسيطرتها على الفكر الأوروبي، في العصور الوسطى، أحمد علي علي عجيبة، ط1، 1412 هـ/1991 م، مكتبة المهتدين الإسلامية.
- البحر المحيط، في أصول الفقه، بدر الدين بن محمد الزركشي، الطبعة الثانية: 1413\_1992 م، دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع، القردقة - الكويت.
- البخاري في الصحيح في كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا 2/544
- البداية والنهاية، عماد الدين اسماعيل ابن كثير القرشي الشافعي، تج. حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية.
- بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن القيم، دار الكتب العربي - بيروت - د.ت.
- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق محمد المصري، ط1 1431 هـ\_2000 م، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.
- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، أبو الوليد أحمد بن محمد بن رشد، الجد، تحقيق محمد صبحي، دار الغرب الإسلامي، ط. الثانية، 1408\_1977 م.
- ببين مئتين منزلة الغزالي في فلسفة ابن رشد، محمد مساعد، ط الأولى 2014، الشارقة الإمارات العربية المتحدة.
- بين الدين والفلسفة في رأي ابن رشد وفلسفة العصر الوسيط، محمد يوسف موسى، دن ط الناشر مؤسسة هنداوي، سنة 2017.
- بين العلم والدين، أندروديكسون وايت، ترجمة: إسماعيل مظهر، 1930، دار العصور، مصر.
- تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي تحقيق عبد الصبور شاهين، ط الأولى 1422 هـ\_2001 الكويت
- تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، المطبعة الخيرية، مصر، ط1، 1306 هـ.

- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، سعيد عبد الفتاح عاشور، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت.
- تاريخ افتتاح الأندلس، أبو بكر محمد بن عمر القوطية، تحقيق إبراهيم الأبيار، دار الكتاب المصري، ط الثانية، 1410هـ\_ 1989م.
- تاريخ افتتاح الأندلس، ابوبكر محمد بن عمر ابن القوطية، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب اللبنانية، بيروت، ط1، 1982.
- تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، إحسان عباس، الطبعة 1، 1960م، دار الثقافة، بيروت.
- تاريخ الإسلام في عهد المرابطين والموحدين، يوسف أشباخ، ترجمة: محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والنشر، 1360هـ\_ 1941م،
- تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أبو صهيب الكرمي، نشر: بيت الأفكار الدولية. 1879م
- تاريخ الجدل، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1980م.
- تاريخ الحضارات العام، ادوارد يروي، ترجمة: اسعد داغر، منشورات عويدان، الطبعة الثالثة، بيروت.
- تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، أبو زيد شلبي، مكتبة وهبة، 1422هـ/ 2012م، القاهرة.
- تاريخ الرسل والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري محمد أبو الفضل إبراهيم، (حوادث سنة 218)، دار المعارف، القاهرة.
- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، خليل ابراهيم السامرائي، دار المدار الاسلامي، 2004، بنغازي.
- تاريخ الفكر العربي الى أيام ابن خلدون، عمر فروخ، ط1، دار العلم للملايين ، 1966م.
- تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس محمد إبراهيم الفيومي، ط1، دار الجيل، 1997م،\_ بيروت.
- تاريخ الفلسفة في الإسلام، دي بور، ترجمة: محمد عبد الهادي أبوريدة، ط2، 1368هـ/ 1948م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
- تاريخ الكندسة، جون لوريمير، ترجمة: عزرا مرجان، ط1، دار الثقافة 1990م، القاهرة.
- تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، أبو زهرة، دط، دار الفكر العربي، 1996م، القاهرة.
- تاريخ النصراني في الأندلس، عبادة كحيل، الطبعة الأولى، المطبعة الإسلامية الحديثة 1993م.
- تاريخ دمشق، ابن عساكر، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، 1415هـ/ 1995م، دمشق.

- تاريخ فلاسفة الإسلام، دراسة شاملة عن حياتهم وأعمالهمونقد تحليلي عن آرائهم الفلسفية، محمد محمد لطفي جمعة ، وكالة الصحافة العربية 2020م ، جمهورية مصر العربية.
- تاريخ قضاة الأندلس، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النُّبَاهِي المالقي الأندلسي، ط الأولى سنة: 1948م، دار الكاتب المصري \_ القاهرة\_.
- تاريخ قضاة الأندلس، أبو الحسن عبد الله بن الحسن النباهي، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1403هـ/1983م .
- تاريخ مسلمي إسبانيا، رينهارت دوزي، ترجمة حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، 1963م
- التبيان، عبد الله ابن بلقين بن باديس، تحقيق: أمين توفيق الطيبي، منشورات عكاظ، الرباط، 1995م.
- تجديد في المسلمين لا في الإسلام، عمر فروخ، ط2 ، دار الكتاب اللبناني ، 1986م، \_ بيروت \_
- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، دط، دار التونسية للنشر 1984م
- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الزمخشري، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلمي، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الطبعة الأولى، دار ابن خزيمة \_ الرياض \_ 1414هـ.
- التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته، عبد رب النبي علي أبو السعود، ط1، 1412هـ / 1992م، دار التوفيق النموذجية للطباعة، القاهرة.
- تدبير المتوحد، ابن باجة، تحقيق: ماجد فخري، دار النهار للنشر، 1968م \_ بيروت \_.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، القاضي عياض، تح: سعيد أحمد أعراب ، دط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1403هـ/1983م.
- التسامح الديني وأثره في حضارة الأندلس. عباس الجراري. ورقة قدمت في ندوة، "الحضارة الإسلامية في الأندلس ومظاهر التسامح"، التي نظمها بالرباط مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات، أيام 27-28-29 ذي الحجة 1422 هـ، الموافق 12-13-14 مارس 2002 م.
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، الناشر مصطفى البابي الحلبي، ط 1938م.
- التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام؛ محمد الغزالي، دار التوزيع، القاهرة، ط 1، 1409هـ.
- تفسير القرآن العظيم للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ط الأولى 2000م/1420هـ دار ابن حزم للطباعة والنشر بيروت
- التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ط الاولى 1401هـ \_ 1981م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع لبنان \_ بيروت \_
- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب. الامام محمد فخر الدين الرازي. ط الاولى 1401هـ/1981م. دار الفكر للطباعة والنشر.

- التفكير فريضة إسلامية، عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثانية، 1969هـ.
- تقديم كتاب الاسلام وصراع الحضارات، عمر عبيد حسنة. تأليف احمد القديدي. وزارة الاوقاف القطرية 1995 م.
- تلبس مردود في قضايا حية؛ صالح بن عبد الله بن حميد، دط، مكتبة المنارة، دت، مكة المكرمة.
- تلخيص كتاب النفس، ابن رشد، تحقيق: الأهواني، دن ط، دار النهضة المصرية، سنة 1950 م
- تلخيص ما بعد الطبيعة، ابن رشد، تحقيق د. عثمان أمين، الطبعة الثانية، 1958 م، القاهرة.
- تنظيم الإسلام للمجتمع. محمد أبو زهرة، دط، دت دارالفكر العربي. القاهرة.
- تهافت التهافت، ابن رشد الحفيد، تحقيق: سليمان دنيا. ط: الأولى سنة 1964 دار المعارف.
- تهافت التهافت، ابن رشد، إشراف محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية الطبعة الثالثة 2008 ، بيروت \_ لبنان .
- ثقافة الحوار في الاسلام دراسة وصفية تحليلية نقدية، اعداد فهد لخضير، مجلد الأول من العدد الرابع والثلاثين لحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية
- ثقافتنا للدراسات والبحوث، توفيق سلطان اليوزبكي، المجلد 5\_ العدد العشرون\_ 2010\_1431.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر الطبري ، ط، الأولى سنة 1415هـ/1994 مؤسسة الرسالة بيروت.
- الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمن من السنة وأحكام الفرقان، محمد بن احمد الانصاري القرطبي، تحقيق: احمد عبد العليم البردوني، الطبعة 2، القاهرة، دار الشعب، ، 1372هـ
- الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس ( ابن حزم- الخزرجي)، خالد عبد الحلیم عبد الرحيم السيوطي.
- الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس، (ابن حزم-الخزرجي)، خالد عبد الحلیم عبد الرحيم السيوطي، الناشر دار قباء للطباعة والنشر. مقال: الجدل الديني في الأندلس، عبد الله ابراهيمي العسكر، 1429هـ/2008م، موقع: arab-yes.ahlamontada.com
- الجدل الديني في الأندلس، عبد الله بن إبراهيم العسكر.
- جدوة المقتدس في تاريخ علماء الأندلس، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي، تح بشار عواض معروف ومحمد بشار عواد، ط 1، 1429هـ/2008م، دار الغرب الإسلامي.
- جدوة المقتدس في تاريخ علماء الأندلس، عبد الله بن أبي نصر محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي، ط 1، تح: بشار عواد وحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، 1429هـ/2008م، تونس.
- جدوة المقتدس في ذكر ولاية الأندلس، الحميدي.
- جغرافية الأندلس وأروبا، ابو عبدة بن عبد العزيز البكري، دار الارشاد، \_ بيروت \_ 1968 م.
- جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الظاهري، تح: عبد السلام محمد هارون، ط 5، دار المعارف. دت.

- جهود ابن حزم في جدال اليهود، عماد جميل عبد الرحمان عبيد، رسالة ماجستير في العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة، الجامعة الإسلامية، 1428هـ/ 2007 م، فلسطين، \_غزة\_
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام النميري الحراني، (ابن تيمية)، تحقيق علي بن حسن بن ناصر، وعبد العزيز بن ابراهيم العسکر، وحمدان بن محمد الحمدان. ط 2 ، 1419هـ/1999 م ، دار العاصمة الرياض
- الجوانب الفلسفية في كتابات ابن السيد البطليوسي، حسن عبد الرحمن علقم، دار البشير للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، ط 1 ، 1988م/1408هـ
- حجة الوداع، ابن حزم، تحقيق: ممدوح حقي، ط 3، دار النهضة العربية 1996، \_بيروت\_.
- الحريات العامة في الدولة الإسلامية، راشد الغنوشي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، أغسطس 1993م
- الحريات العامة وحقوق الإنسان بين النص والواقع، عيسى بيرم، دار المنهل اللبناني، بيروت 1998.
- الحريات من القرآن الكريم: حرية التفكير ، والتعبير ، والاعتقاد والحريات الشخصية، علي محمد محمد الصلابي، موقع:
- الحرية الدينية بين الإسلام وأهل الكتاب، خالد بن عبد القاسم، ط الأولى 1430هـ، نشر مكتبة فهد الوطنية \_ الرياض\_
- الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية، أبعادها وضوابطها، عبد المجيد النجار، مجمع الفقه الإسلامي، الدورة التاسعة عشر، إمارة الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
- الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية، أبعادها وضوابطها، محمد الزحيلي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية \_ المجلد 27\_ العدد الأول\_ 2001م.
- الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية، محمد الزحيلي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية \_ المجلد 27\_ العدد الأول\_ 2011
- الحرية السياسية في الإسلام، أحمد شوقي الفنجري، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية، 1403هـ/1983.
- حرية العقيدة في الشريعة الإسلامية، أحمد رشاد طلحون، ط الأولى 1998 م \_ القاهرة\_
- حرية الفكر في الإسلام، محمد الصادق عرجون، مطبعة الأزهر القاهرة، 1375/1956م
- الحرية الفكرية والدينية رؤية إسلامية جديدة، دكتور يحيى رضا جاد، الدار المصرية اللبنانية القاهرة، ط: الأولى يناير 2013.
- الحرية في الإسلام في مواجهة التطرف و الإرهاب، جزين عمر، الطبعة الأولى 2018، الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي \_ الجيزة\_
- الحرية في الإسلام للدكتور عبد الواحد وافي، دار المعارف بمصر، ط: سنة: 1968، \_ القاهرة\_.

- الحرية في الدولة الحديثة، هارولد لاسكي، ط2، باريس، 1978.
- حضارة الإسلام، جوستاف جرونباوم، ترجمة وتحقيق عبد العزيز توفيق جاويد الهيئة المصرية ط 1994 م
- حضارة الإسلام واثرها في الترقى العالمي، جلال مظهر، كتبة الخانجي، 1974م، القاهرة.
- حضارة العرب، جوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، ط 2012 مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربية
- الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، سلى خضراء الجيوسي، الطبعة الثانية، مركز دراسات الوحدة العربية \_ بيروت \_ 1999م.
- الحق العربي في الاختلاف والتفلسف، طه عبد الرحمان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط الأولى سنة 2000م
- حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك، محمود حمدي زقزوق، ط 1425هـ \_ 2004م، مكتبة الشروق الدولية \_ القاهرة\_
- حقوق الإنسان في الإسلام ورعايته للقيم الإنسانية، محمد البهي،.
- حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة؛ أحمد الريسوني، محمد الزحيلي، محمد عثمان شبير، دط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2002م، الدوحة قطر.
- حقوق الإنسان وحياته الأساسية في النظام الإسلامي والنظم المعاصرة. عبد الوهاب عبد العزيز. ص:4، مطابع الجمعية العلمية الملكية 1400هـ \_ 1980م، \_ عمان\_
- حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام، صالح حسين العايد، ط4، وكالة المطبوعات في البحث العلمي، ووزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1429هـ/2008م، \_ الرياض\_
- الحقوق والحريات السياسية في الشريعة الإسلامية، رحيل غرابية، المعهد العالي للفكر الإسلامي، الأردن، الطبعة الأولى، 1421هـ/2000م.
- الحوار " فنياته واستراتيجياته وأساليب تعلمه " منى ابراهيم اللبودي، مكتبة وهبة القاهرة، ط1، 1413هـ \_ 2003م
- الحوار "ادابه وأهدافه" عبید منصور الرفاعي، ط الاولى 1424هـ\_2004م، مركز الكتاب للنشر مصر.
- الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة. يحيى بن محمد حسن بن احمد زمزمي. ط الاولى 1414هـ \_ 1994 دار التربية والتراث \_ مكة المكرمة\_
- الحوار الفكري في القرآن الكريم ( المناظرة والجدال والمحاجة)، أمين حلمي، ط1، دار النهضة الإسلامية، 1997م

- الحوار فنياته واستراتيجياته وأساليب تعليمه، منى ابراهيم النبودي، ط 1، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، 2003م.
- الحوار فنياته واستراتيجياته، اللبودي.
- الحوار في السيرة النبوية، السيد علي خضر. البحث الفائز بالجائزة الثالثة المناصفة في مسابقة حسن عباس شريتلي العالمية للتعريف بنبي الرحمة ﷺ. \_ الدورة الثانية\_ 1431هـ. نشر المركز العالمي للتعريف بالرسول ونصرتة.
- الحوار مع الآخر وأهميته في الفكر الإسلامي، محمد محمد عيسى، بحث مقدم الى ندوة بكلية الشريعة والقانون \_ جامعة الشارقة\_ د.ت
- الحوار مع الذات والآخر، عبد الستار ابراهيم الهيتي –سلسلة كتاب الأمة (99)، موقع الوحدة الإسلامية
- الحوار مع أهل الكتاب، أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، خالد عبد الله القاسم، ط1، دار المسلم للنشر والتوزيع، 1414هـ، الرياض.
- الحوار من أجل التعايش؛ عبدالعزيز بن عثمان التويجري، الطبعة الأولى: 1419\_1998م، دار الشروق.
- الحوار منهجاً وثقافة، محمد خليفة حسن احمد. ط الاولى 1429هـ\_ 2008م . الدوحة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية.
- الحوارية العقلانية بين يورغن هابرماس و طه عبد الرحمان، جميل الحمداوي، ط: الأولى 2019
- الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف، سعد البشري، ط1، 1993م، طبع مركز الملك فيصل، \_ الرياض\_.
- خاتم النبيين ، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، ج1. د.ت
- الخصائص ابو الفتح عثمان بن جني الموصلبي، تحقيق علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت.
- درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، نضر جامعة الإمام بن سعود الإسلامية \_ الرياض ط الأولى 1973م
- دراسات أندلسية، عبد الواحد ذنون، دار المدار الإسلامي، الطبعة الأولى، 2004،
- دراسات في الفلسفة الإسلامية، عبد اللطيف محمد العبد، ط الأولى 1979م\_1418هـ، مكتبة النهضة المصرية.
- دراسات في تاريخ الفكر العربي، خليل ابراهيم السامرائي، دار الكتب للطباعة والنشر، 1986م، \_الموصل\_.
- دروس في تاريخ الفلسفة، هيغل ، باريس غاليمار، 1978.
- الدعوة والإنسان، عبد الله يوسف الشاذلي، ط1، المكتبة القومية الحديثة، طنطا.
- الدعوة الاسلامية دعوة عالمية، محمد عبد الرحمن الراوي، ط الاولى 1415هـ/1995م، مكتبة

- العبيكان للنشر الرياض.
- الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها، رؤوف شلبي، ط3، 1402هـ / 1982م، دار القلم، الكويت.
- الدعوة إلى الإسلام، سير توماس أرنولد، ترجمة: حسن ابراهيم حسن، ط، الثالثة، 1970، مكتبة النهضة المصرية \_ القاهرة\_
- الدعوة إلى الإصلاح، محمد الخضر حسين، ط1، 1346هـ، المطبعة السلفية، القاهرة.
- الدعوة إلى الله " الرسالة - الوسيلة - الهدف "، توفيق الواعي، ط1، 1406هـ / 1986م، مكتبة الفلاح، الكويت.
- الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل، محمد بن سيدي بن الحبيب، ط1، 1406هـ، دار الوفاء، جدة.
- دعوة نصارى العرب إلى الدخول في الإسلام، خليل اسكندر قبرصي، المطبعة السلفية، القاهرة
- دت
- دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط الرابعة، 1417هـ.
- دولة الشريعة - قراءة في جدلية الدين والسياسة عند ابن سينا-، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1999.
- الدولة العربية في اسبانيا، من الفتح حتى سقوط الأندلس، إبراهيم بيضون، ط3، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1406\_1986هـ، بيروت.
- الديموقراطية في الإسلام، عباس محمود العقاد، مؤسسة اقرأ، القاهرة، الطبعة الأولى، 1435هـ/2014.
- ديوان ابن حزم الأندلسي، ابن حزم، جمع وتحقيق ودراسة: صبيح رشاد عبد الله، الطبعة الأولى سنة 1410هـ\_ 1990م، دار الصحابة للتراث.
- ديوان لبيد، شرح الطوسي دار الكتاب العربي
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي ابن بسام الشنتري، تحقيق: احسان عباس، طبعة الأولى 1981م الدار العربية للكتاب. \_تونس\_
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتري، تحقيق سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ/1995م.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتري، ط1، تح: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1401هـ/ 1981م.
- الذخيرة، ابن بسام.
- الذخيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتري، مطبعة لجنة التأليف الترجمة والنشر، 1358هـ/1939م.

- رد متأخر: مقابلة بين قصيدة نفقور فوقاس و قصيدة ابن حزم، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد الثلاثون، ذو القعدة 1426هـ\_ ديسمبر 2005م.
- رسالة ابن حزم الأندلسي في الرد على ابن النغيلة اليهودي، أحسن لحساننة، ط 1، 1432 هـ- 2011م دار ابن حزم، لبنان.
- رسالة اتصال العقل بالإنسان، ابن باجة، تحقيق: ماجد فخري، ضمن رسائل ابن باجة الإلهية، دار النهار، بيروت، 1968م
- رسالة الراهب فرنسا إلى المسلمين، ورد الإمام القاضي أبي الوليد الباجي عليها، للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، تحقيق: محمد الشرقاوي، دار الصحوة، 1406\_ 1986م
- رسالة إلى العقل العربي المسلم، حسان حتوت، ط 1، 1998، دار الحياة\_ القاهرة
- رسالة راهب فرنسا إلى ملك المسلمين وجواب القاضي أبي الوليد عليها، دراسة وتحقيق محمد عبد الله الشرقاوي، دار الصحوة للنشر والتوزيع القاهرة، 1406هـ/ 1986
- رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، ضمن الرسائل، ابن حزم.
- رسالة في معرفة النفس بغيرها وجهلها بذاتها، ابن حزم، ضمن الرسائل.
- رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق احسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 2، 1987م.
- الرسائل الفلسفية، الكندي، حققها وأخرجها محمد عبد الهادي أبو ريده، ملتزم بالطبع والنشر دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد بمصر 1369هـ\_ 1950م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، تحقيق علي عبد الباري عطية، ط الاولى 1415هـ، دار الكتب العلمية بيروت
- الروض المعطار في خير الأقطار، أبو عبد الله محمد بن محمد، الحميري، تحقيق: احسان عبا، الطبعة الثانية، لبنان\_ 1984م.
- رياض الصالحين لحديث سيد المرسلين، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تح علي بن حسين بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، ط 1، 1421هـ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية.
- رياض الصالحين، شرف الدين النووي.
- سراج الملوك، ابو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي، تحقيق محمد فتحي ابو بكر. ط الاولى 1414هـ\_ 1994 الدار المصرية اللبنانية القاهرة.
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، بن إسحاق بن بشير الأزدي، سجستان، تح شعيب الأرناؤوط، ط 1، دار الرسالة العالمية.
- سنن الترميذي، محمد بن عيسى الترميذي، تحقيق عبد الرحمان محمد عثمان، ط دار الفكر بيروت 1400هـ.

- سنن النسائي، شرح السيوطي، دار البشائر الإسلامية 1406هـ/ 1986م
- السياسة الشرعية، ونظام الدولة في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية، عبد الوهاب خلاف، طبعة دار الأنصار، القاهرة سنة 1977م.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف و هلال السرحان، ط الأولى سنة: 1404هـ/ 1984م، مؤسسة الرسالة بيروت.
- السير والمغازي، محمد بن اسحاق الملقبي، تحقيق سهيل زكار، ط الأولى 1398هـ/ 1978م دار الفكر.
- السيرة النبوية، أبي محمد بن عبد الملك بن هشام المعافري، دط، دت، مكتبة الكليات الأزهرية.
- سيرة النبي ﷺ، أبو محمد عبد الملك بن هشام، ط 1، تح مجدي فتحي السيد، الناشر دار الصحابة التراث، طنطة.
- شهاب حول الإسلام، محمد قطب، ط23، دار الشروق، 1422هـ/ 2001م، القاهرة.
- شذرات من الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط1، سنة 1406هـ\_ 1986م دار ابن كثير.
- شرح التلويح على التوضيح، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (المتوفى: 793هـ) الناشر: مكتبة صبيح\_ مصر\_ ب.ت
- شرح العقيدة الطحاوية، علي بن ابي العز الحنفي المطبعة الاميرية القاهرة.
- الشرق والغرب حوار لا مواجهة، د. إبراهيم أبو محمد.
- شروط النهضة، مالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين\_ دار الفكر دمشق 1406\_ 1986
- شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، ترجمة: فاروق ببيضون وكمال دسوقي، منشورات المكتب التجاري، دت\_ بيروت\_.
- الشيعة الإمامية، ترى أن تولية الحاكم أو الإمام يكون بالنص لا بالاختيار.
- الصحاح في جوانب النصائح، ونرج سليل في تخجيل محرفي الانجيل، الصفي أبي الفضائل بن العسال، ط جرجس مرقس 1643م
- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، الطبعة الأولى، 1423هـ/ 2002م، دار بن كثير الطباعة والنشر، بيروت.
- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم ابن الحجاج القشيري النيسابوري، تح فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت.
- صفة الصفوة؛ لابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي؛ ابن الجوزي، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار الكتب العلمية، 1989م.
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم، أبو القاسم ابن بشكوال، تحقيق: معروف بشار عواد، الطبعة 1، دار الغرب الإسلامي سنة 2010.

- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، قاسم خلف الأنصاري، ابن بشكوال، تح: إحسان عباس، ط1، الدار العربية للكتاب، 1401هـ/1981م.
- طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، عبد الرحمن الكواكبي، مكتبة الإسكندرية. 2010م
- طبقات الحفاظ، جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، ط1، دار الكتب العلمية
- الطرق الحكمية، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، بيروت: دار الكتب العلمية، دت.
- عالمية الاسلام ونداؤه للسلام ودعوته للتعایش والاعتراف بالآخر، عبد الهادي بو طالب، مجلة الاجتهاد العددان 52\_53 السنة الثالثة عشر 1422هـ/2003. دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر. بيروت
- عبد الرزاق في مصنفه.
- العبر وديوان المبتدأ والخير، ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، 1979م، \_بيروت\_
- عبقريّة محمد، عباس محمود العقاد، دت مؤسسة هندايو للتعليم والثقافة جمهورية مصر العربية.
- العدالة الاجتماعية في الإسلام، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة السابعة، 1400هـ/1980
- العصر الذهبي – صفحات من التعاون اليهودي العربي في الأندلس - سليم شعشوع ط1 سنة 1979م تل ابيب.
- العقل وممارسته الأيديولوجية في فلسفة ابن باجة، غيضان سيد علي، مؤمنون بلا حدود، اصدار 2015/10/03م.
- العلاقات بين العلماء، وديعة طه النجم، عالم الفكر عدد 1، مجلد أبريل سنة 1970م، .
- علم الجدل في علم الجدل، نجم الدين الطوفي، تحقيق فولفهارت هايتريشس، دار النشر فرانز شتاينز، فيسبادن، ألمانيا، 1408م
- علماء الملل والنحل، نجاح محمود الغنيمي، دار المنار، القاهرة، 1987م، .
- العلمانية نشأتها تطورها وأثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، سفر الحوالي، دت، دار الهجرة.
- العودة إلى الذات، علي شريعتي، ترجمة إبراهيم الدسوقي، القاهرة: الزهراء لأعلام العربي، 1986م.
- عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، موفق الدين أبي العباس، بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، بابن ابن أبي أصبعية، ج1، تحقيق ودراسة عامر النجار، ط1، 1969م، دار المعارف \_القاهرة\_
- غيث الأمم في التباث الظلم، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني، تحقيق مصطفى حلبي، فؤاد عبد المنعم، دار الدعوة، الإسكندرية، مصر، 1400هـ.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، كتاب الأحكام، تحقيق فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، (1379هـ)
- الفتح المبين في طبقات الأصوليين، عبد الله مصطفى المراغي، ط1، مكتبة المشهد الحسين، القاهرة، دت.
- فجر الأندلس، حسين مؤنس، \_ بتصرف\_ الشركة العربية للطباعة القاهرة والنشر 1959م.
- فجر الأندلس، حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة 1909م
- فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، ابن رشد، المشرف على المشروع، محمد عابد الجابري، الطبعة الخامسة، سنة 2011، مركز دراسات الوحدة العربية، \_بيروت\_ لبنان .
- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، أبو اليد بن رشد، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، ط الأولى 1433هـ/2012م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة مصر.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابو محمد علي بن حزم، تحقيق محمد ابراهيم وعبد الرحمان عميرة، مكتبات عكاظ \_ جدة\_ دت.
- فصول الأحكام وبيان مما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام، القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف الله الباجي، تحقيق وتقديم محمد أبو الأجنان، دار ابن حزم ط 1، 2002م
- فضاءات الحرية، بحث في مفهوم الحرية في الإسلام وفلسفتها وأبعادها وحدودها، سلطان بن عبد الرحمن العميري، ط الأولى، المركز العربي للدراسات الإنسانية، 2013م.
- فضل الحضارة الإسلامية والعربية على العالم، زكرياء هاشم زكرياء، دار نهضة مصر للنشر 1970م القاهرة.
- فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية، رقية طه جابر العلواني مؤسسة ال سعود للسنة النبوية والدراسات الاسلامية المعاصرة 2005
- فقه السياسة الشرعية عند الإمام الباجي، إبراهيم أحمد محمد الصادق الكاروري، جامعة الأزهر كلية اصول الدين والدعوة الإسلامية بالمنوفية.
- الفلسفة الإسلامية ، نظلة أحمد الجبوري، ط 1 ، مط جامعة بغداد ، 1411 هـ/ 1999 م.
- الفلسفة واللغة ، بغوره الزواوي بغوره، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط: الأولى سنة 2005م
- فن الحوار أدبه، صفات المحاور، أبو عبد الله فيصل بن عبد الحاشيدي، د ط، دت، دار الإيمان.
- فنون الحوار والإقناع، محمد راشد ديماس، ط1، دار ابن حزم، 1420هـ\_ 1999م)
- في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام، محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1949م
- في تاريخ اسبانيا، وات مونتمغمري، ترجمة: محمد رضا، \_ القاهرة\_ سنة 1994م.
- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي دار الشروق، بيروت، ط الثامنة 1979م/ 1399هـ

- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، تحقيق التراث في المؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 8، 2005.
- قانون التأويل، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار النشر عزت العطار الحسيني، سنة 2007 مصر.
- قراءة في وصية أبي الوليد الباجي، عبد القادر بيطار، الجريدة الإلكترونية هسبريس، بتاريخ: 2010/12/10م
- قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس (دراسة تاريخية، عمرانية أثرية في العصر الإسلامي)، السيد عبد العزيز سالم، 206/2، الناشر مؤسسة شباب الجامعة، دت، الإسكندرية.
- قصة الإضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، توفيق الطويل، الناشر دار الفكر العربي، 1366هـ-1947م.
- قصة الحضارة، ول وايريل ديورانت، ترجمة محمد بدران، دار الجيل للطباعة والنشر، تونس .
- قصة الصراع بين الدين والفلسفة، توفيق الطويل، ط الثالثة، دار النهضة العربية سنة 1979م.
- قصة النزاع بين الدين والفلسفة، توفيق الطويل، دت، الناشر: مكتبة الاداب بالجماميز، مصر .
- قضاة قرطبة، أبو عبدالله محمد بن حارث بن أسد القيرواني، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، 1966م.
- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، أبي نصر الفتح بن محمد بن عبید الله القيسي الإشبيلي، ابن خاقان، تحقيق حسين يوسف خربوش، ط 1، 1409\_1989م، مكتبة المنار للطباعة والنشر والتوزيع.
- الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد، تحقيق د. محمود قاسم، القاهرة، طبعة مكتبة الأنجلو المصرية، 1955
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، تحقيق: صفوت السقا، مؤسسة الرسالة، د-ت./ تاريخ الأمم والملوك، الطبري.
- الكنيسة والعلم، تاريخ الصراع بين العقل الديني والعقل العلمي، جورج مينوا، ترجمة: مورييس جلال، مراجعة جمال شحيد، ط 1 2005، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع.
- كيف تحاور؟ (دليل عملي للحوار)، الحبيب طارق بن علي، دار البيت العتيق، ط 1، 1422هـ-2002م
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، مصر، ط 1، دت، ج 1.
- الله كتاب في نشأة العقيدة، عباس محمود العقاد، مصر، ط دار المعارف، 1947م.
- المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد، محمد عمارة، الطبعة الثانية، دت، دار المعارف \_ القاهرة\_

- مبادئ الفلسفة، رونية ديكارت، ترجمة عثمان أمين، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1960.
- المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، العدد: 2، 1427هـ/2006م
- مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد السادس عشر، العدد الأول، يناير: 2008
- مجلة جامعة دمشق \_ المجلد 26 \_ العدد الأول 2010.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أبو العباس أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط2، مكتبة ابن تيمية.
- محاكم التفتيش، رمسيس عوض، دت، دار الهلال.
- محاكم التفتيش، نشأتها وتطورها، إسحاق عبيد، ط1، دار المعارف، 1978م.
- مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، القس عيسى دياب، ط1، الناشر: مدرسة اللاهوت المعمدانية العربية، سنة 2009، \_ لبنان \_.
- مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، القس عيسى دياب، ط1، الناشر: مدرسة اللاهوت المعمدانية العربية، سنة 2009، \_ لبنان \_.
- المدخل إلى علم الدعوة، محمد البيانوني، ط3. 1415هـ\_ 1995م مؤسسة الرسالة بيروت
- مذاهب جرائم التفتيش في الأندلس، محمد على قطب، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، ط 1985.
- مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ط الأولى 1403هـ\_ 1983م، دار الشروق \_ بيروت \_
- مراجعات في الفكر الإسلامي، عبد المجيد النجار، الطبعة الأولى 2008، دار الغرب الإسلامي \_ تونس \_
- مرشد الدعاة، محمد نمر الخطيب، ط1، 1401هـ / 1981م، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
- مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، صفي البغدادي، تح: علي محمد البجاوي، ط1، دار المعرفة، 1373هـ/1954م، بيروت.
- مستدرك الحاكم.
- المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، محمد صالح البندق، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، 1403هـ/1983م، بيروت.
- المستشرقون، نجيب عقيقي، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1964م.
- المستصفي من علم الأصول، أبو حامد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الطبعة: الأولى، 1413هـ الناشر: دار الكتب العلمية.
- مستقبل حوار الحضارات في ظل العولمة، عبد المجيد عمراني. نشر ندوة الثقافة والعلوم 2004م دبي .

- مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي صالح المرشد، ط1، 1409هـ / 1989م، مكتبة لينه، دمنهور، مصر.
- مسلم في صحيحه بشرح النووي، تحقيق مصطفى البغا، دار العلوم الإنسانية، دمشق، ط: الأولى، 1418هـ\_ 1997
- المسلمون في الأندلس، المسيحيون والمولدون، دوزي رينهارت ج. 1، ترجمة وتعليق د. حسن حبشي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1994م
- المسلمون في الأندلس، رينهارت دوزي 3 / 220، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995م \_
- المسند الجامع، أحمد بن محمد بن حنبل. تحقيق أحمد شاكر، ط الرابعة د.ت دار المعارف.
- المسؤولية بين إكراهات القانون ومستلزمات الحرية، زهير الخويلدي، مجلة الأزمنة الحديثة، عدد 5، 2012.
- المسيحية في العصور الوسطى، جاد المنفلوطي، الجزء الثاني من سلسلة تاريخ المسيحية، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية سنة 1977م.
- مشروعية سكنى المسلمين في أرض استعادها المسيحيون، عبدالمجيد تركي، مجلة الاجتهاد، عدد 28، بيروت.
- المشكلات الفلسفية عند ابن حزم والبصري وابن رشد (رؤية عقلية لمشكلات فلسفية)، بركات محمد مراد، سلسلة كتاب المجلة العربية، 191، 1433
- مشكلة الحرية، زكرياء إبراهيم، مكتبة مصر، القاهرة، 1971.
- المصلح مارتن لوثر، حياته وتعاليمه، القس حنا جرجس الخضري.
- معارج القدس في مدارج معرفة النفس، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ط، الثانية: 1975، دار الافاق الجديدة \_ بيروت.
- معالم التنزيل، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، طبعة 1411هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع .
- معالم تاريخ الإنسانية، ولز، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، ط 3، لجنة التأليف والترجمة والنشر، سنة 1972م، وقد أخذ هذا النص من كتاب مغالطات لمحمد قطب.
- المعجب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، تحقيق صلاح الدين الهواري، ط1، 1426هـ\_ 2006م، المكتبة العصرية صيدا \_ بيروت.
- معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ط1، 1987م، دار الطليعة، بيروت،
- المعجم المفهرس للقرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية ت: 25 أبريل 1945
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، تح: مصطفى السقا، ط3، عالم الكتب، 1403هـ/ 1983م، بيروت.

- المعيار المعرب والجامع المعرب عن فتاوى علماء افريقيا والاندلس والمغرب، ابو الياس احمد بن يحيى الونشريسي، تحقيق محمد محي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983م.
- المفردات في غريب القرآن، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، دت، بيروت
- المفهوم الإسلامي للحرية، محمد عمارة، مجلة الأزهر ذوالقعدة 1433 هـ، أكتوبر 2012م الجزء 11.
- مفهوم الحرية، عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، ط 6، الدار البيضاء، 2002.
- مقالات إسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط 1، 1940، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- مقامع هامات الصليبان وروائع روضات الإيمان، أبو عبيدة الخزرجي، تح: محمد شامه، مكتبة وهبة \_ القاهرة. لقد طبع هذا الكتاب باسم "بين المسيحية والإسلام". فمحقق هذا الكتاب اثار في مقدمته ان المخطوط ورد باسم "مقامع هامات الصليبان وروائع روضات الإيمان"
- المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، الحميدي، (ترجمة ابن حزم)
- مقدمة إحسان عباس: الرد على ابن النغريلة، دار العروبة، 1960م، القاهرة.
- مقدمة كتاب الاسلام وصراع الحضارات. عمر عبيد حسنة. تأليف احمد قديدي كتاب الأمة العدد 44. الدوحة 1415هـ
- المقصد الأرشدي في ذكر أصحاب الإمام أحمد، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، تحقيق: عبد الرحمان بن سليمان العثيمين، ط 1، 1410هـ\_1990م، مكتبة الرشد \_ الرياض.
- الملل والنحل، أبو الفتح تاج الدين عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق، محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت، سنة 1973م.
- من النماذج الرفيعة للدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين جواب القاضي ابي الوليد الباجي على رسالة زاهب فرنسا إلى المسلمين. محمد عبد الله الشرقاوي: مقال ضمن مجلة هذه سبيلي.
- منايع تاريخ الأديان، فيليب بورجوه، ترجمة فوزية العشماوي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط الأولى، 2015، العدد 2089.
- مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم والباجي، عبد المجيد تركي، ط 1، تح: عبد الصبور شاهين ومحمد عبد الحلیم محمود، دار الغرب الإسلامي، 1406هـ/1986م، بيروت.
- مناهج الجدل زاهر الالمعي، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، د.ت.:
- منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب. عبد العزيز بن الشيخ ال معمر، ط الثالثة 1400هـ/1980م دار تثقيف للنشر والتأليف الطائف
- المنهج الأصولي في فقه الخطاب، إدريس حمادي، ط 1، 1998م، الناشر المركز الثقافي العربي.
- منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، عثمان علي حسن. ط 1، دار اشبيليا، الرياض بالسعودية، 1999م

- منهج القرآن الكريم في التعامل مع الشبهات، سعيد عمر عبود بن دحباح، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 5 المجلد 9، يناير 2015م.
- منهج النقد التاريخي عن ابن حزم نموذج من نقد التوراة اليهود، حامد الطاهر، حولية، العدد السادس، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الدوحة، 1408 هـ\_1988م.
- المنهج النقدي في فلسفة ابن رشد، عاطف العراقي، ط2، الناشر: دار المعارف 1984م \_ القاهرة.
- منهج نقد النص بين ابن حزم الأندلسي وإسبينوزا، محمد عبد الله الشرقاوي، كلية دار العلوم جامعة، دت، \_ القاهرة.
- مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر الجامعة الإسلامية بغزة (8/7 ربيع الاول 1426 هـ \_ 17/16 ابريل 2005م
- موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي من نبع السنة الشريفة وهدى الخلفاء الراشدين، خديجة النبراوي، نشر دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة بالقاهرة، ط الثانية، 1429 هـ\_2008م.
- موسوعة أعلام الفلاسفة، روني أيلى ألفا، مراجعة: جورج نخل، دار الكتب العلمية 1992 م، بيروت.
- موسوعة التاريخ الإسلامي، أحمد شلي، ط 6، 1977م مكتبة النهضة المصرية.
- موسوعة الفلسفة الإسلامية "جدل الأصالة والمعاصرة"، إشراف وتحرير، عامر عبد زيد الوائلي و شريف الدين بن دويه، ط الأولى:2016م، دار الروافد الثقافية \_بيروت لبنان\_
- موسوعة الفلسفة، عبد الرحمان بدوي، 1/252\_253، المؤسسة العربية للنشر 1980. \_بيروت\_
- موسوعة بيان الإسلام، مجموعة من المؤلفين، دت، دار النهضة مصر للنشر.
- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، محمد بن علي الفاروقي التهانوي، تح علي دحروج، ط 1، مطبعة لبنان ناشرون.
- الميثاق الإسلامي، ط الثانية، نشر الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، والمركز العالمي للوسطية، 1429 هـ\_2008م.
- الندوة العلمية، أصول الحوار. ط الثانية، الندوة العالمية للشباب الإسلامي \_ الرياض، 1408/1987
- نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام، علي سامي النشار، دارالنهضة العربية، ط 1966، طبع لجنة التأليف والنشر، القاهرة.
- نصوص الدعوة في القرآن الكريم، حمد ناصر عبد الرحمن العمار، ط2، 1422 هـ/ 2002م، دار إشبيليا، الرياض، السعودية.
- النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية تقديم وتحقيق محمد عبد الله الشرقاوي دار الصحوة للنشر \_ القاهرة 1406\_ 1986م

- النصيحة الولدية، أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، ط3، تح: إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم، 1421هـ/2000م. بيروت.
- نظام الحكم في الحكم في الإسلام، عارف خليل أبو عيد، دار النفائس، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 1416هـ.
- نظام الإسلام السياسي، الشيخ باقر شريف القرشي، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، الطبعة 2، 1398هـ/1978م.
- النظام السياسي في الإسلام، نعمان عبد الرزاق السامرائي، الطبعة 1، 1419هـ/1999م، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.
- نظر آخر يقوي تصور ما تقدم، ابن باجة، ضمن رسائل فلسفية لأبي بكر بن باجة، تحقيق: جمال الدين العلوي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب.
- النظريات السياسية الإسلامية، محمد ضياء الدين الرئيس، مكتبة التراث، القاهرة، الطبعة السابعة، د-ت.
- نظرية التأويل بين الغزالي وابن رشد، محمد مزوز، نشر: مؤسسة مؤمنون بلا حدود، أبريل 2014، المغرب.
- نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها عند القديس توماس الالكويني، محمود قاسم، مط: الانجلو المصرية، دت.
- نظرية الوجود لدى ابن حزم، عبد الراضي محمد عبد المحسن، ط1، 2006م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات - الرياض.
- النظم السياسية، ثروت بدوي، وما بعدها، بتصرف، دار النهضة العربية 1962م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب أحمد بن محمد المقري. تحقيق. احسان عباس. دار صادر. بيروت. 1988
- النفس، أرسطو، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني، مراجعة: جورج قنوتاي، ك2، ف412، ب10، ط. 2، 1962م، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- نماذج من الإستفهام التقريري عند ابن عاشور في كتابه التحرير والتنوير "دراسة تحليلية" مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد الخامس، العدد العاشر 1432هـ/2010م.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي؛ خليل بن أيك بن عبد الله الصفدي، ط1، تح: أحمد الأرنؤوط و تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، 1420هـ/2000م، لبنان.
- الوثيقة الإسلام الخطر، نص الخطاب الذي ألقاه جاير دنر في مؤتمر أدنبر للتنصير في القاهرة عام 1910م.
- الوجودية مذهب إنساني، جون بول سارتر، ترجمة كمال الحاج، دار الطليعة، ط1، 2003.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان؛ أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمي الإزبلي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر 1972م، \_بيروت\_.
- اليهود في الأندلس، عبد المجيد بحر، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970.

- Goeth, dictionary of islam(1886), thomas patrik hughes ( tard.wikiquote), ed. laurier book ltd, 1996( isbn8120606728)p:526
- <https://ar.wikipedia.org/>
- Francisco. J.simonet. historia de mozarabes de espana. Madrid.ediciones truner 1897. Tome (1) p.p 106\_107.
- <https://foulabook.com/ar/book/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B1%D9%8A%D9%85-pdf>
- Jacques robert ; libertes puplique ; ed montcherstien ; paris troisieme Ed\_ 1982p.17
- Le Petit Robert\_(édition 1993)
- michel mayer, introduction, in aristote, ghétorique,p :33
- NEIL McNAUGHTON .SUCCESS IN POLITICS ،John Murray ltd publishers ،Second Edition 2001 ،p21
- new york : appleton, 1905\_ 14, vol.1
- TERRASSE H , La vie d'un royaume berbère du XIe siècle espagnole : L'emirat Ziride de Grenda, in melanges de la casa de velazquez, tome 1, 1965, page 79

## فهرس الآيات القرآنية:

الصفحة	السورة	الآية
05	آل عمران	﴿وَتَلَا الْأَيَّامَ نَدَاوَلَهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ، وَاللَّهُ لَا يَبْغِي الضَّالِّينَ. وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾
15	الانشقاق	﴿إِنَّهُ ضَرٌّ أَنْ لَنْ يَجُورَ﴾
16	القصص	﴿إِنَّ لَنْ تَهْدَى مِنْ أُحْبِبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدَى مَنْ يَشَاءُ﴾
18	الحجر	﴿قَالَ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ مَعَ الْوَالِدَيْنِ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا. قَالَ لَنْ أَدْرِي مَا كُنْتُ أَفْعَلُ بِكَ وَالْوَالِدَيْنِ إِسْرَارٌ. قَالَ رَبُّنَا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَا يُلْفَى إِلَهُكُمْ شَيْءٌ. قُلْ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ﴾
21	البقرة	﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
24	لقمان	﴿وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يُجَاهِلُ فِي اللَّهِ بَغْيًا عِلْمًا وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابًا مُبِينًا﴾
24	آل عمران	﴿هَلْ أَنتُمْ هَؤُلَاءِ جَعَلْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلَمْ تُحَاجُّوا فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾
25	غافر	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَحْكُمُونَ فِرَءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فَرَّضُوا بِهِمْ عَذَابًا إِلَّا كِبْرًا مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
26	سبأ	﴿وَإِنَّا وَإِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾
37	الكهف	﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾
30	المجادلة	﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾
30	المجادلة	﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾
31	الأنعام	﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ﴾
31	آل عمران	﴿فَلَمْ تُحَاجُّوا فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾
34	الزمر	﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾
34	آل عمران	﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا الْعِلْمَ عَرَجَاتٍ﴾
34	العنكبوت	﴿وَتَلَا الْأَمْثَالَ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَامِلُونَ﴾
36	البقرة	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ،﴾

		الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فلأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴿
37	هود	﴿اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾
37	فصلت	﴿وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقروا من بيننا وبيننا حجاب فاعمل إننا عاملون﴾
37	الكهف	﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليكم من أمر الله فاستقيموا إليه واستغفروا وويل للمشركين﴾
38	الأنعام	﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا﴾
39	يوسف	﴿قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾
39	الأعراف	﴿والرثموا أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية﴾
39	البقرة	﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانتهم قل هااتوا ببرهانكم إن كنتم صادقين﴾
40	الفرقان	﴿مال هذا الرسول يأكل الصَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾
41	الفرقان	﴿وما أرسلنا قبلا من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الصَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾
41	الزمر	﴿الذين يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾
41	النحل	﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾
43	القلم	﴿إننا لعلماء خلق عظيم﴾
43	الأحزاب	﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾
43	التوبة	﴿يأيتها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾
43	آل عمران	﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾
45	لقمان	﴿ومن الناس من يمالأ في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾

49	الأحزاب	﴿وَمَا جَعَلْنَاكُمْ آئِنَاءَكُمْ﴾
50	الأعراف	﴿الْمَعْوَاةَ رَبَّكُمْ تَضَرَّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾
50	يونس	﴿الْمَعْوَاةَ فِيهَا سُبْحَانَ اللَّهِ لَعَنَّا اللَّهُمَّ وَحِثِّتُنْمُ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجْنَا هُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
52	غافر	﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِيَ أَعْبُدُكُمْ إِلَى النَّجْلِ وَتَدْعُونَني إِلَى النَّارِ﴾
52	الكهف	﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾
52	آل عمران	﴿يَدْعُونَ إِلَى الْكِتَابِ لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْا فِرْقًا مِنْهُمْ وَهُم مَعْرُضُونَ﴾
53	هود	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَلَا يَزَالُونَ مُتَفَلِّينَ إِلَّا مِنْ رَحْمِ رَبِّكَ، وَلَدَلْنَا خَلْقَهُمْ﴾
54	العنكبوت	﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَالْقُرْآنَ وَالْفُكْمَ وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾
54	آل عمران	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾
54	طه	﴿الْمُتَّخِذِ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَفَرٌ، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾
54	النازعات	﴿الْمُتَّخِذِ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَفَرٌ، فَقُلْ هَلْ لَنَا إِلَى أَنْ تَرْكَبَ، وَأَهْدِيْنَا إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾
56	آل عمران	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾
57	هود	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُتَفَلِّينَ﴾
57	الحجرات	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنْ كَرِهْتُمْ عَلَيْنَا اللَّهُ اتَّقُوا...﴾
58	آل عمران	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾
59-58	هود	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُتَفَلِّينَ﴾

59	المائدة	﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾
60	البقرة	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ، وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾
61	البقرة	﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾
61	البقرة	﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾
61	البقرة	﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾
62	الزخرف	﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وِلْدٌ فَأَنَّا أَوَّلَ الْعَابِدِينَ﴾
63	سورة ص	﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْكَرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ الْإِلَهَةَ الْإِلَهاً وَاحِدًا إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَالنَّصَلُ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَنُوا مَا ضَمُّوا عَلَى الْقَلْبِ كُمْ إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَآءُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ﴾
63	الأحقاف	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ اتُّنَوِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
64	الأحقاف	﴿وَإِذْ نُنَّا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيْنَاتٍ قَالَ الْكٰفِرُونَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَرُ بِهِ شَعِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِهِ وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَكِيرٌ مُبِينٌ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَالِمٌ مِثْلِهِ قَلَامٌ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنْ اللَّاءَ يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ كَفَرُوا لِلْكٰفِرِ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُوا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا

		وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدَّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنخَرِ الْكَيْرَ كُفْرًا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٤﴾
64	الأحقاف	﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقْنَا إِلَيْهِ﴾
65	الفرقان	﴿وَقَالُوا مَا لِيَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُرُ النَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَكِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الضَّالِّمُونَ إِنَّ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾
65	يونس	﴿وَإِنَّمَا تُنمِرُ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيْنَاتٍ قَالِ الْكَيْرُ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتَ بَقْرَانٌ غَيْرٌ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ فَزَلَّ مَا يَكُونُ لِمَنْ أَنْ بَدَّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ إِنْ أَتْبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيْهِ إِنَّهُمْ أَخَافُوا إِنْ عَصَيْتَ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٌ عَظِيمٌ﴾
66	الإسراء	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾
67	الكهف	﴿وَلَا تَقُولِ لِشَيْءٍ إِنَّمَا فَعَلْتُ فَإِنَّمَا أَتَى عَلَى الْعِلْمِ وَإِنَّمَا أَنَا نَسِيْتُ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي لَأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾
67	الإسراء	﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾
68	الإخلاص	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾
74	الصف	﴿هُوَ الْكَلِيمُ الْأَمِينُ وَسُئِلَ عَنِ السَّاعَةِ قَالَ أَسْأَلُكَ اللَّهُ عَنِ السَّاعَةِ إِنَّمَا الْبَشَرُ لَشَاغِبُونَ عَنِ الْحِسَابِ﴾
74	الصفات	﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾
74	الجن	﴿إِنَّا سَمِعْنَا قرآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَ بِهِ﴾
75	آل عمران	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾
75	آل عمران	﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ﴾
75	آل عمران	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْلَمُونَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصَدَّقُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ آمَنَ تَبِعُونَهُ عِوَجًا وَأَنْتُمْ شَاهِدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْلَمُونَ﴾
76	البقرة	﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي ارْتَبْتُكُمْ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَقَرُّنَّ...﴾
76	البقرة	﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَلْفِتُونَنَا...﴾
76	البقرة	﴿وَإِنَّمَا ابْتَلَيْتُمُوهُمْ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَقَرُّنَّ...﴾

76	البقرة	﴿لَمَّا أَمَّهُ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
77	البقرة	﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾
77	البقرة	﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفَهٍ نَفْسَهُ﴾
78	البقرة	﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ قُلًا تَمُوثُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
78	يوسف	﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرُونَ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَتَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾
78	النمل	﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْرَأُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، وَإِنَّهُ لَهَدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾
78	آل عمران	﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾
79	التوبة	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزْرُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ عَلِيمًا قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾
80	البقرة	﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ سَمَاءٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَارُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ الْعَلِيمُ﴾
-81	البقرة	﴿وَضَرَبْنَا عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ عَلِيمًا بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ عَلِيمًا بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾
81	البقرة	﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اجْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ، فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلَقَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾
81	النساء	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آوَوْا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلُ أَنْ نُنصِرَ وَجُوهًا فَنَرَكُمَا عَلَىٰ أَعْبَادِنَا، أَوْ نُلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾
81	البقرة	﴿وَإِذْ قُلْنَا اخْلُوهَا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِصَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَصَالِيبًا كُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ، فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾
81	البقرة	﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ، وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرِينَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾

82	البقرة	﴿وَأَقْوَمُ يَوْمًا لَّا تُجْزَىٰ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾
82	البقرة	﴿سَلِّبُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾
82	البقرة	﴿إِنَّ الْكَاذِبِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُصُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
82	المائدة	﴿لَقَدْ كَفَرَ الْكَيْفَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلضَّالِّمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ لَقَدْ كَفَرَ الْكَيْفَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الْكَافِرِينَ كَذِبًا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
82	آل عمران	﴿إِنَّ الْكَاذِبِينَ يَكْفُرُونَ بِالآيَاتِ وَاللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الْكَاذِبِينَ يَأْمُرُونَ بِالْفُسْكِ مِنَ النَّاسِ فَيَشْرَهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ أُولَئِكَ الْكَاذِبُونَ حَبِصَتُ أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾
83	البقرة	﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٍ قَانِتُونَ، بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِنَّمَا قَضَىٰ بِأَمْرٍ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾
83	المائدة	﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الصَّغَامَ انصُرْ كَيْفَ نَبِيٍّ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انصُرْ أَنْتَ يُوقُونَ﴾
83	المؤمنون	﴿مَّا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَعَلَىٰ بَعْضُهُمْ عِلْمٌ بِبَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾
84	المائدة	﴿لَقَدْ كَفَرَ الْكَيْفَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾
84	النساء	﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾
84	آل عمران	﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الْكَاذِبِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلَ عَادٍ تَلْقَوْا الْحَرِيقَ﴾
84	المائدة	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِخُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾
84	آل عمران	﴿مَّا كَانَ لِيُبَشِّرَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ، وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ

		﴿أَبَا بَا ۖ أَيَامُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
84	المائدة	﴿لَقَدْ كَفَرَ الْكَيْفَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾
84	المائدة	﴿إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ﴾
84	المائدة	﴿أَنْتِ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ حُونَ اللَّهِ﴾
85	البقرة	﴿وَقَالُوا لَنْ نَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارًا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
85	البقرة	﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارًا قُلْ أَنْتُمْ أَكْثَرُ أَعْلَمَ اللَّهُ﴾
85	آل عمران	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحْلَجُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ، هَذَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾
86	البقرة	﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُومَةً قُلْ أَتُحَدِّثُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يَخِلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾
86	النساء	﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الْكَاذِبِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَقِيَ شَقًّا مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الْغَضَبِ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾
87	الفجر	﴿ألم تر كيف فعل ربنا بعالم* إرم ذات العمدة* التي لم يخلق مثلها في البلاد*﴾
88	الروم	﴿فَصَرَفَ اللَّهُ الَّذِي فَصَّرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّاحِ﴾
88	آل عمران	﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ حَنِيفًا مَسْلَمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
88	العنكبوت	﴿وَلَا تَجْعَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ الْأُولِيَّاتِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ضَلَمُوا مِنْهُمْ وَقَوْلُوا آمَنَّا بِالَّذِي أَنْزَلَ الْبَيِّنَاتِ وَالْحُكْمِ وَالْعِلْمِ وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾
88	البقرة	﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ الْعِلْمَ وَاللهِ أَبَانَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ الْعُلَمَاءَ وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

88	البينة	﴿وما تفرق الكيّن أتوا الكتاب من بعد ما جاءتهم البينة. وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الكيّن حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وألا الكيّن القيمة﴾
89	النساء	﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً﴾
89	المائدة	﴿وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾
89	آل عمران	﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾
89	التوبة	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّىٰ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الْكَيِّنِ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾
89	البقرة	﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَرَاءَةٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ﴾
89	المائدة	﴿قَدْ كَفَرَ الْكَيِّنِ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الْكَيِّنِ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
89	النساء	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا الرُّوحُ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَفُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ وَكَيْدًا﴾
90	النساء	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
91-90	المائدة	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾
90	النساء	﴿إِنَّ الْكَيِّنِ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾
90	النساء	﴿يَا أَيُّهَا الْكَيِّنِ أُوثُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنصِرَ وَجُوهًا فَنُرَكِّهَا عَلَى أَعْيُنِهَا أَوْ نُلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾

		وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٩٠﴾
90	البقرة	﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾
90	آل عمران	﴿أَفَعَبِيرٌ لِّمَنِ اللَّهُ يُبْعَثُ وَهُوَ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ صَوْعًا وَكُرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾
90	آل عمران	﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ لِمَنَّا فَلَنْ نَقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾
90	البقرة	﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾
90	الصف	﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيَّنَّ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾
90	البقرة	﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾
91	النساء	﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالسِّنْتِهِمْ وَصَغَةً فِي الدِّخْرِ﴾
91	البقرة	﴿أَفَتَضْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾
91	البقرة	﴿قَوْلًا لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلًا لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾
91	المائدة	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُحُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
91	البقرة	﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾
91	آل عمران	﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾
91	البقرة	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ، هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ، مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
92	التوبة	﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾

92	مريم	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزْرُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ غَالِبًا قَوْلَهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الْكَاذِبِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ قَاتِلِهِمُ اللَّهُ أَتُرِيدُونَ كُونَ﴾
92	البقرة	﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارًا تَلْفِتُونَنَا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
92	البقرة	﴿وَقَالُوا لَنْ نَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارًا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
92	البقرة	﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الْحَاذِرُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ حُورٍ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾
93	البقرة	﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُومَةً قُلْ أَتُحَدِّثُونَ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ، بَلَىٰ مِنْ كَسَبِ سَيِّئَةٍ وَأَحْلَاصَتِ بِهِ خَصِيبَتِنَا قُلْ وَلَيْسَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، وَالْكَافِرِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾
93	التوبة	﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾
93	المائدة	﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾
93	المائدة	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾
93	الجمعة	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرِينَ هَاتُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن حُورٍ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾
93	آل عمران	﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الْكَاذِبِينَ قَالُوا إِنَّا اللَّهُ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَتَكُنَّ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا حَقًّا وَقَوْلُهُمْ قَوْلًا مَّعْدُومًا﴾
93	المائدة	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ صُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾
94	آل عمران	﴿الْكَافِرِينَ قَالُوا إِنَّا اللَّهُ عَهْدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالْكِتَابِ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ

		كُنْتُمْ صَاحِقِينَ، فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِهِ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٠٦﴾
94	القصص	﴿قَلَّمَا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرٍ مِن قَبْلِنَا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَاحِقِينَ ﴿١٠٧﴾﴾
94	البقرة	﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيْنَا قَلِيلًا لِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرًا لِلْمُؤْمِنِينَ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾
94	آل عمران	﴿كُلُّ الصَّغَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَيْنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنزِّلَ التَّوْرَةَ قُلْ قَاتِلُوا بِالْتَّوْرَةِ فَاتَّبَعُوا مَا نَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ مِنَ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٩﴾﴾
95	النساء	﴿يَسْأَلُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمُ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِضُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَقَّبُوا عَنِ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١١٠﴾﴾
95	البقرة	﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنِ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١١١﴾﴾
95	البقرة	﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِخْهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١١٢﴾﴾
106	آل عمران	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾
106	آل عمران	﴿إِنَّ مِثْلَ عِيسَىٰ لَدَى اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴿١١٤﴾﴾
106	آل عمران	﴿فَلَا تُكْفِرُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾
107	آل عمران	﴿فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿١١٦﴾﴾
108	التوبة	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزْرُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ وَرَبُّهُمَا يَقُولُ إِنَّهُ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَقَالَتِ الْغَابِطَةُ إِنَّا لَبَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَوْلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١١٧﴾﴾



158	الأعراف	﴿وَلَقَدْ عَزَاَنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِبِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾
158	الأعراف	﴿وَلَا تُكْرِمَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾
159	البقرة	﴿وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلُو كَانِ آبَاؤُهُمْ لَّا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَكِدُونَ﴾
160	الأنبياء	﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾
160	الأنعام	﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
160	الأحقاف	﴿اتَّبِئُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّن عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
160	الزمر	﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾
161	آل عمران	﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَضًّا عَلَى الْخَيْضِ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾
162	الشورى	﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾
-212-174-163 322	النحل	﴿الْمَخِ السَّبِيلِ رَبًّا بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَاءَهُمُ الْبُتْرُوهِيُّ أَحْسَرَ﴾
-183-169-163 199-191	البقرة	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرِّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾
163	التوبة	﴿وَإِن أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ خَالِدًا بِأَنفُسِهِمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾
169	هود	﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِّن عِنْدِهِ فَعِمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾
169	يونس	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبِّي لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تَكْفُرُ النَّاسِ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾
174	التوبة	﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

176	الأنعام	﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ حُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
181	الإسراء	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَا لَهُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الصَّيْبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾
181	الروم	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾
181	الحجرات	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾
182	العنكبوت	﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلْقَانَا وَاللَّهُمَّ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾
182	الأنعام	﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ حُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
185	الحج	﴿أَعَنَ لِلَّذِينَ يَقَاتِلُونَ بِلَاغُهُمْ ضَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ نَصِيرٌ لِّكَذِبِ الْكَافِرِينَ أخرجوا من ديارهم بغير حقٍّ إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾
189	البقرة	﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ مَّا جَاءَ مِنْ رَبِّكَ أَلَمْ يَأْتِ الْكُفْرَ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْجَوْنَ إِلَىٰ أشدَّ الْعَذَابِ﴾
191	الإسراء	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾
191	هود	﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾
192	سورة ق	﴿فمن أظلم مما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن ومن يناف وعبد﴾
192	الكهف	﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾
193	المائدة	﴿... وصعلم الذين أتوا الكتاب حل وصعلمكم حل لهم...﴾
193	المائدة	﴿والصالحات من المؤمنات والحصنات من الذين أتوا الكتاب من قبلكم إذا أتيتموهن أحورهن مصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان﴾
198	المتحنة	﴿لَا يَنْفَعُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِصُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِصِينَ﴾

198	المتحنة	﴿أَمَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَضَاقُوا عَلَيْكُمْ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تُوَلُّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالِّمُونَ﴾
199	البقرة	﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾
200	النساء	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾
200	الحج	﴿أَعِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِلَدِّهِمْ ضَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾
200	البقرة	﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾
200	التوبة	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾
200	التوبة	﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَعِدُّوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾
201	التوبة	﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِالْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَلًا فُجُورًا﴾
202	النساء	﴿بعضكم من بعض﴾
203	النساء	﴿ومن قتل مؤمنا متعمدا فتحرير رقية مؤمنة...﴾
209	البقرة	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾
209	فصلت	﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾
209	يونس	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَرْنَا فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا، أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾
210	آل عمران	﴿قل إن الأمر كله لله﴾
211	هود	﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَاءَنَا نَارٌ فَأَكْرَهْتَ جِدَانَا﴾
211	الأعراف	﴿أَجْعَلُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَلُوكُمْ﴾

212	آل عمران	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾
212	المائدة	﴿لَعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ هَارُونَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خَالِدًا بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾
214	النساء	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِعُوا اللَّهَ وَأَصْبِعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ خَالِدًا خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَلْوِيلًا﴾
214	الأحزاب	﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾
215	المائدة	﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْصَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾
218	آل عمران	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾
218	آل عمران	﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
221	الشعراء	﴿أَتُوبُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آتَتْهُمُ آيَةٌ تَعْمَتُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ وَإِنَّمَا بُحِشْتُمْ بِبُحْشَتُمْ حَبَابٍ فَقَاتِلُوا اللَّهَ وَأَصْبِعُوا وَأَثَقُوا الذِّكْرَ أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ أَمَدَّكُمْ بِالْعَمَلِ وَبَيَّنَّ وَجَنَاتٍ وَعَيْونَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾
221	النساء	﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾
222	الزخرف	﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوبِتَهُمْ سَفَلًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَصْفَرُونَ وَلِيُوبِتَهُمْ أَوْلَادًا وَسُررًا عَلَيْهَا يَتَّكِنُونَ﴾
222	آل عمران	﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَضًّا غَلِيظًا لَقَلْبَ لَاتَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِنَّمَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾
223	الشورى	﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِنَّمَا مَا عَصَبُوا لَهُمْ يَغْفِرُونَ﴾

		وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢٢٥﴾
225	المائدة	﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾
227	النساء	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾
227	النساء	﴿إِذَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُزِ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾
228	المائدة	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّبًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحِدًا مِنْهُمْ أَنْ يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾
228	الأنعام	﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ عَمَّا قُرْبَىٰ﴾
228	النساء	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ عُرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾
228	المائدة	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هَوَىٰ قُرْبَىٰ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾
250-245	آل عمران	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِضَانَةٌ مِّنْ حُوتِكُمْ لَا يَأْتِيَنَّكُمْ حِبَالًا وَّجُودًا مَّا عُنْتُمْ قَدَّ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ كَبِيرٌ﴾
245	هود	﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ يَكْفُرُوا فَيَمْسَكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ حُوتٍ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾
250-247-246	المائدة	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾
246	آل عمران	﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ حُوتٍ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ اللَّهُ﴾

		المصير
250	المتحنة	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ثَلُفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾
250	المائدة	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارِ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
250	المائدة	﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾
265	الأنعام	﴿وَلَوْ تَرَى إِتْمَانًا فَتَلْمِزَهُمْ لَوْلَمْ يَكُنِ الْمُؤْمِنُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ﴾
265	الزمر	﴿الَّذِينَ تَتَذَكَّرُ بِهِ نَبَأَ لَوْلَا الْمُؤْمِنُونَ كَانُوا أَكْثَرًا فَزَعًا وَمَا لَهُمْ حِسَابٌ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُتَعَدِّينَ﴾
271	النساء	﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ﴾
271	النازعات	﴿أُمُّ السَّمَاءِ بَنَاتُهَا رَفَعَتْ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَعْيَشَتْ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَتْ ضَحَاكَهَا وَاللَّزْرُ بَعْدَ غَلِيْلَةٍ حَالَهَا أَخْرَجَتْ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرَعَهَا وَالْجَبَالُ أَرْسَالَهَا﴾
272	البقرة	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
272	فصلت	﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا فُوقَاتِهَا فِرَاقَ بَعْثِ الْأَنْبِيَاءِ لِيَسْأَلِيَنَّ﴾
273	فصلت	﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمٍ مِّن﴾
273	سورة ق	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾
273	الحج	﴿وَإِنْ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾
273	المرج	﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾
273	المرسلات	﴿هَكَذَا يَوْمٌ لَا يَنْصِقُونَ وَلَا يُؤْمِنُونَ لَكُمْ فَيَعْتَكِرُونَ﴾
273	يس	﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ نُّجُودًا لِّعَرَفِ نَفْسَهَا﴾
274	يس	﴿وَكَلِمَاتٍ يُدَبِّرُونَهَا وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

274	الرحمان	﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ غَائِبِهِ إِسْرُ وَلَا جَانَ ﴾
275-274	الأعراف	﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الْكَاثِرِينَ أَزْسَلُوا إِلَىٰ بَيْعِهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾
274	الرحمان	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِرِ وَالْأَفْئَامِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هَكَذَا جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَصُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾
275	يونس	﴿ فَإِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابِ فَقِرَّوْنَا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهَا لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾
275	الأعراف	﴿ إِن أَلَّا تُكْفِرُوا وَبَشِيرِ الْقَوْمِ يُؤْمِنُونَ ﴾
276	النحل	﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُحُونِهَا شَرَابٌ مُّتْتَلِفًا أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾
276	سورة ق	﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مَبَارَكًا ﴾
285	العنكبوت	﴿ وَمَا كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَنْصَحُهُ يَمِينِنَا إِذَا لَأَرْجَابِ الْمُبْكِلُونَ ﴾
290	القصص	﴿ إِن الْكُفْرَ فَرَضَ عَلَيْنَا الْقُرْآنَ لِرِجَالِكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾
291	غافر	﴿ الْيَوْمَ نَجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾
314	الأعراف	﴿ أُولَئِكَ يَنْظُرُونَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾
315	الغاشية	﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الْإِبْرَةِ كَيْفَ خَلَقْتُ ﴾

## فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث
15	"ما كنت أدري ما معنى يحور حتى سمعت أعرابية تقول لبنية لها حوري فإن السماء تمطر"
15	"نعوذ بالله من الحور إلى الكور"
21	"نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل"
22	"من دخل دار أبي سفيان فهو آمن"
34	"إنك ستأتي قوما أهل الكتاب..."
35	"إن من البيان لسحرا.."
35	"إنما أنا بشر وإنكم تختصون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي على نحو مما أسمع منه، فمن قطعت له من حق أخيه شيئاً، فلا يأخذه، فإنما أقطع له به قطعة من النار"
37	"نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية فقال يا محمد: أتانا رسولك فزعم لنا أن الله أرسلك؟ قال صدق، قال: فمن خلق السماء؟ قال: الله، قال: فمن خلق الأرض؟ قال: الله، قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: الله قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض، ونصب هذه الجبال، الله أرسلك؟ قال: نعم.."
42	"إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه"
43	"مهلا يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله"
43	"إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً"
44-43	"ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"
44	"العز إزاري والكبرياء رداي، فمن ينازعني عذبتة"
64	إنه ليس بأول رسول ظهر للعالم؛ بل جاءت رسل من قبله، وما هو بالأمر الذي لا مثل له حتى تستنكروه وتستبعدوا بعثته إليكم؛ فإن الله قد أرسل قبله جميع الأنبياء إلى الأمم
68	أُنسِبْنَا لَنَا رَبَّنَا.
74	"فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله. ومن ابتغى الهدى من غيره اضله الله، هو حبل الله المتين. وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسن"
98	"...أعطيت جوامع الكلم"
98	"كان يحدث حديثاً لو عدّه العادُّ لأحصاه"
100	"فقلت: يا رسول الله ألم تسمع ما قالوا: قال رسول الله ﷺ قد قلت: وعليكم"

100	"ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عند أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها فله أجران"
100	بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله الى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى. اما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم...
101	"والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار"
101	"والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويفيض بالمال حتى لا يقبله أحد"
102	"أنه كان إذا تكلم بكلمة، أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم، سلم عليهم ثلاثاً"
103	«فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»
103	"خط لنا رسول الله -ﷺ- يوماً خطاً فقال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمين الخط ويساره وقال: هذه سُبُل، على كل سبيل منه شيطان يدعو، ثم تلا: وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ يعني الخطوط التي عن يمينه ويساره"
105	فيأتون محمداً ﷺ: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه، فأطلق فأتي تحت العرش فأخر ساجداً للربي، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً فشيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي يارب أمتي يا رب أمتي، فيقول: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب. ثم قال: والذي نفسي بيده إن ما بين المصارعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر وكما بين مكة وبصرى"
107	"فإني أدعوك بدعاية الإسلام، اسلم تسلم، يؤتكَ الله اجرِكَ مرتين فان توليت فان عليك اثم الارسيين"
107	"فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح فلما قام، قال رسول الله ﷺ: هذا أمين هذه الأمة"
108	"اتطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد الله ورسوله"
110	يا أبا القاسم أنا لا نباهلك ولكن نصالحك، فصالحنا على ما نهض له فصالحهم على ألفي حلّة قيمة كل حلّة أربعون درهما وعلى عارية ثلاثين درعاً وثلاثين رمحاً وثلاثين فرساً ان كان حرب فكتب لهم بذلك كتاباً فانصرفوا راجعين الى بلادهم

158	"أَذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ"
162	"أشيروا علي أيها الناس"
162	وكان رأيه ﷺ ألا يخرج من المدينة، وأن يتحصنوا فيها، وكان رأي كثيرين من الصحابة الخروج، فنزل عن رأيه إلى رأيهم
163	وفي صلح الحديبية أمر أصحابه بالنحر والحلق فلم يفعل أحد منهم ذلك، فدخل عليه الصلاة والسلام على أم سلمة وذكر لها ما لقي من الناس، فأشارت إليه أن ينحر ويحلق، فإذا رآه الناس فعل فعلوا، فأخذ برأيها وكان نعم الرأي.
173	"كمثل قوم استهموا على سفينة؛ فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا؛ هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم؛ نجوا ونجوا جميعاً"
183	"يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، أبلغتُ؟"
184	"إذا رأيتم الجنازة، فقوموا"
184	"أليست نفساً"
194	"وإن يهود بني عوف أمة مع المومنين، لليهود وللمسلمين دينهم مواليهم وانفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ الا نفسه واهل بيته."
194	"دعوهم"
203	"الناس كلهم بنو آدم وادم من تراب"
203	"لا يقل أحدكم هذا عبدي، وهذه أمتي، وليقل فتاي، وفتاتي"
203	"ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا أعجمي على عربي، ولا أسود على أحمر، ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى"
203	"ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر. ورجل باع حرا فأكل ثمنه..."
206	"كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ،..."
213	"مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ."
214	"أيها الناس؛ إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني."
216	"لا طاعة لمخلوق في معصية الله عز وجل"
216	"السمع والطاعة على المرء فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة"

220	"الدين النصيحة"، قلنا لمن؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"
221	"أيها الناس من رأى في اعوجاجا فليقومه"
224	"ما رأيتُ أحداً أكثرَ مشورةً لأصحابه من النبي ﷺ"
224	"من بايع رجلا على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا"
224	: "فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة، فقال: إيانا تريد يا رسول الله والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا"
224	"إن الله عز وجل قد أمكنكم منهم، قال: فقام عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه النبي ﷺ قال ثم عاد النبي ﷺ فقال للناس مثل ذلك فقام أبو بكر فقال يا رسول الله نرى أن تعفو عنهم وتقبل منهم الفداء قال فذهب عن وجه رسول الله ﷺ ما كان فيه من الغم قال فعفا عنهم وقبل منهم الفداء قال وأنزل الله عز وجل "لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ"
225	وشاور النبي ﷺ عليا وأسامة فيما رمى به أهل الإفك عائشة فسمع منهما حتى نزل القرآن فجلد الرامين، ولم يلتفت إلى تنازعهم ولكن حكم بما أمره الله
225	"إذا استشار أحدكم أخاه فليشِرْ عليه"
225	"...وَمَنْ أَشَارَ عَلَى أَخِيهِ بِأَمْرٍ وَهُوَ يَرَى أَنَّ الرُّشْدَ فِي غَيْرِهِ، فَقَدْ خَانَهُ"
226	"أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق"
226	أو ينتقص وأنا حي
227	"أيها الناس! من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات. ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. أيها الناس أنن كثير أعداؤكم وقل عددكم ركب الشيطان منكم مركبا؟ والله ليظهرن الله هذا الدين على الأديان كلها ولو كره المشركون. قوله الحق و وعد الصدق. "بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق"، "كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين"، والله أيها الناس لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه واستعنت عليهم بالله وهو خير معين"
230	"سبعة يُظَلِّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإمامُ العادلُ، ..."
230	"ثلاثة لا تُردُّ دَعْوَتُهُمُ الصَّائِمُ حَتَّى يُفِطَرَ وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الربُّ وعزتي لأنصرك ولو بعد حين"
231	"فإنما أهلك الناس قبلكم: أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، ..."

## فهرس الأعلام

الاسم	الصفحة
ابن عباس	11،64
لبيد	،11
ميشيل مير	16
اوجست كونت	16
عبد الله ابن عمر	17
ابو سفيان	18
طه عبد الرحمان	19
الطبري	62 ،36 ،30
الزمخشري	248 ،45
ابن منظور	150 ،45
الزيبيدي	46
ابن فارس	46
ابن تيمية	159 ،47
فخر الدين الرازي	71 ،50
القرطبي	53
ابن اسحاق	63 ،62
عتبة بن ربيعة	66
أبو أمامة	67
عمر ؓ	67،256
goeth	71
أبو الوليد الباجي	،139 ،138 ،137 ،131 ،127 ،118،119 ،82،116 ،76 ،289،290،291 ،285،286،287،288 ،140،282،283 . 352
سيد قطب	163،220 ،83 ،76
ابن حزم	،136 ،134،135 ،133 ،132 ،131 ،126 ،124 ،116 ،81 ،265 ،263 ،259 ،258 ،257 ،256 ،247 ،146 ،144 ،137 278،279 ،268،271،272،273،274،275 288،280،287

249 ،83،162	ابن القيم
97	هرقل
100	ابن جني
107	أبو الحارثة
111	حبوس
،276 ،236،273،274 ،235 ،132 ،125 ،124 ،116 ،111 277،279،280	إسماعيل بن النغيلة
235 ،111	حسداي بن شبروط
111	الطرطوشي
111	ابن الحصار
112	أبا عامر
112	محمد بن عبد الرحمان الأوسط
112	قومس بن أنتنيان
113	الصفى بن عسال
113	ابن الحاجب
113	سليمان بن عبد القوي الطوفي
114	أبو علي عمر السكوني
145 ،144 ،143 ،142 ،141 ،140 ،126 ،116	أبو جعفر أحمد بن عبد الصمد الخزرجي
116	موسى بن ميمون
117	غوستاف لوبون
117	زيغريد هونكه
118	المقتدر بالله بن هود
122	سليم شعشوع
123	ألفارو Alvaro
123 ،135،352	بطرس المبجل pierre le venerable
،345،353،123	توما الأكويني thomas d'Aquin
123	رايمونديو مارتيني R.Martini
253،124	رايموند لول R.Llul
263،299،302،326،327 ،259 ،153 ،124	الغزالي
126،124	ابن رشد
207،312 ،124	ابن سينا

124	ابن طفيل
124	ابن عربي
125	بلقين بن باديس بن حابوس
125	أبو إسحاق الإلبيري
125	مسعود بن سعيد التجيبي
126	أبو جعفر أحمد بن الودين البلنسي
126	أبو الطيب عبد المنعم القروي
127	عبد الله محمد بن الفرخ، ابن الطلاع
127	ابن عبد البر
127	ابن حيان
127	ابن رشيق
127	أبو القاسم الزهراوي
127	الزرقالي
127	أحمد بن نصر
127	أحمد المجريطي
127	ابن السمح
229 ، 183 ، 150 ، 145	القرطبي
145	حفص بن البر
146	محمد بن عيسى الإلبيري
146	محمد بن عبد الله بن مسرة
147	محمد بن عمر بن لبابة
147	عبيد الله بن يحيى
247 ، 150	الجصاص
151	الشيخ القرشي
151	Micnaughton
151	ابراهيم لنكولن
152	التهانوي
152	الجرجاني
153	جابر بن حيان الكوفي
220 ، 153	أبو زهرة
153	سقراط SOCRATES

153	أفلاطون platon
153،308،312	أرسطو
153	سارتر
154	جاك روبير
154	هيغل
154	عبد الله العروي
155	زكريا إبراهيم
262 ، 249 ، 163	ابن كثير
164	سيمونت
164	أشباخ
165	أرنولد
167	أنوسنت
176	عامر بن لؤي
176	سهيل بن عمرو
176	حويطب بن عبد العزى
176	حكيم بن حزام
176	سفيان بن الحارث
176	عينة بن حصن بن بدر
176	الأقرع بن حابس
176	مالك بن عوف
176	العباس بن مرداس
176	العلاء بن حارث
176	عبد الله بن يربوع
184	أحمد الحوفي
192	الكواكبي
206	الزبيدي
207	ابن عابدين
211	محمد عبده
211	ماكيا فيلي
218	عباس محمود العقاد
219	أبو المعالي الجويني

220	عبد القادر عودة
220	عبد الوهاب خلاف
235	أبوريك
235	عبد الرحمان الناصر
235	الحكم الثاني
236	ابن بلقين
236	رينهارت دوزي
237،251	الماوردي
238	عبد الواحد ذنون
247	ابن مفلح
247	ابن قيم الجوزية
249	أبو موسى الأشعري
،250	شرف الدين الحجاوي
253	ابن بسام
256	يزيد
259	الحميدي
259	ابن العماد الحنبلي
259	أبو القاسم صاعد
259	ابن خلكان
260	صديق حسن خان
260	ابن المفلح
260	العز بن عبد السلام
260	ابن بشكوال
261	عبد الواحد المراكثي
261	سليمان داود الظاهري
261	بن جرير الطبري
261	محمد بن جعفر الفرغاني
262	جلال الدين السيوطي
262	الذهبي
262	فيروز آبادي
265	محمد المذحجي

266	الكندي
283	أبو بكر الحصار
284	أبي علي الصفدي
285، 294، 295 ، 284	ابن خاقان
284، 287	القاضي عياض
287	عمر بن حسين الهوزاني
289	أبو بكر الصائغ
290	جعفر بن عبد الجبار
290	عبد الله بن حسن البصري
290	أبو الفضل جعفر ناصر البغدادي
، 293، 295، 296، 297، 298، 299، 300، 301 302، 303، 304	ابن باجة
295، 311	ابن أبي صبيعة
308، 309، 310، 311، 312، 313، 315، 316، 317، 318 319، 320، 321، 322، 323، 324، 325، 326، 327	ابن رشد
309	ألبير
309	عبد البر
309	أبو يعقوب يوسف
311	أبو تمام
311	المتني
312	نيقولاس
312	جالينوس
312	الفارابي
331، 338	ديورانت
333	بطرس أبيلاز
292، 347	روجر بيكون
339	اسكندر
341	القديس أوغسطين
362، 363، 343	يان هوسgen hus
346	هيباثيا السكندرية

346	بيتر أبيلار
348 ، 347	جاليليو جاليلي
350	ابن الحاجب
351	سليمان عبد القوي الطوفي
351	القرافي
351	عمر السكوني
357	محمد صالح البنداق
357	روبرت الرتيبي
357	هيرمان
358	ثيودور بيبلياندر
368 ، 358، 363، 364، 365، 365، 366، 367	مارتن لوثر
358	فيليب ميلانختون
359	جربرت دي اورياك
359	سلفستر الثاني
359، 360	عبد الرحمان الناصر
359	إلزابيث
360	هشام المؤيد
360	سيفليك
362	ريتشارد الثاني
263	سيجموند
364	حنا تنزل
365	توماس دفيو
366	ليو العاشر
368 ، 367	أولريخ زوينجلي
367	إراسموس
369	جون كالفن Jean calvin
369	جاك لوفافر ديتابل
369	نيكولا كوب

## فهرس المحتويات

.....	الشكر والعرفان
.....	الإهداء
4.....	قائمة المختصرات
5.....	المقدمة:
13.....	الباب الأول: الحوار مع أهل الكتاب
14.....	الفصل الأول: الحوار والمحاو التعريف والشروط،
15.....	المبحث الأول: الحوار تعريفه وشروطه
16.....	المطلب الأول: تعريف الحوار
19.....	المطلب الثاني: شروط الحوار
30.....	المبحث الثاني: المحاور: تعريفه وشروطه
31.....	المطلب الأول: تعريف المحاور
32.....	المطلب الثاني: شروط المحاور
48.....	الفصل الثاني: الحوار مع أهل الكتاب من خلال الكتاب والسنة
49.....	المبحث الأول: الحوار وأهميته في الدعوة
50.....	المطلب الأول: تعريف مفهوم الدعوة
54.....	المطلب الثاني: أهمية الحوار في الدعوة
58.....	المبحث الثاني: أهمية الحوار في القرآن الكريم
63.....	المبحث الثاني: أهمية الحوار في السنة النبوية
74.....	المبحث الرابع: أساليب الحوار في القرآن الكريم وموضوعاته
75.....	المطلب الأول: أساليب الحوار في القرآن الكريم
88.....	المطلب الثاني: موضوعات الحوار في القرآن الكريم
98.....	المبحث الخامس: أساليب الحوار في السنة النبوية وموضوعاتها
99.....	المطلب الأول: أساليب الحوار في السنة النبوية
107.....	المطلب الأول: موضوعات الحوار في السنة النبوية
107.....	1- عرض الكلمة السواء (التوحيد):
108.....	2- الدعوة إلى الايمان بالنبي عليه السلام واتباعه:
109.....	3- النهي عن الغلو في الدين
109.....	4- بيان ما هم عليه من الباطل ورد شبهاتهم
112.....	الباب الثاني: الحوار مع أهل الكتاب في الأندلس
113.....	الفصل الأول: حوار العلماء مع أهل الكتاب في الأندلس: الأهداف والغايات

114	المبحث الأول: أهداف الحوار مع أهل الكتاب في الأندلس
118	المبحث الثاني: غايات الحوار مع أهل الكتاب في الأندلس ومقاصده
124	المبحث الثالث: دور الحوار مع غيرهم في الرقي والإزدهار
131	الفصل الثاني: موضوعات الحوار مع غيرهم في الأندلس
132	المبحث الأول: في الإيمان بالله
188	المطلب الثالث: نطاق الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية
192	المطلب الرابع: حقيقة الدعوة إلى الحرية الدينية عند المسلمين
200	المطلب الخامس: الرد على شبهات وادعاءات حول الإسلام
205	المبحث الثالث: في الحرية السياسية
206	الفرع الأول: مفهوم السياسة
210	الفرع الثاني: موقف الإسلام من حرية الرأي السياسي
215	الفرع الثالث: أصول الحرية السياسية في الإسلام
215	الأصل الأول: الهيمنة والسيادة العليا للشريعة الإسلامية
216	الأصل الثاني: الأمة هي مصدر التشريع وصاحبة الحق والسلطة
219	الأصل الثالث: حق الأمة في مراقبة الحاكم ومحاسبته على أعماله
223	الأصل الرابع: مبدأ الشورى في شؤون السياسة
227	الأصل الخامس: حق التمتع بالعدل
233	المطلب الثاني: الحرية السياسية في الفكر الأندلسي
245	المطلب الثالث: نطاق الحرية السياسية عند المسلمين في الأندلس
253	المبحث الرابع: في حرية الرأي والفلسفة
254	المطلب الأول: ابن حزم فلسفته وحواراته
255	الفرع الأول: حياته
262	الفرع الثاني: فلسفته
268	الفرع الثالث: حواراته
279	المطلب الثاني: أبو الوليد الباجي فلسفته وحواراته
280	الفرع الأول: حياته
283	الفرع الثاني: فلسفته
285	الفرع الثالث: حواراته
290	المطلب الثاني: ابن باجه فلسفته وحواراته
291	الفرع الأول: حياته
295	الفرع الثاني: فلسفته

300	الفرع الثالث: حواراته
305	المطلب الرابع: ابن رشد فلسفته وحوارته
306	الفرع الأول: حياته
311	الفرع الثاني: فلسفته
323	الفرع الثالث: حواراته
327	الفصل الثالث: التجربة الحوارية في الأندلس ودورها في النهضة الأوروبية
328	المبحث الأول: أوروبا القرون الوسطى
329	المطلب الأول: أزمة الفكر الأوروبي في العصور الوسطى
334	المطلب الثاني: وسائل قمع الكنيسة للفكر في القرون الوسطى
342	المطلب الثالث: العلماء المضطهدون من الكنيسة
347	المبحث الثالث: الحرية الحوارية في الأندلس ودورها في الإصلاح الديني بأوروبا
348	المطلب الأول: حرية الحوار في الأندلس وتأثيرها على أوروبا
354	المطلب الثاني: الحركة الإصلاحية في أوروبا
355	الفرع الأول: عوامل قيام الحركة الإصلاحية في أوروبا
360	الفرع الثاني: أعلام الفكر الإصلاحي في أوروبا
369	الخاتمة
371	لائحة المصادر والمراجع
393	فهرس الآيات القرآنية:
413	فهرس الأحاديث
417	فهرس الأعلام
424	فهرس المحتويات